

961-M96FA

وَأَنزِلْهُ

961

M96 f A .

DATE DUE

J. Lib.

~~18 MAR 1981~~

JAFET LIB.

~~20 FEB 1985~~

J. Lib.

~~J. Lib.~~

~~12 NOV 1988~~

J. Lib.

~~1 FEB 1988~~

JAFET LIB.
~~1 MAR 1992~~

J. Lib.

~~10 JAN 1985~~

JAFET LIB.

~~12 JUN 1992~~

JAFET LIB.

~~31 MAR 1992~~

الجامعة عين شمس

فتح العرب للمغرب

تأليف

حسين مؤنس

مدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

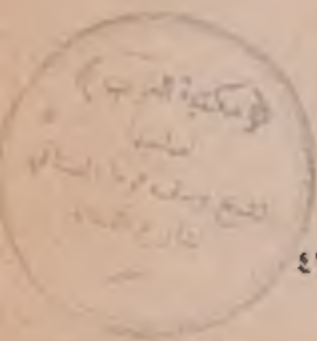


الناشر

مكتبة الآداب بالجاميزت ٤٢٧٧

٤٩٩٤١

مكتبة مركز تراث الحضارة



1951



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى أهله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فإنني حاولت أن أتتبع في الفصول التالية الأعمال السياسية والعسكرية التي قام بها العرب بين سنتي ٢١ و ٨٥ هجرية والتي انتهت بدخول الشمال الإفريقي من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي في نطاق الدولة الإسلامية .

ولم يتسع المجال لدراسة النتائج المباشرة وغير المباشرة لهذا الفتح العظيم ، لأن استيفاء هذا الموضوع يقتضي دراسة تاريخ العرب والأندلس وغرب البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الوسيط كله ، فقد كان فتح العرب من الفتوح الحاسمة التي استتبعت معها نتائج بعيدة الأثر في تاريخ الشرق والغرب : منها فتح الأندلس وما نتج من ذلك من قيام حضارة إسلامية زاهية في أرض أوروبية ، ومنها فتح صقلية الذي جعل للمسلمين طريقاً إلى جنوب إيطاليا ، ومنها سيطرة المسلمين على غرب البحر الأبيض المتوسط طوال بضعة قرون ، وغير ذلك من الظواهر التاريخية التي يعد كل منها حدثاً هاماً له أهميته وأثره في تاريخ الإنسانية كلها .

ولم تسلسل هذه الحوادث التاريخية الكبرى إحداها عن الأخرى تسلسلاً هيناً سهلاً ، ولم تكن إحداها نتيجة طبيعية للأخرى ، وإنما كانت هي الأخرى نتيجة لجهود متصلة عنيفة قام بها العرب ومن معهم من البربر عن قصد ومعرفة بأهميتها ، ففتح الأندلس مثلاً لم يكن مجرد انسياح طبيعي وإنما كان فتحاً عسيراً قدّر الدين قاموا به معظم نتائجهم ، وكذلك كان فتح صقلية والسيطرة على غرب البحر الأبيض ، ولم يكن العرب القاطنون أصحاب الفضل الأول في هذا كله ، وإنما كان معظم الفضل فيه للبربر ، وتلك هي الظاهرة العريضة في بابها التي تجعل فتح للبربر ظاهرة لا تكاد نجد لها في تاريخ الفتوح الإسلامية شبيهاً : فهؤلاء قوم يداخون العرب عن بلادهم شراً شراً ، ويناجزونهم عن حرثهم متاجرة لم يعهد العرب لها مثيلاً ، فما هو إلا

الباب الثالث - المحاولات الأولى (أ) - حملة

١٠٧ - ٧٣

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

جرجير يستعد للقاء المسلمين ، ٧٤ - رقة وطرابلس في غيبة المسلمين ، ٧٩ - التمهيد لفتح إفريقية ، ٧٩ - عبد الله بن سعد يستأذن عثمان ، ٧٩ - وصول القوات إلى مصر ، ٨٢ - سير عبد الله بن سعد إلى إفريقية ، ٨٣ - واقعة سبيلة ، ٨٥ - وصول المسلمين إلى إفريقية ، ٨٦ - المناوشات الأولى ، ٨٧ - الدور الذي قام به عبد الله بن الزبير ، ٨٩ - انتصار المسلمين ، ٩٧ - تعجيل المسلمين بالعودة وأسباب ذلك ، ٩٨

المحاولات الأولى (ب) - حملة معاوية بن حديج

١٢٧ - ١٠٩

سنة ٥٤٥ - ٦٦٦ م

✓ وقوف حركة الفتح عامة ، ١١٠ - عودة الفتح ، ١١٠ - عمرو ابن العاص يستأنف الفتح في إفريقية ، ١١١ - معاوية بن حديج يتولى قيادة الفتح في إفريقية ، ١١٢ - الدولة البيزنطية في مستهل النصف الثاني من القرن السابع ، ١١٢ - تحديد تاريخ غزوة معاوية بن حديج ، ١١٥ - الروم يرسلون جيشاً إلى إفريقية ، ١١٩ - سير معاوية بن حديج ، ١٢٠ - سير معاوية إلى بنزرت ، ١٢٤ - فتح جزيرة جربة ، ١٢٦ - قيمة حملة معاوية بن حديج ، ١٢٧

الباب الرابع - فتح إفريقية - حملة عقبة بن نافع

١٥٤ - ١٢٩

الأولى وبناء القيروان

✓ تطور الفتح بقدم عقبة ، ١٣٠ - عقبة يخرج إلى إفريقية في بيت صغير سنة ٥٤١ ، ١٣١ - بحث عقبة في الصحراء ، ١٣٤ - سير عقبة إلى إفريقية ، ١٣٨ - عقبة يفكر في اختطاط القيروان ،

١٤٠ - قونية ، ١٤١ - موقع القبروان ، ١٤٣ - أهمية قيام
القبروان ، ١٤٥ - لماذا عزل عقبة ؟ ، ١٤٧ - عقبة يعود
إلى دمشق ، ١٥٠ - معنى لفظ قبروان ، ١٥٣

الباب الخامس - فتح المغرب الأوسط - دينار
أبو المهاجر ودوره في فتح إفريقية (٥٥ - ٦٣ هـ) =

١٧٦ - ١٥٥ (٦٧٤ - ٦٨٢ م)

✓ تطور هام في مسير الفتوح ، ١٥٦ - دينار أبو المهاجر ،
١٥٧ - نشاط الروم ، ١٥٩ - ابتداء مقاومة البربر ، ١٦١ - وصول
أبي المهاجر ، ١٧٠ - هل هدم أبو المهاجر القبروان ؟ ، ١٧٠ - أبو المهاجر
وكسيلة ، ١٧٢ - تقدير أعمال أبي المهاجر ، ١٧٤

الباب السادس - محاولة فتح المغرب الأقصى - حملة

عقبة الثانية (من سنة ٦٠ هـ - سنة ٦٣ هـ) ١٧٧ - ٢٠٧

مضى سار عقبة في حملته الثانية ، ١٧٨ - إصلاح القبروان ،
١٧٩ - مسير عقبة ، ١٨١ - عود النشاط إلى الروم ، ١٨٢ - عقبة
في الزاب ، ١٨٩ - عقبة في طنجة ، ١٩١ - وصول عقبة إلى المحيط ،
١٩٤ - عقبة وكسيلة ، ١٩٥ - عود عقبة ، ١٩٧ - واقعة
نهودة ، ١٩٩ - كسيلة في القبروان ٢٠٦

الباب السابع - تمام الفتح - (١) - حملة زهير

ابن قيس البلوي على إفريقية ٢٠٩ - ٢٣٠

✓ إفريقية بعد نهودة ، ٢١٠ - أنصار العرب من أهل البلاد ،
٢١١ - عود النشاط إلى الروم ، ٢١٣ - زهير يعود إلى مصر
بعد انسحابه من إفريقية ، ٢١٥ - عبد الملك يسير زهيراً إلى إفريقية
سنة ٦٩ هـ ، ٢١٧ - اهتمام عبد الملك بحملة إفريقية ، ٢١٨ - انضمام
نفر من البربر إلى زهير ، ٢١٩ - فزع كسيلة لمسير العرب ،

٢٢٠ - لماذا انتقل كسيلة إلى عس، ٢٢٠ - زهير يهادن الروم ،
 ٢٢٢ - مسير زهير إلى كسيلة ، ٢٢٣ - واقعة عس ، ٢٢٣ - نتائج
 السياسة لواقعة عس ، ٢٢٤ - الاستيلاء على شقنبارية ، ٢٢٥ - الروم
 يدبرون زهير ، ٢٢٥ - وصول مدد من القسطنطينية ، ٢٢٦ - لماذا
 ارتد زهير مسرعاً عن إفريقية ؟ ٢٢٧ - مقتل زهير بركة ، ٢٢٨
 الباب الثامن - تمام الفتح - (٢) حسان بن النعمان

٢٣١ - ٢٦٦

ودوره في فتح إفريقية

✓ أثر مقتل عقبة في سير الفتوح ، ٢٣٢ - عود النشاط للروم
 وأسباب ذلك ، ٢٣٣ - أثر ذلك في روم إفريقية ، ٢٣٤ - متى
 سارحسان ؟ ٢٣٥ - اهتمام عبد الملك بعمله حسان ، ٢٣٦ - مسير
 حسان ، ٢٣٧ - وصول حسان إلى القيروان ، ٢٣٨ - مسير
 حسان إلى إفريقية ، ٢٣٩ - عودته إلى قرطاجنة ، ٢٤٠ - ثورة
 الكاهنة ، ٢٤٢ - من هي الكاهنة ؟ ٢٤٢ - حقيقة ثورة الكاهنة ،
 ٢٤٤ - خوف الكاهنة من مسير حسان ، ٢٤٦ - واقعة نيقى ،
 ٢٤٨ - انهزام حسان إلى برقة ، ٢٤٩ - القيروان في غياب المسلمين ،
 ٢٤٩ - حال البلاد بعد انصراف حسان ، ٢٥٠ - الكاهنة تحارب
 إفريقية ، ٢٥١ - أثر سياستها ، ٢٥٣ - عود الروم للعمل في عهد
 ليونتيوس ، ٢٥٣ - الروم في إفريقية ، ٢٥٤ - حسان على مقربة
 من صرت ، ٢٥٥ - عودة حسان إلى إفريقية ، ٢٥٨ - مسير
 حسان إلى قرطاجنة ، ٢٥٩ - إنشاء تونس ، ٢٦٠ - نتائج قيام
 تونس ، ٢٦٣ - العلاقة بين حسان وعبد العزيز بن مروان ، ٢٦٣
 الباب التاسع - انتشار الإسلام في المغرب والنظام

٢٦٧ - ٣٠٠

الإدارى الذى وضعه العرب له

لماذا طالت مدة الفتح العربى للمغرب ؟ ٢٦٨ - انصراف
 الخلافة عن فتح المغرب ، ٢٦٩ - جند العرب في مصر يصرون

على فتح إفريقية ، ٢٧٠ - عفة بن دفع ، ٢٧٠ - انتاج نياسية
 لإشياء القيروان ، ٢٧٠ - طمع عمال مصر في ولاية المغرب ،
 ٢٧١ - الصراع بين عمال مصر والحقاء على ولاية إفريقية ، ٢٧١ - الأضرار
 التي لحقت المغرب من تدخل عمال مصر في شئون ، ٢٧٢ - النظام
 الإداري الذي وضعه العرب لمغرب ، ٢٧٣ - بناء بوس وأثره ،
 ٢٧٣ - اضمحلال أمر المسيحية في السلا ، ٢٨٠ - الكتيبة
 الإفريقية ، ٢٨١ - هل أدل البر على الإسلام من رمن مكر ،
 ٢٨٢ - أثر فتح الأندلس في إسلام أهل المغرب ، ٢٩٢ - أصل
 حركات الخارجية في بلاد المغرب ، ٢٩٤ - عمر بن عبد العزيز
 تصل على إسلام أهل المغرب ، ٢٩٥ - سمعان بن عديق ،
 ٢٩٥ - الدعوة العشرة التي أرسدهم عمر بن عبد العزيز
 إلى المغرب ، ٢٩٦

٣٠١-٣٢٥

٣٢٦

ذيل ١ : مصادر هذا البحث

ذيل ٢ : التواريخ الهامة

خريطة ١

خريطة ٢

فهارس الكتاب

في تحديد المراد باللفاظ إفريقيا، المغرب، بربر، نثر، برانس، رباته

أطلق القينيقيون لفظ امري (Aphri) على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينتهم طاقا Unca «للمدة القديمة» وعاصمتهم قرطاجنة «مدينة الحديثة»، وعهم أحده اليونان، فطلقوه على أهل البلاد الأصيلين الذين يسكنون المغرب من حدود مصر إلى المحيط، ومن ثم سميت هذه المنطقة امريكا^(١) أي بلاد الأمري،

(١) لأن أصل لفظ إفريقية حاد، بل ساحتون فيه في رأي تركي له. ومؤذحي العرب في ذلك آراء مختلفة بعضها سكروى لعل. فاقول يوم أنها إفريقية أي صاحبة اسماء. وقاله آخرون. سميت إفريقية لأن إفريس بن أرمعه بن رابش عرابة من بني حنق بنحى بن مسعة في أرض بربر. وهو الذي بنى إفريقية ويسمى سميت. ومن سبب يفرق بين أرمعه عليه السلام من روجه سانية طووزي. وقال يوم قد سمو لأفريقية وبلاذهم إفريقية لأهم من ولد إفريس بن مصرم. وقد رجموا أن إفريقية سميت سميت «فوق بن يوش الذي بنى مدينته مغبش نصر» وهي التي ملكها ملك روم جمع قسطنطين. وإفريقية مؤرخي العرب أرمعه كهنه لأجل ذكرها ولا يمكن لأحد أن يحد من أصلهم إفريقية من بلاد من لفظ إفريس، ويقب أن الذين رأوا ذلك برأى أحدهم من قبل على عهد بن حنق بن حنق بن إفريقية المرفقة بداره لأفريقية. أحد ما حجت. وقد حاول بور أن يكشف أصل هذا الاسم، وذهب إلى أن بوشافان أن اللفظ مشتق من كلمة «نفس» أي «أنا»، وذهب كذلك إلى أن أصل الاسم ربما كان مشتقاً من لفظ «نفس» أي «أنا» الذي يرد في هود العرب وذلك أن اللفظ «نفس» هو «نفس» العرب أيضاً، وقد رأى عدداً لا يمكن لأحد أن لا يراها لأفريقية من الأدلة ما يؤكد أصل أهل إفريقية هود. وكان دفع دور رأي ذلك أرمعه ما ذهب إليه من أن أصل إفريس يرى حنق آري هاجر من بواحي نيكيج، سدان دي سلب دهب في بلنجه على عهد لفظ «نفس» روجه بن حنقون إلى أنه «لا بد أن يكون مشتقاً من إفريقية أو حرة أو سائفة مسجلة، أو بربر من مصر بن نهر مصر» أو «الأمري» وهذا رأي مقبول. ولم يرد اسم إفريقية في الأصل، وتور. جوبوس. ذكرها غامضاً «جوبوس».

السكروى: وصف إفريقية من ٢١ - ٢٢. مسكون. مجمع من مجمع من ١٧ - ١٨ -
ان حنقون: تاريخ من ٩٨ - ٩٩ - ٥٧٢ - ٥٧١ - ٥٧٠ - ٥٦٩ - ٥٦٨ - ٥٦٧ - ٥٦٦ - ٥٦٥ - ٥٦٤ - ٥٦٣ - ٥٦٢ - ٥٦١ - ٥٦٠ - ٥٥٩ - ٥٥٨ - ٥٥٧ - ٥٥٦ - ٥٥٥ - ٥٥٤ - ٥٥٣ - ٥٥٢ - ٥٥١ - ٥٥٠ - ٥٤٩ - ٥٤٨ - ٥٤٧ - ٥٤٦ - ٥٤٥ - ٥٤٤ - ٥٤٣ - ٥٤٢ - ٥٤١ - ٥٤٠ - ٥٣٩ - ٥٣٨ - ٥٣٧ - ٥٣٦ - ٥٣٥ - ٥٣٤ - ٥٣٣ - ٥٣٢ - ٥٣١ - ٥٣٠ - ٥٢٩ - ٥٢٨ - ٥٢٧ - ٥٢٦ - ٥٢٥ - ٥٢٤ - ٥٢٣ - ٥٢٢ - ٥٢١ - ٥٢٠ - ٥١٩ - ٥١٨ - ٥١٧ - ٥١٦ - ٥١٥ - ٥١٤ - ٥١٣ - ٥١٢ - ٥١١ - ٥١٠ - ٥٠٩ - ٥٠٨ - ٥٠٧ - ٥٠٦ - ٥٠٥ - ٥٠٤ - ٥٠٣ - ٥٠٢ - ٥٠١ - ٥٠٠ - ٤٩٩ - ٤٩٨ - ٤٩٧ - ٤٩٦ - ٤٩٥ - ٤٩٤ - ٤٩٣ - ٤٩٢ - ٤٩١ - ٤٩٠ - ٤٨٩ - ٤٨٨ - ٤٨٧ - ٤٨٦ - ٤٨٥ - ٤٨٤ - ٤٨٣ - ٤٨٢ - ٤٨١ - ٤٨٠ - ٤٧٩ - ٤٧٨ - ٤٧٧ - ٤٧٦ - ٤٧٥ - ٤٧٤ - ٤٧٣ - ٤٧٢ - ٤٧١ - ٤٧٠ - ٤٦٩ - ٤٦٨ - ٤٦٧ - ٤٦٦ - ٤٦٥ - ٤٦٤ - ٤٦٣ - ٤٦٢ - ٤٦١ - ٤٦٠ - ٤٥٩ - ٤٥٨ - ٤٥٧ - ٤٥٦ - ٤٥٥ - ٤٥٤ - ٤٥٣ - ٤٥٢ - ٤٥١ - ٤٥٠ - ٤٤٩ - ٤٤٨ - ٤٤٧ - ٤٤٦ - ٤٤٥ - ٤٤٤ - ٤٤٣ - ٤٤٢ - ٤٤١ - ٤٤٠ - ٤٣٩ - ٤٣٨ - ٤٣٧ - ٤٣٦ - ٤٣٥ - ٤٣٤ - ٤٣٣ - ٤٣٢ - ٤٣١ - ٤٣٠ - ٤٢٩ - ٤٢٨ - ٤٢٧ - ٤٢٦ - ٤٢٥ - ٤٢٤ - ٤٢٣ - ٤٢٢ - ٤٢١ - ٤٢٠ - ٤١٩ - ٤١٨ - ٤١٧ - ٤١٦ - ٤١٥ - ٤١٤ - ٤١٣ - ٤١٢ - ٤١١ - ٤١٠ - ٤٠٩ - ٤٠٨ - ٤٠٧ - ٤٠٦ - ٤٠٥ - ٤٠٤ - ٤٠٣ - ٤٠٢ - ٤٠١ - ٤٠٠ - ٣٩٩ - ٣٩٨ - ٣٩٧ - ٣٩٦ - ٣٩٥ - ٣٩٤ - ٣٩٣ - ٣٩٢ - ٣٩١ - ٣٩٠ - ٣٨٩ - ٣٨٨ - ٣٨٧ - ٣٨٦ - ٣٨٥ - ٣٨٤ - ٣٨٣ - ٣٨٢ - ٣٨١ - ٣٨٠ - ٣٧٩ - ٣٧٨ - ٣٧٧ - ٣٧٦ - ٣٧٥ - ٣٧٤ - ٣٧٣ - ٣٧٢ - ٣٧١ - ٣٧٠ - ٣٦٩ - ٣٦٨ - ٣٦٧ - ٣٦٦ - ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣٦٣ - ٣٦٢ - ٣٦١ - ٣٦٠ - ٣٥٩ - ٣٥٨ - ٣٥٧ - ٣٥٦ - ٣٥٥ - ٣٥٤ - ٣٥٣ - ٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٥٠ - ٣٤٩ - ٣٤٨ - ٣٤٧ - ٣٤٦ - ٣٤٥ - ٣٤٤ - ٣٤٣ - ٣٤٢ - ٣٤١ - ٣٤٠ - ٣٣٩ - ٣٣٨ - ٣٣٧ - ٣٣٦ - ٣٣٥ - ٣٣٤ - ٣٣٣ - ٣٣٢ - ٣٣١ - ٣٣٠ - ٣٢٩ - ٣٢٨ - ٣٢٧ - ٣٢٦ - ٣٢٥ - ٣٢٤ - ٣٢٣ - ٣٢٢ - ٣٢١ - ٣٢٠ - ٣١٩ - ٣١٨ - ٣١٧ - ٣١٦ - ٣١٥ - ٣١٤ - ٣١٣ - ٣١٢ - ٣١١ - ٣١٠ - ٣٠٩ - ٣٠٨ - ٣٠٧ - ٣٠٦ - ٣٠٥ - ٣٠٤ - ٣٠٣ - ٣٠٢ - ٣٠١ - ٣٠٠ - ٢٩٩ - ٢٩٨ - ٢٩٧ - ٢٩٦ - ٢٩٥ - ٢٩٤ - ٢٩٣ - ٢٩٢ - ٢٩١ - ٢٩٠ - ٢٨٩ - ٢٨٨ - ٢٨٧ - ٢٨٦ - ٢٨٥ - ٢٨٤ - ٢٨٣ - ٢٨٢ - ٢٨١ - ٢٨٠ - ٢٧٩ - ٢٧٨ - ٢٧٧ - ٢٧٦ - ٢٧٥ - ٢٧٤ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٧١ - ٢٧٠ - ٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٦٧ - ٢٦٦ - ٢٦٥ - ٢٦٤ - ٢٦٣ - ٢٦٢ - ٢٦١ - ٢٦٠ - ٢٥٩ - ٢٥٨ - ٢٥٧ - ٢٥٦ - ٢٥٥ - ٢٥٤ - ٢٥٣ - ٢٥٢ - ٢٥١ - ٢٥٠ - ٢٤٩ - ٢٤٨ - ٢٤٧ - ٢٤٦ - ٢٤٥ - ٢٤٤ - ٢٤٣ - ٢٤٢ - ٢٤١ - ٢٤٠ - ٢٣٩ - ٢٣٨ - ٢٣٧ - ٢٣٦ - ٢٣٥ - ٢٣٤ - ٢٣٣ - ٢٣٢ - ٢٣١ - ٢٣٠ - ٢٢٩ - ٢٢٨ - ٢٢٧ - ٢٢٦ - ٢٢٥ - ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢٢١ - ٢٢٠ - ٢١٩ - ٢١٨ - ٢١٧ - ٢١٦ - ٢١٥ - ٢١٤ - ٢١٣ - ٢١٢ - ٢١١ - ٢١٠ - ٢٠٩ - ٢٠٨ - ٢٠٧ - ٢٠٦ - ٢٠٥ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ٢٠٢ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٩٩ - ١٩٨ - ١٩٧ - ١٩٦ - ١٩٥ - ١٩٤ - ١٩٣ - ١٩٢ - ١٩١ - ١٩٠ - ١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٨٤ - ١٨٣ - ١٨٢ - ١٨١ - ١٨٠ - ١٧٩ - ١٧٨ - ١٧٧ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٧٤ - ١٧٣ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٧٠ - ١٦٩ - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٦ - ١٦٥ - ١٦٤ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٥ - ١٥٤ - ١٥٣ - ١٥٢ - ١٥١ - ١٥٠ - ١٤٩ - ١٤٨ - ١٤٧ - ١٤٦ - ١٤٥ - ١٤٤ - ١٤٣ - ١٤٢ - ١٤١ - ١٤٠ - ١٣٩ - ١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٦ - ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٣٢ - ١٣١ - ١٣٠ - ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٦ - ١٢٥ - ١٢٤ - ١٢٣ - ١٢٢ - ١٢١ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١٨ - ١١٧ - ١١٦ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٣ - ١١٢ - ١١١ - ١١٠ - ١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٧ - ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠٢ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦ - ٨٥ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٨١ - ٨٠ - ٧٩ - ٧٨ - ٧٧ - ٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ - ٧٢ - ٧١ - ٧٠ - ٦٩ - ٦٨ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٥ - ٦٤ - ٦٣ - ٦٢ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩ - ٥٨ - ٥٧ - ٥٦ - ٥٥ - ٥٤ - ٥٣ - ٥٢ - ٥١ - ٥٠ - ٤٩ - ٤٨ - ٤٧ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٤ - ٤٣ - ٤٢ - ٤١ - ٤٠ - ٣٩ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٣٢ - ٣١ - ٣٠ - ٢٩ - ٢٨ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٢ - ٢١ - ٢٠ - ١٩ - ١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٥ - ١٤ - ١٣ - ١٢ - ١١ - ١٠ - ٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤ - ٣ - ٢ - ١ - ٠ - ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ -

واستعمل هذا الاسم للدلالة على هذه المنطقة، فبعد هيرودوت يطق لفظ افريكا على كل ما بين مصر غرباً من البلاد حتى محيط الأطلسي . وما علم الرومان الميسيين على هذه الناحية ، أخذوا عنهم هذه التسمية وأطلقوا اسم ولاية افريقية القصيلة Africa proconsularis على قرطاجنة وما حولها حتى نوميديا .

وأحد معنى هذا اللفظ يسع شيئاً كثيراً كلفظ سبطا الرومان في إفريقيا، فأصبحت ولاية إفريقية القصيلة تعبر ولاية إفريقية الأصيلة واخرى اشرقي من تونس الحالية لدى كان يسمى روجيتايب ، والمنطقة الداخلية منها التي تمتد حتى قران المسماة Bezacena ، أما بقية إفريقية الرومانية فسمي الجزء الذي قبل منها للحرثاء الحالية بنوميديا ، وبلى ذلك مرطيبه^(١) بقسمها المصرية والاندلسية^(٢) ثم اتسع معنى هذا اللفظ في العصر البربري ، فكانت إفريقية البربرية تشمل كل ما دخل في طاعة الروم من هذه القرارة من رققة إلى طنججة

وعن امبراطورين أخذ العرب لفظ إفريقية وتحددهم الأول بمصر ، وأرادوا به في أول الأمر كل ما بين مصر غرباً حتى ما حول المحيط الأطلسي ، ولهذا نجد قدم مؤرخيهم كان عند حكم واسلادري يعطون لفظ إفريقية على كل ما بين مصر غرباً من شمس هذه القرارة ولا يقسمونها أقساماً ، وكلمهم استنوا من ذلك رققة « سدلس » وطرابلس ، إذ اعتبرهما شعب نوردجين ولايتين « فنتين بين مصر وإفريقية » .

ثم أخذ لفظ إفريقية بصيق شيئاً كثيراً ، وبدأ لفظ « مغرب » في الظهور فقتصر اسم إفريقية على ما بين مصر غرباً حتى نيجيه ، أي ما بين صم تونس وصف مقاطعة فسطاطيه الحالية . ثم بقي ذلك للمغرب حتى المحيط ، وربما أدخل

(١) تعرب لفظ Mauretanica وهكذا رسمها بكرى ، وصف إفريقية ، ص ٢١٠

(٢) Mercier - Fust - l'Afr Septentrionale vol . ١ , p 180

فيه بعضهم الأندلس كلها ، فياقوب مثلاً يحدد إفريقية بقوله « واحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية من ناحية ، وقيل إلى ميثانة فتكون مائة طولاً شهرين ونصف شهر^(١) » وعنده أن المغرب هو ما إلى ذلك من بلاد اسمين عرباً ، ويؤيد ذلك أن في دسار بقوله « وعند أهل العمى أطلق اسم إفريقية فأما يعقوب بن أمية قال « ثي البلاد الخيطة بالقيروان ، ثم يعود يؤكد ذلك بقوله « وإفريقية أو وسط بلاد المغرب^(٢) »

ويبدو أن المراد بلفظ المغرب في أول الأمر كان تحديداً جغرافياً ، أراد به الذين تحدوه كل ما شمالاً مشرق من الملاد ، ومن هذا أدخل فيه بعض مؤلفين مصر والأندلس^(٣) ، وقصره آخرون كما نرى على المغرب الحالي ، وأخرج منه الأندلس ، وحملوا حدود المغرب « من سبب نجد البيل بمشرق إلى ساحل البحر الأبيض من ناحية المغرب^(٤) » .

بيد أن طائفة من كتّاب ضلت بخط بين نفى « المغرب » « وإفريقية » ولا تميز بينهما ، فسكري مثلاً يحدد إفريقية بقوله « واحد إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة المصراة غرباً ، وأما طنجة صرطانية ، فموضع من البحر إلى برقة التي هي أول بلاد السودان^(٥) » واحد حدود مصر من مؤرخين^(٦) على أن ذلك لم يستقر طولها فلم يست معنى كل من المصنف أن يحدد بشكل واضح محدداً من أني دسار يقول « واحد إفريقية بطول من برقة إلى طنجة ، وعرضها من البحر إلى البحر إلى أني أول بلاد السودان من غير واحد ، فت : في رمان هذا لا يعبر إفريقية إلا من وادي نصيب إلى ناحية^(٧) » وقد أكد

(١) ياقوب ، معجم البلدان ، مادة برقة ، (٢) ، تونس ، ص ١٣

(٣) مقدسي ، أحسن عظم من ٢٩٧ - ٢٩٨ ، (٤) تونس ، ص ١٦

(٥) سكري ، وصف برقة ، ص ٢٦ - (٦) راجع عمدة السالكين ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٧) تونس ، ص ١٦ ، وحدد كاسسوي ، في بعض مرقمة في وية عربية بقوله .

الأدريسي ذلك قوله عن بحيرة . « ومدينة بحيرة في وقتنا هذا مدسة المغرب الأوسط أي أول بلاد المغرب الأوسط »^(١) .

ويتقسم المغرب إلى قسمين ، المغرب الأوسط وتمتد من بحيرة حتى وادي متونة ، والمغرب الأقصى وهو ما يلي ذلك حتى اعبط^(٢) ، وقد يطلق اسم السوس على الجزء الغربي المطل على المحيط من بلاد المغرب ، ويقسم إلى قسمين : السوس الأقصى ، ويقسم منسحق الأطلس (دَرَب) وما حو لها وغربها من الواحي المصرة حتى تارودانت وتيفنت (سحرسة) ، والسوس الأدنى ويشمل الجزء الشمالي من مراکش الحديثة على وجه التقريب^(٣) .

ولعلنا أن معنى لفظ مغرب انتهى عند مؤرخين واحمرانيين إلى أن يشمل كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط ، ثم قسموه بعد ذلك أحراء . هي ربه وطرابلس ثم إفريقيا حتى بحر متونة ثم المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى فالسوس^(٤) ومن هنا صح استعمال لفظ المغرب للدلالة على الإقليم كله ، ثم تسميته بعد ذلك إلى الأقسام أشار إليها ، وفي هذه الحدود شتمت تلك الأقطار في هذا البحث .



ويفرق المؤرخون بين ثلاث طوائف من السكان كانت تعمر المغرب

١- ريد مؤرخو المغرب بإفريقية ولاية Africa Propria (أفريقية رقم ١) وروجنبا Zeugnada وكند الولايات المغربية لأخرى كغمر من ولوميدبا وبس أحراء من صحرانية القصيرة وبعض وتمتد في الدجل حتى واحة آتون وجره من قران D'Herbe et Castiglioni Memores p 4 وسواها أحد حد لحدود عن دهرينو .
Bibliographie Orientale مادة إفريقيا .

- (١) الأدريسي ، ص ٩٠
- (٢) ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٦ ص ٩٨ — ١٠٢
- السلوى ، الاستعصاء ص ٣٣ — ٣٤
- (٣) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة سوس
- (٤) أطرا ابن حوقل ص ٤٩

رمان الفتح^(١)، فقد كروا بروم والأفرقة والبربر؛ فقاما لروم فمراد بهم البيزنطيون الذين وحدهم العرب في البلاد إذ ذلك^(٢)

وأما الأفرق أو لأفرقة فمراد بهم أحلاط من الناس كانوا يسكنون لنواحي الساحلية العاصرة المحيطة بالمداين البيزنطية والأجزاء المروعة الأخرى الداخلة في الرافعات البيزنطية؛ وهؤلاء خليط من المستعمرين اللاتين Colons وبقايا الشعب القرطاجي القديم ومرارعى البيزنطيين وصناعهم وبقية من البربر من استقر ودخل في طاعة البيزنطيين، وتنصح التفرقة بينهم وبين البربر من قول حوتيه «وعلى أي الأحوال يستي الأهل في الثأرون نأخذ قتلهم، أو يسمون لماور (les Maures)، أو البربر حنة، ولكنهم لا يسمون «الأفرقة» أصلاً، إن هذه التسمية قصر على حصونهم حدة النظم وهم أهل قرطاجنة أو رعيها^(٣) وهذا يدل على أن العرب أخذوا هذه التسمية عن مؤرخين اللاتين.

(١) قسم الحسن بن علي بن إفرقة إلى: عصر قديم جداً، عصر عربي،

وعصر لاتيني، وعصر منى Leo Africanus p. 187 سنة مائتين

(٢) Du Sane. Journal Asiatique, 1848 424

وقال في مكان آخر: «يريد كتاب العرب بروم إما رعيها الأمازيغيين البيزنطية أو مسيحي أوروبا، أو اللاتين الذين سكنوا شمال إفريقيا. Journ Asiat XII, p. 420 n 6» ويلاحظ أن كتاب العرب لا يربطون بروم بمسيحي أوروبا لربطهم لأنهم يدعونهم المبرمة فميزهم عن الروم، ويلاحظ ذلك واضحاً في إهمالهم أن يربطوا بروم عن طريق بين الأفرق والروم. وقد أحق بروم من إفرقة بعد الفتح العربي؛ ولكن يجب أن يلاحظ أن طوائف منهم بقيت في حصن تونس بلاد كواحدة المبرمة يقال: وأهل بور من بقايا الروم الذين كانوا يعرفون قبل الفتح الإسلامي. وكذلك أكثر بلاد المبرمة، لأنهم في حين دخول المسلمين أسلموا على أموالهم»

رحلة النعمان، ورقة ٤٨ أ

(٣) Gautier, p. 100

وقال ابن عبد الحكم في تاريخه: «وأقام الأفرق، وكانوا حذق الروم على صلح يؤدونه إلى من عبد على «الدم»، مما يزيد أنهم كانوا زراعا وصناعا فقط، وأنهم كانوا خاضعين للروم. ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٧٧

والبربر هم سكان البلاد الأصحون وينقسمون صائفتين متساويتين وهما طائفة
البربر الخضر الذين يسكنون الواحي الخمسة الشامية والسفوح المرروعة، وطائفة
البربر ارحل الذين يعبرون الصحارى واواحت التي الى ذلك جنوباً وشرقاً

والفوارق بين الطائفتين اجتماعية لا جنسية، وبست ناشئة عن اندس كل
مهما إلى أن كما يذهب سادة البربر وفي مقدمتهم ابن خلدون، إذ أن البربر
الستقرين يبرلون سوحى اخصبة الغنيمة بحال وراس، أى جنوب ووسط جرائر
الحيمة وجنوب مراكش وبعض أحرار تونس العربية؛ وطبيعى أن يكونوا
على حاسب من الحضرة لأنفسهم بالمرط حيين واللايين وحضرات البحر الأبيض
المتوسط، فتناولوا الزراعة والصناعة وطهر فيهم نمر أحد نساب الحضرة اللانيدية
مثل يونا أمير وميدية لدى درس وترى في روما، وجرثا عدو ابره مان اللدود،
وما كس اللدى لعب دوراً سياسياً هاماً في احرب بين روما وقرطاجنة

وأما البربر الطوائف فهم سوي منشور على اربعى ويبلون إلى الاعارة
على ما يتحورهم من واحى الممران، حتى قد وصفهم كودل بقوله: «هم اسوا
أمة وإتمام صوص»^(١)، وهو وصف مبالغ فيه، فقه كودل عن مؤرخين رومان
والبيرطيين مثل ماؤمست وروكوبوس

كان هذا لاختلاف في الأحوال الاجتماعية سبباً في تراع طوليل وحروب
مستمرة بين ابريقين، فكان ارحل لا يمكنهم يعبرون على مزارع الستقرين
وقايم، واضطر هؤلاء إلى أحد خبر منهم ولاحت، من شرهم الاستعانة عليهم
باللايين أو البيرطيين، مما أدى إلى ظهور الفوارق بين الصائفتين بشكل حتى
واضح كان له أمد لأثر في مستقبل البلاد السيامى، إذ حال دون اتحادهم،
وسهل عروده وسائر الفتح الأحمى من أن يستعين عريق على فرق،

وحال دون شؤ دولة بربرية واحدة أو شعب متكاتف متناسق .

أفاد الرومان من هذه الحال فائدة كبرى فاستعمروا مريق على مريق ،
فأمكنهم ذلك من البلاد ونشت قدمهم فيها . أما البربرطيون فم يوصوا إلى الفائدة
من تلك الحال ، جعل سلطتهم على البلاد ضعيفاً واهياً .

وكان البربرطيون (واروم كدلك) يقسمون البربر شعوباً بحسب الأقاليم
التي كانوا يربوونها ، ولم يقوموا إلى قبل (١) .

ولم انفصل العرب بالعرب فهموه كما ، أنه عيونهم وكما صورته أدهمهم التي
تختلف كثيراً عن العيون والأدهم العربية . فكان أول ما حدث تغير
الاصطلاحات ، وحتى لفظ أفرسكا - كنيسية عامة شامة على الأقايم - وبدأ
لفظ للعرب يعني محله . . واحتج كدلك اسم اللبيين وطهر لفظ « ابربر » بمرقة
الأولى أو طهر على الأقل نعمة الذي يسميه منه الآن . ومن المقول حداً أن يكون
لعرب قد أخذوه عن اللابمية مع تعبير معناه ، إذ يذهب جل Osell ، إلى أن
أصله لفظ Barbari الذي كان الأورقة للانسبون يطبقونه عادة على الأهلين ، وهذا
الرأي لم يصح بعد قضية مسهه نظراً لقصمت المراجع (٢) ، وعطس العرب إلى نظام
البربر البدو وإلى انقسامهم قشائاً وبطوناً ، فأخذوا يقسمونهم على مثال تقسيمهم

(١) شامة برقة بمكة Ashyates - Baraytes - Ghagammas

حوب برقة وطرس : للبيون Lhalai وحرقة عرب إلى لواته

وحاب برقة ومرانس ونس يوسى خليج سدره بمكة Nannanos

بقية ساحل سدره : Makés , Psylles

العرب الأوسط : النوميديون

نوس : Zonates , Libo - Phéniciens

العرب الأقصى : Maures . الخ أطر xvii - xviii p 1 Merrier

(٢) رنا حار الأحد رأى جوسه وحل ، لأن آراء ساهه عرب ولبر ومؤرخين
في ذلك موضوع صمعه حداً ، فماسة منهم على أن « دريشين فيس يوصي من مولا
سابعه لمر عرب وإفرعه وفتس مكس جرجس وبى انس والأعصار ، وباسمه رعموا -

هم - أي العرب - إلى قنائل تتفرق في نواحي الملاذ، وتجتمع إلى حد أكبر
احتزعوا له بمشقة من اسم الجنس : سموه - نون قيس^(١)، وكما انتظمت
القنائل العربية كلها في حرمين عظيمين : حطاب وعدنان فقد قسمت قنائل العرب
كلها قسمين : فم ينسب إلى مادعس بن راسف بالأنثى وموا النثر، وقسم
ينسب إلى راس بن راسف بالأنثى.

هذا التقسيم مفعول على علامته ، بل هو أدل على أحوال اسلافه وأكثر
تتقاف مع طبيعة نهم أهلها إلا أنه على من نى نفسه آخر ، وأساعه يبق صواباً كشفاً
على كثير من أحداثها ؛ ولكن لمصلحة في الاعتماد عليه ربما أدت إلى الخطأ ،
وهذا لم يكن حوييه على الصواب حين حاول أن يفسر كل أحداث التاريخ
المعروف على هذا الأساس أى على أنه راع بين البشر والبراس ، أى بين البشر
والحصر ، وفاته أن من حديد لم يحمل انتر كلهم رجلاً ، ولا البراس كلهم حصراً
مستقرين ، وإذا كان تقسيمه سبباً فقط لا علامته له يحول النقاش إلى الاحتمال على
نعم قنيتها ، وبية ذلك أنه — أى من حديد — حمل رمانه أكثر قنات البربر
حصارة وعمراناً ، رمانه بترية في الأصل^(٢) ، ثم إن نسبة احصر إلى لدو قبيلة حصاء ،

من سميت (مرفوعة) - رنجيد من من ذلهم وسميت خاسمهم، ووعى ختلها ووعى آصم
من ذلك وقال: ما أكنه برسك فمواير ٢ كما يقول ابن خلدون، وهذا اميل ضعيف
غير مقبول بقده في خلدون معه هناك: ٢ وله برع وكون في بلادهم وأقامهم عبيرون
شعراهم من الأمم من الأخلاق لعداوة بين الإسلام والفا الذي يجوزها في تنسيق هذه
الفرقات في شأن أوجهم و... في مثل في كل حين وأمة من الأمم والعرب ١ أنص
Gautier p. 190 - 191 وي خلدون، ٢ من ٨٩ ٩٨

(١) وقضى هذا هو الذي هاجر دجرا من مصر ، وهو الذي عرف باسم « ثوريس » ؛
 وذهب لتكري في أن سيرة هذا الاسم لأحد حبيبته « كان اسمه قبل ذلك منى إفريقيا »
 أصعب اسمه إلى حصص من قبل « ثوريس » أي « ثرييس » مكرى . معجم ما استعجم
 ج ١ ص ١١٦ طبعة ومستفاد .

(۲) عرضہ: انسداد ورج مارہ علی جوتیہ مقام : آب پتہ و نرس پس مہاراشٹر۔

فاندر الحضر نصح قتل قبيلة قريبة من مراياك العمران في الشمال ، والبدو
بقية البربر

وربانه في الأصل قبيعه من فاش البدو أحدث نظهر ويقوى أمره في العصر
الإسلامي ، وكانت مدارج الأولى وسط العرب والصحاري محيطة به من الجنوب ،
وكل الرانيون — يحكم حينهم الصحراوية واستعدهم عن غيرهم من القبائل —
يعيشون في شبه عرلة ويتحدثون لغة خاصة بهم ، وما دخل الإسلام البلاد كانوا
من أول القبائل اعتناق له وقد عس حوثيه ذلك ما بينهم وبين العرب من شبه ،
وسكن العرب أحطوا في الياسة التي اسعوا معهم فمعهم وأرادوا أحدهم
بالشدة ، فحدث ربانه فتورة وبصر لهم غيرهم من القبائل الدقة على العرب ، ولم
كانت هي أقوى هذه القبائل فقد بدأ اسمها يطغى عيب ، وبدأت القبائل الصغيرة
تدمج فيها فكثر مرور الأيام ، حتى أصبح اسمها يطلق على قبائل المترامية ، فصار
البربر الذين سكنوا مناطق العمران لداخنية لتي تمتد من عدامس في الشرق
حتى تار ومحمديه في الغرب سموا ربانه ، وسع الأسرى من حدود جعل
ربانه فرعا من البربر فأنما ندبه ^(١) ومن هنا أحط بعض الحثين لحصوا ربانه
فرعاً من البربر مستقلاً يختلف عن الراس والمتركليه ، ثم سببه مثلاً يقسم البربر
إلى أحباس ثلاثة : بربر الشرق أو حبس لواء ، وبربر الغرب أو حبس صباه ،
وحبس ربانه ^(٢) .

— بدو والحضر ، وإن هو قسم مصطلحي فقط وضعه سادة عرب و لبربر ، ودعب إن أن
لفظ الأثر ١٤ : أريد به ما يرى من ثبات وبرس أريد به لاس البرس أي مدبر ، راجع
R Basset, *Herbères* في *Enc de l'Islam* M. Motier ١, pp 17-18 Gauthier
pp, 190 - 214.

واين خلدون ج ٦ : ص ٨٩ — ١١٤

(١) وقد ذكر السلاوي في ربانه أن خدمه وراة س يحيى بن مري بن رجب بن مادغيس
الأطره أي أنه ومادغيس الأطر سواء أي أن ربانه ماطر : الاستقصا ، ج ١ ص ٣١
(٢) صهيبي ج ١ ص ١٨١ و ١٨٢

الباب الأول

إفريقية البيزنطية

أفريقية اليزيدية

الدولة
لبرطانية
معد
جسيات

حالت يريطة على حاص ، نفيال آياه جسيين رماناً قصيراً ، ورمى بها
الطرح الخدوع حتى أخرجها عن الحد المأمون ، إذ أراد لها جسيين نعتاً حديداً
يعيد به عهد رومانى وحياً ، فعصى يحد بها فى المير لإدراك تلك الغاية حتى أحدها
وهى شيعة تنهذى نحو لقمه ، فمست علامم الانحلال أن تمشت فى كياها
المتداعى ، وجسيين بعد يعصى سونته الأخيرة بين أحزاب الشيجو حة وآلام الفشل
« ثم إنه لم يكند يقتل إلى لدر الأخرى ، حتى بذت ثمرات جهوده لصق
نصمية بحرية ، فاعتست الدولة فى العاصم إفالسها مالب وحريراً ، وخنم على صدرها
شبح المرس نجيداً لا يرد ، وما هو لا قبيل حتى اسهار على الدولة طوفان العرو
العرى ، ولم تكذب المديرة أن أقبلت مسرعة تريد القوصى السياسية
سوء على سوء ، فهذا القرن السابع (٦١٠ - ٧١٧ م) يمد من أسود عصور
الدولة : عصر أزمة حادة ، وفترة حاسمة كانت مصير الإمبراطورية نفسها خلاله
فى الميرس »^(١) ، ورغم كانت صيممة جسيين نفسها من أسباب ضعف
الدولة واصمحللاه ، فقد فرق جهده وفاء على طهره حملان قتيلا . نعت أن نعت به
فهوى إلى الأرض مدمراً معكك .

وكانت أفريقية حرة ، من ذلك احمى الثقيل ، استعدها جسيينان فى نصمة
شهور على يد قائده العاصم المزارىوس — ، فلم يكند يعصب من بها من عظام الوندان
حتى أعلن أن أفريقية قد ردت إليه ، وبعث إليها من القسطنطينية بالقوانين
والأنظمة والقيود مما لا يتفق مع طبيعة البلاد ، فكانت قواصبه فاصلا بين الحاكم
والحكوم ، لاسماً من أسباب الانصاف بينهما ، ولم يلبث الأفاريقة أن عصوا

Ch. Dieb . Pyzance, Grandeur et Décadence, p. 8. (١)

قانونه صارح . بهم يرغبهم على طاعته ، فبدأ الرعا الذي أصبح حصومة مشبوبة لا يكاد يحمد أوارها بين الروم وأهل الملاد وأصبح مع الرمن مدار تاريخ افريقية خلال القرن الذي انقضى بين وفاة حستين وإشراق شمس الإسلام عليها .

وكان للدين مكانة من اهتبه الزيم حكومة وشعماً ، وكانت يربطة كلها من الإمراض إلى نضر رعايه نمرور بحسب الحصومات الدينية عراما شديداً ، ولا راع في أنه من العث أن يظن أن الدعث أوجيد على مزارعات العقائد التي لا آخر لها ، والتي أن أشد الاضطرابات في التاريج البيزنطي ، كان محرد ميل الشعب للحلاف وشعنه بنفشة العارعة . ولع الحكم بالنشريع ورسم العقائد ، إذ كان العال أن تحق لمزارعات الدينية تحفا آراء وخصومات سياسية شتى ، وكان صالح الدولة لا محرد الرغبة في لتحديد في الدين ، هو الدافع للأباطرة إلى ما أنوا من الأمر في كثير من الأحيان^(١)

وكان الانحلال الاجتماعي دليلاً آخر على ما كانت الدولة تعانيه من الآلام وفي هذا العصر العصب ، فقد كانت نفوس الناس قد وهت ، ولم تستطع همهم أكثر من الإصراف إلى مزارعات نخصر والرق وما يتصل بها من مباحج الملاهي وعت الملاعب ، حتى قيل إن هذه الأخيرة كانت مرة الحياة الاجتماعية اليونانية طوال العصور الوسطى^(٢) ، فكان الأباطرة أنفسهم أسبق الناس إلى حذقات الملاعب ولسرات ، وكان الناس كذلك سافات إليها يحاطل الرجال في تدل انتهى بالمجتمع كله إلى التدهور لسريع ، ومن هنا نشأت الدساتس والمؤامرات التي تتصل بهذه الألوان من العيث مسحرت عظام الدولة البوهية ، وأحدث دائرتها تسع حتى شملت بلاط الإمبراطور ، فأحاطته مسرحاً سكتير من الحصومات والحرائم والآنام . وكل

(١) Diehl, Byzance, p. 8

(٢) Ibid 121

انتصر في القصر حرب ارمعت له في واحة الدولة أعلام بعض الأنصار وبعضها
مذاهب محسنة في الدين والسياسة، وكذا مات حاكم بابل الملاحا شيعه وأساعه
ومصربه في العقيدة وأراى ودمائه في الشاهج والشرب

في هذا الملاح الذي يعج باحتيائين والنساء وكار لموظفين ليس لأعمل
هم كانت مؤتمرات دائرية بدون انقطاع في محادع النساء وفي مساكن الخرس،
يتدافعون كلهم للنقص على صاحب الخطوة في بابه، وكل اسل مطروقة لأخرج
فيها : من ملق واتهم بالباطل وبل الحبل : إرهابي للأواح ، فكانوا يدرون
في الظلام مصرع الوريير بل مصرع لإبنة الطور (١)

وكانت يربطه معها لانتكاد تقاس في المساحة إلى ما تملك من الصين ،
وكل أردادها انصف اسبح عنها حره وتقطعت بينه وبينه لأسباب ، وكلما
اشتد ساعد جارات قطع منها على يد ما استطاع سيوفه ، حتى يد كل القرن
السادس واشتد ساعد الفرس أقبوا يهبون أرض الامة شهرا ، فاقطعوا أكثر
آسيا الصغرى والشام ومصر ، وأخذوا يسمدون بحصى إلى شمال في قمية ، فلم
يكن للدولة يد من أن سدل ما قد بقي في كبيسها أوامس من قوة لتدفع خطرهم ،
حتى إذا تمكنت من ذلك على يد هرمل ، لم يبق لها بعد ذلك من القوة ما يقيسها
على أرجلها ، إذ كانت الحروب قد كلفتها ثمن العالى ، فاشتت تعتصر دماء من بقي
لها من الرعايا حتى كادت توردح موارد النصف وندوا بحتنوح ويستقرصون ،
فلحاً بالحكام إلى النصف يقصرون على ما بدا لهم من واد الاضطراب ، فاشتد
الحقد ونأصت الكرامية بين أحاسين ، ولم يكذ الفريقان يحسان عما بينهم
من خلاف سيط في مسائل الدين ، حتى حين لم الحقد الدفين أن الخلاف بعيد
يناول كل مرافق الحياة ، شئت الفتنة وأهوى الحاكم على رأس الحكومة

سيط الطير، وأنى محكوم من بحب أو ضيع، بعض الاصطود وسالت الدماء،
وشتمت بعض روى الدونه كضرب وافر قية هذه الدر حمة، فأتت على
مافها، وحقت على فرقية وه كور سوس نتي أحمل وب وصف الملاد بقوه
tamans pert Africa tamins نى ن فرقية الى كان تعد عدهم الدحان
كانت تختفى بين السنة النيران.

كانت حسان يرحو لإبرعية من و، جهوده خير كثير، وسده نه
كان على نى، من الممر حسيم، وفوده من بين ولايه هذه حان دفع سطوى
على احدر الشديد من أهله ويرى نى حمة مود من مواريد سار وانثوية
للدونه، وير كد ثر مبح ترد عسه حتى يقع فرقيه نى مضاف ولايات
لدونه الكرى، وفوه على حكومتها عملا مدي لا عكر^(١)، وذلك حتى «يعبر
عن عطسه اخص على هذه ولايه» نى رجب ممبرو عود نى احسان
لإبرصورية ويؤكد لأهل حسان نه يحوم، ووصف لأهله نى ساقه على
تخليصها من الأسر الودالى^(٢)»

وكانت فرقية البرصية لا شمل غرب كله من حدود مصر إلى الخليج
ومن البحر إلى باب صحر، وبرت كانت حرة صغرى بسند من حدود مصر
وصبر رقة وصراسين وحوض مبرد (فوس حمة) وحب لأوراس، ثم يأخذ
في الاقتراب من الساحل حتى سهى عند صخرة وسنته^(٣)، أما فى الجنوب فلم يكن

(١) كان فرقية مصر ولاه عكره مده لإحسان فى مصر نى لدونه البرصية
بمحكمه Preconsul طبع حسان ولاه مده متبها متبها برصه سبها بمحكمه مدر
P. affect واحارها ويا من أقد ولاه لدونه هو رجلاوس Arche n's الذى كان حكا
بلاقي برصه وعلقا وعد نى على عصر حمة ومبرها

(٢) God Just, 271, 8. [Arab. L. Afr. Bv7 97]

(٣) ذكر حويان أن حوسبان أقام فى سنة محرم هـ، وذكر كذلك أن أهلى
حدود فرقية برصه كان عدد خمسة عرق نى على مفره من سنة مده أحمر:

Julien, Hist. de l'Afr. du Nord, p. 297

يتعدى نصف امتداده بقية الرومانية ، فكان أقصى اتساعه سهل مجرد وحصنة الأوراس ووقفت حدوده الجنوبية عند تنسه Tebessa ومسكولا Mascula وتجاد: Thamagadi ولبيرة Lambesis وطنة Tobna ومسيه Msila أما في عدا ذلك فكانت حدوده ملاصقة للساحل لا تكاد تتعدى ربابس نواحي من أمثال تيفش Tipasa ونيسرية Caesaria وتنس Tenes ووهران Oran^(١) وكانت البلاد مقسمة إلى ستة أقسام إدارية هي

بحكمها قضاة Consulares	أ -	إملاية مصصية (شمال تونس الحالية)	Proconsularium
	ب -	الإملاية الداحية (بئر معوية)	Byzacium
	ج -	طرابلس	Tripolitania
بحكمها مدبرون Praesides	د -	نوميديا (إلى قسطنطينية)	Namidia
	هـ -	مسطانية الأولى	Mauritania Sitifiensis
	و -	مسطانية الثانية وتشمل	Cesariensis
	ز -	(شمال مراکش)	Tingitana
	ح -	مردانية	

وقد امتد سلطان الروم في أول الأمر إلى أعظم من هذا الحد الرسمي فدخل في طاعتها قوم من بدو البربر الصريين على حدود الصحراء ، وأقيمت محارم على طول الرابطة الأخير لكي تضمن طاعة هؤلاء للروم وتزد عليها أقدام ، ولكن سلطتها أخذت تضعف شيئاً فشيئاً ، فحدثت سحب إلى الشمال ، حتى لم يبق من أملاكها آخر الأمر إلا ساحل صيق ويضم محارم حصنة في الداخل ، مثل ريسه وسنطيلة ، واحتل البربر ما خلا ذلك من الحصون .

(١) راجع الخريطة رقم ١ وقد عمت هذه على ما ورد في كتابه من عن أفريقيا لخرطة

وكانت رقة البيزنطية لا تكاد تعدو مدتها خمس^(١)، وكذلك طرابلس

لما تعد ثمورا^(٢) لبحر من صرت Syria وضر من سب وسنبره وقاس

جميع حستير^(٣) كما يعرفه كل اسطبات، فكان هذا الخا كما يحمل من
تعت الحكم فوق ما يطبق، وكان متقلا بالألقاب وشارت الشرف، يرافقه حش
من الموظفين ونحبه لأساع ولحد^(٤)، ووظفت به في كل شيء حتى مع
من اندع سلطته^(٥) أن كتب ذلك العصر أعوه^(٦) بالمطابدي يعزوه به عن
السطر الذي لاحده^(٧) الذي كان يمتعه به ذلك^(٨) (٩)

كان هذا الخكم مكلفا من مجموع من انولابه مالا صلا، لأن حسبل
زاد^(١٠) سترد ما ندمه في فتحه، وكان برحوال سعين^(١١) ما ندية سب على تمام
ما يريد من فتوح وخدمة ما يجب من ندية، وكان عسه كدليك^(١٢) أن يرسل
إلى العاصمة في كل عام عددا من سبن حملة بالمدل لعدد أهل القسطنطينية،
ولقد كان لاند به من عدد كبير من موظفين تحصيل هذه اصرائب كلها،
سكان العرب ثقلا على ولاية فقيرة كثر بعه^(١٣)، وقد حفظ ما مورحون البيزنطيون
فوانهم مفصلة هؤلاء الموظفين واحتص صاه^(١٤)، «دهي - نى انوشم - نشه أن
تكون دلتا مرارة من ورا^(١٥) ما نصح الموظفين، وقد اشرو من الع صمه إلى لأرياف

(١) هي كما ذكره دى سب في صفة على ترجمه القريسة للكرن Cyreno, sur

Ten hera (Arsinoe), sur le p. App. as LA 1458 p. 22 note 1

(٢) Gaudel, I, p. 23

(٣) Diehl, L'Afr. Byz. p. 98

(٤) تسمى تصور من حد صاه^(١٦) في ورد التقدير الذي أوردته من لم تانهم معدرة بالفرانك
(بحسب سمره من العرب السكري الأول) قد نيا^(١٧) كان تبلغ ٢٩٩٧٣٧ ر ١ من القريسات
أى نحو نصف مليون من جنات صهره، وهذا عربا الموظفين فقط غير ما يرسل
للإمبراطور وما يمدح حلال رؤساء السبر وما يجمع من لبع، ثم يقات حش الاحتلال
ومقد لباي والصور والأسوار ودور عسقه^(١٨) Diehl, op. cit. p. 106

كذلك ، فصمت كل مدينة فرقة منهم ، وده في كل قرية واحد ^(١) ومادامت
 الأعداء المالية ثقيلة على هذه الصورة ، فلا يكن في إمكان الحاكم التعرّع للقيام
 بشئون الحكم لأخرى ومراعاة مصالح المحكومين ، فستصرف جهده الحكومة
 كله إلى جمع المال ، ومن السليبي أن تعجز الولاية عن الهوض بذلك العبء
 الثقيل ، فلجأت الحكومة إلى أخذ السكان بالمدف للحصول على مداها بالصعط
 والإرهاق ، فاستطعت مع رعائها اشتراطاً تاماً ، فلم يجد هؤلاء بداً من ترك
 مزارعهم ومتجرهم وسجده أنفسهم واحتراف المهنوسية وقطع الطرق والاعتماد
 على الأميين ، وبم نشاهد هذه المساوي في مهنة امصر البيروني أو بعد أيام
 حسين ، بل بدأت في أنامه ، وفيه ذلك قواسمه التي كان لا يتلف عن إصدارها
 محدراً عنه من إهراق أربعة ، خاصاً إياهم (في نفس الوقت) على الاحتشاد في
 تخصيص المال ^(٢).

هكذا كانت حكومة امريقية البيرونية مليئة بالفساد والأخطاء من أول الأمر ،
 وقد كان معقولاً أن يصبح هذا المصم في يد عبي كعمر بن كفي مؤرّه سد هذه
 المطالب كلها ، أما امريقية الفقيرة فلا قل لها ذلك ، فكان مفدراً هذه الحكومة

(١) Diehl, Op. Cit p. 23.

(٢) « ليعرف رعاء » جيداً أن أصدره هذا دعوى بأنها معصون بمصالحهم مهمون بأن
 يكونوا معونة من كل جف ، وأن يمشوا في رده ، وأنما يتلجى عليكم — يا رعائي — نظراً
 لما تعرفونه من عظيم رعايتكم أن يؤدوا الصرب انعامه بإخلاص شديد ، دون حاجة إلى
 استعمال العنف الإداري وأن يظهروا من الطاعة ما يؤكد صدق الولاء والاعتراف بالجميل
 الذي تقامون به محضاً » Diehl Op. Cit p. 116.

« وكان نظام الصرب في امريقية ليربعه ين على استنماء مطم شامل لكل موارد البلاد ،
 فتسح اشروع ، البروة اعصه في كل ناحية وأتقنها بال ، فصر على لشركات العقارية صريب
 Tr bitum و Captio وقدرت العروس المخلقة على الرزعه ولحارة والحرارة وللاحة ، وسع
 من اهتمام الحكومة بالصرب أن كان خسا الموحصين بمحصين بالتصصيل وأكثر من النصف
 يقومون بشئون المال » Castel, I, p. 24

ولأى حكمة تقوم بثمرها الفشل التام ، مهما أوتى من الخدق والمقدرة ، وهل دبل لم يخطئ ، حين علق على هذا النظام بقوله : « وربه لما يؤسف له أن كان بين آمال الإمبراطور الخدعة لشعائه وحقيقة الأشياء بون شامع » (١) .

وقد أحسن كودل إذ وصف هذه الإدارة بقوله : « كانت لصرائب هي العاية الوحيدة التي ترمى بها الحكومة ، بل كانت هي عبء وجودها sa raison d'être وسبب حجبها ، إذ كان من الضروري توفير الأسس لحياة البلاد بالحد والحصول ودفع المعاملات لزوم ، الأهلى الذين عجزت الحكومة عن التغلب عليهم ؛ كان لابد من حراسة البلاد على هذا النحو حتى يتيسر الاحتياط بها ولاستمرار في حصة الصرائب ، وكان الضر قد جعل هذه الضرائب عبثاً ثقيلاً بعض أهل البلاد في حكمهم ، وكان راء على لبريطيين أن يطوا على الخذر من هؤلاء ، المحصوم الأقوياء حتى يأمسوا حاسهم ، ولهذا انتهت الدولة في سطيم امريقية البريطية — من الماحية العسكرية — حطة جديدة تختلف عما سمته في ولاياتها الأخرى كمصر والنقد . والمعروف أن القوة الخريصة البريطية التي كانت تحمي مصر مثلاً كانت تصكر في مراكز رئيسية مثل نابليون والإسكندرية ، وترايط فرق صغيرة منها في مواضع أخرى كاعرما وتنديس (أم دين) ، أما في امريقية فقد انتهت عاية الدولة إلى إحاطة أملاكها برباط قوية من المحصون متقاربة ، وأقامت في كل مرابط طائفة من الجنود تستطيع مدته والدفاع عنه ، وأسرفت الدولة في ذلك ، سراً يسترعى المطر ، فلم تكف برباط واحد بل أقامت ثلاثة ، وقسمت البلاد إلى أربع مناطق عسكرية لكل منها عاصمتها التي ترايط فيها فرقة يقودها قائد أو دوق Dux (٢) ، فنصحت البلاد شبكة من المحصون

(١) Diehl, op. cit. p 34

(٢) هذه الأقسام هي صر من وعاصمتها Leptis Magna

والقلاع ، ولما كانت لموارد ضئيلة لم يكن في الإمكان إحاطة على هذه الحصص في حانة طيبة ، بل عجز الروم عن مجرد الاحتفاظ به ، فإذ عرفت أن هذه المنشآت لم تكن متينة البناء — إذ بُنيت على محمل — استطعنا أن نعرف مدى قوة هذا النظام الدفاعي لإفريقية البرطانية^(١) . وقد روعي في اختيار موقع هذه الحصون أن تكون محاريس تقوم على أبواب البلاد ومسدها^(٢) . فقامت فاس على باب سهل تونس بعدد من قلاع ماحلا من الشرق ، وبها حصون أخرى على الساحل مثل يونسكا Lunca ومعمداس Macumad ، وقامت شيطلة دا Sufte على أحد المرفأ المطروقة التي يسلكها من يريد الأسفل من سهل تونس إلى حصنة الأوراس ويمر بها ارتباط الثاني الذي يبدأ من سوسة ويمر بمدينة Mudarsuma وينت Theepte ويلد ذلك ارتباط الثالث الذي يقو فيه سوسة Sufes وتيس Mamma وجولوا Coulouls .

— الولاية الدخيلة (ب. سوم) وعاصمتها Thel qan ومعه

نوميديا وعاصمتها قصره Caesarea

برطانية وعاصمتها قسطنطينية

(١) أعيدت الدراسات في نظام هذه الحصون واللاع على ما كان قائم في بلاد تونس من منشآت رومانية كالحمام واللاع وسند ، ثم نك منية توه كما تصور الإنسان لأول وهلة . وسرى مثله من ذلك حين تعاصر العرب حصن ابر 1000-1000 في عهد عبد الله بن سعد (أو بن سنة ٢٨ هـ ٦٤٨ م) ، وقد بنى الروم لخصون به عدة صلاحية للدفع ، إذ كان أصعب مدافعاً (حاصر) حصنه يعقود وحده ، فليقر على محمل وفي منه هذه الحصون بقول كوت في استخبارات معاد شيطلة الثلاثة حصونا ، وحبوب الألف في كل مكان إلى معدات الدفع ، وقد تهاوت لدة على حرائب مدب في وحدوها في صيرتهم دور حرم ما وقع في أيديهم . فحذروا من غلب القواعد الفخورة مع ما حصل من حديد ، ومن تعبد الأعمدة وبوعددها وعقودها ومن المدائن أسجارتها ابرجامة . (audel, I, p. 18)

(٢) وقد أوجز جوسا وصف هذا النظام دفاعي قوه « ثل » برطانية مستعين من الحصون ، أما الأولى فبسته من الاستحكامات تربص حارس بصي محسن ، وحلفها سببه من المدائن لخصيه التي كانت تسمى دث ملانيه لاس ، ويرى كل قول « الأساس » أن رابط البرطاني كان يمثل القوة الرومانية في جابه سمجارتها تحت ضغط الهجوم عديد الآتي من الصغراء ، ويجزأ قطعاً حالة بلاد حريه إذ ذلك Ju en, op. cit, p. 297

طبعى بعد ذلك أن تكون إفريقية لبريطانية ضعيفة من الناحية الجربية . وكل تقدم العهد بالروم في إفريقية زاد الضعف وضوحاً وخطراً ، وكان أهل البلاد يلاحظون تخوف البريطانيين منهم ، ولا يكادون يتركون فرصة للاستيلاء عليهم إلا انتهروها ، فراد الأهالي مرأة وحيرة في حين ضعف البريطانيين وسقطت هيبتهم ، واضطروا إلى التحلي عم محروا عن الدواعى من هذه المدارس والحصون ، حتى إذا أدرك القرن السادس بالمسيب كان البربر قد استولوا على الرباط الثالث وأنشأوا بطوناً في الرباط الثاني ، وكان فيهم الروم تمارس هذا الأخير إسمياً فقط إذ تركت العمية من أحاط به من الزراع يختصمون فيه من المهاجرين من البربر ، ولم تكف هؤلاء عن احتراق هذا النطاق واحتياح ما يليه من المزارع والبلاد وسهبا ، بحيث لا تحصى . إذاً لم يمدد به لم تعد له قيمة جربية تذكر منذ أوائل القرن السابع الميلادي ، وانقرضت حدود الولاية البريطانية من الساحل وأصبح واجب الدفاع عن داخل البلاد موطناً للأهالي أنفسهم لالروم ، بل سلاطنتهم في منتصف القرن السابع أن الضعف ينتهي بالولاية البريطانية إلى حد تجددها معها معز من أن تدافع عم بيدها ، فيصطدمها كلها الطريق خرحير إلى التراجع إلى الداخل والاحتفاء بالبربر لصد العرب .

وكانت الاضطرابات وكثرة الثورات البربرية قد أخلت حكومة إفريقية البريطانية إلى منطقة عسكرية يحكمها قائد حرى Exarchus يقب بالطريق ، فكان هذا التحول^(١) خطوة في سبيل انفصال إفريقية عن بربرتها ، لأن الحكام العسكريين الذين يتولون مهم البعد مع خندقم عن مراكز الدولة يميلون دائماً إلى

(١) يرى جوليان أن هذا التحول بدأ في عهد جستنيان نفسه ولكنه لم يأخذ شكلاً ظاهراً إلا في أيام جاريوس لثقي استطاع أن يبعد ثورة ليرير في سنة ٥٨٢ فكان بهذا أول الحكام العسكريين Julien, op. cit. p. 209

الإبصار والإعلان الاستقلال ، وهذا ما حدث في إفريقية . إذ لم تكف الطريق
جرحهم يوم (خرحير) يحسف مع الدولة حتى تارها واستقل عنها وأعين معه
امبرطوراً وكان هذا قيل الفتح العربي

العلاقات بين
الروم وأهل
البلاد

كان الروم على حق حين اتحدوا الحذر لبقاء شر الرور ، ولكمهم كأول محظنين
يدافعوا في ذلك مدافعاً أشعرت الأهلين بحقوقهم وأوحدت بين الجاهل - من
أول الأمر شعوراً من العداء والكراهية كان بعيد الأثر في مستقبل الحكم
البيزنطي في شتى أفراسية ، فكانت الاستحكامات الحرس الكثرية والجيش
المتقنة والكثرة يحميها للحاكمين بالاستعداد والاعتماد على القوة في معاملة أهل البلاد
ودافعاً هؤلاء إلى أن يقفوا موقف أعداء من الروم وكل ما يتصل بهم من
حضارة ولفق .

وكانت الرومات قد قسمت البلاد قسمين : القسم الأول الذي يطهر
فيه الحكم الرومي واضحاً حياً ، ونشر فيه الحصار واللفق البيزنطية ، والقسم
الداخلي الذي ناعدت السياسة الرومية به وبها بقيت فيه القتال البرية محتطة
بماها من القوة والشخصية والاستقلال ، بل أحدثت بكثرة الاحتكاك بالروم
والصراع معهم تعلم منهم ومماثل جديدة في حرب حتى أصبح الصراع بينهما
صراعاً بين كفتين متعادلتين تقريباً ، بل كان الصراع لأهل البلاد في كثير من
الأحيان ، فزادت حريشهم على احتراق الرومات والمحموم على الولايات البيزنطية
واحتلال كثير من الحصون والحرس ، وكل اسحب الروم من حرة حل الرور
محلهم فيه حتى انتهى الأمر إفريقية البيزنطية إلى أن تكون شريطاً ضيقاً لا يكاد
يعدو الخط المتد من سوسة إلى سبيطة في وسع أجزائه ، أما في عدا ذلك
فاقتصر على مدائن الساحل وأرباصها وما حولها من المزارع .

وحاول الروم أن يرصوا الأهلين بدفع الحفلات لمنظمة إلى رؤسائهم

— إذ كان سُلْ أُنْقُو وسائل السياسة البريطانية — ^(١) فصح هؤلاء، يقتضون ذلك حذراً، وقد قطع عنهم، وبدأ انقطع كانوا في حل من اطاعة ولم يعد عليهم حرج من انعصام، فكان هذا سبباً من أسباب شقاق ولجاج، ولو كانت الحكومة البريطانية قد استمرت على سياسته حذر، وليقطة بقيت سيطرتها على البلاد قوية لا يزال بها شعب الأتراك، ولكن علة الحكم البريطاني كانت ضعف أحكام وقلة خبرتهم مما استغفر الأهلين إلى الصبيان.

كان الأتراك قد استغفروا اندح البحر في أول مجيئه — استغفروا لا طيباً، ووقعوا أن يكون خلاصهم من قوصى ابدل على يديه، وكان نزار ليس رجلاً قديراً ماضياً فاحسن استعمال ذلك الشعور أصيب ووجهه في مامنه حير حكم البريطاني، فعمر رؤساء القسطنطينية والأمور، وطالب إليهم رهناً يخصه عدة حذراً من عدوهم، ثم تمت هذه السياسة أن كسبت ودمهم، فدواله ما ردت من حذره وصاروا مشروط من حدود ^(٢)، بل قدموا إليه حدوداً تحارب في صفوف لامرأطورية وتسمح لهم أن يحضروا أنفسهم بحرس ثوري من الزعماء، فكان هذا حبيباً له معه، إذ كان وسيلة فعالة لرفاهة عليهم وصيانة طاعتهم ^(٣).

حافظ سليمان حبيب نزار ليس في حكم بفرقية — على هذه السياسة الموقفة، أن ردت ثقته بالأتراك فجعل يعتمد عليهم في إقرار السلام في مناطق التي يسكنونها، والمخورة لهم وقرى ابطالاس Antalas على رأس قنن بولاية لداحية، ويانديس على القنن التي تسكن هضبة لأوراس يعاونه رئيس صميران هما كوسينا وأورتياس، وأقر ماسوفا ماسينجس على صرطانية رقسام ^(٤). سارت الأمور على هذا السجور مما قصيراً كانت الدولة خلاله تقوم حكماً بين

Diehl, L'Afr Byz p 319 (٢) — Ibid, Byzance, pp. 55-60 (١)

Caude, I, p. 21 (٤)

Ibid p. 320 (٣)

الأهلين فيه يشتر منهم من خلاف ورعاً كبت حق اختيار رئيس القبيلة في حالة موت رئيسها^(١)، وكثير دخول البربر في حش الامبراطورية فرساناً ومثلاً^(٢)، وبعث هداى عومهم شعوراً من القوة وعرفهم بأساليب الحرب، ولكمهم آثروا النقاء على اللأواء ما حطت الامبراطورية لهم حقوقهم، وكان أكثر عمل البربر في فرق الحدود، يراطلون عندها داخل أرض الدولة مستعدين لقتل من بعضهم من أعداء الدولة أو رجالها على السواء؛ ولم يقتصر استخدام البربر على جيوش أفريقيا بل رغبت الدولة في الاستعانة من مواهبهم في سرعة الحركة وركوب الخيل، فأحدث فرق منهم حاربت في إيطاليا واشتركت في الحرس الامبراطوري، وحارب كثير منهم في صفوف الدولة في ميادين فارس^(٣)؛ وسرى أن هرقل سيأخذ فرقاً منهم حين يبرح أفريقيا لإسقاط فوكاس سنة ٦١٩ م

لم يدم هذا الصفاء طويلاً، إذ كان الروم مضطرين إلى اللجوء في تقرير الصرايب واستعمال العنف في حمايتهم لكثرة ما سئلهم الإدارة والدفاع والسلم من تكاليف، فأخذوا يتأخرون في دفع أعطيات الجند وحاصلات الأهليين، واشتد ضغط الحاجة فارتفعت الأصوات بالشكوى في كل مكان، وأحدثت أسباب الاضطرابات تتوافق وتشكائر، فاشأ الجند يشتمون ويمكرون على صرايع الأهليين ويروعون الآسفين، وتحولوا شيئاً فشيئاً إلى طلاب غم وقطع طرق، وعمرت الحكومة عن ردهم إلى الصاعقة فأنصحوها من عوامل الفوضى والاضطرابات، وتهوون من بقى منهم على انطاعة في القيام بواجباته العسكرية فتقاعدوا عن القتال أو تهووا فيه أو ادعوا الحاجة إلى الطعام أو اضطعموا التعب واعتدروا شدة البرد، وإذا ساروا للقتال دخلوا لميادين من غير استعداد وحارحوا منه دون انتظام أو اسر قائدهم، ورعاً تركوه دون تردد

Ibid. p. 326 (٢)

Diehl, L'Afr. Byz. p. 322 (١)

Diehl, op. cit. p. 324 (٣)

ساعة الخطر^(١)، وكان البربر يرقون ذلك فتردد حرأتهم على الحكام وتتحرك الثورة في نفوسهم، ولم يستطع الإرهاف الذي أصاب أهل البلاد أن مهد لهم السبيل ليمدوا ما يصحرون من كراهية وحقد، وعلّة ذلك ما كان من تعاقب الحكّاء الذين تولوا بعد سلامون (سبي) عن قوة البربر واحترامهم بهم ومعاملتهم معاملة المبيد. بدأ البربر يشكّون في الحكومة عدوان الجسد عليهم وتعذيبهم على أرضهم ومراعاتهم، فردت الحكومة على الأهلين ردّاً حافياً فاستأجر بربراً عصبهم إذ قتل الحاكم رجل الوفد الذي انتدبه البربر لإبلاغ الشكوى إليه^(٢)، فاستطاعت بربر الثورة، ونصف داف أن صلب كان قد حاصره إذ دأب أن كره رؤساء البربر وهو أنطالاس رأس قبائل برفة وصل أحده. فثار رجاله وانصبت ثورة بفرقية بثورة برفة وطرابلس وحف سبيس بنقصد على أنطالاس فخر صرنا في لنداب أمام البربر سنة ٥٤٤ م لأن جنده تخووه وعدروا به، وهذا أصبحت بفرقية بدون حاكم وحرحت عن طاعة الأباطورة بحمله، فليسمع لجنده الكثيرة، لا السير نحو العاصمة والاستيلاء على قرطاجنة رئاسة رعيهم جندرت وولم يمسس الله للذهلة فائداً أمياً، سمى أرطاس جمع من بقي من الجسد على الولاء، وسار بهم إلى قرطاجنة وهره جندرت وأعاد له صحة إلى طاعة الأباطورة^(٣)، لاستدعى الأمر عرو البلاد من جديد بل ذلك استعصى على الدولة أن تستعيدوها.

(١) Diehl, op. cit. p. 327

(٢) عين جنداب ابن أبي سفيان ومحمد بن سيرين (Sergius) وسرجيوس حاكمين على برفة ومطراس، وكانا رعيين معروفين من مصريين، بل لهما في ذلك قصد وقد رواه أحدنا (سرجيوس) للشكوى إلى من عدوان الجسد قتل رجال الوفد كاهنهم، فلم يرحب إلا واحد أسرع برحبت سبيس الفاحصة إلى القبائل مرصت علم الثورة.

(٣) وبكى للدلالة على عجز الحال واشتار روح الثورة أن أرطاس قد رعى أن يكون.

استأنست الدولة أن حكم إفريقية لم يعد بالأمر الهين ، فأحدث تميل إلى الاعتد
على الأساليب العسكرية في التعامل مع الأهليين ، ونحولت إفريقية البيزنطية إلى
ولاية عسكرية يشرف على أمورها قائد ، لكي يستطيع أن يداوم الحرب مع الأهليين
ويثبت لهم ، ولكنه لم يستطع أن يردم إلى الطاعة ، فجدد بربراطلاس بسحب
بمجموعهم في أراضي الولاية الداخلية حتى استولوا على سوسة وأخذوا يهيمون
ما يجذبونه بها دربعاً ، خلافاً كثر المزارع من السكان وتركوا لا يراعها أحد ،
بذق المزارعون إلى صقبة أو بيرطة . وحلأ أكثر المدن من الصانع والسكان ،
وطلب الأمر منقداً يخلص البلاد من هذه الفوضى التي حرأها فشل
الحكم البيزنطي .

لم يبلغ ديل بن حين نساءل « أي فائدة للباطل » ، لقد عبر البربر
الحدود وعدوا على ، ونهت البلاد وموجي الناس وأخذوا أسرى « بل لم يكن
منها حين نساءل عن فائدة الحش المحل معه إذا كان قد عجز عندما عن رد
الأهليين إلى الطاعة وموتى البربر عليه موقفاً صامداً حتى إن يوده سوس حاكم
إفريقية قتل في حربه معه سنة ٥٦٩ . وفي السنة التالية ٥٧٠ قتل قائد
ولاية إفريقية فيوكيتوس . ثم سم القائد المم لإفريقية البيزنطية من هذا الصير
سنة ٥٧١ .

مثل الحكم لبيزنطي بن في إفريقية وعجزت الدولة عن السيطرة عليها فلياً
فأصبح جدها في حرب قرب إلى الاستقلال ، وبدأ قادها مكرهون في الانفصال
وإعلان أنفسهم حكاماً بأنفسهم .

كما ذكر في حيز جمع عليه لا مرسوم هذا لشرف حراة على ولاته كما كان هذا رجل
يعرف منه مصاب كهد . ويعرف أن حاكم إفريقية لا بد مقبول على يد حربه أو على يد
الحند أو على يد الأميراطور شه .

هذا عن الحالة السياسية . أما عن حصارة الروم في أفريقية ومدى تويقهم في نشرها بين الأهليين ، فقد وقفوا إلى حصص ما أرادوا من ، عادة اخضرة ارومانية في افريقية إلى ما كانت عليه أيام روماء في مذائ السائل ومقتل بها ، وبدلوا جهداً كبيراً يعمروا اولاية امداحية والمواحي المنجورة في الأوراس ، فاردهرت رمداء في أوائل حكم جنشيين ، ولكن الاضطرابات وفترات الأهليين ومساءات احكامها ما شئت أن عدت على ذلك وعادته حراً . كأنه يعين بالأمس . أما بلاد الدحل في وراء الرعدة — فلم يتسبب روم تغيير كبير ، فصبت على حالها يقيم فيها أهلها من البربر ، ويهمون بها للاعادة على ما يحورهم من صراكر العمران ، ويعتصمون في حداثتها وشطوطها من الروم .

وقد اردهرت الأساليب المعمورة البيزنطية في البلاد ووفق للمهندسين إلى قيمة كثيرة من العمور والحصون والكنائس البيزنطية الطراز ، ولا زالت آثارها دابة إلى هذه الأيام من بقايا واستعمروا في شب ، مساجدهم كما في مساجد القيروان وسفوق وسوسة التي أخذت كثير من أبوابها وعمدهم وواجهدهم من مسابرة بيضاء ، ولا زالت الفوش اذقية على هذه المعاهد تشهد بمرارة روم ، أفريقية في لتصوير وبرحرفة وتصميم^(١) ، ولا تراعى في أن الطراز المعمارية والبرحرفية الإسلامية تأثرت في شمال أفريقية بهذا التراث ، ثم يذهب ذيل إلى أن ملاحظ لا يعدم في بعض آثار المساطق التي لم يصل إليها حكم رومى لمحت لصرار وبقية بيزنطية أصيل . وآثار أفريقية البيزنطية عينة العاشرة لمرحرف اسيبدو أنه كان شائع الاستعمال في مدينتها ، ثم يدل على أن اصراع الأفارقة دفعوا في إحادته من عظم ، ولا تقتصر قيمة ما وجد من هذا العاشرة على الدلالة على

(١) أطلال القوام الخاصة بمساجد عقبه وادسونة وجودة باشا ورخارف القاشاني الواردة في كتاب G. Marçais, Manuel d'art musulman, l'architecture, vol. I (1928), II, 1927

منبع روم أفريقيا في إحادته ، بل إن نقوشه وسوممه تبدل على نواحي كثيرة من حياة أهل البلاد كتنساقير ملاعب واللاعبيين وملابس الرجال والنساء .

الأدب

وكأن لا يبقية الرومانية ما من حين في عالم الآداب ، ولا زال كاسه مستأوعطين صاحب كتاب « مدسة الله » يذكره ذلك العصر الذهبي ، فلا عرامة أن أثرت جهود البيزنطيين فظهر بعض الشعراء والكاتب ، فهذه أشعار كورنوس دبيل ، أطلق على ذلك ومعيناً لا يصيب لتاريخ ذلك العصر ، ولكنه لم يكن إلا مقلداً للرومان القدماء متسقة أيدهم ، ورغم أن حفظه التوفيق في كثير من الأحيان ، وكتبه « القصائد الجوهرة » تاريخ شعري حروب حان تروحيات مع اندرس ، وهو حان من الحان الشعري الحقيقي الذي هو أساس القيمة الأدبية ، ولكن قيمته يست باقتبالية ، إذا اعتبرناه وثيقة تاريخية^(١) ، إذ أن حان استطاع أن يصور في أشعاره حروب البيزنطيين مع البربر وأسلمهم وملاسهم وعاداتهم في الحروب وما إلى هذا مما لا عني عنه في « أسمة تاريخ أفرقية البيزنطية » كذلك تحدثت الكتب عن عدد طيف من الكتب القديمة التي وصلت ما كدهم ، فكانت وثائق تاريخية حسيمة لفائدة لآلحه من تحت أدبية صرية^(٢)

(١) أسمة : *Le corps et l'âme de l'histoire byzantine* , p. 170, 187.
Bonnes B38

(٢) أسمة : *Les lettres de l'ère byzantine*, p. 170, 187.
أثر رومان في الآداب ، لأنه كان يترجم بعض من حصة الرومان ، وقد حدثت بلاد بالندول واستعمرت في كان سكيت برومان هذا أحدو جهنم في إقامة معاصر حضارة لا يسه حتى وضو في ذلك يومه ذكر . وأعني على ذلك أن أفريقية كانت حصراً وثراً من عهده مد آدم سفيروس ، ٢٢٢ — ٢٣٥ في م) لأنه كان يترجم المولد ، وكان شديد الحب لوطنه الأصلي ، يروج بروحه وصره ، وكان لا عني شئون أفريقية وأمورها حتى أصبح للفرق بديرية في حنن . وهو في حسان قبي ، مكسب من عرب حبيبه مكسيميان (٢٢٥ — ٢٣٨ م) وورده ما يحل أفريقي آخر هو جورد ، برنس بيت ، لأفريقي مبراطوراً . لهذا ارتفع مستوى البلاد الاقتصادية ونما عمرانها ، وساد آخر رومان برضا ، ودخلت رعاها ربيون وسكروم

على أن لإس. د. فرن هذه الآثار تشيلائها مما كان موجوداً أيام الرومان لم يسعه إلا أن يقرر أن أفريقية البرنطية ما هي إلا فترة. مما حلال للحصارة الرومانية في أفريقية بل لم يكن إلا محاولة محققة لإعادة هذا العصر الزاهر.



وكانت لمسيحية قد دحت الميلاد خلال القرن الثاني موحذب فصولاً طلياً ، لأن السراة والأغبياء كانوا مستعدين لقموه ، إذ أن الفلسفة كانت قد أعدت عقولهم لذلك كما مول جون . دخل كثير من البرنطية وشبهه فيها رهال من مصر أو من بطريركها ، ولكن بشره من محدوداً أثناء العصور التي شطت الدولة الرومانية في محاربة لمسيحيين خلال ، وعلى الرغم من ذلك أهل كثير من أهل البلاد على الدخول في النصرانية حتى بعد استشهد منهم بمر كبير ، وانتشر ابرهه بين البرنطية مسيحية سبيلاً لا يصل بين الرومان ولأهين ، وكانت الكنائس وسطاً صاعداً لا انفصال والتفهم ، وهذا وفق ابرهه في عجز الحكاء دونه وهو احتذاب نفر من أهل البلاد .

وتم يقتصر الأمر على سهل الساحل من اعشق النصرانية نفر من بربر لأوراس وبوميدية ، وانتشرت في إقليم الزاب على خصوص ، وكثيراً عقد الحساس الدينية في قرطاجنة ويجتمع فيه ابرهه والأسقفية بنشون بلادهم وبواحيهم ^(١) .

والتفكر ، ومع ذلك شاع صاعى في سحران ربوب وعصر الخور وما إلى ذلك . وفي هذه المدة تلاميذ شأب مدرس لاسية تعبر فيه سكتيرو ، فارد هرت بلاسنة وأصبح له شغف في بلاد ، وفي عتب سره اسلاذ ورؤسبه لأهلى فسح فيها منهم ثلث منهم يوماً المروى ؛ وهاترت أفريقية القديمة تفكرى بعنه لاسية : فكوربيوس صاحب الفصائد الخوخة وصاحب مدائح جبيل . وهالجبوس واندوس صاحب حاة عدى بوعلى أسقف رونسيس Fulgentius Ferrandus Sacerd Fulgenti , Episcopi Ruspensis وبرعبيوس هدميتوس وسب أو عطين صاحب كتاب مدنه الله كل أولئك كتاب لاسين على درحه مشكورة من الإمبرعى نثروظم لاسين Julien, op. cit. pp 162, 187-791

Julien, op. cit. p. 211 (١)

أرسوا وقد عظم من القداسة ليقدم الطاعة والخضوع إلى الإمبراطور سنة ٥٧٣ م ،
وسبيل ما لا يزال باقياً إلى الآن في منطقة النيل المحيطة بمرحان من قبور مسيحية
على هيئة الأهرام تحللها من داخل قنوش مسيحية ^(١) ، بل أن لمسيحية تعلمت
في داخل أسلاد ، فقيمت الكنائس في واحات مثل أوغلة Augila وEdmut
، ولا يسعى أن نعلم الإضافة إلى ما نقرره الرواية العربية من وجود
قبائل مسيحية في أثناء الفتح العربي مثل أورنة قسبة كسيمة وبنارة في إقليم طاحه
بيد أن الكنيسة الأوريقية لم تكن حلال العصر البيزنطي على حال يبعث
على الأمن في مستقبل المسيحية في أسلاد ، فكانت إدارتها محتثة لنظم إذ تلاثى
النظم انكسي ، واقترع النفس دوراً كثيرة نذل على العصيل أو التدهور
الأخلاقي وعباد ^(٢) ، وكانت الدانية وحصونتها مشحونة مع الكنيسة البيزنطية

عاملاً آخر من عوامل ضعف هذه الأخيرة ، إذ استطاع دعاة أن يبرروا إلى دخل البلاد بحجة من الاصطهاد؛ وهناك كانوا يتيرون الدس على الكنيسة ليربطية فيبر من الكثيرين ، من أحد المعص يفتد نفسه من حديد وفق طقوس الله باتيين وكانت الكنيسة العربية قد أخذت بهن مهضة عظيمة في ذلك الزمن فعزل جهود حريجورى الأكر ، وكانت انلصومه دشة سب و بين كمة بيرطة ، فوجد حريجورى في عرق أمر لسيحة في فرقية فرصة طيبة بتدخلها في شئون كمة أفرقية ليكتب رعاياها في ضعفه ؟ فستمن قدوسة دوى قدرة وشهرة من أمثال دوميث كبير فسادة فرطحة وكولموس أسقف بوميدية ، فأحد ميعيو إفريقية يتجهون نحو رما متشرين في كال حريجوى يدعه فيهم من بدات و في مدله فاسته من جهد و ندر صعب عليه الكنيسة العربية من إغرا لأمر الدس وإخلاص في شره ، وهذا اردادت حلاوت له مه بين بيرطة وإفريقية ضعفه على ضعف ، ^(١) ولا يثبت حريجوى أن حول هذا السلطان الديني الذي كسب أى سلطان سياسى ، فأخذ يتدخل في إدارة شئون أفريقية ويتعدى للدفاع عن المظومين وإبصار دوى الشكاوى في عصر أكثر فيه المظلومون وقل من يسمع الشكاوى .

من ذلك الحين أخذت طائفة ديسة — من أنماع كيسة روما — نشأت في إفريقية ؛ وبكسب لمبادئ أنصاراً يعترفون بها ويحسمون فيها غيرهم من أصحاب المذاهب القائمة في إفريقية ، مما جعل لاسرعات الدينية أهدأ وأقوى و راد في التحلل الميلاد اننى كانت — لهذا الزمن — قد تفككت عككا دالة لا يرجح معه أمل في صلاح أمورها .

كانت سياسة البيزنطيين إذن قاصية على الآثار النفسية التي خلفها ابرووس

في نفوس أهل البلاد ، بل دفعت هذه السياسة بالعرعر السود إلى العدوان على
أوليات البربرية التي قامت فيها معاد الحصار ، ولم تكن المسيحية قد ثقت
بعض ثقت في بعض النواحي كآزاب ونميس ، لم كان للمبريطيين أي أثر
في حصار أهل البلاد ، ولا مساهلة في القول بأن كثيرين من رراع لبربر انصرفوا
عن الزراعة وهجروا المزارع ولبن وعادوا إلى ما كانوا عليه قبل دخول الرومان .



بين الأنظمة من نظام الحكم الذي وضعه جستين لأفريقية لم يحقق العرس
المراد منه ، إذ استمرت الثورات تحت البلاد وتفصل أحرارها عن حشد الدولة
حرراً حرراً ، وظهر لهم بخلاء أنه لا بد من إيجاد نظام حديد حكمها بلأنهم أحوالها
التي صدرت بها ، وثبت في أذهانهم أنه لا بد من براعى في النظام احديد تعليب
الحاجة العسكرية على الحاجة مدنية^(١) ، وحصل الأولى فوق الثانية ومشرفة عليها
عكس ما رسم جستين ، وأقيم على ولاية حاكم عسكري Exarctus له الإشراف
التم على كل مرافقه وموظفها ، تناوبها حاكم مدني Praefect . وأنتم
على الأقسام الإدارية احديدة حكام عسكريون يتقنون بالأدوق ، وعلى المدن
قواد عسكريون على رأس حاميات .

كان تحويل افرقية البربرية من ولاية إلى مطقة عسكرية بدءا الهية

(١) بدأ هذا التغيير يحدث منذ أوائل أم الامبراطور موريس (٥٨٢ — ٦٠٢ م)
الذي أدخل تعديلا على تقسيم إفريقيا البربرية بلأنه حاشية ' بلاد خدسة ' ففصل طرابلس عن افرقية
وضمها إلى مصر . وجمع صرطانية لاصية Mauretania Septentrionalis إلى سابق من صرطانية
تقصره Al Cessariensis وكان منها ولاية وحدة تحت صرطانية الأولى ، وأصبحت مدية
Septem من حارث عار وبقية أملاش صرطانية في ثساب وألف منها حيام ولاية صرطانية
مدية ، وثبتت ولاية وحدة صرطانية وقرسقة . وكفى في الدفاع عن بلاد شعبي عدد
قل من المدن لا تكاد تعدى حصن سور من ثاب (صرطانية) الذي يقر « نسا » وعدد واعدة
وتيس وقسطاطيه وصده وجت

كما يقولون لأنه كان نذيراً مثل البيزنطيين في حكم البلاد، وإيذاناً بوقوف كل
المحمود السمية والإصلاحية التي كان يرحى بمها في طلبهم، وديلاً على قرب
إسلاحها عن حد الدولة، لأن الحكماء العسكريين لا يترددون في أعقب الأحيان
في الثورة على الدولة المركزية والاعتفاء من الحيلوش التي تحت أيديهم إذا قامت
بينهم وبين المركز حصومة، وراد في خطر هذا النظام الحديد أن الدولة جعلت
للحاكم العسكري الإشراف الكامل على مرافق الولاية كبيره وصغيره حتى
شئون الكنيسة^(١)

أتم هذا نظام في أول الأمر نمراً طيباً، إذ انتصت أمور الولاية في حدوده
الجديدة، ومساعدته الهدوء فترة من الزمان، وكان لمظهر العسكري لدى ظهرت به
أثره في القتائل البربرية، ثم تعددت التحف بالحدود البيزنطية، وكنت عندها
إلى حين^(٢)، ولكن البلاد أصبحت رهبة برادة من يولي عليها من الحكام
العسكريين، لأن تلك الدولة قههم شيئاً، وإذا عرفوا — إلى ذلك — أن هذه
الدولة كانت تعتمد على إفريقية في الحصول على حرم كبير بما يلزمها من القمح،
وأن إفريقية كانت قريبة من مصر لتي قد تهاجمه بحرية أخرى (فيستطيع حاكمها
أن يوقف قمع مصر وقمع إفريقية)، عرفوا إلى أي حد كان لوثوب بالدولة هيبة
على حاكم إفريقية.

(١) سترابون 17, 1, 12 في عهد الحكم الروماني — ثم مدني — يرسل كل سنة كمين
للدني روماني الأكمة proconsul إلى — من سيرة عصباء في الولايات، وقد تمتد نظام
بملاك بروماني يمد من سائر سكان ليبيا، وأحكامه مضممة، وبذلك يسول
سلطانه الإدارة — كما قصص سايون proconsul — فحكم عسكريون أصغرهم بود
consul، وما كان يدور روماني عزم سائر — قصص في حكمه أكبر من عام، فقد
عهد إليهم في حكومة ولايات حمور ومصر — كمينه مدني، وسول لصالح سايون
proconsul وقد يسول Eparcl

(٢) Diehl, op. cit. p 262

في سنة ٦٠٨ أدم موريق Maurice على أفريقية الطريق « هرقل »^(١) ، وهو قائد ماهر من أصل أرمني ، له ماض حربي مجيد في الحرب مع فارس ، وكانت أفريقية في هذه الفترة في حاجة إلى رجل مختار في الحرب يرد البربر إلى الطاعة بعد أن ثاروا ثورة شديدة أخرى عقب موت جستينين ، استمرت ثلاث سنوات متوالية (٥٦٩ - ٥٧١ م) استولوا خلالها على العاصمة ، وأشأوا فيها شه حكومة مضمة على رأسها قائد الثورة Gasmul جاسمول ، ولم يحمّد يراها إلا حين نذب الأمر طور القائد جناديوس Gennadius الذي استطاع حوالي سنة ٥٨٠ م أن يقتل جاسمول ويهرم أسعته . ولكن الهدوء لم يطل أمده ، إذ عادت ثورة فشلت من جديد سنة ٥٨٨ م واستمرت زماناً طويلاً حتى هجر جناديوس عن القضاء عليها .

أقيم هرقل حاكماً على أفريقية لينقذ البلاد مما صارت إليه ، ونذب لمعاونته في إدارة البلاد أخوه الطريق حريجوروس Gregonus ، مدداً يمالان معاً لبعيد الأمور إلى مصاف في هذا الأليم المصطرب ، ولكن هرقل لم يكذب بدأ العمل ، حتى فوجيء سنة ٦٠٢ م ثورة في القسطنطينية ، انتهت بقتل موريق وإقامة فوكاس إمبراطوراً ، وكان الإمبراطور الجديد يعرف ما كان بين هرقل وموريق من حب وولاء ، ولكنه آثر أن يدعه حيث هو حذراً من الشر الذي يصيبه إذا هو أقدم على عزله ، ولزم هرقل من جانبه حياداً تاماً حيال النضام الجديد ، ولكنه لم يستطع أن يقف مكتوف اليدين أمام ما كان يسمعه من مطام فوكاس ، فلم يلبث أن اتجه وجهة معادية وأشأ يعمل على الانفصال عن الدولة ، وكانت أولى الخطوات التي اتخذها للوع ذلك ، أن حفر في قرطاجنة السفن التي تنقل

Neciphore, p 3, Theophanès, p 295-297, Diehl, op. cit. p 517 (١)

القبح إلى العاصمة كل عام ، فلم يلبث الموتورون من فوكاس أن اعتبروه مقدماً للدولة
 وتوجهوا بآمالهم نحوه ، واشتلت عليه أرغى تستحثه إلى المدرة بإقصاد الدولة بما
 صارت إليه ، وبعث إليه مجلس شيوخ القسطنطينية بأنه القدوم ، وكتب إليه
 رسكوس Priscus — صهر الأباطور وحاك القسطنطينية — يستحثه على
 الهوض للقضاء على فوكاس ، وتخصيص الناس من شره^(١) .

بيد أن هرقل كان في السنين من عمره ، وقد عنت به الس عن أن يهض
 بعمل كهذا ، فذهب اسه هرقل لإقصاده ، واحتراس أخيه نيتاس Nicetas
 لمعاوته ، ولكنه تردد في التمسيد ، إذ كانت امرأته « اهابا » Epiphania
 وحطية اسه يوديا Eudicia تزوران القسطنطينية في ذلك الحين ، فلم يكذ
 فوكاس يستثمر بية الطريق واصراف الناس إليه ، حتى سارع فاحتجر
 الاثنين وأودعهما أحد الأديرة^(٢) ، فلم يفت ذلك في عهد هرقل ، إذ أن الاضطراب
 كان قد عم نواحي الدولة ولم تسلم منه أفر بنية معها ، فثارت طرائس و سطلانس ،
 وأضلت القنائل البربرية على هرقل تستحثه على المص في الأمر ، فبدأ بإرسال
 بعث احتل سطلانس ، ثم سير حملتين : إحداهما بحرية يقوده اسه هرقل ، تغلق
 من قرطاجنة إلى سلافيك ، وهماك ينفذ أعداء الأباطور فيعاونوها على الاستيلاء
 على القسطنطينية ، والأخرى يقودها اس أخيه نيتاس Nicetas مكونة من جيش
 كبير — أصبحت إليه فرق عديدة من الأهالي — تحترق مصر وتستولي عليها
 ثم تحترق الشام وآسيا الصغرى ، لتصل إلى القسطنطينية فتثير الولايات في طربها ،
 وهذا يكون القضاء على فوكاس تاماً^(٣) .

Theophanès, p. 295 Diehl, op. cit. p. 518 (١)

Theophanès p. 295. Diehl, op. cit. p. 519 (٢)

Jean de Nikiou, p. 541 Diehl, op. cit. p. 519 (٣)

Theophanès p. 295. Diehl, op. cit. p. 310 (٤)

لقيت حطة الطريق هرقس ما قدر لها من محاح ، فلم تكذ أسطوله يقترب
 من القسطنطينية حتى انفجرت الثورة في العاصمة ، إذ كان أعداء فوكاس يترقبونها
 ساء الصبر ، وأسرع رسكوس - صهر الإمبراطور - قسم حدوده إلى حمود
 هرقس ، ولم يجد صعوبة في إسقاط فوكاس والقصر على أشياءه وتسليمهم
 لجمهور الساحط فعمل بهم ما يريد ، وصارتم به ذلك حب أن يعود إلى أفريقيا ،
 ولكن رجاء الدولة وسادتها أخو عليه في قبول التاج حتى قبل واحتفل بتتويجه
 في ١٥ أكتوبر سنة ٦١٠

٣ -

ساد استسوت لأخيرة للحكم البيزنطي في أفريقيا همدوس سبي ، لأن هرقس
 الكبير لم يعد يعنى شئون أفريقيا كثيراً ، بعد أن أصبح به إمبراطوراً ، إذ
 صرفه شئون الإمبراطورية ، ولم يصط عن أهل البلاد وشعروا بشيء من خربة
 واضطرب حال ، وكان هرقس في ذلك حرف لم يريد ما تنى سدودها إليه وإلى ابنه ،
 ومقتلهم فيها صار إليه من ميت وصعد ب كل من حسن عوسهم له في أراد
 من إسقاط فوكاس ، فاحس معاشهم وقرب منهم ، فركبوا إلى الهدوء والسكون .
 ويمتلك القول أن البلاد كانت أهدأ حالا وأكثر دهر في ذلك الحين منها
 في أي وقت آخر من العصر البيزنطي .

الهدوء يسود
 أفريقيا
 في أواخر
 أيام عصر
 البيزنطي

في من هذا الهدوء ، أحدثت المسيحية بشر بين قسطنطينية ، وسكن
 انتشارها لم يكن فصل الكنيسة البيزنطية ، وإنما كان سببه مهجة الكنيسة
 العربية أيام حريجو في لأكثر . شاع في إرميناموث بتشييرية إلى أفريقيا ،^(١)
 فعمل القس في ذلك البلاد ، واستصعوب أن يسد به مهجة على كثير من
 القسطنطينية ، وهذا كتاب حكومة البيزنطية قد أحدثت سحب رويد من

كنيسة روما
 تمجد في
 شارب
 ورد

المواقع الداخلية، فقد أخذ انفس يحلون محل الحكام، حتى أصبحوا — على مر الأيام — حماة الصمداء والمظومين، ولم يعد هؤلاء شوجهون إلى القسطنطينية لست ظلاماتهم، وإنما إلى «ماروما» فهو أقرب إليهم. ورغم ذلك أقوى سلطاناً، فكان يسارع إلى رد الصمد عن الشككين، فيما اتصل بالحكماء لمدد رأساً وأمره بالانصاف، وما اتصل برئيسه، منكك كل مرة باسم انقباض ولبس، يورع المديح أو التثيب حسب الحاجة. فيعد دوق سردينية مثلاً بأن يؤدي في القسطنطينية شهادة طيبة بحسن مسكك، أو يرفع للأمبراطور اشكوى عما يفعله الطريق حيتاديوس وهكذا، وليس بين هذه الخدع وبين التدخل السريع في الإدارة إلا خطوة قصيرة، وقد ساعدت ظروف هذا العصر على «الاضطرابات» بحجج يوس على أن يحطوها، وتكاثروا. أي بوصفهم لا يجدون مدد من طاعة هذه الأوامر التي يتفقونها من الدماء والقسوة، لأنهم كانوا يحكمون في انفسهم تقدير تخميناً للدين ورجاءه^(١).

كان من نتائج هذا أن اتجه لدمس، مدبر نحو الكنيسة امرسة، واتحدوا من آخرها حدة يدمعون عنهم أذى الحكام وعنه، «ومن ثم فصحت روما سلطة جديدة في أفريقية البربرية بحسب حاجتها»، ويركن لسكان إليها في كثير من أمور حكومتهم، «وعند حكماء على رجال الدين لم يلتزموا أن سادهم». في أوائل القرن السادس كان القسوة يديرون أفريقية^(٢)، وكان هذا التدخل عاماً قوياً حديد من عوامل التدهور، وفي تدهور أعرب من ذلك: بلاد صومالية شرقية، بسطرت عليها روما، ويكون له من الإشراف على أمورها والتدخل في شؤونها مثل ما لا يمتد طويلاً.

وفي واقع الأمر لم يكن هذا التدخل البربري لإعلامه هيئة حداثى وأخر لقرن السادس مسيحي، فذلك بوصفهم البربريون — في جميع نواحي الإدارة —

Coudé 1 Afr. La Néc. 11, 17 (٧) ١٩١٤, ١٢, p. 314 (١)

يمعنون إلى التحرر من سيطرة لأمرصور العبيد عنهم جداً ، وانصرف الناس ،
الذين ثقلت عليهم وطأة الإدارة البيزنطية وما كان سودها من حبل ، عن
الأمراطورية التي كادت تنزل بهم الخراب ، وبدأوا يتصرون بالكيسة التي تحميمهم
بعض الشيء ، وأحدث هذه الكيسة تحسنتها لإدارية على مهل محل السلطة
الإدارية مركرية ، ونعمل على إفساد الإدارة الحكومية ، التي لم تكن يفتصها
الاضطراب (١) .

انتشرت مسيحية بين بعض قبائل ، وكان مستطراً أن يكون هذا الانتشار
سبباً جديداً من أسباب الاتصال بين بيزنطة وممتلكاتها في أفريقيا ، ولكنه
كان كما رأنا فاصلاً لا رابطاً ، لأنه رادعاً بدلاً عن بيزنطة ، وقرصاً إلى رومة .
ولا راع في أن الدولة نفسها كانت ترمى إلى بعض هذا حين كانت تبدل الجهود
لتقطع أفريقيا عن الكنيسة الشرقية ، إذ كان الخلاف بين الكيسة الشرقية
والباوية في هذا الحين شديداً جداً .

— ٤ —

مات هرقل الكبير في افرقية سنة ٦١٠ ، فقام هرقل الأس على حكومة
افريقية عنه بطريق حريجوريوس ، الذي كان يسعد أحياه منذ من طويل
في إدارة البلاد ، ولكنه لم يلبث على حكومتها إلا زمناً قصيراً ، إذ حمله عليها بطريق
قنساس بن حريجوريوس اسمه قيصر يوس Caesarius ، ثم أعقبه بقيت من اس حريجوريوس واس عم الأمراطور
الذي كان ساعده الأيمن في الهجوم على القسطنطينية ، وكان قد قضى فترة طويلة
متقلداً في ميادين الحرب مع فارس ، وولى شئون مصر ، ولعل الأمراطور قد احتار
هذا الرجل القوي ، لأن فارس كانت تعبر بلاد الدولة للمرة الثانية ، واستوتت

على مصر سنة ٦١٩^(١)، وأوشكت أن تغزو أفريقية، مكان لا بد من إيقاف تقدمها^(٢).

خلف قبتس في ولاية أفريقية اسم حريجوريوس، وفي أثناء سنتي ٦٢٨-٦٢٩م حريجوريوس الثاني :
احتل مخططة حريجوريا أحته إلى هرقل مسططين Heraclius Constantin (جرجير)
إن الامبراطور هرقل، فراد مركز حريجوريوس قوة، وعنت هيئته في أعين أهل البلاد.

طبعي أن نشأ بين آل حريجوريوس وأهل أفريقية - من روم وخراسان - علاقات طيبة، فقد طال بهم العهد في حكومة هذه البلاد، يتوارثوها ويريدون مودم فيها، وساعد على ذلك أن ثلاثة الحكام الذين تولوا هذا الأمر من هذه الأسرة كانوا ذوي حمة وكفأة وكياسة، وكان لهم من الخطوة عند الأنظمة وانقرى منهم ما زاد شأنهم ساهة وأشخاصهم هيبة، وكان مقولاً أن نستمر الأسباب موصولة بين القسطنطينية وقرطاجنة، ما دامت الدولة على حال من القوة تمكها من الإشراف على ولاياتها وحماها كذا كانوا أو ضعفاً، أما وقد بدأ الأمر يصطب بالهولة، فيهددها الغرس ويحتجون بلادها، ويسع الخوف من الأمباطور مستحيماً فكر في الفرار من القسطنطينية إلى صقلية أو إلى أفريقية، أما وقد كثرت الشبهات وحامت الدسائس وداخل انخوف قلوب العماة، وأما وقد أدرك حريجوريوس هذا كله، وأحسن أن شرره يكاد يتصل به ويكاد يصيبه منه

Bury, Hist. of the later Roman Empire II, p. 287

Diehl, op. cit. p. 524 (1)

وقد ذهب بيوري (ج ٢ ص ٢٨٧) إلى أنه كان لهرقل أخ اسمه حريجوريوس، وأيد ذلك توكليه في مقاله عن حريجوريوس في المجلد الأفريقي سنة ١٨٨٥. ويحدثنا تيوفاني أنه كان لهرقل ابن أخ يسمى حريجوريوس، مات بين سنتي ٦٥١، ٦٥٢ في عين شمس بعد أن وقع أسيراً في يد العرب (ص ٣١٥)، وقد حاول توكليه أن يبرر أن حريجوريوس أفريقي الذي نحن بصددده هو نفس حريجوريوس هذا. وذلك جهلاً ظاهراً، لأن حريجوريوس أما هرقل كان قد مات قبل موقعه سيطرة برمن طويل Diehl op. cit. p. 525 - 26
cf. Tauxier, Gregoire d'Afrique, Rev Afr 1885.

شر عظيم ، وبه لن الطبيعي أن نتجه تفكيره إلى سبل سقده نفسه ويخلص به بلاده من هذا الشر الحقيق .

أخذ جريخور يوس يرفق أعمال الدولة في حذر مد فكر هرقل في نقل عاصمته إلى قسطنطينية، ولكن دونه ما لث أن أفرخ حين ترك الإمبراطور هذه الفكرة، بسبب ما أصاب أهل القسطنطينية من اربع حين اضل بهم عزم الإمبراطور^(١)، على أن جريخور يوس بات على الحذر من ذلك الخيق، لأن فكرة الانتقال ما رحت تتردد في ذهن الأباطرة كما أحاطت بهم الأحصر في القسطنطينية، حتى أن قسطنطين الثاني نقل عاصمة الدولة إلى صقية ست سنوات عاد بعدها إلى القسطنطينية^(٢)، ويرى كان مسحت حرم من جريخور يوس على ولايته أنها انتعشت بعض الانتعاش في أيامه بسبب الهدوء لقصير الذي تمتعت به في ظل أبيه وحده، وديل ذلك أن العلية من مؤا حتى شمال أفر بقية متفقون على أن العرب وحدوا البلاد - ساعة دحومهم

كثيرة الزروع وإمرة الثمرات ، بل يفهم من رواية لاس عند حكم أن رداغة
أو ثوب كانت مردهزة في السلال تنحر الدس فيها ويصير من ورثها ربحاً
عصياً^(٢) ، ويؤكد ذلك أن « الإنسان يجد في أرض السهوب في بلي القيرون
حيواناً وهي التي يحدد اليوم قعر حياً في السهوب » سعة ملحورة التي
تقتد حيواناً عصية لأورس ، وفي الإقليم الحلي لدى متوسط سهل تونس ،
في كل هذه مواحي يجد لاس في كل حصوة نرمد كبيرة أو صغيرة .

1952 11 523 (1)

Bury, op. cit. p. 403. 24. 36. 1. 1. op. cit. p. 523 (4).

(۳) حادثی عند حکیم : حادثی عند سبب کی صلاحہ ، حادثی کی مراد یہ ہے کہ اس سے بعد ہو مگر شیخ ترمذی نے کہا : "وہ کان بوضع یمن یدہ حکیم من البرق یقال بلاقارہ من الکیم" "فان خلقاں منہ بنور کندی یمنس شیء حتی وحد ربوبۃ ثناء بہا" "وہ فقہر من ہر حبیبہ و شیء کان و کتب کان من" "وہ یمن عند ربوبۃ رعون ، کانوا یثوبوا فیشتون منہ" "یث ثناء عند اوری منہ" — عند حکیم : فیوح من ۱۸۴ — ۱۸۵ .

وقرى آله وأراض مروعة على امتداد عظيم . ولا يعور البرهان على أن هذه
الملاذ كانت عامرة بالبكتين حوائى منتصف القرن السابع الميلادى على رعم
ما شقيت به من حروب . يد يرجع إلى هذه الفترة تاريخ ذلك العدد العظيم من
القلاع التى تنوسطها وتقوم على حاسبه^(١).

يبد أن كودل يرى فى الأمر رأياً آخر : فيذهب إلى أن ديبل نالغ كثيراً
فى الاستنتاج من الرواية العربية ومن الآثار التى كشفت فى هذه المواحي . ويقول .
« يصف لنا العرب الملاذ وصفاً يدهش . فيقول الدحي . « وكانت أمة بقية على عهده — أى
على عهد حساس من العرب — من العمر المعمور تنصل بها المدن العظيمة والقرى
الحسنة ، ساحة البياض فى مدهام الأشجار ومساب المياه ومتدفق الأنهار
وحصيب المراعى والمرايع وطيف الفوا من طحفة إلى طرائس ، فاهلكت ذلك
كله الكاهنة البربرية » ؛ وبسعى أن لا نسى أن العرب أقنوا من الصحراء ، وأن
رمال بلادهم وصحورها طلت دكرها عاتقة بدهشهم عند هزتهم حريرتهم برمال
طويل ، فليس غريب أن نأخذ عيونهم أنسط الزروع وندهشهم أن حصرة ،
ولذا رأوا فى محرى الماء الزبيع سهراً مياهاً ، وجمعوا من أشجار الزيتون الدهنة
الكثينة ومن أفرع شجر الترسينا ومن أشجار الفستق والمثلث والتطاف ، ومن
السهول المحمصة وسادت الرمال التى على الشاطئ ، ، حصوا من ذلك كله مراعى
راهرة ، ورأوا فى مجرد سهراً عظيماً^(٢) . وتؤيد كودل فى هذا رأى مؤلف كتاب
توس الذى يقول « لم يكن الإصلاح اليربلى أكثر من باب غم لأمة بقية .
إذ لم يجرؤ إلا عدد يسير من الزراع على المخاطرة تراققة عمال الحكومة وجبودها ،
ويمكن أن نقول بجحلاً إن العرب وحدوا أنفسهم — وجهاً لوجه — أمام الشعب

(١) Dieh., op. cit. p. 525 (٢) Caude, op. cit. I, p. 31 ونسبى

فى الخلاصة النقية ، ص : ٤

البربري ، انتهى إلى السكون في ناحية من البلاد بعد أن أفقرته المنازعات العديدة التي شملت العصر البيزنطي ، وإلى الاستغلال في ناحية أخرى ، والخصوع في ناحية ثالثة سبب إرهاب الموظفين البيزنطيين ^(١) .

بما كان كودل مصعباً ، ذهب إليه من الثلث في راء ديل ، ومن القول بأن الإصلاح البيزنطي لم يكن إلا ظهراً كادماً يبطئ على أسوأ الحال لأفريقية ، ولكنه لم يوفق في فنته . إن العرب رأوا أفريقية ، أي الندوى الخلف الذي تزوعه أسط الرزوع ، وتأسر له نقل مطهر العمران ، لأن عرو أفريقية لم يكن أول عهد العرب بالمرايع ورياض ، ورعا صوئت في عيولهم رزوع أفريقية إذا قاربوها رزوع مصر وساتها ، وأيس محرد من النيل ؟ وأيس الشجرة الحصراء من واحات الصحراء ؟ ، وأعجب الظن أن العرب وحدوا مسألة طوينة من الواحات المتصلة تمتد من مصر إلى أفريقية ، فذكروا أن للبلاد كات صلا . أحد أمس رقة إلى طلحة ، لأنهم سلكوا طريق السهل له حلى الذي يصب أنه كان مروراً رهراً في أواخر العصر البيزنطي .

اردهرت للبلاد — إذن — إردهرأ طارئاً قصير الأجل في أواخر أيام الحكم البيزنطي ، لأن مدوء الذي سادها في طين آل حرجور يوس وركون البربر إلى السلام — بحس سياسة هذه لأمرة — كما قيسين بأن سبها بالبلاد بعض الهوس (لا إلى الدرجة التي يصورها ديل في كت ٤) ، ورعا افتصر الإبتعاش على الولاية القصية وقط حصة وأرصاص ، وبعض مدائن الكعري في سهل تونس وهضبة الأوراس .

في هذا الحين كانت الإنفيمات الدبية قد اشتدت في بيرطه وأحد سبها

لاتقدمات
الدبية

يتمدد فيحرق ولا يأنس مذهباً ، وكان الزعم قد نوزع عنهم المذهب المختلطة شيعاً ووفراً ،
 تنصارع وتحترب وتهبط بالدولة إلى درك عميق . وكان مذهب حلفيدوسنة مارال
 يعصف بالدولة منذ سنة ٤٥١ م . يدعونه الملوك الكاثوليكيون لأنه مال إلى التوحيد ،
 وكرهه اليقظة لأنه لم يكن توحيداً صريحاً . فحب هرقل أن يخص سلادته من تلك
 الفوضى ، فأنشأ يتصل بكبار رجال الدين في دولته يستطلع رأيهم ، حتى استقر رأيه
 آخر الأمر على إصدار مذهب وسط فرضي عنه القوائم كلها ، ولم يكبد المجلس
 الديني الذي عقد في سنة ٦٣١ بصد مذهب الحديدي ، حتى تار الدس كلهم عليه
 وأسكروه جميعاً ، ولم يجد هرقل مذمناً أن يصطعب الشدة في إرغام الدس على
 انبعاثه ، فاصطهد الكثيرين من عياله صطهداً شديداً ، وشي به فقط مصرحاصة
 لما أصابهم على يد قبرنس الذي كان هرقل يده لتطبيق هذا المذهب في مصر .

وكان أهل فرقية لا يطيقون مونوثيلية ولا يرون إلا أنهم أربع تعب ، فـ
 وصلت أوامر هرقل بنشر مذهبه الحديدي مدرّة الممارسين بعقوب الشديدي^(١) ،
 تلقاه لأمر يقيمون بالسطح ، إذ كان هذا مذهب شديد الشبه بمونوثيلية ، ومبادئ
 أسقفهم ورهبانهم أن احتضمو وقرروا : « أن كل المدع صادرة عن عوام شديد
 بالتطهر ، وأن الحسب يردون شتاعه أن يظهروا أنهم أمهر وأعد بصيرة وأعقل من
 سائر حواصمهم .. »^(٢) وأصرروا على أن لا يعدلوا مذهبه القديم مذهباً آخر ، وأنوا
 أن يسحروا عن كرسي البابوية^(٣) ، واستعدوا للقاء شريديهم في سبيل العقيدة ،
 وكانوا قد طان بهم العهد وهم متوجهون بأنولاء لروما لا إلى برصة (في مسائل الدين) ،
 فاحسوا حين اطعموا على المذهب الجديد والأوامر متصلة به ، أنهم يتعدون عن الدولة
 مرة أخرى ، لأنها تؤذى مشعرهم الدينية التي هي أعر مالديهم ، فشملمهم حماس الرعمة

P. G. XCI, Deh., op. cit. p. 542 (٢) — Deh., op. cit. p. 542 (١)

Labbe, VI, 126 — P. G. XCI 141, — Deh., op. cit. p. 542 (٣)

في المقاومة الإجماعية دون أن يكثرنا قل أكثرنا قد يجمع عن ذلك من إصعاف
 الأساط التي تراهم بالإمبراطورية في سبيل الدفاع عن عقيدتهم الأرثوذكسية ،
 وكانوا موطين أنفسهم على قول كل شيء ، حتى الانفصال التام عن الدولة ^(١) .
 وزاد هذه الخل سوءاً ، أن الاصطهاد الذي في الشام ومصر ، كان قد روع
 مراراً غيراً من رهاسها ، فأخذوا يعدون على إفرقية من الشام والألكندرية
 وديورينية ، حاميين معهم مذهبهم الموروني اليقوي (وهو قرب لذهاب
 إلى التوحيد) ، وأخذوا ينشرون دعايتهم بشاط نار فاسدة و فية لا حتى نسمع
 الناس بأحار الفتيات اللاتي كن عُق من عقنذهن على رعب أمرهن ، وبحملات
 التعميد مقدسة التي كثرت لذلك العرص ، فربيع عامل إفرقية إلا التدخل
 مدون حدوى ^(٢) ، فله شئ من صلاح الحال ، اتفق مع نصف قرطاجنة على الكتابة
 للإمبراطور وساروما ، بسطط لما سوء متغير

وكان من عريب الإمدق أن دخول اليقوييه إفرقية وعق موت هرقل وتولى
 قسطنطين الثالث عرش الإمبراطورية ، وكان عدو مذهب الذي ابتدعه هرقل ،
 فلم تكذ شكوى أسانفة إفرقية نصلي إلى علمه حتى أسرد أن يخرج إرماس الدين
 برفض المود إلى أحص الكيسة من الأديرة وأن تصدر أملاك الأديرة
 الحارحة ^(٣) ، وبهذا انقلب الحال ، وزل الاصطهاد بشيع الإمبراطور القديم وعامة
 اسع المورينية (مما فهم القبط وهم ثورفسيون) ، وكان جريبحوروس معه
 أرثوذكسياً ، فرصيت معه عن حكومة القسطنطينية ، خصوصاً وقد كان الإمبراطور
 روح أخته جريبحوريا ، شيل للناس أن ما وهي من الملائق لا بد معقود مرة
 أخرى بين بينزلة وإفرقية .

Diehl, op. cit. p. 544 (٢)

Diehl, op. cit. p. 543 (١)

Diehl, op. cit. p. 518 (٣)

ولكن الأيم لم يمهّل الشتمين إلا قليلا ، إذ أرسلت قسطنطين أن قتل في مايو سنة ٦٤١ ، وحامت الشبهة حول الأميرة «مارينه» التي قيل أنها دبرت موت قسطنطين ليتولى ابنها هرقل الصغير (هركلوس) مكانه ، وكان من سوء الطالع أن الأميرة ماتت على مذهب هرقل ، وبعثت الموريتانية رئيسها ، وبدأت ترد إلى الأرثوذكسية ما أسفست لها من أذى في عهد قسطنطين ، فساد اللاددهول شديد ، ومع احتلال الأمر على أهل فرقية وحيرتها بين المذهب وأهواء الحكام أن حاكم قرطاجنة جورج ، وكان حلامتدي وأرثوذكسيًا محضًا أنكر ما وصل إليه من الأحاد ، ووافى الناس يؤكد لهم أن الأوامر بمطردة لأرثوذكسية إن هي إلا وسيلة يراد بها النيل من الأميرة مؤمنة الطاهرة للناس ، وأراد أن يؤكد للناس عقائده ، خصهم على الشط في تنوع الموريتيين واصطهادهم ،^(١) غير عالم أن اليوم ومهم ، فمكد الأحاديث عليه فصل لقسطنطينية ، حتى دعى إلى هناك ليحدث أسير الحب على ما افتروا من حرم ، فرحل الرجل وهو — من حيرته لا يكاد يعرف نفسه مصير

وحوالى سنة ٦٤٠ م أصل على أفريقية رحل من أشهر رجال الدين في القرب السامع ، إذ كاد له في عهد أثريبي في مصر أفريقية لسياسي والديني ، وهو الراهب مكسيم . كان مكسيم قد رار لأسكندرية قبل مجيئه أفريقية في صحبة صبرويوس ، ورأى تعبیه لاصطهاد الأكر الدي كان فيرس يذله فقط مصر ، فعقد نية على تخيير الناس من هذه الدولة التي ترهق أرواح الناس عداها وأهوائها ، وكان صيته قد سبقه إلى أفريقية قبل مجيئه إليها ، فلم يكذب يصل حتى اجتماع الناس على الترحيب به ، فأشاد في رهن أفريقية تعالیه ، ليمد هؤلاء القساوسة السذج السطاء — الذين أصعبهم لا تقسم — لكي يكافؤوا ويشتوا

لمهارة البيزنطيين وانقذارهم على السعطة في أمور الدين ، وهذا أصبح ذلك
 ارجل معقد آمل من أفريقية مسخرة يبرادهم من مبادئ ، فاشد ساعده
 بولانهم ، وصرح الدولة كانت الله لن برصى عن الامراطورية الرومانية
 ما دام هرقل وآله على عرشها^(١).

لقت هذه الآراء هوى من منس حريجوروس ، فخذ بدل العون المكسب ،
 ويشجعه على الاستمرار في هو آخذ فيه من مدهصة الدولة وحرف الدس عنها ،
 فلم يكدره بل أفريقية يروا أنهم في أمن من عذر الدولة بحاية جرجوروس حتى
 انتمعوا ووجهوا بلامراطور حصداً يأنونه أن يترك ما هو سائر فيه من اقتدع
 وإفساد في الدين^(٢).

كذلك صادفت حركة مكسب قبولاً لدى الدولة ، فلم تتردد في نال العون له
 حتى يستطيع أن يثبت للكيسة اشرقية ، وكان مكسب يعمل للدولة ويحدها إلى
 أناده ، حتى صار لهذه في أفريقيا مكان لا يكاد يطعم فيه الكيسة اشرقية ،
 ولم يولي أسقف قرطاجة اخذ بد مصه بنت بولانه لمده حتى يستطيع أن يمدح
 عن العقيدة الصحيحة والمذهب الكاثوليكي شدة في كل اطروف^(٣).

الساوية
 تحرض أهل
 أفريقية على
 الانفصال

هكذا حلت الدولة على نفسها بتدخله في شؤون الدين وعلم برعاياه ، الذين
 أسلمهم إلى الدولة من الدحية ادينية كما سلفهم للعرب من الدحية اسياسية .
 وبذلك كانت اطروف كلها مونية جرجوروس بيجرح على الدولة ، وبدو انه
 كان قد عقد العزم على ذلك منذ مات قسطنطين الثالث^(٤) ، وأصبح الأمر بيد

(١) Diah , op cit 549 وقد ورد مكسب في قسطنطين سنة ٥٥٨ م ، وروى فيه بربيه
 ديبه صرفة ، ثم دخل الدتر ورجع في سنة ٥٦٨ ، وطاره صحت في مسائل الدين والفقهاء ، حتى أنه
 استقل في مصر استقلالاً جافاً ، رارها في صحبة براهين فالاسيوس وسبروسوس ، وكان
 أولي أعم أهل زمانه عائل الدين ، ثم ذهب إلى أفريقيا وقد وطئ السرم على تحمس أهلها من
 الأذى الذي تعرض له الدولة به . (٢) Diah , op cit p. 552 (٣) Lor. cit. (٤)

(٤) حنا القبوسى ، ص ٥٧٣ ، Diah , op. cit p. 545

مَرْيَمَةَ وَاسْمَ هِرَقْلَوْنَسَ ، فلم يكذب البابا نيوذور بفتح منه هذا الميل « حتى صارحه بأن الله يرصى عن ثورته وبقدر له التوفيق فيها »^(١) ، وأهاب بالقسس فأحاطوا بحر حور يوس يستحثونه على لمادة ذلك الأمر ، « فرغم له لأب مكسيم أنه رأى حصا دامقري بعيد : رأى طامتين من الملائكة في السماء إحداهما مقفلة من الشرق والأخرى من لغرب ، وأن المقفلين من الشرق يندور : النصر لقسطنطين العظيم » والمقسين من العرب يهتفون . النصر خرحور يوس العظيم ! وأن أصوات الشرق أحدث تحمت رويداً رويداً حتى عات عن الأصماع ، وقيت أصوات العرب وحدها تردد اسم الطريق »^(٢) ، وسواء أصدق مكسيم في رعم أم لم يصدق ، في هذه الرواية ما يدل على أن معراً من رجال الدين عاوب الطريق على الإيصال ، وأن البابوية كانت تشد أزر ذلك المعر ، لأن اسلاح أفريقية عن الكيسة الشرقية ودحوها في طاعة البابوية بعد نصراً عطلي للشاية في عصر اشتد البراع فيه بين الإثنتين

بيد أن طامة أخرى من قساوسة أفريقية لم يكن يرصيهـم هذا الإيصال ، محدثهم يشيرون إلى هذه الحركة إشارة عامصة تم عن التحرج والأسى في الخطاب الذي كتبه للساسة ٦٤٦ هـ .^(٣) « صهون هذا الإيصال يقولهم به » ضرورة لم تكن متوقعة » وكذلك محد أنقف فرطاحنة يشكوم « أن هـاء أشخاصاً أشراراً يهتمون الأفريقيين بالسطل بأنهم يطمون بوابا سيئة لا وجود لها في الحقيقة »^(٤) . ويصب على الظن أن محووف هذا المرنق ، لم يكن مرصها لميل إلى الكيسة الشرقية ، وإنما كان حسبا الخوف من العرو العربي ، الذي كان قد أتى منذ سنوات ثلاث على برقة وطرابلس ، وأحد يدبر أفريقية نفسها بمثل هذا المصير .

Loc. cit. (٢)

Diehl, op. cit. p. 556 (١)

Labbe IV, 129

Diehl, op. cit. p. 556 (٣)

Labbe IV, 156

— Diehl, op. cit. p. 557 (٤)

الباب الثاني

مقدمات الفتح

قصي الطام الذي وضعه موريق (٥٨٢ - ٦٠٢) للدولة البيزنطية بأن تكون برقة وطرابلس ولاية واحدة داخلة في رمام مصر ، فاقطعت الصلات السياسية الرسمية بين هاتين الولايتين وبقية شمال إفريقيا ، وأصبحت تالعتين لحاكم مصر من ذلك الحين . وكما لا يخفى لاهدين الولايتين ذكرًا في نقرأ من أحوار مصر قبل الفتح العربي ، بل على العكس من ذلك نجد في أحوال إفريقية في ذلك العصر ، فقد روى ديب أن أهل برقة وطرابلس هم الذين بدأوا ثورة إفريقية على فوكاس ، وكانوا في مقدمة من حرروا تونس عن الاتصال ، وهذا يدل على أن حكام مصر لم يجدوا فسحة من الوقت أو هدية من لشغل تسمح لهم بالانتفات لشؤون هذه الواحي ، فطقت لولايتان من عهد موريق إلى زمن الفتح العربي مطلقتين بين مصر وإفريقية على حال قرينة جداً من الاستقلال . بيد أن الدس أن آل حرجور يوم حرجوا - من يوم صابت إليهم مور إفريقية وأخذوا تنوّن أمارتها على أن يسطروا سلطانهم على هاتين الولايتين ويستعبدوهما وبسبب أنهم دفعوا إلى شيء من ذلك ، ومصدق ذلك أن ديب يذكر أن حرجوريا أحت حرجور يومس الأخير (حرجير) كانت بقم برقة حين حطها الأمير بطور هرقف لإسبة فسططين ، في مقامها هذه الدحية وأصبحت لها إلى حكامها ما يبدل على أنها كانت في رمام أحياء وتحت سلطانها ، وإلا فما معنى أن فصل الإقامة في بلاد ناسمة لمصر وأمامها من بلادها مدس رحب . وقد كانت هاتان الولايتان من أكثر ولايات إفريقية شطاً في أوائل العصر البيزنطي ، وكان أهلها و زرعها أكثر أهل إفريقية ثورة ووثوباً بالبيزنطيين ، فكانت لواته أعظم قتلى برقة وطرابلس فائدة الثورة الكبرى بين سنتي ٥٤٥ و ٥٤٦ م ، فظهرت من القوة وشدة البأس ما مكها من الانتصار على سيدي حاكم إفريقية كلها وقتله ؛ وعلى الرغم من أن البيزنطيين

تسكوا بعد جهد شديد من إخماد هذه الثورة واستعادة البلاد. إلا أن حرر
 رفة وطرابلس طوعاً على حال من القوة مكسبهم من إقامة شيء يشبه أن يكون
 دولة بربرية، وبزيد بربرية ذلك قوله: « وظهرت في اولاية دويلات وطنية
 ها قوايب وأدهب وحكامها، الذين كادوا أن يكونوا مستقيين: فكانت
 يوانة — التي تحتل الساحل من رقبة إلى دس (ومعها هوارة ونومس) — على
 جانب عظيم من امدود، وكان في استطاعتها بعد ذلك سموت قلائل أن تجمع
 نحواً من ستة عشر ألف مقاتل^(١) ».

بعد أن أصاب أن قتال رفة وطرابلس لم يطل على هذه الحالة من القوة
 حتى نهاية العصر البربري، لأب الفتح العربي في إخماد إلاتة أو بقوسه وهوارة
 على شيء من القوة يتفق مع ما يعمه من هذه الروايات، ومن يجد هذا أثر طاهراً
 في الدفاع عن رفة وطرابلس، ونوقد كانت هذه القنائل على ما عهدنا عليه يوم
 سبيل يمكن ضامع عمرو من الصل وعقبة من باع شئ غير هذا، أما وقد وجد
 العرب هذه النواحي في مكنون شامل وهذود كامل، فلا بد أن يكون تلك
 القنائل قد أدركها الضعف آخر الأمر واستنكسات في امدود.

وربما صار أن يلاحظ أن هذا الاسلام كان صفة عامة اشترك فيها رفر رفة
 كلها طوال سموت الفتح الأولى التي انقضت بين أول ورود العرب إفريقية
 وفراعهم من إلاتة القيروان: فسلاحه أن هذه القنائل كلها لم تند مقدومة ولم
 تتحرك للدفاع عن النواحي التي تسكنها على الرغم من أن المسلمين جاسوا حلالها
 ولم يتركوا ناحية فيها إلا وطشوها وعروها، وذلك السكون ين هو إلا سبيحة طبيعية
 للحكم البربري، فربما يكن يتطر من هذه القنائل التي لبثت طوال هذا العصر
 تهاض امدود وتدعمهم إلا أن يدركها الخمود والسكون في أواخر ذلك العصر،

Mercier, op. cit. I, pp. 187-189 Fourneau, Les Berbères, I (١)
 pp. 217-218

ومصدق ذلك أن هذه القبائل بدت تتحرك للدفع ونقومة مرة أخرى بعد انقضاء نصح وثلاثين سنة من هذه الفتوح العربية ، أى بعد أن نالت مسطاً من اراحة عوصت فيه بعض ما أصابها من حكم الروم ، سواء في ذلك قبائل الساحل التي كانت حاضمة هم تماماً ، وقبائل الداخل التي خرجت عن سلطانهم ، إذ كانت الأولى هدفاً لبطشهم وصحية لمساواتهم ، وكانت الأخرى موقع أدام وعدوانهم . لهذا لا عرانة في أن محمد بن عمرو لوانة وهوارة ونفوسة على حال من الهدوء والسكون تمكنهم من يتم فتح رققة وطرابلس والعود إلى مصر سالمين موفورين ، بل لا عرانة في أن يسارع بعض أهل هذه النواحي فيعرضوا طاعتهم على المسلمين راضين ، مما يدل على أنهم وجدوا في العرب حبيفاً قوياً يعترفون به على الروم الذين لا يؤمن جانبهم وأن دكوا في أواخر أيامهم إلى الهدوء وتركوا العرب وشأنهم .

- ٢ -

كان من الطبيعي أن يحرك عمرو بن العاص في الاسيلاء على رققة بعد فراقه من الاسيلاء على الأسكندرية وتنام جلاء الروم عن مصر ، لأنه كان ميالاً لقطعته إلى مواصلة الفتح والغزو ، لا سكاد بفرع من إقليم حتى يشرع في إعداد العدة لفتح ما يليه . لم تكن بفرع من فتح فلسطين حتى يشرع بفتح مصر ، ولم تكن بفرع من مصر حتى يشرع في السير إلى رققة ، وسواء بعد الفراع من رققة يسير إلى طرابلس ثم يتأخر في فتح إفريقيا كما فعل قبل دخوله مصر

وكان جند عمرو يقيمون هذا الميل ، إذ كان الفراع من فتح مصر معاه وقوف حركة الغزو وانقطاع العلم بعد معاهدة الأسكندرية ، مما يجد هؤلاء الحدود معرجاً لنشاطهم — الذي انصل من جزيرة العرب حتى الأسكندرية — إلا في القيام بعبارات قصيرة يصيرون فيها من أهل الواحات وسكان الصحراء ما يقدرون عليه ، ثم يعودون إلى مصر ، ولا شك في أن أحداث رققة وأفريقية قد اتصت بسرو بن العاص

وهو على فتح مصر فعرف أهلهم من بلاد الروم وأن لهم فيها مسعة وعرة، وكان أهل برقة وطرابلس إذ ذاك على علاقات قوية موصولة مع أهل مصر، حتى إن بعض قدامها كان يُحسب من قبطها، وكانت الطرق بينهم مطروقة مأمونة، ففرع عمرو من فتح الأسكندرية ووجد الطريق إلى برقة سهلاً ميسوراً، حتى أن يهاجم الروم مصر من برقة مسجلاً بالمسير إليها.

كانت الصحراء امتدة من مصر إلى برقة تسكنها قبيلة لواتة، وهي قبيلة شترية كبيرة، يتحدثون بها أن حلدون قوية: «وهو ظل عظيم مسع من طول البربر المتريسنون إلى لواتة الأصغر من لواتة الأكبر من رحيث، ولواتة الأصغر هو نغراؤ كما قلناه، ولواتة اسمُهم... وذكر ابن حزم أن نسبة البربر برعمون أن سيطرة لواتة ومراتة من لقط وبس ذلك صحيح... وكان لواتة هؤلاء صواعن في موطنهم سواحى برقة كما ذكر لعمري^(١)». وهي قبيلة ذات ماضٍ عريق في مصر البيزنطية، وسيكون لها تاريخ حافل أثناء العصر الإسلامي، وكانت لها شبه رئاسة على ما جاورها من القبائل البربرية التي تسكن برقة وطرابلس وما حوفا، ولابد كذلك أن عمراً عرف — وهو في مصر — أن برقة حرة من مصر، وأن فتحها إتمام لفتح مصر، ومن ثم لم يكن لها من وثقة تكون من الروم أو تدير بحكمه روم بئرطة بها، ومصدق ذلك أن ابن عدي يذكر أن عمراً بدأ يجهد لفتح برقة وهو بعد على فتح مصر، فبعث إليها نغراً من حمله بقيادة عقبة بن نافع لستطعموا أحوالها ويوافوه بأحبارها، فيقول ابن عدي: «وجه عقبة بن نافع الفهري إلى روية و برقة فافتتحها، ثم توجه عمرو نفسه إلى برقة فصالح أهلها^(٢)» ولا يؤيد ابن عدي في روايته هذه غير ابن أبي دثار، إذ يشير إلى ذلك المثل الاستطلاعي إشارة صميمة في قوله: «ولم فتح عمرو من العاصم مدينة مصر والأسكندرية ثم عقبة بن نافع

(١) ابن حلدون، تاريخ، ج ٦، ص ١١٧ — ١١٨ (٢) ابن عدي، البيان المغرب، ج ١، ص ٢

إلى رقّة ورواه وما جاورهما من البلاد، فصارت تحت دعة الاسلام، وسار عمرو
 ابن العاص فمرا طرابلس^(١)، إذ يعيه من هذه الرواية أن عمر لم يكذب فرع من فتح
 مصر حتى يحل برسائل عقبة ففتح رقّة، ثم سار هو نفسه ففتح طرابلس، وهذا
 تفسير لا يؤيده المراجع ولا تستقيم به الحوادث، والأصح الذي يستقيم به الرواية
 أن يقل به تحت عقبة في مصرية صغيرة يستطاع له البلاد منه فرع هو من فتح
 مصر، وقد فرع سار نفسه فمرا رقّة وطرابلس.

لا يؤيد المراجع الأخرى ابن عدي والقيرواني في ذهب إليه، ولم يذكر لما
 أحدهما إسناده الذي يقرر روايته، ومع ذلك فليس هناك ما يتبع من قبول رأيها،
 والقول بأن عمر تحت عقبة من دفع يستطاع أحمر طرابلس وهو بعد عن فتح
 الأسكندرية لكي يتبعه إليه، نفسه رتب حين يحصل من هذا البلد، وبما في إسناده
 بعد آخر إلى القصة — يستطاع أحمرها في ذلك الحين — شاهد على ذلك
 اطمأن عمرو إلى الأحبار التي حملها إليه عقبة من دفع من رقّة، فلم يكذب فرع
 من معاهدة لأسكندرية حتى صار في حذوه يريد أولى بلاد مصر، وهي مدينة
 أنطس، فصالح أهلها على الخربة وهي ثلاثة عشر ألف دينار يدفعون فيها من
 أبنائهم ما أحبوا يمينه^(٢).

بل إن الشطبي يرى في كتاب الحمان في أحبار الزمان رواية تدل على
 أن عمرو لم يكتفوا بهذا الحصوع السريع للعرب، وإي أرسلوا رُسُلًا منهم إلى
 الصالح العربي قبل أن يخلص من فتح مصر يعرضون عليه الدخول في الإسلام
 على يديه، فاستطاع عمرو بن العاص أن يعهم ما يريدون بواسطة مترجم يقل إليه

(١) اللوس، ج ١ ص ٢٢ — ٢٣

(٢) البلاذري، فتوح، ص ٢٢٤ — ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٧ — ١٧١. ابن الأثير،
 ج ٢ ص ١٠ — الكرى، وصف أفريقيا ص ١ — ٢؛ أبو الحلاس، الحوم والبراهمة، ج ١ ص ٢٥

كلامهم فأرسلهم إلى عمر بن الخطاب ، الذي رحب بهم أحسن ترحيب لأن أحد
الحاصرين أحضره أسهم البربر أولاً ^(١) قيس .

فما سلم عمر عن عاداتهم وعلاماتهم أحضره هـ ، فسكى ، لأن النبي صلى الله
عليه وسلم ، كان قد تمنا فتح بلاد لأهلها هذه الصفات ، ثم حمد الله على ذلك ،
وعدت إلى عمرو أن يقدمهم على الخلد وحمدهم بالهدايا ^(٢) . هؤلاء البربر الذي
يسارعون إلى الفتح العربي وهو بعد على فتح مصر اعطوا إليه إسلامهم ،
لأن أسهم رحوا به حين وفد عليهم ، وبنقوه بالطاعة وقتلوا ما عرض عليهم من
الجزية طائعين مختارين .

وتذهب بعض الروايات إلى أن أكثر من ذلك ، فتؤكد أن البربر رقة كانوا
يؤدون ما قدر عليهم من الخراج طائعين مختارين لا يرسل إليهم أحدي ، وإمام
يحملونه بأنفسهم : « ولم يكن يدخل رقة يومئذ حافي خراج ، إنما كانوا يمشون
بالحرية إذا جاء وقتها ^(٣) » ويريد اللادري ذلك وصوحاً بقوله : « حدث محمد بن
سعد عن الواقدي ، عن مسلمة بن سعيد ، عن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة :
إن أهل رقة كانوا يمشون فخرهم إلى وإلى مصر ، من غير أن تأتيهم حاج
أو مستح ، فكانوا أحص قوه في المغرب ، ولم تدخلها فتنة ^(٤) » .

ربما كان أسراف البربر في التصوع للعرب دون حرب ، ومدايرتهم إلى أداء
الحرية بأنفسهم دون أن يدخل بلادهم جاب ، ونعهدهم بأن يبيعوا فيها من أسانهم
من أحبوا يبعه ^(٥) ، أدلة على أن البربر كانوا قد عرفوا قوة العرب من عراتهم

(١) كتاب الحمان في أخبار الزمان ، لمحمد الشطي نمرى ورقة ١٢٢ - ١٢٣ (لحمه خطبة
بدار الكتب المصرية) ، ولم يذكر الرواية نصها لظواهر ، ولأنها أسطورة لا يرد منها غير مساعد .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٠ - ١٧١ (٣) اللادري : فتوح السدان ، ص ٢٢١

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، اللادري ، فتوح ، ص ٢٢١ - ابن الأثير

ج ٣ ص ١٠ - البربر وصف أفريقيا ، ص ١ - ٢

الصغيرة التي كثرت أثناء حصار الأسكندرية وبعد الغراع من فتحها ، ومن الطليعة التي أرسل عمرو إلى بلادهم بقيادة عقبة بن نافع قبل الفتح ، فمحلوا ببدل الطاعة واداء ما طلب منهم ؛ ويظهر كذلك أن عمراً تحير أحسن فرصه وأمهز مذبذبه للقيام بهذا البعث حتى مرع منه على محمل ، إتحيد كرك السيوط أنه لم يذهب في بعث رقة إلا للخبيل^(١) . أما بيع الأولاد انتهى ورد ذكره في عهد الصلح مع أهل أفرقية فيعيب أنه كان أمراً عادياً متبعاً في ذلك الزمن ، فيروي دبل مثلاً أن أهل قرصنة كانوا يبيعون أبناءهم ليستطيعوا دفع الضرائب للحكومة البيزنطية ، ويقول : « وكان الموطنون يجمعون الضرائب بدقة فيها كثير من القوة لكي يقوموا بطلبات المادية الثقيلة التي كانت تنهال عليهم ، حتى أن دافع الضرائب في قرصنة كان يضطر إلى بيع أبنائه كعبيد ، وكان الملاك النسون يبيعون أراضيهم وشمسون المغرب عبد البر^(٢) » ، وبعث أن عمراً لم يعرضه عليهم من نقاء نعمه ، لأنه لم يستق أن شرط هذا الشرط في فتوحه البقية ، وبعث الأعلب أن البربر هم الذين اقترحوا ذلك فوافقهم عمرو عليه^(٣) ، ويظهر أن بيع الأبناء لدفع الجري أو إعطاء حرة من العسرية عبيداً كان أمراً شائعاً عند أهل المغرب والنوبة ، فسجد أن عقبة كان في مسيره في بلاد البربر يعرض حرية من مال وجزية أخرى من العبيد .

يبد أن تم لعمرو الاستيلاء على برقة ، بدأ يستمد عمرو ما يليها من بلاد المغرب ، وكان أمامه أحد سدين . إما أن يسير بحذاء الساحل فيستولى على طرابلس وما يحورها من المدن الساحلية مثل صرت وصره ، أو توجه إلى الداخل ليستولى

(١) البوطي ، حـ الحاضرة ، ص ٨٦ (٢) Diehl, op. cit. p 565

(٣) ولا بد من ذلك فـ كركي ؛ وكس عمرو بن نافع على نوايه في شرطه عليهم أن يبيعوا أبناءهم فيما عليهم من الحرية ، لأن كثرة الشروط تثار عليها إما كانت بعد التراضي والتعام على طريقة أداء : كركي . وصف أفرقية . ص ١١

على كثير من مراكز العمران الصحراوية الداخلية ، وهي مجموعات متجاورة من الواحات والآبار تحتها نطون من لواتة وموسة وهؤارة ، واشتهرت منها قبيلة حرمته Garamantes أبناء الرومان ، إذ كانت لهم معها حروب طويلة انتصر الرومان فيها أخيراً بقيادة كوريليوس قبل ميلاد تسع عشرة سنة^(١) .

رأى عمرو أن يقوم بالأسيرين معه ، فيسير هو نفسه للاستيلاء على طرابلس وفتح مدائنها ، وسعت فرقة من حده تحصع هذه الواحات الداخلية وتضعن له ولائها ، وربما كان دافعه إلى هذا الاحتياط أنه لم يسمع من تاريخ العلائق بين هذه القبائل وبين الروم ، وما وقع بينها وبينهم من صراع وبراع ، وما أبدته القبائل من قوة مقاومة ؛ ولما علم أنه عرف أن انتراع الساحل من أيدي الروم لا يعنى حصوع هذه الواحات أو دخولها في حوزة العرب تماماً ، إذ أن ذلك لا يمنع البربر من الغارات في الواحات الداخلية من الإبرة عليها وإحراقها من أيديهم ، فرأى أن أهمي المسائل هو كيد الفتح وتثبيتته هو الاهتمام بالحصوع البربر في الداخل في نفس الوقت لدى يقوم فيه بفتح طرابلس أو فقه قبيل .

يؤمن الأسدي زوت على ذلك ، ويرى في فتح قران وودان عملاً حريصاً مهماً ودليلاً على حكمه عمرو لدى هتم بأن يحصع الداخل قبل أن يفتح الساحل يقول : « وكان عمرو قد قد حير ، فاهتم بأن يفتح إلى قران بحمود رفاقه بين اتجه هو عمره ، فأرسل عقبه من باقر من عبد القيس النهري ، فأجمع الملاد في عهد قصير ، واحتلها حتى وبتة - روتة - سودان - ويظهر أنه لم يبق مقاومة شديدة »^(٢) ، وهذا تعيين تلك الحملة الداخلية التي درها عمرو من العاص وهو بعد في رقعة ، وتعيين الحملة الأخرى التي سيرها إلى وودان حدثت ثم نه فتح طرابلس

(١) جورج لافيه ، في دائرة المعارف الإسلامية : مادة قران

(٢) Roth, Okba ibn Nafi, p. 7

يختلف المؤرخون في بينهم على ما يوردونه من أخبار نعت عقبة في الصحراء ، ولا يكاد اتس منهم يتفقن على تاريخ واحد للده فيه أو الفراغ منه ، ثم إن ما بين أيدينا من هذه الروايات مقتضب لا يكاد يعطى فكرة صحيحة عما حدث له أو انتهى إليه .

بل إن اثنين من رواة هذه الأحداث — وهما اللادري وابن الأثير — يحطون بين أحداث هذا النعت وأحداث حملة عقبة الثانية — التي بدأت سنة ٤١ ولم تنته إلا سنة ٥٠ — على هذه النواحي ، أي حين أمر عقبة بالمسير إلى أفريقيا ، فتوجه إليها من قرص ، فيوردان روايتين لكل إحداهما لأخرى ، إذ بين رواية ابن الأثير لنواحي التي نمت فتحها وهي رواية وقرآن وودان وقدامس . وتؤكد رواية اللادري أن عقبة بعد أن فرغ من إحصاء هذه النواحي عني بأن يقيم الحكام على واصل وبقر الخرية وخراج على من بقى على دينه من هذه والصدقة على من دخل في الإسلام منهم ، وهذه أمور لم تتم ، لا بعد ذلك زمن طويل ، فلا ماض من ترك روايتهم جانباً ليوصف في موضعها من ترتيب أحداث الفتح ، على الرغم من أن اللادري وابن الأثير يوردان هاتين الروايتين في أحد حملة عقبة الأولى على قرآن وودان .

وبذا اكتفينا بما بقى بين أيدينا من الروايات بعد هاتين لم نجد إلا أخباراً مقتضبة مشبهة ، تكاد من إيجازها أن تنقشكا على حقيقة هذا النعت جملة ، فإن ابن عبد الحكم لا يريد على قوله : « ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع ، حتى بلغ رواية ، وصار ما بين برقة ورويلة لمسلمين »^(١) ، وإنما نقل السكرت عن ذلك لأنه يقول : « ولما فتح عمرو بن عقبة نعت عقبة بن نافع حتى بلغ رواية ، وصار ما بين برقة ورويلة لمسلمين »^(٢) ، ونختلف رواية ابن عذاري اختلافاً كبيراً عن رواية

(١) ابن عبد الحكم ، فتح ، ص ١٧٠ — ١٧١ (٢) الكرى ، وصف أفريقيا ، ص ١

ابن عبد الحكم، إذ يفهم منها أن عقبة خرج لفتح قران من مصر لا من بركة،
 إذ يقول «كان عمرو استفتح مصر في سنة ٢٠ من الهجرة الكريئة، ووجه عقبة
 ابن نافع الفهري إلى رويلة وبرقة (براقة)، فافتتحها ثم توجه عمرو بنفسه
 إلى بركة فصالح أهلها»^(١).

وأما أبو المحاسن فقد اكتفى بنقل رواية ابن عبد الحكم مع تغيير طفيف
 في التاريخ الذي يحدده لهذا البعث،^(٢) في حين أن مؤرخي المغرب أنفسهم كانوا
 حذرون ولذلك السلاوي لا يوردون من أخبار هذا البعث شيئاً يركن إليه، إذ نقل
 ابن خلدون والمالكي^(٣) رواية ابن عبد الحكم، وأعاد السلاوي رواية ابن الأثير
 حرفاً بحرف^(٤).

هكذا وصلنا أخبار هذا البعث الذي وجهه عمرو بن العاص إلى قران
 ورويلة موحدة إيجراً لا سكاديم عن حقيقة أمرها، محتشدة بأخبار غيرها من
 الحملات، بحيث يحس أن يكون ما حطه الرواة بها قد وقع في الحقيقة أثناء غزوة
 أخرى من غزوات عقبة القيلة.

وربما كان أصح الآراء في هذا البعث أن يقال إن قبة أحساره عند العالية
 من المؤرخين ليست راجعة إلى حمل هؤلاء المؤرخين عما وقع فيه، وإنما إلى أنه
 كان في حقيقته شيئاً قصير الأجل والمضى، لم يرد عمرو منه إلى أكثر من مراقبة
 الداخل، كما يقول روث، حتى لا يعاها بهجوم من البربر يقطعون به عليه خط
 العودة، ومصدق ذلك أن عمراً مجمل بعث فرقة أخرى لإحصاع ودر حين هم بالمسير

(١) ابن عسار، البيان المغرب، ج ١ ص ٢ (٣) أبو المحاسن، الحوام المبرقة، ج ١ ص ١٢١ ١٢٥

(٢) ابن خلدون، ص ٣ (صحة دي فرجير) ورياس انغوس نديكي، ص ١

(٤) ولا يذكر عبد الباق في نظري أو التوري، ولا يشير إليه فورس، ويغيره كودل
 صراً صريحاً، وقد ذكره مرسية، إلا أنه أخطأ فعمل عمرو بن العاص يعود إلى مصر بعد عمرو
 بركة، في حين تقدم أحد رجاله وهو عقبة بن نافع وسار بمجدها ساحل حتى أدرك قران ورويلة.

إلى طرس ، وودس من طراس كفران من رقة سواء سواء ويؤيد ذلك أن
عقمة لم يعمل فيه أكثر من الوصول إلى ميزان ورويلة والاستشف من طاعة أهله
أو حيدهم ، ثم العودة على محل مطبوع إلى أن ما بين رقة ورويلة صار نسبين .
وكان عمرو على الحق في فصل لأن ما بين رقة ورويلة إن هو إلا صحراء قاحلة
قبيلة السكان والعمران ، والاسيلاء عيب بسبب أن لا يستحق من عبادة
الرواة أكثر مما ذكروا .

- ٢ -

تتفق الرواة العربية على أن طراس كانت داحية في طاعة حريجور يوس ،
إذ يقول ابن عبد الحكم « وكان عيب أي على مرقية - ملك يقال له جرجير ،
كان هرقل قد استخضعه ، شجع هرقل وصرب اندماير على وجهه ، وكان سلطانه
ما بين طراس إلى طلمحة » ^(١) : ويقول اللادري « وكان ملكه يدعى جرجير
وسلطانه من طراس إلى طلمحة » ، ويقول اللادري « وكان عيب أي مرقية -
نظريق سلطانه من طراس إلى طلمحة » ^(٢) . سددن أودع لاندل على ذلك ، فهو
قد كانت طراس داحية في حكم حريجور يوس لأسرع لددع عيب ولعث على
الأقرب حدود من لديه لرد العرب عن عرهم ، ولكنه لم يعمل ، وكل ما حدث
هو أن أهل مدينته تخصصوا حلف سوارهم . فحاصرهم العرب فترة طويلة حتى
استطاعوا أن يعدوا إلى دحهم ، ففر بعض أهلها إلى اسم التي كانت داحية
في المدة . ومن وضح أن هذه اسم كانت مدينته تحرية .

وراء حار ثوبون مركز طراس كان شيب - من الداحية لسماسة
تذكر كرفه . أي أن سلطان حريجور يوس عيب كان قسلا أو معدما ، وأن العلاقات
كانت متصلة بين وبين عرهم من بلاد ماله ، فاحترف أهله إلى شاحرة

(١) ابن عبد الحكم ، توج ، ١٩٣ - ١٩٤ . ويرى ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ورقه ٢٠٩ .
اللاذري ، توج ، ص ٢٣٦ .

سقتهم مع بلاد البحر الأبيض ، ومصدق ذلك أن مسعد العرب يصيبون منهم
كثيراً من المال والعائث دور أن نسمع عن أية مقاومة ، مما يدل على أن أهلها
كانوا نحر ، وأنه لم تكن فيها حامية من لفت جبر بحور يوس أو الدولة البريطانية .
يتوارد أحبار فتح طرابلس في جميع المراجع على نسق واحد ، لا تكاد رواية
مها تخرج عما ذكره ابن عبد الحكم من أن عمرو بن العاص صلح حتى رل طرابلس
سنة اثنين وعشرين ، « فمر على قلعة لقي على الشرف من شرفه ، فحصرها شهراً
لا يقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من بني مذليج ذات يوم من عسكر عمرو
مقصداً في سعة نهر ، فمضوا على لدة حتى أمضوا عن عسكر ، ثم رجعوا
فأصابهم الحر فاحدوا على صفة البحر ، وكان البحر لاصف سور المدينة ، ولم يكن
فيها بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن الروم تارة في مرسلها إلى بيوتهم ،
فطر اندجى وأحصاه فوجد البحر قد عاص من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلحاً إليها
من موضع الذي عاص من البحر ، فدخلوه منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة
وكرروا ، فلم يكن للروم مفرع إلا سفهم ، ونصر عمرو أصحابه لسة في خوف
المدة ، فقلل نجشته حتى دخل عبيده ، فمعت الروم بلا عاصم في مراكبهم ،
وعزم عمرو ما كان في لدة^(١) ، بل أن لا يجدها لتفصيل عبد غيره من نور حين ،
فيقول بيلادري « ما عمرو بن العاص حتى رل طرابلس سنة ٢٢ ، فقول حتى
افتتحها عمدة ، ثم افتتحها وأصاب بها نهمان بن شون كثيرة مع نحر من نحره
فدعه وقسم ثمنه بين لمسين^(٢) ، ولا يخرج ابن حيدر عن ذلك إلا نحر ، ولم يرد
أبو الحسن علي بن نوته « لا عمرو بن العاص في السنة اثنين من ولايته الأولى
طرابلس لعرب ، وقيل في التي بعده^(٣) « ويرد لتيجي : أن عمراً أقام عبيده

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧١ ١٧٢ (٢) ابن حيدر ، فتوح ، ص ٢٢٥

(٣) أبو الحسن ، النجوم الزاهرة : ج ١ ص ٢٦

أشهر ألا يقدر منهم على شيء . وقد كانوا استعداداً غفيل من العرب يعرفون
 سفوسة ، دحوا معهم في دين الصراية ، واحتوى عمرو على المدينة ، هدم سورها
 وارتحل عنها ^(١) ، ويصفه ابن الأثير : ونظر عمرو ومن معه ، فرأى السيوف
 في المدينة ، وسمعوا الصياح ، فقبل بحشته حتى دخل عليهم البلد ^(٢) ، وبعيد
 لمؤدجات الفريسيان فوريان وكوكل بعض هذه الحوادث في شيء من الإيجاز ^(٣) ،
 ويورد لمؤرخ المعري أن أي ديار بعض هذه الحوادث بدون تغيير ^(٤) ، ولا ذكر لها
 في معالم الأيمان للدواع أو خلاصة الفية للدهي ، ولا يشير إليها الطبري وهو آخر
من المؤرخين

هذه الروايات تشبه إلى حد كبير ما يروى عن عاصيل فتح العرب الحصن
 مابليون (٢٠ هـ مارس سنة ٦٤١ م) ، إذ صعد الزبير على السلم الذي وضعه إلى
 جانب الحصن وأمرهم (أي المسلمين) إذا سمعوا تكبيره أن يحبوه جميعاً ، فما
 شعروا إلا وارتفعوا على رأس الحصن تكبر ومعه السيف . وكبر الزبير تكبيرة ،
 فأحياه المسلمون من الخارج ، فلم يشك أهل الحصن أن العرب امتحنوا جميعاً ،
 فهربوا ، وعند الزبير ، فوجهه إلى باب الحصن ففتحوه ، وانتم المسلمون الحصن ^(٥)
 ففي كلا الحالتين استطاع من العرب - الزبير أو المدحني وأصحابه - أن يدخل إلى
 داخل المدينة ويكبر مبر الوم ، ويقسم المسلمون الأسوار ، وكلت الروايتين عن
 الليث بن سعد ، وتاريخهما متفرقان ، إحداهما في سنة ٢٠ والثانية في سنة ٢٢ ، ولم
 يكتب ابن عبد الحكم هذا التاريخ إلا بعد انقضاء قرنين وبقي على هذه الحوادث ،
 أفلا يكون الأمر قد احتلط على بعض الرواة بين الفتحين فوضعوا في ثابتهما ما وقع
 في الأول؟ يعلب على الظن أن تلك هي الحقيقة : ومصدق ذلك أن كثيراً من المصادر

(١) البصاني ، رحلة ص ١٤ ، ب (٢) من الأثير ، ج ٢ ص ١١

(٣) Fournel, es Berbères, t. p 187 Caudel, op. cit I, pp 47, 48

(٤) المؤرخ : ص ٢٢ (٥) ابن عبد الحكم ، حوج ، ص ٩٦

لأنكاد تشير إلى تكبير المدعى وأصحابه وهم بداخل المدينة، وإنما تذكر أن الفتح كان
 بسيطاً: أي أن عمراً قوتل حتى افتتحها عمرة^(١). ولم يقل حداً أن تكون قصة
 التكبير قد حدثت في فتح حصن نابليون لاحتضن طرابلس، لأن المراجع كلها تجمع
 على تكبير الزبير واحتياله للصمود إلى أعلا الحصن وما إلى ذلك من التفاصيل.
 على أن التيجاني يروي تفاصيل هامة لا يرددها معه إلا ابن عذارى، فهو
 يذهب إلى أن أهل المدينة قد كانوا استعابوا قبيل من البربر يعرفون بنفوسة
 دحوا معهم في دين النصرانية^(٢)؛ أما قوله إن نفوسة دحنت في النصرانية لا تعرزه
 الأدلة من ابن خلدون أو من ربيع بن خثيم الميمنية في فريضة كما يرويه الأستاذ
 دبل؛ وأما قوله إن أهل طرابلس استنجدوا بنفوسة فاعتهم معبر مفهوم لأن كل
 المقاومة التي لقيها الجيش العربي عند طرابلس لم تعد تحبس أهل البلد خلف
 أسوار المدينة ومحاصرة العرب لهم، ثم اعتدواهم (أي العرب) إلى حوا المدينة
 من الأسوار من ناحية البحر، وافتتحهم إيها، ثم فرار من استطاع من الروم
 إلى معهم. فإين كانت معاوية نفوسة؟ وكيف كانت؟ وهل أقبل من أقبل منها
 واحتسب خلف الأسوار مع من حتمى من روم طرابلس؟ أو أن أهل طرابلس
 استنجدوا بنفوسة أثناء الحصار ولكن الحدة لم تسفل؟
 لا يبعد أن يكون أهل طرابلس قد استنجدوا بالبربر أثناء الحصار الذي دام
 شهراً على قول البعض وأشهر على قول البعض الآخر، وربما كان هذا هو السبب
 الذي دفعهم إلى الإسراع بفتح صرة ولما استقر به المقدم في طرابلس، وإلى إرسال
 نعت آخر صغير إلى ودا، لأن صرة وودان مركران من مراكر نفوسة كما يقول
 ابن أبي دبنار والسلاوي

(١) اللادري، فتح، ٢٢٥

(٢) التيجاني، رحلة، ص ١٠٤ — ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١ ص ٢

عجل عمرو بن عبد مناف إلى صرة قبل أن تنقضي أيام على استيلائه على طرابلس،
ويدعو أن أهل صرة كانوا على علم بما حل بهم أهل طرابلس، فتحصوا متوقعين مسير
العرب إليهم، فيقول ابن عبد الحكم: «وكان من سائر متحصنين، فلم
يلهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس، وأنه لما يصعب فيهم شيئاً ولا طاقة لهم أمنوا،
فما طر عمرو من العاص عدسة طرابلس حرد حيلة كثيفة من لينته، وأمرهم بسرعة
السير، فصنعت حيله مدينة سرت، وقد غلبوا وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم،
فدححوهم ثم يبع منهم أحد واحتوى عمرو على ما فيها» (١)، وهذا يتفق كثيراً
مع ما يذكره **التيجاني** في رحلته، إذ يقول: «واستغنتها عمرو بن العاص رحمه الله
تعالى أول دحوة أفرقية بعد افتتاحه لطرابلس: حرد إليها حيلة وهم آمنون قبل
أن يصل إليهم الخبر بفتح طرابلس، فصنعت حيله وقد فتحوا أبوابها لتسرح
ماشيتهم، وكان على الحيل **عبد الله بن الزبير** فدححوهم، ثم يبع من أهلها أحد
إلا أناس قلائل نوحوا في مراكبهم إلى صقلية، واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها
ورحموا إلى عمرو وأمرهم بهدمها وإحراقها» (٢)، أما **الأنباري** فيذهب إلى أن
عمرو نعت إلى صرة حرد كثيفاً لا مثلاً صغيراً «وكان أهل حصص صرة قد تحصوا
لما حل عمرو على طرابلس، فما امتنعوا عليه نظر دس أسوا واطمأنوا، فاستنحت
طرابلس حرد عمرو عسكرياً كثيفاً وسيره إلى صبره فصحبوه وقد فتح أهلها الباب
وأخرجوا موشيهم تسرح، لأنهم لم يكن بينهم حذر طرابلس، فوقع المسجونون
عندهم ودخلوا البلد مكالمة، وغنموا ما فيه وعادوا إلى عمرو» (٣)، وليس في هذه

(١) من عهد حكيم، فتوح، ١٧٣، وقد رسمتها من عهد الحكماء وهو أقرب تصفح
للرسم بالناسي لاسم هذا عهد وهو Sahrata، ويذكر كدي والادريسي ونالاية الحمريين
ويذكر بن برقيوس صرة. فكان من أوفى رسمها على هذا النحو.

(۲) حاشیہ، جلد ۱، صفحہ ۱۰۳، ۱۰۴ پر ردیہ کا علی حدیث میں تصحیح
(۳) لفظ، ج ۳، ص ۱

أرواية من حديد غير هذا العكر الكثيف الذي لا يذكره سواء من المؤرخين .
يذهب غالب المؤرخين إلى أن عمراً نعت في نفس هذا الوقت نعتاً آخر إلى ودان
جنوبى طرابلس ، أنه فيه عليه سر من أبى أرطاة^(١)

ولكن فوريل يشك في صحة هذه الأحبار ، معتمداً على ما ذهب إليه البلاذرى
من أن سراً ولد سنة ٥٩ هـ ، فكانت سنة حين أرسل في نعت ودان (سنة ٢٢
أو سنة ٢٣) ترويح بين ثلاث عشرة وأربع عشرة سنة ، وهذا يتفق مع القول
بقيدته لهذا النعت ، إذ لا يفل أن يقوده وهو بعد صبي في هذه السن المبكرة .
إذن كيف انفتحت أحبار هذا النعت لاس عند الحكم والبلاذرى واسكرى وابن الأثير
وإن خلدون وأبى الحسن ؟ وقد ذكره كلهم ، بل إن من أعمل ذكره منهم
في حية ، ذكره في هذه حملة عقبة الأولى وسيرة من قرأ إلى إفريقيا وعروه ودان
مرة أخرى ، بكل أهله قد نفقوا العهد لدى عقدوه مع سر^(٢) أحد أسرى .
بما أن يكون البلاذرى قد أخطأ في تعيين السنة التي وديها سر^(٣) ، أو أن يكون
سر قد رافق الحملة في هذه السنة ابكرة وأنه يكنى على رأسها ، وعن الرأى الأول
أرجح ، فإن إجماع المؤرخين على قيادة سر لهذا النعت ، يميل بنا إلى الشك

(١) رسمه البلاذرى سر من أبى أرطاة ، وإن عند الحكم سر من أبى أرطاة وكذلك
لكرى ، ورسمه أبو المحاسن على ثلاث صور : سر وبسر وبسر ؛ وقد أصبح سر هذا فيما
بعد من أكثر أوصار معاوية ، إذ سيره على رأس حبشه إلى مكة والمدينة واليمن ، فاستطاع أن
يلتحمها من يد علي ، وقد حى في أواخر أيامه كما يقول ابن الأثير . سر : سلاذرى ، فتوح
السنن ، ص ٢٢٨ . ومن عند الحكم ، فتوح من ١٧٣ - لكرى ، وصف إفريقيا ، ص ١٣
أبو المحاسن ، السعوم ، ج ١ ص ٢٣ - ابن الأثير ، ص ١٥٣ - ١٥٤

(٢) لكرى ، وصف إفريقيا ، ص ١٥٥ . أبو المحاسن ، ج ٣ ص ٢٥ - ابن الأثير
ج ١ ص ١٨ خلدون ص ٣ طمعه دى فرجير - من عند الحكم فتوح ، ص ١٧٢ - للبلاذرى ،
فتوح ، ص ٢٢٨

(٣) لم يرد ذكر سر في نعت لصحابة القس مروا إفريقيا الذى أوردته الساجى في الخلاصة
النه (ص ٧ - ٨) ، كذلك لم نجد في النعت الذى أوردته السلاوى (ص ٣٩ - ٤١)

في ذهب إليه اللادري ، لأن اشتراك سُير في فتح مصر وإيريقية يرجع إلى أقدم من نعت ودا ، إذ ذكر أبو المحاسن أن عمير بن الخطاب « نعت عمرو بن العاص إلى مصر ، وورع سيف أنه نته بعد فتح بيت المقدس وأردفه ناربير بن العوام ، وفي صحته سرس في أرطاة وحارجه ابن حذافة وعمير ابن وهب الجعفي ^(١) » ورواية أبي المحسن ممكنة التصديق ، لأن كلا من حارجه وعمير أقبل مع الزبير في المدد الذي نته عمر لعمره وهو على فتح مصر ، وكان لكل منهما دوره المعروف في فتحها ، وما دام أبو المحاسن قد أصاب في ذكر حارجه وعمير ، ^(٢) فالمعقول أنه لم يحطى في ذكر سر أيضاً ، ويؤيد روايته كودل ، إذ يقول بن سرراً كل من رجال حمه مصر ، فلا يحد إد أن يكون اللادري قد أخطأ في تعيين السنة التي ولد فيها سر ، ومن المعقول جداً أن يكون عمرو قد أفاضه على نعت ودا . يظهر أن المهمة التي بيّطت نعت ودا لم تكن كبيرة الخطر ، لأن عمراً صرف همه إلى النعت الآخر الذي وجهه إلى صرة ، على مرحلة من طرابلس ، إذ وجه إليها جيشاً كبيراً ، وبعاده إلى ذلك حوته من مسير سكان صرة من نفوسة إلى طرابلس لعون أهلها ، وعلى أي حال فإن نعت ودا لم يعمل أكثر من أن عقد معاهدة مع نفوسة في ودا ، ولم ترد له أخبار خاصة عن هذه المعاهدة ، وربما يكون سر قد صالحهم على أن لا يهاووا الروم واكتفى بذلك .

لم يتم فتح إقليم طرابلس بسقوط صرة ، إذ بقي من مدنها الكبرى جربة في جزيرة جربة (Memmx) وفاس (Tacapes) على حدود أفريقيا ، وبق كذلك عدد من المسالط والخصون مثل حرجس (Orgis) ^(٣) ولكن الروايات العربية

(١) أبو المحاسن ، انجوم الزهرة ، ج ١ ص ٢٣ (٢) كان عمير أمير النعت الذي أرسله عمرو لفتح ديباط ، وحارجه أمير نعت الذي أرسل إلى الصمد : حضر : فتح لرب لحصر ، لترجمة العربية ص ٢٠٣ (٣) Diehl, op. cit. p. 229

تذهب إلى أن عمراً - بعد أن تم فتح صرة - أرسل إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في فتح إفريقية، ولو قد وجد عمرو التقدم مسوراً يتقدم في غير عاء دون أن يستأذن عمر، ولكن الغالب أن ما لي صرة من اللاد والاسلح، كان محصاً بالحد بحيث وجد عمرو صرة الاستعانة بمداد حديدة، حتى يتمكن التقدم؛ ويمكن أن نعلم من هذا أن ما لي صرة من اللاد كان محص عدية حريجور يوس؛ حصته وأقام فيه الحسد، وإذا عرف أن العرب كانت ترى في حريجور يوس حاكم العرب جميعه، فهما السب الذي حدى عمرو إلى الوقوف للاستئذان في فتح إفريقية.

بإذا كما عرف أن حريجور يوس لم يكن بهم قبل ذلك تأمين حدود بلاده في الشرق أو الجنوب، وأنه، ككتي بالتحري في سيطرة مد أعين المعصين على الدولة وادعى الأمر، طورية، في الذي حدا به إلى تخصيص لمد على صرة والاستعداد فيها؟ لاشت أن أحذر التقدم العربي في مصر وصلته فصارع تأمين الحدود الشرقية ليكون له سب حصة قوية يتلقى عنده حمة العرب الأولى، ويردهم عن بلاده الحقيقية في ولاية إفريقية وما إليها، بل يظهر أن حريجور يوس استعد استعداداً كبيراً في قانس، لأن العرب سبتحاشوها عندما بشرعون في غزو إفريقية في حمة عند الله من سعد، بل سيقصدون إلى سيطرة رأساً، ولو قد وجدوا الاسيلاء عليه هيماً لأحدوها في طريقهم.

كان طبعياً أن لا يبدؤ عمر بالاستمرار في الفتح، فإنه كان يخشى أن تنزع الفتوح المتتالية بالمسلمين إلى حد غير مأمون، وقد كان رأيه الأول أن تقف الفتوح عند حدود فلسطين، فكيف وقد تم فتح مصر ورفقة ووصل حد المسلمين إلى طراسس؟ المعقول أن يرفض التقدم رفضاً تاماً، ولا عراية في أن يقول ابن عبد الحكم: «أراد عمرو أن يوجه إلى العرب، فكتب إلى عمر بن الخطاب

— كما حدث عند الملك بن مسعدة عن ابن طعيمة عن ابن هريرة عن أبي تميم الخيشاني —
 أن الله قد فتح علينا ؟ طرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا سبعة أيام ، فإن
 رأى أمير المؤمنين أن يعرفها وفتحها الله على يديه ، فعل ، فكتب إليه عمر : لا ،
 أنها ليست إفريقية ، ولكنها مفرقة ، عاذرة (العاذرة) معذور بها ، لا يعرفها
 أحد ما بقيت ^(١) وهي رواية نقلها عنه أكثر المؤرخين ، ثم عاد فأكّد
 ذلك رواية أخرى عن ابن طعيمة أيضاً : حدثتني الأسود بن الصخر عن عبد الحميد
 حدثتني ابن طعيمة عن أبي قيس ، عن مرة بن ليث شرح (بشرح وهو اسم معافى)
 المعافى قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : « إفريقية المفرقة ثلاث صرات ،
 لا أوجه إليها أحداً ما بقيت عبي الله » ^(٢) ، وفي رواية البلاذري زيادة طعيمة تدل
 على أن بعض الأحرار عن أحوال إفريقية السياسية وعن تاريخها كانت قد انصبت
 عمر إذ ذاك ، يعرف أنها ليست مضمونة لطوبى ولا مضمونة الفتح ولا مربية الطاعة ،
 فمحل يفتقر عمرو ، وذلك إذ يقول : « وكتب لي عمر بن الخطاب أن بينها وبين
 إفريقية تسعة أيام ، واستأذنه في عروها ، فكتب إليه يهدها ، وكتب إليه
 أنها ليست إفريقية بل مفرقة عاذرة معذور بها ، وذلك أن أهلها كانوا يؤدّون
 إلى ملك الروم شئاً فكأوا يعدّون به كثيراً ، وكان ملك الأندلس صالحهم
 ثم غدر بهم ^(٣) » .

ويبدو أن جهد المسلمين لم يقف عند هذا الحد ، إذ يذهب البعض
 في « رياض النفوس » إلى جند أن المسلمين وحبيهم لم يقف نشاطهم عند صبرة ،
 بل أشقوا يعمرون على حدود إفريقية في جرائد الحيل ، كما كانوا يصنعون بعد تسليم
 الاسكندرية ، وأنهم كانوا يعدّون منها بالعالم ثم ابوا مرة ، وأنهم أقاموا على ذلك

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٢ (٢) عن المصدر ، ص ١٧٣

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٥

حتى ولاية عبد الله بن أبي مروح وقيامه بمحكمة على إفريقية سنة ٢٧ هـ^(١)

إلى هنا ينتهي دور عمرو بن العاص في فتح إفريقية ، وهو دور ليس بالكبير كما رأينا ، ليس فيه مواقع عظيمة ولا سياسات بعيدة الأثر ، إنه هو تقدم سهل في بلاد نديبة المقومة ، وللاحظ أنه حرص دائماً على أن يكون مقره من الساحل لا موعلا في الداخل كما سيفعل كثيرون ممن سيأتون بعده ، وأنه اهتم كذلك بأن يؤمن الداخل في نفس الوقت بهذه المعوث التي كان سعيها قبل أن يتقدم أو بعد أن يستقر له أمر الشاطئ : لم يكذب فتح برقة حتى تمت عقدة بن دافع في بيت قراب ، ولم يكذب حتى فتح طرابلس حتى أرسل سرا في بمشوط ، هذه السياسة الحكيمة سبيلها أكرم لقواد الدين أتوا بعده وهو عقدة بن دافع ، فكان إصهارها سبباً في صياع جهوده كلها هناك بل في موته هو ، وانتقص إفريقية كلها انتقاصاً تاماً .

بقي تحديد تواريخ هذه الأحداث ، وليس بين المؤرخين اختلاف كبير في ذلك .

يذهب البلاذري إلى أن فتح برقة كان في سنة ٢١ هـ^(٢) .

أما ابن عبد الحكم فيجعل فتح برقة سنة ٢٢ هـ ، ونقل عنه ذلك ابن الأثير ونقل عنهما كودل^(٣) .

أما اليعقوبي فيجعل هذا الفتح سنة ٢٣ هـ^(٤) ، ويؤيده في ذلك ابن خلدون

(١) المالكي ، راس العوس ، ورقة ٤ ، ابن عبد الحكم ، موح ، ص ١٧٣

(٢) بلاذري ، موح ، ص ٢٢٣ (٣) ابن عبد الحكم ، موح ، ص ١٧١

ابن الأثير ، ص ١٩ ، ٨١ ، p. 81 ، Caudel op cit. I.

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ١ ص ٢٢٣

ونقل عن الأخير دى سين^(١) ، ويتفق أبو المحسن والكبرى مع البلاذرى^(٢) .
 كان الفرع من فتح الاسكندرية في النصف الثاني من شهر سبتمبر
 سنة ٦٤٢ م ، إذ في السابع عشر من هذا الشهر كان سطول سيودور يحل دلاعه
 ويرفع مراسيه ويسير إلى قبرص ثم كان عبه من قول جيش الروم يعرف عليه
 الأسى^(٣) ، والمعروف أن عمر شرع في غزو رققة بعد ذلك مباشرة ، وأن سبتمبر
 من سنة ٦٤٢ م يوافق دى القعدة من سنة ٢١ من الهجرة ، فهل انتظر عمرو
 ابن العاص ، حتى أنهت سنة ٢٢ وشرع في السير إلى رققة في الشهر الأخير من
 سنة ٢١ ؟ أعب الظن أن عمر لم شرع في السير إلى رققة بعد إخراج من
 الاسكندرية ، بل يعقوب أن تنظيم أمور الفتح وإعداد المدة جاء على
 معلومات التي حمدا عقبة بن نافع إليه ، كل ذلك شغل عمر الشهرين الأخيرين
 من سنة ٢١ ، ثم بدأ فتح رققة إلا في أوائل سنة ٢٢ م ، وسنجد أن يكون قد
 قضى سنة ٢٢ بأسرها في مصر ثم شرع في السير إلى رققة سنة ٢٣ ، وبدن رأى
 أن عدد الحكم وأن الأثير هو لأرحح ، ولم يحطى . كودل في مقابلهما في ذلك ،
 ولم يحطى . البلاذرى وأن حدوده ويموت ودى سين كثير ، إذ لا يعد أن عمر
 بدأ يستعد ويرسل الطلائع إلى المغرب من أواخر سنة ٢١ م .

فإذا كان فتح رققة قد تم في الشهور الأولى من سنة ٢٢ ، فلا يستعد أن
 يكون عمرو قد وصل إلى طرابلس في حلال سنة ٢٢ ، أو في أواخرها ، وإذا
 عرفنا أنه بقي على حصاره شهراً على قول المعص وبعة أشهر على قول المعص
 الآخر ، كل معقولا أن يكون تسلم طرابلس قد تم في الأشهر الأولى من

(١) حدود، ص ٣، سنة دى ب حبر De Slane J. A. Tome XII, p. 422, Ve sene

(٢) أبو المحسن ، معجم راحة ، ج ١ ص ٢٣ — الكبرى ، وصف إفريقية ،

ص ١٤٥ — البلاذرى ، فوج ، ص ٢٢٢

(٣) عجل ، فتح حرب مصر . (لترجمة العربية) ص ٣١٧

سنة ٢٣ هـ^(١) ، ثم عُقب ذلك فتح صرة قبل نهاية هذا العام ، لأن المعروف أن عمرأ عاد إلى مصر قبل أن يقتل عمر بن الخطاب (وكان مقتل عمر في ٢٣ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ) .

فإذا صح هذا ، يكون فتح ورا من بدأ خلال سنة ٢٢ هـ وانتهى في الشهر الأول من سنة ٢٣ هـ ، وعاد عقبه قبل منتصف سنة ٢٣ هـ ، لأن عمرأ عاد إلى مصر حوالي ذلك الوقت تاركاً إياه في رقة

ويذهبى كذلك أن يكون فتح ودين ، لدى كان مع حملة صبره في فترة واحدة ، قد تم في الأشهر الأولى من سنة ٢٣ هجرية .

(١) في أواخر سنة ٢٢ هـ إذا صدقت رواية الدعي وأصحابه ، وفي أوائل سنة ٢٣ هـ إذا كانت مجرد أسطورة .

الباب الثالث

المحاولات الأولى (١)

رحلة عبد الله بن سعد بن أبي سرح

اضطر عمرو إلى الانصراف عن إفريقية مرعياً ، ولعل السبب في ذلك لم يكن مجرد رفض عمر ، إذ لم تكن ولاية طرابلس قد سقطت سقوط « صرة » ، ثم إلى أمام المسلمين عدد من مدائنهم مثل « قاس » من غير فتح ، ولو قد أرس عمرو في نفسه وحشته القدرة على التقدم ، لم أعوره الإذن من عمر ، إذ المسافة بين طرابلس وصرة أكبر من المسافة من صرة إلى قاس ، ولما كان قد حطاً الخطوة الأولى غير استئذان ، فلم يكن عليه أن يخطو الخطوة الثانية لو كان ذلك مسوراً له ، ولكن العاقبة أحسن أنت الخطوة التالية تحتاج إلى عُدّة جديدة وعدد كبير ، فحسب أن سأل عمر في الفتح ، تمهيداً لطلب المدد إذا أذن عمرو في ذلك ، وقد يكون عبوه وطلانعه^(١) قد نقلت إليه أحجار ما يليه من البلاد إلى العرب ، وأعلمته أن لا يحصى من عُدّة وافية وقوة جديدة ، يتقهر ما عساه يلقاه من مقاومة عند قاس وما فيها

جرير
يستعد
لقاء المسلمين

طبعي أن يكون حربهم ، ومن قد أحسن باخطر حين بلغت أساء وقوع صرة في يد العرب ، وانسحب طلائع حدهم بين محارس الحدود وتغورها ، وكان سلطانهم على هذه النواحي خاصة ضعيفاً ما يزال ، إذ لم يحض وقت طويل على انفصاله^(٢) عن

(١) تجمع المصادر على أن عمر كان تحت سلمي في حرائد حين ، فيصوبون من أعراف إفريقية ويسبون ، في ظاهر الأمر ، ويستطعمون الأحوال ويعربون قوة أهل إفريقية في حقيقته . أنظر : ابن عبد الحكم ، ج ١ ، ص ١٨٤ و ١٨٥ ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ - البويري ، نهاية الأرب ، ورقة ١٦٣

(٢) كان حروجه سنة ٦٤٦ م أي في الوقت الذي كان العرب فيه في طريقهم إلى بلاده ، ولما دأبته فصي قبه هذه سنة و في سنها في ترمب شلوه ، ويعد أن يكون سقانه إلى سبيطة ثم سم لا خلال سنة ٧٤٧ م ، أي من موقعة سبيطة بضعة شهور .

الدولة وعلانيته نفسه إمبراطوراً . فكان محتجاً إلى فصحة من ابوت حتى
يعرر دولته الجديدة ويقوى جاسه ، وكان رمزاً عليه أن يدل جهده حتى يصمن
ولاء أهل أفريقية ويطمئن إلى عوهم أمام لدولة البيزنطية وغيرها .

يذهب دال إلى أن حريجور يوس لم يبق إلى العرب بالآلى أول الأمر ، وأنه
لم يتخذ الأهمية يدهم إلا حين شرف بحود عند شة من سحر على تخوم بلاده ^(١) ،
ويدو أن هذا رأى ليس صحيحاً على إطلاقه ، لأن احتياده سبيله كفاية مؤقتة
بني ، وأنه كان يتوقع شت من ناحية الشرق ، وكان أراد من الترحيل إلى الدحل
بحر الداح ، وأنه رواتحور ، سكال أمامه من الحصور وهو غر وأقوى ^(٢) ،
ثم كيف يقد ب رجال مثل حريجور يوس شتهر بالعدرة والغيرة ، كان يحمل
ما حدث في رقة وطرس ، أو حتى عن بيت العرب وهو يراهم يساحون من بلد
إلى بلد ، وهى دى حينهم بطرق أبواب بلاده وترع أهله ؟ كيف يقد به عمل
عن ذلك وله العيون في رقة وطرس ، والأرصاد في القسطنطينية يهون إليه
أخبار الإمبراطورية كبره وصغيره ؟

لأن أن حريجور يوس أحسن بالخطر بقل من اشرق ، فاشت شحور منه ،
وما كانت قرطاجنة في أقصى البلاد شمالاً ، فقد حاف إلى هو بى فيها أن يحصر
بين محوم العرب من الشرق ومحوم البيزنطيين من الشمال ، ثم به كان يعول
على نصر انهم وعوهم ، فحاف أن شحور فيهم ، واستقر رأى به آخر الأمر

(١) نفس المصدر والصحة .

(٢) تقع سبطلة على الطريق الذى يؤدى من سهل ساحلى إلى جبال الأورس ، وهى
أول حصون الحصنة ، وتقع على الطريق الذى يؤدى من سوسة إلى نغست Theveste
فاحتيرها بدل على أنه كان توقع الخطر من ناحية الشرق ، فترس لثقلين من السهل والحصنة ،
ولو لم يكن ينظر خطراً من اشرق لأحاز نغست وهى ماصه الخريه لهذا الإنظم وموقعها
لا يدانى وحصونها لا ترام .

على التفهيم إلى الداخل والتحصن في أحد حصون القصة^(١). فاحتار سبطالة التي
تشرف على السهل الساحلي لذلك العرص ، ورعاهت جداً إلى الحدود
مسكرت عندها ، فلم يجسر عمرو على تحطى هذه الحدود ، وأدرك أنه لابد له من
مدد حديد ، فمعت يستأذن عمر ، وربما حصن بعض ثغوره الشرقية كقاس ،
لأن المسلمين وحدوده على الأبهة للقائهم حين أدركوها ، وقد تحصن أهلها حلف
أسوارها ، فلم يتمكنهم الاستيلاء عليها

لم يجد عمرو بداً من الاستعانة والتراجع ، فطوى كعبه وانصرف عائداً
إلى مصر ولست بها حتى عزله عنهم عنها بعد الله من سعد بن أبي سرح سنة ٢٥هـ^(٢).

كيف كان حال رقة وطرابلس خلال السنوات الأربع التي انقضت بين
انصراف عمرو وإقبال عبد الله بن سعد؟ (٤٣٣هـ - ٤٢٧هـ)

برقة
وطرابلس في
غاية المسلمين

ثم بعد ذلك لمراجع العربية أو لأحسية شيء ثبت عن ذلك ، ولكننا نستطيع
أن نلاحظ بضع ملاحظات توصلح هذه ناحية . من الثالث أن عمراً حلف عقبة
ابن رافع على إفريقية ، وبعد أن لمث هذه الفترة في رقة ، لأن عبد الله بن سعد
سيجده في هذه المدينة بعد ذلك تقبل عندما تقبل سنة ٢٧هـ ، وربما أنفق عقبة
وقته في التردد بين القنائل الصادرة حوالها والواحات القريبة منها ، مما يدل على أن
رقة وما حولها ظلت على طاعة المسلمين طوال هذه الفترة .

أما طرابلس وما بينها فالراجح أنها ارتدت عن طاعة العرب ثم انصرافهم

(١) يدكر أن عمرو بن العاص تقدم حتى أدرك تخوم إفريقية ، فوقف عندها ،
ولم يجسر على تقدم فيها ، لأن موكنها كثيرة وأهلها في
وأكثر ركوبهم الخيل : ابن عساقري ، البيان ، ج ١ ص ٣٣

والعالم أن ابن عساقري لا يعني بذلك أن عمراً حلف من أهل البلاد الآمين ، وإنما لا بد
أنه وجد هناك حدة كثيرة فأخذها . (٢) الكندي ، نقضه والولة ، ص ١١

عها ، ويعتد أن يكون عقبة قد أهل شأنها ولم يكن بأن يحفظها لمسلمين ، بل يظهر أن أمداداً جديدة وصلت إليها فاستطاع أهلها أن يعوضوا ما حصره حين استولى العرب على مدينتهم سنة ٥٢٣هـ ، فقد جاء في نهاية الأرب « حكى أبو هري .. فوالله إن لطرانس ، وقد أمنت من سها من الروم ، وقد تحصنوا ما تحصروهم : ثم كره عبد الله أن شتم بذلك عما قصد إليه ، فأمر لئس بالرحيل ^(١) » ، وتؤيد ملكي ذلك قوله « وتخصن أهل طرانس ولم يمرضوا ولم يهجم ^(٢) » ، مما يهم منه أن مدسة كانت إذ ذك أحصى مما كانت عليه قبل ذلك سموات أربع حين حاصرها عمرو بن العاص واستولى عليها ، ولا يعمل هذا التعبير إلا بأن الأمداد كانت تصل بمدينة وتعين أهلها على إعادة تحصينها ، وقد ذهب كودن إلى أن امتنع طرانس على العرب في حملة عبد الله بن سعد كانت سنة أن الطرانسيين اتفقوا لمروءة العرب الأولى ، فرادوا بأسوار مدينتهم عناية ، وأفموها من حديد ، فامتعت على عبد الله بن سعد في عروته على إمر بقيقة ^(٣) ، وكل ذلك يدل على أن طرانس عادت سيرتها الأولى بعد انصراف عمرو عنها ، وأن الأمور عادت فانصت بينها وبين بلاد الروم ، وأحدثت الفس تصل مياهاها بالنابحر والحيد وتفتح عنها ، وليس بعيداً أن أمداداً كانت تصلها مما يجودها من البلاد . وعلى أي الأحوال ، نستطيع أن نستنتج من امتناع طرانس على عبد الله أن سعد أنها خرجت عن طاعة لمسلمين وعادت إلى ما كانت عليه قبل غزوة عمرو بن العاص لها .

أصبح عبد الله بن سعد بن أبي سرح عاملاً على مصر منذ سنة ٥٢٥هـ ، ^(٤)

(١) أبو هري ، نهاية الأرب ، ورقة ٢-١ (٢) ملكي ، رمان البعوس ، ورقة ٢

(٣) Caudel op cit II, 60 (٤) كسدي ، لقضاء والولة ، ص ١١ ان حصر

مطلق اليد في شئونهم المالية والإدارية بعد عزل عمرو عنها ، وأصبح نعتاً
لذلك - حاكماً على ما بقي من مسميين من فتوحهم في إفريقية ، فالتدأ على من يخرج
من الجند لإكمال الفتح بها ، وهذا هو وضع سياسي الأول لإفريقية ، إذ اعتبرت
حراً ، ملحقةً بولاية مصر بحكم عامل مصر ، يخفى حراحتها ويعود حذرها

يلقى أن يحمل حدثاً وصلاً بين عبد الله بن سعد في إسلامه الأول وعند الله
ابن سعد في إسلامه الثاني ، لأن ووديع تميم أن ارجح يختلف كثيراً في الدور الأول
عنه في الدور الثاني : فعند الله بن سعد الأول في وقوع لا تكاد يحس فهم الأشياء ،
فيستبين شقة رسول ، ويؤثر فيه دعاءت قريش ، ويحبب عنه صعر الس
عظيمة التي الكريم ، فلا يثبت أن يرتد إلى الشرث وبنو سميته في أحضان
قريش ويقول في رث « كان يتي على عمرو حكيم ، فقول . أو عيم أو حكيم
فيقول ، كل صواب ^(١) ، فلا سأل أن يفتى على رسول كدما بحادثة قريش
في كانت تتحد من الأساليب المقصود على الإسلام ، أما عبد الله بن سعد الثاني
فحمدي ناسل وبق الإيمان كامل الشعور بحلال الإسلام وسماعته ، شهد فتح مصر
واحتطها ، وكان صاحب ميمه عمرو في فتحها ، وكانت له مواقف محدودة
في الفتوح ^(٢) ، وتؤكد المويري أنه : « حسن إسلامه ولم يظهر بعده ما يسكر ،
هو أخذ القلاء وسكره من قريش ^(٣) . » وقد حط مؤرخون في الحكم عليه ،
لأنهم أحذوه بحريرة فعنه الأولى ، فانكروا عليه كثير من فضله في فتح إفريقية ،
وسب أكثرهم هذا ، فعصل إلى عبد الله بن الزبير . ويظهر أنهم تفرقوا كثيراً
بالدعاية الواسعة التي نذرها عبد الله بن الزبير لعنه حين أصبح خليفة ، فصاع

(١) نهدي لأسامة القرني ١٠٩ من ١٢٩ (٢) الإصمعي ١٠٩ من ١٢٩

(٣) نهاية الأرب ، القويري ، من ١٦٢

حط أن أنى سرح بين جريرة الارتداد ودعاية ابن الزبير ، بل يبدو أن قرابة
عبد الله من عثمان قد قللت من شأنه في حساب التاريخ ، إذ سب ما كسب من
توفيق إلى أحواله المحظية (بالرياض) لا إلى مواهبه الشخصية ، وخاصة من سوء
ظن الناس ما أصاب كل ولاية عثمان وأشيعه ، فكان قبيل الحط عند المؤرخين .

التهديد لفتح
إفريقية

لم تنكد ولاية مصر سنتب لعبد الله بن سعد حتى بدّ يهدهد لعمر بن عمرو ، فحدث
« يبعث المسلمين في حرائد الحبل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو ، فيصيبون
من أطراف إفريقية ويضمون »^(١) ، ويضيف الويرى أنه « كان يكتب بذلك
إلى عثمان » ، مما يدل على أنه كان يرحو أن يمتحنه عثمان الإذن بفتح إفريقية وعدمه
تأثيره من القيام بهذا العمل العظيم ، ويبدو أن عثمان نفسه كان يميل بمصر لميل
إلى إجابة عبد الله بن سعد إلى ما يريد : إما بكتابة منه في عمرو الذي كان مقيماً
إدراك بالمدينة ممدداً عليه وعلى واليه الحديد على مصر ، وإما رغبة منه في تعريض
سركر أحيه في الرصاعة مفتوح عظيم كفتح إفريقية ، ولكنه كان متردداً متحوماً ،
لأن رفض عمرو من الخطب لهذا الفتح كان له معناه ، وما كان عثمان يفتي بمحمد
لمسلمين إلى هذه البلاد « لمعرفة العادرة »^(٢) ، إلا إذا استوثق من أمره ، ومن
على جده وعلى أحيه شر هزيمة قد يكون وراءها ملاءة عظيم .

عبد الله بن
سعد يستأذن
عثمان

وكان ابن أنى سرح قد « كتب في ذلك إلى عثمان ، وأخبره بقرهم (أي قرب
الروم) من حور المسلمين ، ويستأذن في غزوها »^(٣) ، فشا عثمان يستشير
الصحة وأصحاب الرأي ، وبدأ أحد ما رواه مالك والويرى ، ثلث أن عثمان
اهتم اهتماماً عظيماً بامر إفريقية ، وأنه أطل لتفكير في شأنها ، ويتضح ذلك

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٣ وسويرى ، ورقة ٢٢

(٢) الاستدري ، فتوح ، ص ٢٢٦ (٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٣ الاستدري ،

فتوح ، ص ٢٢٦ ، المالكي ، رياض النفوس ، ورقة ١

من رواية المالكي عليه طاع القصص ولكن لا تخلو من دلالة لها معها ، قال :
 «حدث عن مسور بن محزمة عن طريق ابرهيم . قال مسور : خرجت من مبرلي
 نيل طويل أريد المسجد ، وداعني . رضى الله عنه في صلى النبي صلى الله عليه
 وسلم صلى فصليت حقه ، ثم حبس فداء ابلا طويلا حتى أدن المؤذن ، ثم قام
 مصرا إلى بيته ، فقبض في وجهه فمات عنه فقال : يا ابن محزمة ! وانكأ
 على يدي - إلى استغرت الله تعالى في لينتي هذه في نعت الجحوش إلى مرقية ،
 وقد كتب إلى عبد الله بن سعد يحذر تحجرة مع المشركين وعلمهم وعرب حورهم
 من المسلمين ، فقلت : حار الله لأمر المسلمين ، قال فما رأيك . ابن محزمة ؟ فقلت
 اعروهم . فقال : نفع اليوم الأكار من نجات رسول الله صلى الله عليه وسلم
 (واستشيرهم) . فاحموا عليه نعمته . أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته^(١) . سب
 المالكي هذه الرواية الطويلة إلى ما أقدى مما يحمل لأشئ سيلا إليها ، لكثرة
 ما ينسب للواقدي ويندح عليه ، ولا بدري كيف حققت هذه الرواية القصصية
 عن الليث بن سعد أو ابن لهيعة أو عبد ملك بن معة ، وهم ثلاثة المحدثين الثقات
 الذين لا يفتأ ابن عبد الحكم أخذ عنهم . وعلى أي الأحوال فليس هناك ما يدعو
 إلى رفض تلك الرواية جملة ، ولا أقل من أن نأخذ بمعناها جملا ، لأن الثقات
 شهادة البلاذري وابن عبد الحكم^(٢) أن عثمان استشار الصحابة في غزو مرقية ،

(١) للبلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٠ ومن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٧

(٢) من يريد مالكي يذكر أن عثمان عهد منه بحسن نعت هذه مسألة ، فيقول روى به
 من ابن محزمة . قال (أي عثمان) مات عبدا وطليعة ولريمي وناس ، وذكر رجلا ، فقال
 بكل واحد منهم في المسجد ، ثم دعا لأعور بن سعيد بن زيد فقال له عثمان : ما كرهت يا ابن الأعور
 من نعت الجحوش إلى مرقية ؟ قال له سمعت عمر يقول : لا أعربها أحد من المسلمين ما حجت
 عيسى بناء ، فلا أرى لك خلاف عمر ، (فقال له عثمان) ، والله ما خافهم وإسمهم لراصون أن
 يبروا في مواضعهم فلم تحبب أحد من شاوره غيره . وفي هذا ما يدل دلالة واضحة على أن
 عثمان كان شديد ليل إلى إتمام هذا الأمر ، وسواء أصدق المالكي أو كذب في رعم —

وأمر أني قد ثابته على المعروف عليه . فكتب إلى عبد الله في سنة ٢٧
ونقل سنة ٢٨ ونقل ٢٩ ينصره بعروها (١)

ويظهر أنه كان لا يهتم الخليفة بهذه العراة أترد . فتقاطر الناس من مختلف
القبائل للاشتراك فيها ، وقد يكون دافعهم إلى هذا التهاوت الأمل في العسم ، بوفرة ما عزم
المسلمون في تعوهم الأولى ، إلى حرقه وطرائس وفلة ما تقو من المقاومة ؛ وكان
على رأس كل قوة من كبرائهم . واندماج في سنك الحنة من تعبير من مشاهير
الصحابية وأولادهم (٢)

من امر د عثمان بكل من ذكر من بعده . بفعه سوجه على بعرو . بين فرائض ابن ثمان
على أن عثمان من جهده كبراً لإعداد هذا بيت . وأنه أحد سبب اس لا يشارك في هذه الحنة
أنظر : المالكي ، رياض النفوس ، ورقة ٢

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٦

(٢) كان هذا الجيش يسمى جيش سادة لاشتراك عبد الله بن سعد وعبد الله بن الزبير
وعبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن زيد في الخطباء ، وعبد الله بن عمر في الخطباء فيه
وقد خرج فيه من بني هاشم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عباس ومن بني عتبة عبد الله
بن أبي بكر وعبد الله بن طلحة في عتبة من قومه ومن بني عدي عبد الله بن عمر في الخطباء
وعبد الله بن زيد في الخطباء وعبد الله بن عاصم في عاصم من قومه ؛ ومن بني أسد عبد الله بن أبي
عبد الله بن زبير في عتبة من قومه . ومن بني سفيان عبد الله بن عمرو بن عاصم وعبد الله بن
ابن السائب بن ودعة في عتبة منهم ومن بني أمية : مروان بن الحكم وأخوه حارث .
ومن بني دهرية : حنوز بن محرم بن حنوز وعبد الرحمن بن أسود بن عبد بوث . ومن بني عامر
ابن أبي سفيان بن عامر بن هشام بن أسد بن زينة ، وعتبة من بني هاشم منهم أبو ذؤيب
حويلة بن خالد الحنزي . وعبد الله بن أسد بن زينة بن عمرو بن معاوية بن حديج ورويع
ابن ثعلبة وأورمة بنو وعنه من بني عكرمة . ومن جهته . سفيان بن زينة . ومن أسلم :
ثعلبة بن زينة . وثعلبة بن زينة . وثعلبة بن زينة . وثعلبة بن زينة . وثعلبة بن زينة . وثعلبة بن زينة .
وعمر بن حنيفة ، ومن كتب من عمر وأرجنته ، وكانوا آخر من قدم على عثمان وأبداً معرسون
بالخرف ، و لحرف على ثلاثة أمال من بنيهم ، وهما بن علي بن عباس على لاندماج في هذه
الحنة ، إذ شترك فيها معظم عائل سكينة ووجد إلى إفرعية من مشاهير العرب وكبر
الصحابية ، وربما كان بعض هذه الأسماء مدحولا . جعده مؤرخو العرب للعظم من شأن
لأمر ببقية ، ودليل على ذلك أنه لم يرد معصلاً ، لا في كتبهم كبريس نفوس ومعام الإمان والخلاصة
النبية . ولم يورده من مؤرخي انشرف إلا من أحد عنهم كالبخري . أثير . مالكي ، رياس
ابنوس ورقة ٢ — سوري ، نزهة الأرب ، ورقة ١٠٢ أ و ١٠٣ ب و ١٠٤ أ

ويبدو أن عثمان استمر يدعو الناس لعروا بقرينة صفة أيام ، وأن المتطوعين كانوا يتوافدون إلى الحرف على ثلاثة أيام من مدسة ، وكان لا يبي يشجع الناس على التطوع ، فعان الجيش ضعف غير من ماله : يحمل عليها صفاء الناس ، وحمل على حيل ، وقرق السلاح وأمر الناس بأعطيتهم وذلك في الحرم سنة ٢٧ هـ^(١) .
ولما اكتمل الحش « خطب عثمان الناس ورعهم في الجهاد ، وقال لهم : لقد استعصت عليكم الحديث من الحكماء إلى أن تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الأمر إليه ، واستودعتكم الله »^(٢) . وهذا يدل على أن عثمان لم يرح معياً بأمر الخلة دلاً جهده في بعده وإعده ، حتى فصلت عن المدسة .

— ٣ —

وصفت تلك القوات إلى عبد الله بن سعد في مصر ، جمع إليها ما كان لديه من الخمد ، وقصره حش عدته نحو عشرين ألفاً ، ورواة ، واستحلف على مصر عقبة بن عامر الجهلي ، ومضى هو إلى إريقية^(٣) .
تختلف الرويات في شأن هذه القروة اختلافًا بيناً ، ومن اختلاف مقصوراً على مير الأحداث وتوقيتها ، وربما بسوا الأحداث نفسها ، فمحدث في بعض الروايات أشياء لا تجد في روايات أخرى ، بل إن بعض مؤرخي هذه الفترة كالنسكي ، يحرص ثلاث أو أربع روايات للمحدث الواحد مدس تدياً شديداً ، فيحسن أن نوجز ذكر ما ثبت صدقه من أحداث هذه الحقبة ، ثم نعرض بعد ذلك لما يكون من أقوال المؤرخين مناقشتها :

تتفق الروايات كلها على أن عبد الله حاصر طراس في طريقه ، ثم استصوب

(١) السويدي ، به الأثر ، ورقة ٦٣ (٢) عن نصر وسمعه

(٣) الكندي : القصة والولة ، ص ٩٣ — ٩٤

وقد أخطأ النويري فذكر أن عبد الله بن سعد حلف على مصر عقبة بن نافع ، لأن عقبة كان لا يزال بدمرعة ، وسبق قواب من أم سرج في بركة : النويري ، ورقة ٦٣ أ

أن يصرف عنها كمال الوقت ، وكذلك فعل عبدوس ، وأنه التقى بحريحور يوسف
ومن معه من جنود عمال قرط من سنتطلة يسبه بلادري عقوبة ، فدارت
الدائرة على ابرو ، وقتل حريحور ومن وقفهت جموع ابرو منبهة في حصن
في الشمال يسمى الخم (الأنحة) Thysdrus ، فحصرهم فيه مدة طويلة أسرعوا
بمعه إلى طلب الصبح ، وكانت حسنة قد حلت تخرج نوحى ولاية إفريقية
في هذه الأساء ، وحت تحت لولاية له حسنة ووصت إلى قصعة ، وأخير تمت
معوصات على أن يسحب من اسلاد لقة مع كرم من ادل احلف في عذيره
لمؤرخون ، ثم عاد من إفريقية دور أن نتركها عاملاً وحامية

تلك هي الأحداث التي يعقد عليها جمع مؤرخين في ينص هذه الخلة ،
ومعد ذلك تفصيلات لا يشهد الإجماع ويشوب الشك في كثير من الأحكام ،
كتفصيل وقعة سنتطلة التي ورد كل من ملكي وار الأثير ومن عداري
والسوري طرقها ، والتي تكونها وصف طويل مع فيه انكثير من الخيال
والاختلاف ، وكذلك يعظم اندي يسب إلى عمد لله من ابرو وقيله حرجير ،
وكقصعة اسة حرجير ، وما إلى هذه من المصعب التي ورد ملكي وحده راعا
مها كما ذكره ، ولا بأس من أن تر هذه الروايات لمن فيها شبهة يريد قصة الصبح
الحقيقية وصوحاً .

لا شك في أن اس في سرح كان قد استعد لهذه العزاة استعداداً طيباً ، فانتبه
عيونه بالأساء ووقفته على الخطأ التي التي يسمى عساه حتى يصل إلى ما يريد ،
كانت لديه المعلومات الدقيقة عن مركز حريحور يوسف وحكومته من الساحية
السياسية : هذا تتحدث أفده الروايات ، وعينه نزل حطة الصبح بها ، فقد حدث
اس هيعة أن هرقل « كان ستحلف حرجير ، فخلعه » ، ثم يصيب اس عند الحكم :
« وكان مستقر سلطان أفريقية يوشد عذسة يقل لها قرصحة ، وكان عيب ملك يقل

مسير عبدالله
اس سعد
إلى إفريقية

له جرحير ، كان هرقل استخضعه خلع هرقل وصرى الدايير على وجهه ، وكان
 مدطنه ما بين طرائس إلى طبخة ^(١) . وهذا حديث قريب جداً من الصحة ،
 ولا يتطرق إليه الشك ، إلا من ناحية القوم بأن جرحير صرب الديمار برسمه ،
 إذ لم توجد إلى الآن آثار شهد بذلك ، ولو وجدت لذكرها توكسسه في مقاله الذى
 استقصى فيه كل ما حقه جرحير من الآثار ، وأورد ما عليها من اصول ليؤكد أن
 اسمه — أى اسم جرحير — كان جريجوروس فلاقيوس الأرمى

حيث فصل اس أنى شرح عن مصر كان معه عشرون ألف حدى ما بين عرب
 من الجزيرة وحيد وسط من مصر وررر من أهل أريقية ، وكانت خطته ترمى
 إلى السير إلى جرحير في عاصمته رأساً والقضاء عليه في موقعة حاسمة ، فلا تلت
 النواحي والحصون الأخرى أن تسقط من يده ، ويبدو أنه كان يقدم أمام جيشه
 الطلائع الكثيرة التى مكشفت له الطريق ، على هدايد قول (أرهري) بن ربيعة
 ابن عبد الدبى ، قال : « لما وصدا قدم عند الله الصلائع وتقدمت أمامه » ^(٢)

وصل عند الله بن رقة ، ففقه عندها عقبة بن نافع « فمضى معه من المسلمين ،
 وكانوا معه ، وسار نحو أريقية ، وبث السرايا في كل ناحية » ^(٣) . ثم وصل طرائس

(١) ابن عبد الحكم ، ج ١ ، ص ١٨٣ . وروى عن الأثير أن دقة ، « لا ذكر لها في التوراة
 جرحير : » وكان ملكهم سمه جرحير ، وملكه من طرابلس إلى صحرى ، كان هرقل ملك الروم
 ولده إفرقه ، فهو يحمل إليه اخرج كل سنة : « من الأثير ، ج ٣ ، ص ٢٤
 ويظهر أن جريجوروس ، بترجع من قرطاجنة إلى سبيلة إلا قبل حملة عبد الله بقليل
 من أرمين ، « مجمع مؤرخى العرب على أن عاصمته كانت قرب حجه بدل على أن أهل إفرقه
 ومهم تحد عيوب عبد الله هذه فتبوءات — كانوا لا يعصون عن قتال جريجوروس إلى
 سبيلة ، و« كذا ذلك أن ما عساه الملك من هذه الأجيال لا يكاد يعد ما عساه من كثير
 من المدن الأخرى ، مما يدل على أن جريجوروس لم يكن له من القوت ما تمكنه من قتل كنوره
 من قرطاجنة .

(٢) البوزى ، به الأرب ورقة ٦٣ - (١) ، وقد أورد هذه الرواية باسم الداع في معجم
 الإبلان ، ج ١ ، ص ٣٥ (٣) ابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٣٤ . وقد على كوفى على ذلك قوله عن هذا
 العدد الذى سمه عقبة — إلى حملة عبد الله — « كان رجال عقبة لإريقيين قدماء —

فوجد أهلها قد امتنعوا حلف أسوارها ، فلبث على حصارها أياماً ، تخاف أن يطول
به انقوف طرابلس وهو يريد الإسراع إلى حرجير في عاصمته ، فأمر رجاله
بالانصراف : « وكره عبد الله أن يشتعل بذلك عما قصد إليه ، فأمر الناس
بالرحيل »^(١) . وكذبت فعل حين أدرك قانس : وجد أهلها منحصين ، فانصرف
عما ، إذ أشار عليه الصحابة أن لا يشتعل بها عن أريفة ، « فإرثت المريا
في كل وجه ، وكان ثوبى باسقر والشاة والمب »^(٢)

— ٤ —

واقعة سبطلة

أقصى عبد الله ذلك إلى سهل تونس ، وكان حرجير يوس يستطيع أن يقف
للمسلمين عند قانس ويسد عليهم الطريق الحقيق الذي يؤدي من طرابلس إلى
أفريقية — بين قانس وشط الحريد — ولكنه فصل الانتظار في مكان تسميه
الرواية العربية « عقوبة »^(٣) على أميال من سبطلة ، ويملأ أنه كان أحد

— من أم عمرو بن نعام ، وقد عرفوا بلاد مصره سنة ، وعرفوا كذلك الأسطول الذي
سبح في الحرب بها ، وكانوا قد سبق لهم حصار طرابلس في سنة ٢٣ هـ ، وهام غروب أنفسهم
باعتصامهم مرة أخرى حصراً فمن توفد من الروم ساعده ، Caudel op. cit. II 64-65 .
(١) سويري ، بهاء الأرب ، ورقة ٦٤ (ب) وقد روى سويري ونقل عنه « الساكي » أن
سماً أرسلت بادية والعرب على حصارها ، فقاتلهم حتى استولوا على سبيها .
ويستطيع أن يستخرج من هذه الرواية (إد سدف) أحد أمرين : إما أن انقلابه عادمه
فانصبت بين طرابلس وبلاد الروم صد أسبلاء عمرو عليها سنة ٢٣ هـ ، وإما أن هذه البعثة
كانت تحمل مدداً إلى أهل طرابلس (التويري من الصفحة ، الساكي ورقة ٢) ، وفي انصراف
عبد الله عن طرابلس دون أن يسوق عليها ، فهو كقول : « اعتبر أهل طرابلس ما حدث
هم سنة ٢٣ هـ ، فنعصوا حداً ، وبين العرب ذلك فاكثفوا بهت ما حول المدينة » ، ولا ذكر
هذه التي الذي يذكره كودل في المراجع التي ينقل عنها عادة ، وهي رياس نفوس ولونس
ومعهم الأيمان . Caudel op. cit. II, 64 (٢) سويري ، ورقة ٦٣ (ب) — الواسي .
من ٢٣ هـ ، معالم ج ١ ص ٣١ (٣) سلاذري ، فوج من ٢٣٦ هـ ، ويصفه سويري بقوله : « من متبع
يسمى بعبوة بنة ويقيم دار ملك الروم مسيرة يوم وليلة ، وهي مدينة المسبة سبطلة (سويري ،
ورقة ١٦٣)

الحصون الكثيرة أو المحر من المتعددة التي كانت تحيط بسيطة^(١)

تذهب بروايت العربية إلى أن عبد الله عدم إلى الشمال حتى مع مكاناً
يقرب له ثوبه^(٢) ، أنه تمودة ، وهناك وقف ، وبدأت المفاوضات بينه وبين
حريحور بوس ، ويظهر أن استودت كانت مستمرة بين الفريقين طوالت فترة
مفاوضة ، إذ يقول ابن الأثير : « فاقوا مواهيك فقتلوا كل يوم ، وراسه عبد الله
من بعد يدعوهم إلى الإسلام » والخبر في متابع منها ، ونكرر عن قبول أحدهما ،
وعصم حريحور لمسلمين عن غير ، فيرد عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم بآتيه
بأخبارهم^(٣) .

سنتظيم أن سلسه من ويات ابن عبد الحكي ولداني ومن الأثير ولو يري
واس عدى أن أمدهده خلفه صحت قد طار ، وأن حريحور بوس شط للقاء
العرب بحش عصم^(٤) . وأن العرب داخلهم بعض الخوف من تحفه وجمه جوعاً

(١) لأثر في العيون أن عموه يكن محمد بن أي سهل ، وإنما كان منه حصن قوي
درب بوقه حده ، وقد ورد ذكره كثيراً في برويات ، يقولون : « قاتلهم حريحور ،
ولمعه عبد الله » . يري في تاريخ الحرب . . . وقوله بن عبد البور وأبوه تفر من سور إلى
قاله . وسلف حريحور سبعين يوماً من الحصن مخالو بينهم وبين الحجون بن حصمهم :
رياس لموس ، ورقه ٣ (٢) تحت أنها كاتوب دادا Capital Vadna ، يري في
معروف ، ورقه ٣ كاتوب هي قودة منار ، يري في الإدريسي (ص ١٣) ، ولأشفاق في بيان
من مكان يقربون ، وهذا هو المحدد ، أحد الذي ورد عن حده . يري في رياس لموس
(ورقه ٣) (٣) في الأثير ، ج ٣ ص ٣٤ . بعد فصل هذه المفاوضة بصورة أوفى
في السور (ورقه ٣٣ ب) وموس (ص ٢٣) ولا شك (ورقه ٢) ، ولا بعد أن تكون
هذه المفاوضات قد حرت بين الفريقين من موقعة ، فقد كانت هذه حطة العرب في كل حرب .
(٤) هو ابن الأثير في وصف استعداد حريحور : « فلما سمع حريحور المسلمين ، تجهز وجمع
الساكر وأهل بلاد ، فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس (ج ٣ ص ٣٤) وقد بالغ
رواة العرب في تقدير قوة حريحور ما لا يصدق ، يري أنهم كانوا ١٢ ألفاً (السور
ورقه ٢٣ ب وموس ص ٢٣) ، ويستبعد أن يكون لدى حريحور هذا القدر من الجود لأنه :
أولاً ، تأثر على الدولة لأناته بعد ذلك . ولأنه قبل أن يكون في أفراسيه كل هؤلاء الجود ، وثانياً
لأن سابق عودت يري الآن على أنه كان يعود قوة كبيرة ، ورعا لانت حوله جوع كثيرة =

كثيرة من الروم والبربر، فلم بدأ القتال الحدى بعد انقضاء المفاوضات وإياه
 خرحير للجيرة أو الإسلام مباشرة، بل يبدو من رواية ابن عدي على وجه
 الخصوص — أن المسلمين أدركهم بعض التراخي وماله إلى طلب الإمداد، ورمى
 عشوا في طلبها^(٢١).

تتفق الروايات على أن أخبار حملة أفرقية انقطعت عن عثمان، فبعث عبد الله
 ابن الزبير في فئة قبيصة ليتعرف له ما تم في أمر عبد الله بن سعد وأصحابه^(٢٢)،
 ويظهر أن ابن الزبير أدرك جيش المسلمين وقد تبع اليأس من الحشد مساعاً عطياً،
 لأنهم هالوا وكبروا وفرحوا فرحاً عظيماً، وسع من شدة فرحهم أن الروم حسوا أن
 الأمداد وصلت المسلمين فتحولوا من ذلك^(٢٣).

المناوشات
 الأولى

كانت المناوشات مستمرة بين الفريقين طوال هذه المدة، وكان الحشود
 يتقابلان متتوراً، وكان المسلمون يتلون الروم كل يوم إلى انظرهم ثم ترجع كل طائفة
 إلى معسكرها وتوسع الحرب أوارها^(٢٤)، ويبدو من نخوف الروم من وصول

الروم وأنهم ابتلاء من غير الحجاز من خوفهم من العرب، طعن هؤلاء أن كل من معه حواء
 فيقول الناس مثلاً: «وكان عدو» أي خرحير — في مائتي ألف مقاتل، جمع: إحصاه
 اسمية لما في من ٢١ — ليعوم الزهرة لأى المحاسن. — ١٠ من ٨٥

(١) ورد في ابن عبد الحكم: «وقد قيل إن عبد الله بن سعد قد كان وجهه صهوان إلى
 الحكم بن عثمان من إفرقية، فلا تدري أي الفتح أم بعده (من ١٨٦ — ١٨٧)» ونسب أن ذلك
 كان قبل الفتح، لأن لدى وجهه بعد الفتح هو عبد الله بن الزبير، والأغرب أنه أرسل طلب الإمداد
 أو لإبلاغ الخليفة أن صكر المسلمين من على ما يرم (٢) من في رواية ابن عبد الحكم
 وبلادري ما يدل صراحة على أن عبد الله أرسل من لديه معرفة الأخبار، ولكن فيه
 الرواة يعممون على أنه أرسل، مما يجعل ما بيني صدق ذلك، ويذهب سورى إلى أن عبد الله
 كان على رأس اثني عشر رجلاً فقط (ورقة ١٦٤). (٣) وما د وصل كبر الصباح
 والتكبير في المسلمين، فأل خرحير عن الخبر قليل، قد أتاكم عسكر، فبذلك في عهده
 (ان الأثير ج ٣ من ٢٤). — دار — أي عداقة بن الزبير — يجد سر حتى قدم على المسلمين
 فوصل لئلا يفرروا، ووقع في عسكر مبيعة — بنت روم مها — ساهية لأرب (ورقة ١٦٤)
 (٤) ابن الأثير ج ٣ من ٦٤ والنوري، ساهية لأرب، ورقة ٦٤، ولا نجد في غير هذين
 من المؤرخين ما يدل على أن عبد الله بن سعد كان مع هذه الطريقة بالذات، وربما يعنى
 الروايات كلها على أن المناوشات كانت تدور حول.

الأمداد المسلمين ، أنهم كانوا يتوقعون هجوم العرب عليهم بين لحظة وأخرى ،
وهناك ما يدل على أن العرب أنفسهم كانوا على خوف طول هذه الفترة ، إذ روى
ابن سعد الحكيم : « صلى عبد الله بن سعد بالناس بأمر يتيقن للعرب ، فصلى ركعتين
سمع حده في تسجد ، فرأى أنهم ذلك وظنوا أنهم العدو ، فقطع الصلاة ، فلم ير شيئاً ،
خطب الناس ثم قال : يا هؤلاء الصلاة اختصرت ، ثم أمر مؤذنه فأقام الصلاة
ثم أعاده » ^(١) ، مما يدل على أن المسلمين كانوا على الحذر وتوقع الشر في كل لحظة ،
من إن رواية التويري تدل على أن ابن أبي سرح نفسه كان لا يثق كثيراً بمن معه
من أحد ، فقد روي أنه قال لعبد الله بن الزبير معللاً اعتفائه في مسطاطه :
« وغير حاف عمت من معي ، وأكثرهم حدثوا عهد بالإسلام ، ولا آمن أن
يرغبهم ما بين يدي حرجير فيفتنون ، فهذا سبب تخرى » ^(٢) ، بل إن ابن عدي
يقرر أن المسلمين تبع بهم الخوف والناس حديثاً لاختلاف على ابن سعد ، مما
أودعه في الحيرة ودمه إلى الأرواء في مسطاطه ، حتى نفد المسلمين من ذلك مذوم
عبد الله بن الزبير ^(٣) ومن معه .

(١) ابن عبد الحكم ، فوج ، ص ١٦٥ (٢) التويري ورقة ١٦١ ب - وقد
وردت في ابن الأثير عبارة شبر إلى ذلك ، إذ يقول : « قلتم ير - أي عبد الله بن الزبير - ابن
أبي سرح معهم ، فسأل عنه ، فبين أنه تنع مادي حرجير يقول : من قبل عبد الله بن سعد
قاله مائة ألف دينار وأروحه بنتي ، وهو مخاف ، ابن الأثير ج ٣ ص ٣١ وظاهر أن حكاية
مادة حرجير في حبسه ووعدته بخطه منع كبر من المال لقائن عبد الله وروايته عنه - أي
ابن حرجير - مخدعه ، وسكانا يستطيع أن يحكم على وجه اليوم بأن عبد الله كان متحفظاً
من الأروم . (٣) « وكان حرجير صاحب إمرعة والعرب في مائة وعشرين ألفاً ، فصافى
مصور في أمره ، وحفظوا على ابن أبي سرح في الرئي ، فحصل مسطاطه معكراً في الأمر ،
وهذا أمر معروف حديث ، ولكن ابن عدي يباح جد ذلك بقدر في تفصيل ذلك ، فيقول رواية
عن ابن عبد الله بن الزبير : فأثبت مسطاط عبد الله بن سعد فطست الإذن عليه ، فكان إلى ساحه
دعه فيه معكراً في شأنكم ، ولو أنه له رأي يظهر أو دعا بالناس ، فثبت في أحاج إلى مدكره ،
فقال له أمسي أن أعبس الناس عنه حتى يدعوني » ابن عدي ، ص ٥ - ٦ وذلك ما لعله
من ابن الزبير كما سيتضح .

يبالغ بعض المصادر مثل ابن الأثير في تقدير الدور الذي حقه عبد الله بن الزبير في فتح إفريقية ، فيذهب الملكي وابن الأثير وابن عداري والويري والديناغ والنجاشي إلى أنه وصل إفريقية ، فوجد لمسلمين يقبلون كل يوم حتى الظهر ، ووجد قائدهم عبد الله بن أبي مروح متخوفاً من أن يقتل في المعركة ، فحاول أن يتصل به ، فوجد أنه قد أوصد أبوابه ، وأمر أن لا يراه أحد ، فاحتس حتى رآه ^(١) ، فقال له : « يا ابن أمية يطول مع هؤلاء ، وهم في أمداد متعذرة وبلاذهي لهم ، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلاذهم ، وقد رأيت أن تترك عدداً جماعاً صالحة من أهل المسلمين ، لم يشهدوا القتال وهم مستريحون ، وقد صدقهم على عثرة فعل الله سبحانه » ^(٢) ؛ وليس سعيد أن يكون ابن الزبير قد لاحظ فتور الفريقين في القتال ، وتخوفهم ، لاشتراك في معركة حاسمة ^(٣) ، فشارك على المسلمين بأسع هذه الحطة ، ولكن ما يقال عن فتور ابن أبي مروح واختبائه لا يتفق مع ما نعرفه عنه ، ولم يرد له ذكر عند أساطين الرواية الأولى من أمثال ليث بن سعد وابن خزيمة ومسلم بن عبد الملك ، ثم أن حطة عبد الله بن سعد كانت واضحة منه ، فتفحص في السير رأساً إلى إفريقية وملافة الروم وانقضاء على قوتهم في موقعة فاصلة ، فكيف يتفق هذا مع ما يروى

(١) ابن عساق ، البيان المغرب ، ج ١ ص ٦ - ٦

(٢) ابن الأثير ، ج ٢ ص ٢٤ - وقد نقل الويرى كلام ابن الأثير مع تحريف قليل .
« إن فكرت ما نحن فيه ، واقوم في بلادهم ، وبردة فهدموا المصالح ، وقد فعلوا أنه أهدم إلى جميع نواحيه بالحد والجمع » ورقة ٤٦ ب .

(٣) « وقد رأيت شخصه - في الروم - ذا سمير أذن أعمدوا سيوفهم وجعلوا إلى مصارعهم ، وكذلك لمسلمون حرياً على سادة ، وان رأى عبدى أن يترك عدداً من شاء الله أهل المسلمين في حياضهم وعذرهم ، وتقسيم بقا أسس على العادة ، ولطوف في نفس حتى ثبت القوم ، وقد أصروا ورجع كل إلى مصره ، وأرباباً له حربه ، يركب المسلمون ويحبسون عليهم والقوم على عثرة ، فمضى الله تعالى أن يظفروا به ويصدوا عنهم » - ج ١ ص ١١١ - « ماها الأرب » ورقة ٤٦ ب . ولا وجود هذا الحديث في رنص بنعوس أو معاصم الأعمش أو ابن عداري أو النجاشي ، ولكنهم يتفقون جميعاً على أنه هو الذي قد خرج في موقعة الكبرى .

من خوفه وحسنه ولوم اس الزبير^(١) معقول جداً أن يكون الرجل قد أتر
الترث قليلاً حين وقف وجهاً لوجه أمام الروم ، وربما كان سبب ذلك أن جرحير
ظهر عظمه القوي العريض الذي لا يأنه للعرب أو يجعل لهم ، وقد يكون لما رواه
اس عذارى من اختلافه مع الخلد ودخوله فسطاطه معكراً^(٢) طن من الحقيقة ،
أما الخوف والاصطلاح في الفسطاط واحرب دائرة بين المسلمين والروم ، فأمر غير
محمّل النوع ، ولا براع في أنه مكذوب ومخترع .

إلى جانب هذه الروايات التي نصف حسن أن أي شرح وتؤكد عمره ، نجد
رواية أخرى تؤكد أن اس الزبير كان يطن هذا الميدان وفارسه ، وأنه هو الذي
أنقذ المسلمين واحتط لهم في الحرب حطة جديدة ، وفادهم في الموقعة ، وقتل جرحير ،
وأبدي من صفوف لشجاعة وسداد الرأي وإنكار الذات ما يرفعه إلى مصاف
أكبر الفاتحين لمسلمين من أمثال خالد وعمرون العاص ، ويطلب أن نجد
الروايتين جنباً إلى جنب في معظم المراجع التي تقدم ذكرها : بمخاضها أولاً في رياض
الشموس واس الأثير ثم في^(٣) والويزري ولوس^(٤) .

أما اس عبد الحكم فيذكر هذا الخبر في كثير من احدثه فيقول : « حدثنا

(١) أنظر اداس لعرب ، ج ١ ص ٥ (٢) لا يذكر القوي شيئاً عن حبه
اس أي شرح وخوفه ، وإنما يذكر قتل اس الزبير من جرحير وأحمد امته .
(٣) لا يشير إلى خوف اس أي شرح ، ولا يصف حطة تقسم الجيش لمعين —
نصف عمار إلى يظهر ونصف بجارب من يظهر — إلى اس الزبير ، بل يذكرها عرساً ،
ولكنه يشهد شجاعة اس الزبير . « هذا انقوا المسلمين ماذى جرحير بالبرار ، جرحير إليه عبد الله
اس الزبير ومروان والحكم قتله » (ردص ، ورقة ٣ ، ٤) ويلاحظ أن في روايته مشابهة كبيرة
لما نجده في فتح أرفقه السموت الواقدي ، التي نجد فيه عبد الله بن جعفر مكان عبد الله
اس الزبير ، وكلتا الروايتين في انساب من اجراع الرواة ، فالأولى اختراعها دعاء السويين
وثانيه اشكرها دعاء اس الزبير أثناء خلافته أو بعدها ، وليس من المستبعد أن تكون خلافه
اس الزبير وأعماله قد أصبحت أسطورة بعد مقتله الروائي . ولا بد أن اس الزبير كان شديد
الافتتان بسمه وسع الدعاء لها .

عبد الملك من مسعة ، حدثنا ابن هبة قال : كان هرقل استخلف جرحير ثلعه ، ثم رجع إلى حدث عثمان بن صلح وعيرده ، قال : فلقيه — ابن أبي سرح — فقتله الله ، وكاتب الذي ولي قتله — فيما يرمون — عبد الله بن رير ^(١) ، وكذلك البلاذري يسنده إلى ابن الزبير نفسه ويقول : « حدث محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أسامة بن زيد بن سلم ، عن دفع مولى ابن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير قال : « نعرنا عثمان ، فمصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح حتى حل بمقومة ، فقتله أياماً فقتله وكنت أنا الذي قتله » ^(٢) . وإذا أخذنا بروايته ابن عبد الحكم والملاذري — وهما أحق بالثقة من غيرهما — كان في مكاتب ابن شريك كثيراً في المباحات الشديدة التي ينسب من بعضها من توثيق إلى ابن رير ، وإذا أصف إلى ذلك أن ابن عبد الحكم نفسه ، يروي بعد ذلك خبراً صغيراً يهدم كل ما ينسب لابن الزبير ، ردداً ما كذا من ذلك الزني : ذلك أن الرواية التي ينسب إلى ابن الزبير خبر موقعة سبطنة وقتل جرحير ، تؤكد أنه أحد أمته حرراً ، له على ما فعل ^(٣) ، ولكن ابن عبد الحكم يروي رواية أخرى فيقول : « وكانت أمة جرحير كما حدثنا أبو عبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن عفير قد صارت

(١) ابن عبد الحكم فوج ، ص ١٨٤ — ورواه ابن عبد الحكم عن بوعنه نفسه .
 وهو لا يذكر مكانه ولا شيئاً مما وقع عنده مباشرة . (٢) الملاذري فوج للدار ص ٢٢٦
 (٣) يقول ابن الزبير : « وقتل جرحير ، فمصر من الزبير وأحدث به ملك حبة ، وعمل عبد الله بن الزبير أمه بك » ابن الأثير ص ٣٥٤ أما لو يرى نفس هذه الحادثة في شيء من التطويل الذي يسمو باسم الزبير في درجات الأبطال : « وأسرب إليه ملك وثني بها إلى عبد الله بن سعد ، فألقاها عن أيها فامت قتل ، قال أنعم بن قلته » قالت عم إذ رأيته ، عرفته ، فلما أقل — أي ابن الزبير — قال هذا قابل أي ، فقال به من سعد ما سمعت أن تمسك بذلك نبي لك مما شرفناه ، فقال أصنعك الله ما فعلته لك شرفت ، والذي قبله له يعلم ونجاري عليه فصل من حرائك ولا حجة في غير ذلك ، فلهذا ابن سعد أمة ذلك ، يقال إن ابن الزبير أتبعها أمه ولد — سويري بها ، ضرب . ورقه ٦٤ (١) وقد نقل المالك ذلك فيما أورده من الروايات : رياض النفوس ورقة ٢

لرحل من الأنصار في سهمه ، فقبل بها متصرفاً مدحياً على بعير له لحمل يرتجز :

يا بنة جرجير تمشي عُنَيْتِكَ إن عليك بالحجاز ربك

لتجملين عن قباء قربك

قالت ما يقول هذا الكلب ؟ فحيرت بذلك ، فأنقت نفسها عن البعير الذي

كانت عليه فدمت عفتها فماتت ^(١) . فكيف يتفق أن تصير اسم جرجير لأن

الزبير ولرحل من الأنصار في وقت واحد ؟

ذلك ما استطع أن نستنتجه من رواية ابن عبد الحكم ، بهذا أصعب إلى ذلك

ملاحظة من الشئ في رواية اللادري ، إذ يسوق الرواية عن ابن الزبير نفسه ،

استطعن أن يؤكد أن قصة قتل ابن الزبير لجرير ، وأحدته إسمته ، وإبدائه ما يروى

من التمتع وإربع والرهذ . . . كل ذلك لا أصل له في الحقيقة ، ولم يكن يثق به

أئمة الرواية الأول ، وما دسه الدعاة أو اخترعه رواية ^(٢) : هذا فصلا عن أن هناك

(١) ابن عبد الحكم ، موح ، ص ١٨٥ ، وسدو على هذه الرواية روى الصدوق ، وتحمى

إلى ذلك معنى لطيفاً .

(٢) أول من أورد ذلك من مؤرخين هو ابن الأثير (١- ٨٦٣) ، ولكنها لا توجد

في المراجع التي ثبت أن ابن الأثير أخذ عنها كالسلاوي (وقد عرفها مؤلفه) والطبري

(وليس فيه إشارة إلى ذلك أصلاً) والعمودي (ولا وجود له عنه) .

ويسوق سويري روايته عن الزهري ، عن ربيعة بن عباد الديلي ، والزهري هذا هو

في الأغلب — سويري محرم الزهري الذي من نفسه نسخة يتي فسق ذكرها ،

ورغم أنها في عثمان في السجل لا مهموماً بأصحة إمرئيه الخ (راجع ص ٧٩ - ٨٠

من هذه الرسالة) ، وقد شكك في روايته الأولى ، لأن ما يثبت فيه عليه نسخة لأحداث

بمكذوبة . ولا نستطيع أن نثق فيها حكاه عن عبد الله بن الزبير ، أما ربيعة بن عباد الديلي

الذي أخذ عنه الزهري ، فلا وجود له في كتب التي أورد سويري عن كبار رجال الحملة ،

ولا وجود له كذلك في مسلم الإيمان .

أما سويري فيثبت أنه نقى عن ابن الأثير وأصاف إليها ما سمعه من روة عصره ، ولابد

أن الأسطورة كانت قد كبرت وشاعت حتى أنه كما سدد من رويته ، وبعد أن يكون

أحدنا عن الزهري أن الرقى لأنها لا توجد عند غيره ممن أخذوا عن ابن الرقي كابن خلدون

والشعاني والحسن الوزان (ليون الأفرنجي) .

مراً من المؤرخين — الذين يعتمدون على الرواية اليونانية — كالمسيو توكسييه .
يشك فيه إذا كان حربيجوريوس قد قتل في معركة سيطنة أصلاً^(١) .

يخلص سامس ذلك إن ما يقال عن نطولة اس الزبير في أفريقية مشكوك فيه
حداً ، سواء من ناحية إسناده أو واقعه مع الواقع ، وهو أقرب إلى القصص التي
لا يمكن التعويل عليها في كتابة التاريخ .

ستطيع أن توضح وصف الموقعة ثم تصحح له وشتت من قوال المالك
وابن الأثير والبويري وابن عديم :

(١) كتب الأستاذ Tauxier في مجلة الأفريجة La Revue Africaine (سنة ١٨٨٥
من ٢٨٤ — ٣٠٣) مقالاً ذهب فيه إلى أن حربيجوريوس لم يغل في موقعة سيطنة ، اعتياداً على
قول يوفائيس في (Chronographia) (من ٢٨٤) . هـ هزم حربيجوريوس وقتل من معه ٤ ،
ويقول توكسييه في بعض ذلك * . وعلى الرغم من ذلك فإنه — أي حربيجوريوس — لم يرد له
ذكر في التاريخ بعد ذلك ، فلم يكن هو الذي أكل كسكج ولم يكن هو الذي قاوس اس سمع
في رجوع سيرة العرب ، رد أيام الأمازيغة مكانه حياحه Ghenahe ، واستصوا عن الرجوع
إلى أحضان السططية ، * أما حربيجوريوس فإنه بعد أن مرده رعاياه الأول من الحكم بعد
عنه نفاذ في البلاد ، رد لم يكن حياحه يسمح بذلك ، ولم يكن يحكم كذلك في السططية
حيثما كان يتصرف فيها من المصالح المادية . ثورته ، وعرض له بعد ذلك لأن يسم نفسه —
بشروط — بل القاطنين ، ومن ذلك أستطيع أن أستخرج أن الذي حدث هو أن عبد الله من سعد
اصطلمه معه في رجوعه إلى مصر ، وأدخله هيبوليس حيث مات ، وهذا هو التفسير الوحيد المقبول
لما يقال عن موت أخ لهرقل في هذه المدة * . وهذا رأي خاصي لا يبرره أي برهان ، ولو
كان حربيجوريوس مع عبد الله لما أعلن الحرب ذكر ذلك لأن ذلك أمر له أهميته وخطره * . ثم إن
موت حربيجوريوس ، بعد رجوع العرب بسنوات — أي سنة ٣٣ — لا ذكر له
في الروايات ، وإذا كان يوفائيس قد قال إن أخاً لهرقل مات في هيبوليس في هذه السنة .
فقد بطلت حجة توكسييه ، لأن حربيجوريوس لم يكن أما لهرقل

ثم يعود لأسناد توكسييه بعد ذلك : ثم إن لطريق هذه نسخة مباشرة ، وهي رضى الأسطورة
التي يرويها مؤرخو العرب من أن امية حربيجوريوس أمرت أثناء موقعة سيطنة ، وقد سبق
أن أثبت المسيو دى سلال (في تاريخ بربر ١٦) أن هذه الروايات — يعهد الروايات
الغريبة — أخذت وحداها عن الأخرى ، وانتهى من ذلك إلى أنه لا شيء من هذه الروايات
إلا برواية ابن عبد الحكم التي يصور لها حربيجوريوس ممولاً على يد عبد الله اس الزبير

دارت لمركبة على مقربة من حصن عقوبة^(١) ، إذ تقدم العرب من قويسة
بعد أن شئت مدوشتهم^(٢) ، وكان حريز يري من تحتهم ناعسان قومه
على مقربة من باب الحصن^(٣) ، يذودون القتال ، وري كان قد اصطحب معه
دويبه وحملهم داخل حصن (انظر هـ مش ٣) ، ومن هناك شئت أسطورة اسنة
حريز ، وكان جيش الروم على مسعدة من الحصن ، وهناك دارت موقعة^(٤) ،
وظلت ليل وشأت أيام حتى أحسد العرب - ولحق العرب إلى الحيلة المعروفة ، التي
تؤكد لها أغلب الروايات ونسبها إلى ابن الزبير - فـ « الرأى عدى أن ترك
غداً إن شاء الله أنطال المسمين في حياتهم تحيلهم وعددهم ، وقيل سمها الناس
على العادة ، ويطول في القتال حتى يتعب القوم ، بدأ انصرموا ورجل كل
إلى مصره وأزال لامة حربه يرك المسون ويحملون عليهم والقوم على عرة^(٥) ،

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ؟ ص ٢٢٦

(٢) جاء في لأدريسي : « تقدمه » و « رد ذكر قويسة بعد - سم عده ولاعد لكري ،
وم ععد موقها أحد من الحريز ، وري كان من الأخرى حصناً كبيراً .

(٣) عن لاسكي : « هم حريز ورمه عدي بن الزبير في تخليع القوم ، ففرقه عن معه
من أنشرف قومه ، ففرقه عنه أصحابه وقتله إلى جانب سور ، وأسمه سطر من سور (ورقة ٣)
(٤) يذكر ابن عدي روى عن عدي بن الزبير ، « وانصروا حتى حرقوا صفوفهم

(أي صفوف الروم) إلى أرض حاصه فضاء بيني وبينهم ، فما حسب إلا أن رسول الله
وقته كلام ابن الزبير مشكوك في صحته ، لأنه يهم به أن ابن الزبير قتل حريز أمام جمع كبير
من المسلمين ، ولم يفل تلك حتى حواريه ، إذ يقول أنه قتله في وسط لمبسه ، ولم يره
إلا أئمة حريز التي كانت تنظر من السور .

(٥) التويري ، نهاية الأرب ، ورقة ٦٥ (١)

وسياق حديث التويري يدل على أن لصفاء يمكن استدلاله من سعد وابن الزبير ، رد
أنه لث أيام بعد وصوله من المدينة لأيري ابن سعد ولاعمله (ورقة ٦٤ - ١) ، ومما يهمهم
من قول ابن الزبير : « أصبحت الله مائتة لما شرفت ، والذي قتته به يعلم وبحارتي عنه أفضل
من حرائك ولا حاجة لي في غير ذلك » ؟ (ورقة ٦٥ - ب) ، وقد روى ابن عدي في مائتين على
ذلك ، إذ جرى ذكر خمس حريز - هـ - في « لفي » عده عن الروايات من الحسك - في مجلس
مناوئة ، فقال ابن الزبير : « حريز مع عدي الله من أن سرح إلى مرقه (ولم يكن) =

وطاهر أن ذلك لم يحدث إلا بعد قدوم عبد الله ابن الزبير^(١) ونحوه من المدينة ،
إذ تحمس المسلمون وبدأوا الموقعة ، ومن المعلوم أن يكون ابن الزبير قد نزل فيها
بلاء حسداً ، لا قتال الروم مع المسلمين إلى الطهر قتالاً شديداً ، فما أدرك الطهر هم
الروم بالأصرف على العادة ، فلم تمكنهم من الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أنعمهم ،
ثم عاد عنهم هو والمسلمون ، ولقي كل من الطائفتين سلاحه ووقع تعسا ، بعد ذلك
أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين ، وقصد الروم ، فلم يشعروا
بهم حتى حالطوهم وحملوا حملة رجل واحد ، وكبروا فلم يتمكن الروم من لس
سلاحهم حتى غشيه المسلمون ، وقتل حرجير — قتله ابن الزبير ، واهزم الروم —
وقتل منهم مقتلة عظيمة^(٢) .

١- أحسنها وجهاً ولا أكثر منه ولا أعظم . (بيان العرب ص ٨) ومن غير كامل ،
وهذا الرأي يعارض بالضعف مع ماورد في حجة التي سمعنا من ابن جرير عن فتح إفريقية ،
لي ينزل فيها ابن الزبير على عبد الله بن سعد تاء مفتحة ، وهي ظاهرة الإسماعيل — أطهر من
الخطبة في العهد الجديد لأن عدده ، ج ٢ ص ١١١ — ١٨٢ .

(١) أخطأ حين ذكر أن زبير بن العوام هو الذي شهد في فتح إفريقية وأصوات
أبيه ، وأخطأ كذلك طرف عبد الله بن سعد إلى عبد الله بن سعد . وقد سلم حين بقعه
أبيه حرجير ، بل أصغر عبيداً من بيته حلة روائية فقال : « ومن ابن أبي حرجير ، وهي مادة
درة الخيال ، كانت تقابل إلى حسنة ، وكانت مد سومة أظفراها مدبرة على ركوب الخيل ،
وعلى الزبي بن أبيهم ، والخصم بالسيف ، وكانت الخيل في درعها ظاهرة بارزة
في معمة القتال ، وقد ذهب حين يرى أن عبد الله بن سعد ميدان القتال بعد أن أح أصحبه عليه
في ذلك (كذا) ، وأن العرب وهت صريرهم ضد أصحاب قائدكم وبعد هذه الدوشات
المتشابهة الفاشلة » ، وكل هذا غير صحيح كما علم ، وفيه رواية ميثمة بالأخطاء ، وقد أصاب
هو من بعده شيئاً كثيراً Gibbon Decline... II pp. 373 - 760 . ومن الثابت أن
حين أحد تاريخ فتح إفريقية عن كتاب Cardonne, Histoire de l'Afrique et de la
Espagne sous la domination des Arabes . ومن الترجمة لنفسه التي قام بها أوتر
Otter تاريخ الوري ، والكتاب الأول كثير الأخطاء . ويشك الأستاذ بورس في أنه
اطلع على المصادر التي تقول إنه اطلع عليها ، وقد طبع موضع ثلثة نحو من ثلاثين سنة حتى
اتضح خطأه ، فاصرف عنه أكثر المؤرخين . راجع رأي بورس في كاردون وحين وأوتر

في Les Berbères I, pp. VI, VI

(٢) ابن الأثير ، ج ٣ ص ٢٤

فلما أن تأكد الروم أن الدرة عليهم استداروا وعادوا نحو الحصن مسرعين
 يسعون لاعتصام حلف أسواره من العرب الذين كانوا يتبعونهم بالسيوف ، و يظهر
 أن خيل العرب سبقت مقدمه الروم إلى باب الحصن ، لا تخاف منهم و بين الدخول
 إلى حصنهم ، فركبهم لمصور يميناً وشمالاً ، في السهل والوعر ، فقتلوا مرماهم
 وأنحدهم ^(١) . مسقط الحصن عن فيه (وفيهم آل حرجير وابنته — لو كانت
 له ابنة) .

تقدم العرب بعد ذلك إلى سنيطة ^(٢) نفسها ، وهي على مقربة من عقوبة ،

(١) رمانس - بوس ، وريته ٢ ، ولا بد أن يكون جبل العرب قد أدرج حرجير ومن
 معه وهم على مقربة من الحصن فقتلوه .

(٢) تقع سنيطة في وسط سهل بوس على وجه العرب ، على أحد دوع هير مجرد ،
 وكانت إحدى القرى البربرية ثم تيرضة بعدها نكل لنداش الكبرى وساح ومارس لي
 كانت تلاً ذلك سهل ، وكانت تقع على لواط ساي - الذي بدأ عبد ساحل عبد معبداس
 الصغرى . ثم تير هارسية « لانس » لكف « بن » سحر شلا . وكانت لها قلعة حصينة سب
 في الغرب إلى مع (راجع رسمها في دبل من ٣٩٣) ، وقد بدأت تحتلها بعد ذلك لقرن حين
 سولى لبر على لواط الأول (قلعة — نسب — ثفت — أبايبرا) وأصبحت الدولة
 تقول على لواط الثاني بعد سنيطة من أمتع حصونه George Chetiv, 35
 Di. d. ep. cit. p. 279 . وبثبرت لنداش في أفرقة « بنت سنيطة » أن أصبحت أسرة
 مع جيها أسقف ، وبنت فيها كريمة كريمة (دبل من ٤١٥ و ٤٢٨) ، وقد بنت حصونها
 على صعب وصاف حتى أصبح لبري . وكان حرجير بوس قد ثار الدولة واستل عنها ، لم يكن
 له من يعين على عرب البر وحلقهم . وكان يحشى بروم ، فربح عن يداه قراضة لقرها
 من اسم وسبوة در كيه ، بالاسل ، فأبغا إلى أنه حش ، وتغير سنيطة ، وكان قد أصبحت
 أعظم مدن سهل الدحية بعد هدم سور بنت - أمتع مدن الألمان من كثرة مآدر
 بها من عرب ، وهناك ث حتى وفاة عرب ؛ وكانت حديسه في ذلك الوقت — كما يقول
 ديبل - عنه وكثرة . Diehl op. cit. p. 557 ؛ وقد ذكرها « شو » في « رحلته » ورأى
 ملاحها ، وحدد موضعها جنوب قراضة ثباته وخس ميلاً ، وذكر أنها تشرب من بحري
 وفير الماء ، وأنها على حلف منه من الأشجار سامعة ، وذكر كذلك أنه رأى فيها أطلال
 قوس نصر وتلاله معاندات أعمدة كورنية نصر : Shaw Travels in Morocco
 116-119 p.p. ذكرها في حصراته أبي عده ، وقال عيب « سنيطة » كان كرمي
 مملكة أفريقية في تقديم ولها آثار عظيمة تدل على ذلك . (مع Re naud من ١٢١) وذكر

فحصروها حصر شديداً حتى سقطت في أيديهم ، وقضوا فيها حقة كثيرة ، وأكثر أموالهم الذهب والفضة » (١) .

صِيحَتْ وَلايَة بِرَبْقِيَه كُلَّيْهِ تَحْتَ حَمَّة الْعَرَب بَعْدَ هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ ، فَأَحْدَوْا يَهُودَ مَبْخُلُوهُ حَتَّى جَمَعُوا عَسِيمةً عَاشِيَةً ، وَيُظْهَرُ أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ رَاحِيَةً بِلَا وَصُولِهِ ، وَلَعَلَّوْا سَفُوحَ الْجَبَلِ حَيْثُ نَزَعَ قَطْعُ الْبَرِّ ، وَتَقَارَفَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَاشِيَةِ (٢) ، وَاجْتَمَعَ لِلْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قُوَّةٌ طَائِفَةٌ قَسَتْ عَلَى الْمُتَقَاتِلِينَ بَعْدَ أَنْ تَحْتَمَّتْ ، فَكُلَّ مِنْهُمْ الْقُرَى ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَسَمِعَ إِبْرَاهِيمُ أَلْفَ دِينَارٍ (٣) .

عُرِقت قُوَّةُ أَرْبُومَ بَعْدَ وَاقِعَةِ سَبِيضِهِ ، وَاجْتَمَعَ الْمَهْرَبِينَ إِلَى الشَّرْقِ فِي حَقْلِ « أَخِي » (٤) حَتَّى الْمَوْقِعِ الَّذِي سَبَبَ فِيهِ الْقَيْرَوَانُ بَعْدَ ، وَهَذَاكَ تَزَاوَجَتْ

— دى فرجيم أن اسير حر من قبل رر ضلّاف حو سن ٨٤١ هـ ورئى فيها قوس حصر وتلابة مسند ومخامات وحوس ماء من زمن Aurulus Verus وأعمدة روميه مصبوعة بناية وأرضيه بالنفساء ما يشهد بمصبتها ٨٤٠ Des Vigners p 3 وودعه في لأدريسى عنها . كانت مدسه حرجس ملك يوم الأمانرة ، وكانت من أحسن البلاد مطراً وأكبرها مطراً ، وأكثرها مياهاً وأغدها هواء ، وأطرب نرى . وكانت فيها سابين وحنا ، وأصحبها سامون في صدر الإسلام ، وقتل فيها ملكها العظم اسى حرجس ، ومنها إلى مدسه قصصه مرحلة وبعض ، ومنها أيضاً إلى قنروان ٧ ميلاً : لأدريسى ، ص ١١٥

(١) البويرى ، ورقة ١٦٦ (٢) الأندلسى ، دوح ، ص ٢٢٧

(٣) ابن عبد الحكم ، دوح ، ص ١٨٤ - من الأثير ، ص ٢٥ - والبويرى ، نهاية الأرب ، ورقة ٦٥ (ب)

(٤) حلم (الأحم - أعجم - لأعجم) كانت معروفة أيام بقرطيس باسم Thyssideras وكانت مركزاً حربيّاً هاماً صوّلت لعمى استرطلى وذ كان يجمع عند حصنها عدد عظيم من الطرق الحربية ، وسبب دليل أن أنها كانت لأثير على جانب كبير من مدته في زمن اسامح Diehl op. cit pp 4.5, 535 وقد وصفها شيخنا في رحلته بقوله : « هو أعظم حصون أفريقيا وأشهرها على القوم ، وليس بعد الحدا ابنى بالفرطحة ماء أصح منه وأصح ، وشكله مسدير ، وارضاعه في الهو ، مائة درع ، وذكركى أن تكبير دثره في الأرض ميل : رحلة الجياى ، ورقة ٢٣ () ، وقال كودل بن قصر نجم (الذى يجمع في أروم) أن هو ولا للعب الرومان الذى كان مباحته نطبه شعب ناسجه حتى تشعلها قربة اعم الحالية Caudel op. cit, II, pp. 72-79

جوعهم داخل بناء كبير حصين يطلّ أنه حصن يبرطى ، ويذهب كودل إلى أنه اللعب الرومانى فاسرع ابن أبى سرح وحاصر الحصن عن فيه .

في ذلك الحين كان حشد العرب يحتاجون البلاد مهمة عظيمة ، ويستاقون كل من يجدونه أسيراً ، ويصبون كل ما يظفرون به في ابدن عبيمة ، « فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقية ، طلبوا إلى عبد الله من سعد أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم ، فقبل منهم ذلك ، ورجع إلى مصر ولم يزل عليهم أحداً ، ولم يتحد بها قبيروا » (١) .

تصغير
المسلمين
بالعودة ،
وأصاب
ذلك

لماذا يحمل عبد الله من سعد بالعودة ؟ ولماذا قبل أن يتحلى عن كل ما كسبه بعد هذا القتال المصيف لقاء مبلغ من لسان ؟ أكانت هذه القدية العظيمة هي كل ما قصد إليه من وراء هذه الحملة الخطيرة ؟ أم كان يرجو أسراً بعد ذلك ولكن أحداثاً اضطرت به إلى التعجيل بالعودة ؟ هذا نجد في ريبس النفوس نبعة أسطر تلقى بعض الضوء على هذه المسألة الممضنة بقول لسانكى : « وأقام ابن أبى سرح وهو أمير سيطرة على عسكره ، فلما رأى الروم الذين ما حل محل محرجير وأهل سيطرة ، عارت أنفسهم ، ونجموا ، وكانت بعضهم مصافى حرب ابن أبى سرح ، فحرف منهم لما معه من العنانم ، فكتب إلى حليفته بمصر يأمره أن يمدد إليه سراك في البحر ، يحمل فيها عثمانيين ، فأخذ حليفته في أمره به ، فاتفق باروم قصد ابن أبى سرح إليهم . . . لحزمهم ، فحلفوا وراسبوا ، وجعلوا له جُصلا على أن يرتحل بحشه ولا يعترضوا شئاً ، ووجهوا إليه مائة فمطار دهاً ، فأجابهم إلى ذلك وانصرف عنهم راحداً إلى مصر ، بعد أن أقام بإفريقية ستة أشهرين ، فلما وصل إلى طرابلس وافقه المراكب ، فحمل فيها أثقال حشه ، وعذ هو وأصحابه إلى مصر سالمين » (٢) .

(١) من عبد حكيم ، ص ١٨٤ ، ولا خلاف بين مؤرخين في ذلك .

(٢) ريبس النفوس . ورقة ٤ . وثقه عنه من نسخ في معالم الأمان ، ج ١ ص ٣٨ — ٣٩ .

قبل تحليل هذه العبارة نرى أن نلاحظ نقطة ثانية.

(أولها) — أن موقعة سبيلة لم تفتح أمام العرب كل سهل تونس بل جزءاً محدوداً منه يحدده الخط الممتد من سبيلة نفسها إلى سوسة من الشمال ، ثم من سبيلة إلى قصبة حمة الشرق ، وشريط ساحلي صيق محصور بين قابس وشط الحريد من الجنوب ، وبقي ذلك في الشمال بلاد واسعة مملوءة بالحصون والساح والمخارص ، على اتصال دائم بالبحر ، تستطيع أن تقاوم مقاومة عنيفة ، وربما حاف المسلمين إن هم تقدموا شمالاً — أن يستعذر البربر بمجموعهم من العرب فيحصروهم من الجنوب فيقفوا بين درين ، وربما انتهى الأمر بهزيمتهم^(١) ، وانتصار عبد الله ابن أبي سرح في سبيلة لا يمكن أن يسمى فتحاً لإمر يقية ، وكان لا بد لإبراهيم هذا الفتح من السير إلى الشمال ولاسيلاً على قسطنطين^(٢).

وثانيها — أن جيش سمير قد قضى حتى هذه الأربعة حمة عشر شهراً في إمر يقية ، وأنه جمع خلال تلك المدة من الماشية شيئاً كثيراً جداً^(٣) ، كان موضع

(١) وسحدث هذا صريحاً فيما يلي ذلك من موقع آخر.

(٢) شبه هذه الواقعة وقعة عين تيمس في فتح حرب مصر ، ولا يمكن أن يقال إن مصر تنح عن موقعة المذكورة ، وبأن عمراً صرف بعد نصرة في عين تيمس لكاتب حملته كأن لم تكن .

(٣) في ذلك يقول كودل : « ونهض الإنسان من كثرة ما أصاب الحسد أو حدة من الحسنة ، وسكن يسمى أن يذكر جداً أن هؤلاء الرجال (أي حدة الحسنة) سيوا طوال بضعة أشهر يتبعون من قرية لقرية ، ومن مدينة مدينة ، يحتمون — كما عرف عنهم من العاية لفارعة بهذا العمل — كل ما استطاعوا حمله ، ولا بد أن الحصون كان كثيراً ، بحيث فكر عبد الله في التراجع مسيرة حين لاحظ أنه يحارب مقاومة إلى أمد أهل الساحل »
Caudel, op. cit. II p. 77

وإذا ورد كودل في تلفظه على حملة كلها على أن عمرها عدة السب و تيمس ، لا مقصد وراءها ولا غاية ترمي إليها ، ... ولم يعد الحسد يبري — وقد أعياه ما عم — رعيه في الحرب ، ولم يعد يحكم ، ولا في الرجوع ، وكان لقدرة عمير هذا السب كتمك ، ثم لا اتفاق مع الأعداء =

الدهشة عند كل الرواة ، ولا تراعى في أن المختد كانوا يجرسون أشد الحرص على ما يصيبون من عيبة ، فلا يبعد أن تكون كثرة المائم قد مالت بهم إلى العودة إلى بلادهم ، وأهمهم حافوا أن يدخلهم الروم ، والبربر فيسلوا منهم ما عموما .

وذلتها - أن ابوتهم لم يكن سائداً بين عادة هذا الجنس ، وقد لاحظنا شيئاً

من التواتر بين عبد الله بن اريير وعبد الله بن سعد ، كلاهما يحاول السيطرة على الآخر وقيادة الحمد^(١) ، وسنجد أن أس أي شرح لم يكذبتم له النصر حتى نعت عبد الله بن اريير بيشتر عنها بالفتح ، وربما أراد بذلك أن يتخلص منه ، وهذا أصعب إلى ذلك ما سبقت الإشارة إليه من عدم ثقة أس أي شرح بمن معه ، وتحوفه منهم ، استنطقاً أن يفهم سداً من أسماط هذه العودة المفاجئة .

وراهي - أن جيش العرب كان صغيراً ، كان عشرين ألفاً في بادئ الأمر ، ولا بد أنه تناقص كثيراً بعد هذه النكبات والفتن ، ولم تفلح أمداد إلا العرب القليل ثمة أمل مع عبد الله بن اريير . وإذا كان المسلمون قد طال تحوفهم قبل موقعة سبيلة ، ودخل ابن أبي شرح فسطاطه معكراً ، فلا بد أن قوة الجيش الإسلامي كانت قد ضعفت جداً بعد هذا الكفاح الشديد .

وحاصلها أنه لا يبعد أن تكون حاميات المدائن والمصالح قد تواصلت وتفاهت على أن يهين المقدمة من أبي شرح ، وربما حرامهم على ذلك ما رأوا من قلة عدد المسلمين .

== الذين تصبوا دفع حيرة على أن يسبقوا مع العرب في قتال ، فإذا ما دفع المنع ، شرح الجيش في العودة ، وبعد سبت حلة العرب الأولى على أرمية . Caudel, op. cit. II, p. 78 . وراجع كذلك Fournel, op. cit. I, pp. 127-128 وسيسيه من تدوير الكلام على هذه الرواة من الأثر على هذا الرأي .

(١) خصوصاً إذا صدق رواية نصري بن يعب فيها ذلك عامة ، بعد كانوا ساحطين على عبد الله بن سعد ، وأنهم طلبوا من عثمان أن يعرّفهم (بعد موقعة سبيلة) فأجابهم في ذلك : « قالوا : فاعرّفه عما فيه لا تريد أن نأمر عياضاً وفتح ما وقع » نظري ، ص ٥٥ من ٤٨

سادساً — أن أس آني سرح كان قد طالت عييته عن عاصمة ولايته مصر ،
ولا شك في أنه كان يتيل بعد ذلك إلى الرجوع للطن في أمورها .

إذا ذكرنا ذلك كله لم نستبعد أن يكون في قائله المالكى بعض الحق ، ثم
أن قوله إن أس آني سرح بحث إلى حليته تنصر يطلب منه سعة يحمل فيها عاتم
المسلمين لا يؤيده مصدر آخر ، ولكنه معقول ، وقد يكون أن أس آني سرح قد أراد
أن يطمئن الجسد على مصير عدائهم ، فأرسل يطلب سعة يحمل عليها التمام ،
حتى لا يخاف الجسد أن يعاجتهم الأعداء ويفصوموا إياها ، بل لا نستبعد كذلك
أن يكون ما ذكره المالكى هو التعميل الوحيد المعقول لهذه المودة السريية
التي لا ندرها مقدمات الخلق ، وما كان يرحى من ورثتها من عظم الأسر .

على أى الأحوال تتفق الروايات على أن عبد الله بن سعد صالح لزوم وأهل
البلاد على أن ينصرف عن بلادهم لئلا يمنع من المال ، بقدره النقص تلى ألف
وحصاة ألف دينار^(١) ، ويقدره النقص الآخر ثلاثمائة قنطار من الذهب^(٢) .
وأضاف النويرى إلى شروط الصلح بين الحاسين قوله : « وكان فى شرط
صلحهم أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم ، وما أصابوه بعد الترداد ردوه
عليهم^(٣) » ، وهى ملاحظة على جانب عظيم من الأهمية ، إذ تدل على أن أس آني سرح

(١) أس الأثير ، ٢٠ من ٢٥ ، واسلاوى ٢٥ — ٢٦ قنار دى سبين الديار فى ذلك الحين

بشرة فركاب والدرهم بشرة سبب Journ Asiat 1858

(٢) حويرى ، نهاية الأرف ، ورقة ٦- () ، وكذلك ص ابن النجاشى فى معالم الإيمان

إذ ذكر الثلاثمائة قنطار من الذهب وقال بهب سبوى ر ١٥٠ دينار ، ثم عاده ناقص منه
فقال إن الخمس بلغ ر ٤٠ دينار ، مما يحمل المبلغ نحو ٢٠٠ ٠٠ ٢٠ دينار — معالم الإيمان ،
١٠ من ٢٢ ، وذكر قبل أن لزوم صدقوا العرب على ثلاثمائة تالان Ta ent من الذهب ، مما
يعلم منه أن القنطار المذكور بهب سبوى تالان 560 ١ ٢٠٠٠٠٠ وقد حول بقول أن
يعد القنطار بألف قسم قيمة خمسة مائة دينار على قسمين ، فوفقى فى ذلك ، وقدر القنطار
ثلاثة آلاف وأربعمائة دينار ، وهو رقم قريب من نسخة (صحيح ٨٣٣) ياقوتة ج ١ من ٢٢٥
(٣) النويرى ، نهاية الأرف ١٦ ()

حرص على أن يسبق ما فتحه من البلاد ، ولعل النوري يهمل بذلك عن غيره من مؤرخين ، وربما كان عند الله من أنى شرح قد صالح أهل البلاد على ذلك ولكنه لم يتحد لإجراء الذي تكفل به بعيد هذا الشرط ، فلم يترك حاله حاكماً ولا حامية ولا قيروناً ، فأصبح أهل البلاد في حل من أن يستردوا ما أخذ منهم ، وهكذا فعلوا .

وكان عند الله من محمد قد سارع بإرسال عبد الله بن الربيع إلى المدينة ليحمل البشارة بالفتح إلى عثمان ، فيقول بعض الناس « دخل المدينة من سيطرة في عشرين ليلة ، وعصمهم يقول وإلى المدينة في أربعة وعشرين يوماً ، ولا يستعرب ذلك من مثله ^(١) » .

نفت مسألة لا بد من الوقوف عندها لحظة قبل لمراع من أمر هذه الحملة ، وهي بحث الرواية التي نذهب إلى أن عثمان أعطى حمص في إفريقية إلى مروان ابن الحكم ، وإلى أن هذا كان من لأموال التي أخذت على عثمان .

محمد بن عيسى هذه المسألة في رواه الطبري ^(٢) عن تاريخ فتح إفريقية ، وليث روايته : « كتب إلى لثري عن شبيب عن سيف عن محمد بن طلحة . . . وقال أي عثمان — لعبد الله بن محمد إن فتح الله عز وجل علينا إفريقية ،

(١) نوري ، ص ١٠٤ ، وره ٦٣٠ وذكر موسى (ص ٢٤) أنه بلغه في حبه وعشرين يوماً ، وذكر بن يحيى (ص ٤٤٠) أن (ص ١٣) أنه بلغه في ثمانية عشر يوماً ، وهو صالح فيه . وقد ذكر بن كثير أن « دؤب هبش شعر كان في حبه ، فلبث شاعر في طريقه إلى المدينة — ابن الأثير ، ج ٣ ص ٢٥ »

وقد ورد بن عدي بن حصه بن قفاه عبد الله بن الربيع بن عبد الله ، يصفها فتح إفريقية ، ولا يجد أنه من فيها ، شارة إلى أنه خرج من وإلى إشارة على عبد الله بن مسعود بن حصه بن دؤب في موضع مسعدة ، وبشير منها إلى سبلاء حمص من حكم على مسعدة كلها ، وأول لحصه وأخرها بن علي أنه قد دخلها بحرب وزياد كثيرة ، وعليها كلها مسعدة لأحداث بوصعة . فقد مر يد لاس عدي بنه ، ص ٢٥١

(٢) في رواية يعقوب بن خالد هذه بعروة حمصاً كبيراً ، وسبيل ما فيه روايته ، وذكر مسألة أبي بكر بن عبد الله بن دؤب مع أفرقة التي نصل تاريخ الدولة كلها ، فيحسن الاعتماد عليه فيما يصل بها .

ملك مما أهداه الله على المسلمين خمس الخمر من العبيدة مالا (ثم يقص قصة الفتح
 بإيجاز لا يخلو من خطأ) . . . وقسم عبد الله ما أهداه الله عليهم (على الخند)، وأخذ
 خمس الخمر، ونعت بأربعة أحلامه إلى غيره، مع ابن دثيمة لمصرى .
 وروى وفد، فشكوا عبد الله في أخذ، فقال لهم أما علمت، وكذلك كان يصنع
 أي عثمان - وقد أسرته له بذلك، وذلك إليكم الآن ابن ربيعة فقد حار
 وإن سحقتم فهو رد، قالوا فبا سحقه، قال فهو رد، وكتب إلى عبد الله
 رد ذلك واستصلاحهم . قالوا . فأعزله عدا فبا لا يريد أن يتأمر عليه وقد وقع
 ما وقع، فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلاً ممن ترضى وبرصو،
 واقسم الخمر الذي كنت تمتلك في حبل الله، وبهم قد سحقوا العمل، فعمل،
 ورجع عبد الله من سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية وقتل الأحرار (أي المطر بن^(١))
 بهم من هذه الرواية أن هذه الشكوى رفعت إلى غيره وعبد الله ما زال
 في إفريقية، فيس يكون أخيراً قد بلغ أهل المدينة وأصحابهم إلا من عبد الله
 ابن الربيع ومن وفد معه بأحبار الفتح؟ لقد رأيت أن الود لم يكن مفقوداً بين
 ابن الربيع وابن أبي سرح في إفريقية، ورأيت الأول يقبل على معسكر المسلمين
 فلا يسلم على القائد، ثم يخاطبه في لحظة لا نحو من شدة، ورأيت ابن أبي سرح
 لا تكاد تسبح له الفرصة للحلاص من ابن الربيع حتى يسارع فيرسله إلى المدينة^(٢)
 ولا حط كذلك أن ابن الربيع لم يس في آخر حطته أن يقول إن مروان بن
 عبد الحكم صفق على غنائم الحملة كلها^(٣) .

(١) الطبري، ج ٥، ص ٤٨، في حوادث سنة ٢٢ هـ

(٢) لو أن لصفاء كان معروفاً بين الرحيل لكان من أي سرح أحرص على أن يسبق
 ابن الربيع لأنه كان ممن لا يستغنى عنهم .

(٣) ولا عذر لذلك . م يس لدى تحميته خصه على من أبي سرح، إذ يجب أن ذلك
 من مكلف الوصاح . ولا يخفى مع ما سقت الإشارة إليه من حديث ابن الربيع عن ابن أبي سرح
 في مجلس معاوية من رجوع من عذري، لسان العرب، ج ١، ص ٨

وبدأ أصعب إلى ذلك أن لمراجع يتفق على أن عبد الله بن عباس ^(١) هو الذي
 قسم غنائم الحلة بين الحمد ، وعبد الله بن عباس رجل له مقامه ولا شبهة
 في دينه وزيادته — تبين أنه من المستبعد أن استطاع ابن أبي سرح أن يؤثر فيه
 وأن يجعله يتصرف بهذا الانحراف ؛ وكيف يتفق لمروان بن الحكم أن يصدق
 على الغنائم كلها في حين يقوم بتقسيمها عبد الله بن عباس ؟ وإذا شكوى هذا
 الأخير وهو أحق الناس بالشكوى والاعتراض ؟ ثم إن لبيب رواية أخرى
 لأن عبد الحكم ساقها عن رواية لا يرقى إلى صدقه شك وهو ابن أبيه ، ^(٢) يدل
 على أن توزيع الغنائم كان يجري مجرى لعبة للبراهمة ، فكيف يتفق هذا مع
 ما حدث وشاع ذكره من إساءة التصرف في غنائم الحلة وأحد عبد الله بن سعد
 بن الحسن لنفسه ؟

بيد أن وعد عثمان عبد الله بن سعد بأن يعطيه خمس خمساً يحتاج
 إلى شيء من الإثبات ، لقد رواه مع الطبري أن الأثير وأبو الحسن والسلاوي ، ^(٣)
 ويقلب أن يكون هؤلاء قد أخذوه عنه ، ولكنه لم يرد عبد اللادري وإن
 عبد الحكم ، ولا وجوده كذلك عبد من لم يأخذ عن الطبري كالنويري وإن عذاري
 والمذكي والمداع والدحي ، فكيف عاب أمره عن كل هؤلاء على ما له من الأهمية
 وسيد الخطر ؟

قد يكون أموال إبراهيم قد ذهبت العث حين انتهت إلى المدينة ودخلت
 بيت المال وكان يقوم عليه مروان بن الحكم وقد يكون هذا من الأمور

(١) النويري ، بهاء الألب ، ورده ٢٠٠ () — الدحي ، الخلاصة النقية ، ص ٧

(٢) فكانت غنائم بلدين يومئذ — كما حدثنا عبد الملك ابن سمع عن ابن أبيه
 عن أبي الأسود عن أبي أويس — كان أبو الأسود موثقاً قال : قسم رجل من الخبيث
 تولى دباب حمام فذهب إلى أهله بعد موته ألف دينار ، ابن عبد الحكم فتوح ، ص ١٨٤

(٣) ابن الأثير ، ج ٢ ص ٣٤ — أبو الحسن ، نجوم براهمة ، ج ١ ص ٦٩ — السلاوي ، ص ٣٦

التي أخذت على عثمان وكانت سنة من أسبب سحق الدس عليه ؟ وسبيل هذا أن عثمان كان رجلاً مسلاً لا يكاد يعطى إلى عث مروان ، وقد يكون قد تنهوا في ارقاة على بيت المال حتى أصاب منه آل الحكم نصاً وافر ، ولكن يستبعد أن يكون عثمان قد وعد بلال — أن يعطى أن أى سرح مالا هو عثم الدس أنه مال المسلمين كافة .

وإذا كرمنا عظم العيبة التي تصبب لمروان من إفريقية ، لا يستبعد أن يشك الدس في أن قسم هذا إلى قد صار ناقصاً ، بل لا يستبعد أن يخفق ابن اربيع على أن أى سرح ذلك ويشتره بين الدس بشير سحقهم عليه ، وكان كل ما يعطى عن عثمان وولائه يصدق في هذه السوت .

ولا شك أن الدس افتروا على عثمان بما سطل أصناف ما أى ، ولا راع في أن حو لمديسه كان يرحب في هذه الأيام (أواخر سنة ٢٧ هـ) بكل ما يقبل عن عثمان ، ومن هذا لا يستبعد أن يكون ابن اربيع السحق قد بقي في مدسة مراً من السحقطين على عثمان ، فاجتمع سحقه إلى سحقهم ، فثبت هذه الفرية وعت ، وانتشرت على عثمان وعامه في مصر وإفريقية^(١)

دامت هذه العروة حمسة عشر شهراً . بددت — تامق الرواة —

سنة ٢٧ هـ^(٢) ، ولا بد أني انتهت في سنة ٢٨ هـ (٦٤٧ — ٦٤٨ م) ، فإذا صدق

(١) ثم إن من أوردوا هذه رواية خمنون ، بينهم : فينون أبو محاسن . هـ وصالحه بعثهم على ألى ألف دبر ، فأصبها عثمان كلها في يوم واحد في آل حكم ، وبقا في آل مروان ، وبهم من هذا ثلثت بأمر أفريقية ، فحدث صدق وردب الأموال إلى بيت مال في المدينة . أبو محاسن ، نجوم المراهرة ، ج ١ ص ٦٩ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٧ . نظرى ، ج ٥ ص ٤٨ — بن الأثير ج ٣ ص ٢٤ — لتويرى ، ص ٢٢ (١) معام الإيمان ، ج ١ ص ٣ — نجوم المراهرة ، ج ١ ص ٦٩ .

ما ذكره المويرى من أن ارتحال الجيش عن المدينة كان في الحرم من سنة ٢٧ هـ ،
 كان وصول الجيش إلى إفريقية في ربيع الأول في هذه السنة ، وتكون موقعة
 سبيلة قد دارت في أوائل سنة ٢٨ هـ . لأن المسلمين طال انتظارهم قبل الموقعة .
 لم يوفق عبد الله بن سعد في قصد إليه من فتح إفريقية ، ولم ترد حنته على عارة
 طال أمدها وكثرت أحداثها ، ولكنها انتهت دون أن تحف وراها ثراً كبيراً ،
 ولعل لرحل حسن بعد سبيله أنه غير مستطیع من شيء بعد ذلك إلا إذا وصلته
 إمدادات جديدة يستطيع تثبيت الفتح بها ، فقد تكبد أن عثمان لم يستطع أن يمدّه
 بما يريد بعد أن سكنت عنه هذا الزمن الطويل ، أحب أن يترافع بانتظام ، وكان
 يحثو الحثية كلها أن يقوم السعدية حجة عليه وعلى عثمان في نظر العرب ، فاشتط
 في طلب المبلغ الذي يدفع إليه لكي يحمل إلى المدينة مبلغاً طائلاً من المال بدل به
 على أن الحجة وقت أعظم توفيق ، فمآحاه الأوفقة إلى ما طلب عمل بالعودة
 وهو من نقد الناس ، واتفق من أن حنّه سيرصون عنه ويلقبون في روع العرب
 بعد عودتهم — أن حجة إفريقية كانت من أعظم الحلات وأوفرها عنة .

عاد عبد الله إلى المدينة محملاً بالمال ، حسب الناس أن إفريقية قد تم فتحها ،
 وتناقبوا هذا الخبر ودونه الرواة ، وبلغت كلمة لمؤرخين على أن فتح إفريقية كان
 على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وهذا خلاف الواقع كما سبق بيانه ،
 إذ لم تكن حجة عبد الله إلا عارة طويلة كثيرة الأحداث وأمر العسيرة . عاد العرب

— ويذكر البلاوي أن عثمان أمر عبد الله بن سعد إلى إفريقية سنة ٣١ هـ بكونه يفعل أنه بدأ
 هذه الغزوة في سنة ٢٧ هـ وعاد إلى مصر في أوائل سنة ٢٨ هـ . نظر الاستغناء للبلاوي من ٣٥
 وقد تردد البلاوي بين سنوات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فقال ٢٩ هـ — ثم عزم — بعد أن
 استشار ، وكب إلى عبد الله في سنة ٢٧ هـ ، وبعث سنة ٢٨ هـ وقال سنة ٢٩ هـ بأمره يبروه ،
 فوجع الناس ، من ٢٢٦ هـ . وقد عمل ذلك بقوت ، وروى أحمد بن حنبل عن البلاوي — معجم البلدان
 ج ١ ص ٣٠١

مها فهاذت البلاد إلى ما كانت عليه : مات جرحير فأفاد الروم على أنفسهم والياً
مكانه ، ثم كانت الأحداث التي عصفت بالبلاد العربية عقب موت عثمان ، فتأخر
إتمام الفتوح إلى أيام معدوية من أنى صفيان ، فبدأت حجة من أنى سرح لم تحف
في إفريقية إلا أثرأ ما في أدهر أهل البلاد ، لعفت عليه السوات الثلاث عشرة
التي سبقى قبل أن تعلق حيل لمسلمين بلاد إفريقية مرة أخرى

المحاولات الأولى (ب)

حملة معاوية بن حذیج سنة ٤٥ هـ - ٦٦٦ م

كان لا بد أن تؤثر فتنة غنى وما يلاها من الأحداث في ثط الفتوح الإسلامية ، إذ لم يكن من اليسور للقادة واحدا أن يستمروا فيها كالوا أحدين فيه من فتوح بعد أن شنت يرا هذه الفتنة ، ولا شك أن الأمداد قد انقطعت عنهم ووقفوا أن تحول حروب الداخل دون إرسال احد إلى الأطراف ، فتركوا ما بأيديهم ، ولست أعصم حيث هو ينتظر نتيجة الصراع المحتدم ، وعاد المعص الآخر إلى الحذر والثاء بنسهم سبب في هذه لمركة العبيدة

وإذا كما لم تنسم في انصراف عبد الله بن سعد عن إفريقية وريح هذه الفتنة ، فلا بد أن واحدون في عواصمها الموح علة وقوف الفتوح تمام في إفريقية وغيرها — مدى السموات لمس التي طلت مشتتة فيها (بين سنن ٣٥ و ٤١) وإذا ذكرنا أن عبد الله بن سعد وحده من كل ممة من القادة كانوا من رجال عثمان وأنصاره وآل بيته ، توقف أن يكون اهتمامهم شديدا بما ترمى إلى أنساعهم وهم على الثور من نمر بن النمر ونكلتهم في الثورة عليه وسعيهم للخلاص منه وحديثهم بحاله وعمله ، وإذا ذكرنا كذلك أن مصر كانت مركزا من مراكز السخط على غنى والانتهاه ، وأن نمر من الدقين عليه حف إليها ليدر الثوب به سمعة عن الحذر ، إذا ذكرنا ذلك كله فقد مات أمام أعيننا أسباب هذه المودة لمحنة والركود الذي أعقها . ولنصف إلى ذلك أن هوى حيد إفريقية كان مع معاوية لأنه رأس شمة عثمان ، فكان لعوده لسريع وبصرهم إياه أثر حاسم في نتيجة الصراع بين علي ومعاوية .

وكان طليعي أن تعود الفتوح سيرتها الأولى بعد استقرار الأمور لمعاوية ، لأن أنصاره وبحاله كانوا هم فدة الحود ورجال الفتوح الذين كانوا يترقبون الفرصة للعود إليها ، وأعلن على ذلك أن حبة هؤلاء أصبحوا أعلام للدولة الجديدة ، فوجد الأمويون في ردهم إلى اولاية والقادة شيئا من حسن الجراء الذي استحقوه

تأمنوا قصبتهم وأعزوا جانبهم ، وإلى هذا نغرى بعض أساليب النشاط الواسع
الذى أبدته الدولة الإسلامية في دور الفتوح الثاني .

وكان عمرو بن العاص قد أصبح عملاً معاوية على مصر من سنة ٥٣٨ هـ ،
فأصبح بذلك — قيساً على عبد الله بن سعد — صاحب الزاوى فيما يتصل بأمور
إفريقية ، وأصبح في مقدوره أن يخرج عمرو بن أزد ، وكانت العاصم الوفيرة
التي عادها عبد الله بن سعد والمجاهد الرابع إلى آخره دفعين عمرو إلى التفكير
في أمر إفريقية ، وسكن همة لم تكن إذ ذاك على ما كانت عليه في ولايته الأولى ،
إذ عنت به السن ، وشغلته شئون المشرق عن أن يوجه اهتمامه كله عروة يقودها
إلى المغرب ، فاكتمى بن بعث إلى هذه البلاد حشدً مفتحوين معها ما يقدرون
عليه ويضمون من بواحيها ما تصل إليه أيديهم

بيد أن معاوية لم يرض عن عمل كهذا ، فمكر في أن يسارع في رد عمرو
عه ، إذ رأى فيه اردياداً استطاع عمرو — وكان حريصاً على أن يحد من ذلك
السطر — ورأى فيه كذلك طمعاً من عمرو في حيز إفريقية وعندها ، وكان هو
في حاجة إلى هذه العاصم والأموال ، ورتد نحدث في هذا إلى بعض خاصته ،
واسكنه أثر الكوت وترك عمراً يفعل ما يشاء ما دامت حوثة التي وجهها إلى
إفريقية لم تخرج عن أن تكون سرايا قصيرة المدى لا سكاك تصل إلى أكثر من
الواحات مثل فزان .

فلم أن توفى عمرو بن العاص سنة ٥٤٤ هـ ، سارع معاوية إلى استرداد الحق
الذى كسبه عمرو في ولاية إفريقية ، واعتزله ولاية فاعة نفسها بولى عليها من عده
والياً ، تكون صفته مباشرة ، دون أن يكون لصاحب مصر دخل في شئون
هذه البلاد ، فقام على مصر عقبة بن عامر الهذلي (بعد عزل عبد الله بن عمرو) ،
ثم أعقب ذلك تولية معاوية بن حذاف قيادة الفتوح في إفريقية والإمارة

على ما مفتحه من بلاده ، وذلك على رغم من أن عصبة من دفع كل لا يزال
إذ ذلك معرّية في واحة فرار ، ولم حات القرية منها .

ولا يفسر هذا إلا بعمل ظهر ثلث سنة من نافع إلا أن معاوية فصل
أن يكافئ هذه الولاية واحد من أصدقه المقرين إليه ، الذين أن يوه على الانتصار ،
وكان معاوية من حديد رأس اغترية في مصر ، استطاع أن يحول بين أنسج عبي وبين
الاستيلاء عني ، فقامه معاوية على هذه الولاية مكفوة له على ثباته وإحلاصه

— ٩ —

كانت عودة عبد الله من سعد من بر نقيه فعاد على ما بدل المسمون في فتحها
من جهود ستمرت ست سنوات من ٢٢ ، ٢٨ هـ ، إذ أنه عاد البلاد دون
أن تترك عيها والية ، ورت كانت عدة ذلك أنه لم يكن لديه من الحمد ما يستطيع
أن يحمله على هذه البلاد ليحفظها من يد ، ثم كانت سنوات الفتنة التي تب ذلك
قوة على ما عسى أن يكون مسمون قد ركوه من كثر في نفوس الأهليين ، فكان
على الفتح الحديدي أن يبدأ العمل من حديد ذلك أحد من مسمين لم تمس قدمه
أرض المقرب قبل ذلك .

وكان أحول الدولة البرنطيه بين سنتي ٣٥ و ٤٥ هـ كانت على شيء
من الانتعاش والقوة ، لاستطاعت أن تستعيد بر نقيه على أهول ميل ، ولكنها
كانت هي الأخرى تعاني من ضعف واضطراب أحول أكثر مما كانت تعنيه
الدولة الإسلامية .

لم يكن ماحق بالدولة من مصائب تكاف لإتباع ، مبراطوره قسطنطين الثاني
بالأصراف عن التدخل في شؤون بدين ، وعدت رعيته بالدهاب التي يحرصها عليهم ،
فابتدع مذهبا جديداً سمّه النموذج^(١) ، وتحد يحرصه على أهل الولايات ، فأنار
الدولة البرنطيه في مسجون
لصف
الثاني من
القرن السابع

(١) Diehl, op. cit. p. 556

ذلك اضطراباً شديداً ، وكان أهل إفريقية — من و.و. و.و.و. قد حمدوا الله على انتصاع صلتهم بالامبراطورية ، وشجعهم على ذلك الدنيا لدى لاحظ عظيم أثره في ثورة جريجو رومانوس في فعل إفريقية عن الدولة ديب ، فأنه ذلك قسطنطين ، وصم على أن يهض منه لعقاب الدولة ، فمضت حمداً قصوا على دبا مارس وأرلوا به من اعقب شياً كثيراً ، ثم أمره في في شمال البحر الأسود حتى مات ،^(١) وكان ذلك عقب عره العرب لصقته على يد معاوية بن حديج من الشام^(٢) ، فتر به الناس واشتد الصراع بينه وبينهم ، وفي هو في ذلك ، يدسعه نبأ رول الاومرد شهاب إيطاليا (٦٦٧ م) ، خف إليهم ينقدهم ، فكان ذلك من حملة مارل بالدولة من أحداث عاقبة عن الاعتد لاسترجاع إفريقية ، ثم عاد بعد ذلك فقام سلاطه في سرقوسة^(٣) ، وطلت هذه البلدة عاصمة الدولة مدى ست سنوات ، استطاع فيها أن سترجم كلزية وسردينية ، وحره صميراً من إفريقية ، وفرض الضرائب على كل شيء ، واشتط في ذلك إلى حد أن فصل الأن عن اسمه^(٤) ، فثار ذلك ثائرة أحد ، فقتله أحد في ١٢ يريه سنة ٦٦٨ م ، من ألقى عليه ماء علياً في الحمام ، وأعقب ذلك اضطراب شديد انتهى بالدعاة قسطنطين الثالث امبراطوراً^(٥) .

في هذه الظروف لا يستعد أمري أن يكون أهل إفريقية قد استمحلوا

(١) Annales de l'Arab. Sic., I, pp. 82, 90

(٢) وتلك هي الدولة التي أخذت من مؤرخي العرب كان عدري يسمونها سنة ٤٦ م في خلاف معاوية ، وذهبوا إلى أن معاوية بن حديج قام بها من إفريقية ، وخصه أنه أبع بها من الشام ، وعادت إلى الشام — العرب ، ج ١ ص ١١

(٣) Amari, op. cit. I, p. 95 (٤) Diehl, op. cit. p. 567. وأورد دليل ذلك شيء من لثت ، قال : خرج قسطنطين الذي في سعادة إدرية ، ولا يعرف كيف ولا متى ، ولم يسترجع منها على كل حال إلا ما كان ناعاً للحاكم الأفرقي .

Ibid pp. 97 99 (٥)

أما العرب فيخلصونهم من مقام الروم ، إذ يتفق كثير من المراجع على أن أهل صقلية استنجدوا بهم فأصلوا لهمهم (١) .

يذهب ابن الأثير إلى أن « هرقل أرسل إلى أهلها أي أهل إفريقية — بطريقاً ، وأمره أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون ، فربل الطريق قرطاجية وجمع أهل إفريقية ، وأحرقهم ، وأمره أن يفتك ، فتوا عليه وقالوا : نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا ، وقد كان سعي له أن يسأله لما باله المسلمون منا ، وكان قد قام بأمر إفريقية بعد قتل حارحير رحل آخر من الروم ، فطرده الطريق بعد قتل كثيرة ، صار إلى الله وبه معاوية ، وقد استقر له الأمر بعد قتل على ، فوصف له إفريقية ، وطلب أن يرسل معه جيشاً ، فسير معه معاوية بن أبي سفيان معاوية ، بن حديج السكوني ، فمروا إلى الإسكندرية هلك الرومي ، ومضى ابن حديج فوصل إلى إفريقية وهي تار تصطرم » (٢) وقد رأيت أن أحوال إفريقية العامة وأحوالها التي أوردتها توفيس وعيره تؤيد رأي ابن الأثير والويري ، وقد رأيت أماري يؤيد استجداد أهل صقلية بالمسلمين الذين حملوا إليهم ، فلم يستعد أن يكون أهل إفريقية قد فعلوا ذلك ؟ ولم يستعد أن يكون المؤرخ ابن العرب على الحق فيها دها إليه ؟ ومع ذلك فلبس من الضروري أن نقل هذه الرواية بحذوها ، بل نكتفي أن نأخذ منها إجمالاً ، فقرر أن راعاً شديداً بين البيروطين وأهل

(١) فلما وصل الأمر شور العديد من القبطية ، انقلب ليعقلون على قائم الذي كان اسجد العرب ، وبنوا حول قسطنطين ، الذي استطاع أن يطرد العرب من الجزيرة — أماري ج ١ ، ص ٩٥

(٢) ابن الأثير ، ج ٣ ص ٢٥ وقد روى تويري هذه القصة ، وراة عليها أن جعل اسم الطريق الذي أرسله هرقل جميعه ماله أوليه ، وأمر الرومي الذي قام بأمر إفريقية بعد مقتل حارحير حناحه : « وولوا على أنفسهم وديانهم الأحيون » ، ثم قال إن معاوية بن حديج وصل إفريقية ، وهي حرب ، وقد صارت مارة بها الأرب ٩٦ (ب) وقد أمر بوكسية ما شاء روه الويري وذهب إلى أن حناحه رعى كانت يحبه Gennadius وأولاه

Olympus - Ablavius Ablimus cf. Revue Afr 1885, p 204

إفريقية كان يثير اللاد ويعسم أنها شيعاً وخراباً، ون قسطنطين أراد أن يرغمهم على أن يؤدوا إليه مثل ما أحد العرب منهم، فراد ذلك في سخطهم وثورهم، وودوا لو أقبل العرب فخلصهم من يراروه. ثم إن انتقل قسطنطين إلى صقلية في ذلك الحين يؤيد ذلك^(١)؛ وتتفق لمراجع اليونانية على أن الدولة كانت تقوى إذ ذاك عتوراً مائياً شديداً، وأنها أرهقت صقلية وسردسية وكلمرية بالصران، فطبيعي جداً أن تكون قد أرادت بإفريقية مثل ذلك.

ويذهب موريل إلى أن قسطنطين لم يكتف بإرسال الرسل يجمعون له مال، بل حاول أن يسترجع إفريقية بقوة الحسد، وقد أشار أماري إلى ذلك بشارة يسيرة، ولكن موريل أكد أن النصوص نتحدث عن وجود جيش يسمى بالجيش الإفريقي Exercitus africal بين جيوش الدولة إذ ذاك، وأكد بيوري أن قسطنطين حاول أن يستعيدوها، ولكن دليل تامل عن النصوص التي أخرج بيوري منها رأيه هذا^(٢).

- ٢ -

يدكر ابن عبد الحكم^(٣) أن معاوية بن حديج عرابي فقه ثلاث عزوات. «أما الأولى فسنة ٣٤ هـ قبل مقتل عثمان، وأعطى مروان الحمر في تلك العروة، وهي عروة لا يعرفها كثير، والكتابة سنة ٤٠ والثالثة سنة ٥٠^(٤)» وحراره في ذلك أكثر المؤرخين العربيين، ونسب أنهم نقوها عنه، لورود عديده بالنسب في رواياتهم^(٥).

(١) Bury, op. cit. II, pp. 297-299. Diehl, op. cit. p. 568

(٢) Bury, op. cit. II, p. 302. Diehl, op. cit. p. 568

(٣) رويته عن عبد الملك بن مسلمة عن من لحيته عن يزيد بن أبي حبيب

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٩٣ — ١٩٤

(٥) معاد الأمان، ج ١ ص ٢١ وحققت علماء أفريقيا ج ١ ص ١٥، وقد ذكر أبو عرب =

ولكنه — أى ابن عبد الحكم — يجمع كل أعمال معاوية بن حديج في إيرية في عروة سنة ٣٤ ، وبجارية في ذلك ابن خلدون ، الذى يصف أن هذه العروة (سنة ٣٤ هـ) كانت في خلافة معاوية بن أبى سفيان ^(١) ، وسبق روايته يدل على أن أعمال ابن حديج كانت متصلة بى بعضها بعضاً ، دون أن يرق بينها فترات طويلة كاتى بين سنوات ٣٤ ، ٤٠ ، ٥٠ ، مما يتبين سائلى لاعتقاد أن الرجل قام بعروة واحدة ، أتم فيها كل ما سب له من أعمال ، أما العروان الآخرين فرمما شرع فيها ولم يعمل ، أو لم يتم بها أصلاً

ومما قوى الشك في ثبوت لرواية أن عابية مؤرخين الآخرين لا يدرون إلا عروة واحدة يجمعون فيها كل فتوح معاوية بن حديج ، ويختلفون في تحديد السنة التى تمت فيها هذه العروة الواحدة ، فيحملون بعضهم سنة ٤٥ هـ ^(٢) والبعض الآخر سنة ٤١ هـ ^(٣) ، وقد منهم من ذكر ثبت في سنة ٣٤ أو في سنة ٥٠ هـ ^(٤) ؛ مما يؤكد أن ابن حديج خرج في عروة واحدة أتم فيها كل ما سب إليه من أعمال .
ففى أى سنة كانت ؟

لا جدال في أن معاوية بن حديج كان في مصر سنة ٣٤ هـ ، إدا كان من كدر

— أنه أحدها — عن حرب عن عيسى بن عيسى بن محمد عن ابن وهب عن من هبة عن ابن أبى حبيب ، ويكنى ثعلب أنه سمع عن من عبد الحكم ورهه الأختار (ص ٧) وهذا المرجع ذكر أن عروة ثمانية كانت سنة ٤١ ، وبنو من (ص ٣٤) ورياض نفوس (ورقة ٤) ويختصر على ذكر اثنين ولا يذكر سنة ٤٣ هـ)

(١) ابن خلدون ، ج ٢ ص ١٨٥ (٢) ابن الأثير ، ج ٣ ص ٢٥ ، ولؤوى ورقه ٧- (١) ، وناجى ، ص ٤٥ ، وابن حرب لاسى عدى ، ص ١١ - ١٠ وبنو من ٢٣ - ٢٤

(٣) الكرى ، وصف أفرغيه ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٨ ، وناجى ، وبنو نفوس ، ص ١١٤ (٤) يذكر ابن عبد الحكم وبنو خلدون سنة ٣٤ هـ أطر : لؤوى ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، نهر ، ص ١٨٥ . ويكنى بن ممدشو مؤلف برهه لأطوار نفوس ، أن ابن حديج خرج الآثار السنة ثمانية بقصد سنة ٣٤ ، (أطر ص ١٧) وتردد أبو الحسن بن سنى ١٥ ، ٥ أطر التيجوم الزاهرة ، ج ١ ص ١٣٠ - ١٣٩

القوادى حش عبد الله بن أنى سرح ، ولكن قصة عثمان كانت في هذه السنة على أشدها ، وكان سحق الناس قد بدأ يستعيص على الأسس ، وبدأ الشعب ، وكانت مصر على خصوص مراكز عن مراكز السحق على عثمان ، حلف إليها مع كثير من أعدائه ، وحدثوا يدرسون أمرهم للحلاص منه ، وكان عثمان وأنصاره في هذه السنة في شغل عن أمرو المخرجي مما أصاب الخلافة من اضطراب ، فاقصرت جهودهم على الدفع عن عثمان ، فكيف تنفق أن يهين معاوية بن حذيم بعزوة عظيمة كده ، وهو من شيعة عثمان وأنصاره ، والحرف في مركز الدولة لا يسمح له أن ينفق قواته في البلاد سنة بعيدة ، وإذا كما علك عموذ أن أنى سرح السريعة بحساسه بالخطر على عثمان ، فكيف يطمئن إلى إرسال جنده إلى إفريقية في هذا الطرف المخرج الذي « سرت فيه ركايب اسحرين عن عثمان »^(١) كما يقول أبو المحاسن : ثم لما تجد معاوية بن حذيم في مصر في العام الثاني ، أي سنة ٥٣٥ هـ ، مباحثا عن قصة عثمان مطالبا بدمه ،^(٢) فكيف اعلم أنه أن يذهب إلى إفريقية ويفتح حولاء وسوسة ومثروت ويحصر هذه المدن زمانا طويلا ، ويقوم بالحيلة القرب مساكين بسميها فيروا^(٣) ، ويتم ذلك كله في أقل من سنة ، ثم يعود إلى مصر ؟ أليس لمقول أن تكون هذه المعزوة قد تمت في وقت آخر ساد فيه الهدوء واستقرت الأحوال ، وأمنت فيه شيعة عثمان على أنفسهم ؟ وأليس لمقول أن يكون فوريل قد أصاب حين استبعد أن يحصى من حلفاء ، فيذكر أن معاوية كان خليفة سنة ٣٤ هـ وأن ابن حذيم كان واليا على مصر إذ ذاك ، وعمل ورود سنة ٣٤ في روايه سحق السرح الذي ذكر سنة ٣٤ بدلا من سنة ٤٣ ؟^(٤) .

ثم إن رواية ابن عبد الحكم نفسها يشوبها شيء كثير من الاضطراب ،

(١) استجوم براهرة ، ج ١ ص ٩١ (٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٩٢ ، ٩٧

(٣) ابن ساعي ، معجم لإيمان ، ج ١ ص ٤٢ (٤) Fourne op. cit. t. I p. 161

وهو محال كل أعمال معاوية من حديث أنى أوردتها جميع مؤرخين ، في سنة ٣٤ ،
ثم يعود فيقول أن هذه العروة لا يعرف كثير ، ألا يكون لأقرب للصواب أنه أراد
أن يكون بن معاوية من حديث رثا يكون قد عرّ عروة صغيرة سنة ٣٤ لم يتم فيها
شئ ، دى قال ، وسبب لم يعرفه كشي^(١) ، ثم عاد فعرا عروة كبيرة أخرى في سنة
لم يذكرها سهواً ، ذلك أقرب الآراء إلى الصحة ، وأكثرها اتقاد مع منطق
الحوادث . أما سنة ٥٠ فقد بين لمؤرخين من يذكرها ، وقد ذكر بعضهم فيها
حدث قبيل ، أو تردد بين وبين سنة أخرى ، مما يتبين سبب إلى فيها ، خصوصاً
وأن حماد بن عمار مصري هذه السنة (٥٠) كان مسجوناً بن محمد الأموي^(٢) ،
وأنه عزل عقبة عن إفريقية ، وولى عليها بدله مولاة أم المهجر ، ولم يقل أحد
من مؤرخين أنه نعت معاوية بن حديج ثم عزله عقبة ثم عزل هذا بأنى للمهجر .
نقبت سنة ٤١ و ٤٥ ، فاما الأولى فكانت تحت مقتل علي ، ولم تكن أمر
معاوية قد استتب بعد ، ولم تكن الظروف تسمح له باستعكبر في العروة ، ولعلقول
أن العروة كانت في الأخرى ، أى في سنة ٤٥ محمية ، بعد أن ثبت قدم معاوية
واستطاع أن يملك في التوسع والعروا الخارجى ، ثم بن ولى مصري سنة ٤١ هـ
كل عمرو بن اعاص (منذ ٥٣٨) . ولم يرد أنه أرسل معاوية بن حديج ، في حين
كان هذا الأخير قائداً حيد مصري ولادة عنة بن أبى سفيان عامل مصر لمعاوية
سنة ٤٣ . وبنى في هذا المنصب إلى سنة ٧٧ ؛ حين عزله مسنة بن محمد وقام

(١) حوال كودا أن يناد من عند الحكماء ذهب إليه ، ولكنه لم يوفق ، إذ لم يأت
سنة . بن يصوص على هذا التفسير ، ثم قد يفت على هذه العروة . ولكنها كانت على جانب
من الأهمية ، وربما تكون قد توقف في مدتها ، حسب تراجم أخبار الأحداث بن كانت
تلقى مفرق في ذلك نفس ؛ وكانت قلة فهم تلك داعية النفس إلى إهمالها ، والبص الآخر
إلى حبسها عن تلاف من عروا ، ثم عطف على هذا أنى يقوله : بن جمع الحوادث كلها

في سنة واحدة بعد تاريخ : Caudel or C. II pp 86-87

(٢) أبو الخراس ، الثوم الزاهرة ، ج ١ ص ٧٥

على حمد مصر بطله الصائب من هشام : فالمقول أن معاوية بن حديج استطاع
في هذه السنوات الأربع أن يوفي مصر أن تقوم محملته على إفريقية ،
وما دام أعاد أنور حين يذكر سنة ٤٥٥ هـ (٦٦٦ ميلادية) ، فلا يبعد أن يكون
ذلك هو لتاريخ الصحيح لتلك العروة

أما مداه فغير معروف ، فقد تكون استمرت إلى نهاية سنة ٤٦٦ هـ ، لأن
معاوية عزل عن حمد مصر في سنة ٤٤٧ هـ ، و قد امتدت إلى أوائل سنة ٤٧٠ هـ ،
لأننا نجد عاملاً لمعاوية بن حديج على طرابلس ، وهو ربيعة بن ثابت الأنصاري يعزو
حريرة حريرة في سنة ٤٧٠ هـ ^(١) .

وتذهب طائفة من أنور حين ^(٢) إلى أن معاوية بن حديج خرج محملته
من دمشق ، وهذا غير صحيح ، لأن ثابت المعروف أن معاوية كان على حمد مصر
إدلت ، وأنه خرج إلى إفريقية من مصر بالطريق العادي ، وليس هناك ما يؤيد
القول بأن حمته كانت بحرية ، وإنما ثابت المحقق أنها كانت برية ، وأنها صدرت
في نفس الطريق الذي سلكه عبد الله بن سعد ، و قد يكون معاوية قد أدركه
في فتح لمرب وهو على حمد مصر جراه له على ما أدى من الإخلاص في الدفاع
عن قصبة عثمان .



يبدو أن الأحبار غير معاوية بن حديج إلى إفريقية كانت قد اتصلت بالروم
قبل وصوله ، لأننا نجد حيثاً برطانيا يقوده قائد اسمه مقهور يرسل إفريقية ويتقدم
ليلقى العرب ، و ربما كان هذا الجيش قد أقبل لأمر آخر غير قتال العرب ، لأن
الحرب بين الفريقيين كانت قصيرة المدى ، ولعل أن التأثير لم يصدق حين قدر

(١) اللؤس ، ص ٢٦

(٢) ثم إن عذاري ، وإن حلفون ، والنوري ، ويظهر أن السب في وقوعهم في ذلك
لحظة هو أنهم ظنوا أن معاوية بن حديج كان أميراً على مصر ، وقد أثار في ذلك روبرت في كتابه
عن عدة من تاريخ (ص ٢٩) (٣) cf Roth Okba ibn Nafi, pp 29, 30

هذا الجيش ثلاثين ألف مقاتل . لأنه يجتمع عدد ذلك أن معاوية من حديد سير
إلى أروم حسب ، فوكل بروم هذا العدد الكبير لساير هو إليهم بكل جيشه ،
وعدته عشرة آلاف فقط (١) .

من اشتهر أن أمور إفريقية كانت على حال من الاضطراب تؤيد قول
أن الأثير أن معاوية من حديد وصل إلى إفريقية وهي تار تصطرم (٢) ، لأن الدولة
أردت أن ترشق الأهليين بدفع مسيح عظيم يرى ما دفعوه للعرب ، وشدت الزرع
بين العربيين كما سبق بيته ، حتى اضطرت الأديفة إلى طرد عامل الامراء في بلاد
إلى بلاده ، ورتبها كان ذلك هو السبب في إرسال جيش الذي لقيه معاوية من
حديد ، وكانت سطحة الإمبراطور قد عصت من اسلاد حتى لم يبق منها إلا طل
حصف ، وذلك على الزعم من وجود لامراء في صفية في ذلك جيش ، على مقربة
من إفريقية ، وقد سبق القول بأنه قيل في أن بعد سطحة عيسى بن مالك عليه
سرا معاوية سمح بحج على جيش عشرة آلاف جندي (٣) يريد إفريقية ،
وكان مسيره على مقربة من الح ، فتقدم حتى أقصى إلى مهن تونس وحط رحاله
في ناحية قونية (٤) ، وكان معه في جيشه غير كثير من الصحابة ولما هم ، من
أمثل عدد لله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن زبير بن العوام وعبد الله بن

معاوية
حديد

(١) روى أن جيش معاوية حديد كان عشرة آلاف ، وأيد ذلك على برويسال
في دائرة اسراف لإسماعيل (معجم عدد مدينة بيروت ودائرة المعارف نفس الساعة) . وقد
قدّر أن الأثير جيش أروم ثلاثين ألف مقاتل . وقال : « فلما سمع بهم معاوية سير إليهم
جيشاً من لخميين من الروم ، من أثير = ٢٠٠ من ٢٠٠ ، ورد سوري أن يعمر أنعم عن
معه بعد هذه الطريقة — نهاية الأثر من ٦٧ |

(٢) ابن الأثير ، ج ٢ ص ٢٥ (٣) الفيرواني ، ص ٢٤

(٤) م يرد نسخة ذكر في معجم بلاد ولا بكرى ولا يدرى ، وحدث أن عند حكم
موصها بأنها موع مدينة بيروت ، وعبثاً بها هي (duel varda) سيطرة ، ورتبها
كانت هي شطها قبل ، وقد وصفتها ما كان بأنها بيروت إفريقية من عبد الحكم ، فوج ،
ص ١٩٣ ، ورياض القوس ورقة ٤ |

صهوان^(١)، ويحيى بن الحكم بن أبي العاص، وعدة من أشرف قريش^(٢)، وغير
كثير من جند مصر^(٣).

لم يكن معاوية يستقر في قومية حتى نسمع بربول حش يرنط في إفريقية،
فتقدم للقاءه، ولم يدر بين الفريقين شديد قتال، إذ عمل الزعم بالأسلحة العودة،
وبذلك انتهت المقاومة البيزنطية.

تقدم معاوية إلى الشمال، ويدونه اقترب من البحر، لأن المراجع نجدنا
أنه استقر في مكان يسمى القرب^(٤) اتخذ مركزاً لأعمده، ويدونه أنه قدم ذلك
المكان رمزاً طويلاً، لأنه احتكر فيه أسماً تسمى تار حديح، واسمى دوراً^(٥)،
ومن هناك أرسل عبد الله بن زبير تنفع اليوم، وذهب أن هؤلاء يهفروا بعد
الناوشة الأولى حتى أدركوا سوسة، وهناك نشو فترة قبل أن يلقوا، فبث معاوية
في أئمه عند الله بن زبير، فذركهم وباؤشهم مناوشة خفيفة أقنعوا بدهش
في البحر^(٦)، فاستولى عبد الله بن زبير على سوسة، وعزم منها بعض العثم،
ثم عاد إلى معاوية بن حديح في القرب.

كان أعمام معاوية بن حديح بعد ذلك أحد أسيرين: إما أن يسير عزماً فيتوكل

(١) ولد عبد الملك سنة ٢٩ هـ، وكانت سنة ١١ هـ هذه مروة ١٩ هـ، وهي من
مكة، ولكنها لا تقع من قديمه، الدور الذي - بسببه -.

(٢) المؤس، ص ٢٤ - ٢٥ (٣) ربح نعوس، ورقة ٣ (ب)

(٤) تنفق المراجع كلها على ذكر قومية وحل مطور ونقرون، وكلها إما كمن لا وجود
لها في الماضي، ولا تقع خصوصاً كذلك على ريبه المحدث وربما كان أقرب تريب للمنطق
هو أن معاوية استقر أولاً بقومية ثم حبب لقاء اليوم حتى إذا مر من أصرهم استقر بأحد
القرن، وأرسل عبد الملك بن صهوان بن حنولة، واسم التريب إلى سوسة وقد ورد القرن باسم
حل القرن في معالم الأيمان ورجح كودل أنه حل Ousselet, cf. Caude op. cit. II, p 96
ج ٢ ص ٩٦ (٥) البابي، الخلاصة نسخة، ص ٣

(٦) يسمي الكري في أس زبير أموراً لا تراعى في أنها مختلفة كقوله إن العدو هاجمه
وهو يصل إلى مصر، ثم كثرت له وأكمل صلاحه ثم هجم عليهم فهمهم - الكري، ص ٢٥

المحصنة ليهاجم القوى البرية في معانها ، أو تنحى إلى الشمال بفتح مدائن الساحل ومحرمه ، ليتم له القصد على ما بقى من آثار اروء في السلا ، ويحول دور أية محاولة يدرونها لفتحها من جديد ، فانهى إلى أن يحقق العرصين معاً ، وقر رأيه على أن سدد للتوغل في الداخل أحد قواده ويهم نفسه بالمسير إلى الشمال (١) .

وقع اختيار معاوية بن حديج على عبد الملك بن مروان ، ويبدو أنه لم يكن موثقاً في هذا الاختيار إذ كان عبد الملك حدثاً في التاسعة عشرة من عمره لا عهد له بقيادة الحدا أو القيام بفتوح ذات خطر ، وسداه بعثل في فتح حولا ، على رغم نداعى أسوارها ونهدها ، ثم يختلف مع معاوية بن حديج في تقسيم عسقم حمته ، وتشند الحصومة بينهما إلى حد يدعو معاوية بن حديج إلى استئنة معاوية ابن أبى سفيان في دمشق ، وبطل عبد الملك مسداً قائده إلى أن تعود الحملة أدراسها ، وبعثا كالب استب الذي حدا بمعاوية إلى اختيار عبد ملك هو قرانة هذا الأخير من الخليفة ، وبيل ابن حديج إلى رضاء آل أمية باختيار فتى منهم لقبدة هذا المنصب ، إذ لا صراء في أن صراً كهده يرفع من قدر ابن حديج لدى البيت الحاكم .

(١) ويذهب نفر من المؤرخين كأي يعرف إلى أن معاوية بن حديج قاد نفسه حملة حولا ، وقد أبده في ذلك نوبرى حيث يقول : « وقال معاوية أهل حولا : « على يامد لديه محم معهم مه أن معاوية سار نفسه ، ولكنه يعود يقول : « وصرى عبد ملك إلى معاوية وهو معسكر بغير منظره ، محم معهم مه أن معاوية أرسل عبد الملك إلى حولا ، وقت منظره بالقرن ، وتردد ابن عبد الحكم بين رأيين فقال : « وقيل بل عراه معاوية بن حديج نفسه ، فاحصرهم فم يقدرو عليهم فاحصرهم آيساً منها وقد حرج عه أصحابه وقتل منهم ، وثقة المؤرخين على أن عبد الملك هو الذى قام بها ، سدد ابن عبد الحكم : « يعود بيشة إلى خلاف بين معاوية بن حديج وعبد الملك على عاتق حولا : « واحصر عبد ملك بن معاوية بن أبى سفيان ، فكث ابن معكر رده للسرقة ، فسم ذلك بينهم « كما يرجح أن عبد ملك قاد هذه الحملة . ابن عبد الحكم ، فوج . ص ١٩٤ ، رياس العوس ، ورقة ، (١) ، بهاء الأرب ، ورده ٧

فصل عند ملك من معه وانجه إلى العرب ، وكان أقرب حصون الحصنة إليه
 حصن جولاء^(١) ، ولم تكن من كبر الحصون أو المحارس ، ولكنها كانت أقربها
 إليه ، « فحصرها أياماً فلم تصنع شيئاً » ، وانصرف راجعاً ثم سر سيرة حتى رأى
 في ساقية أساس عذراً شديداً ، فظن أن العدو قد طعنهم ، فكرر جماعته من لسان
 لذلك ، وبقى من بقي على مصافهم ، وتسرع سرعان لسان ، فإذا مدينة حولاء قد
 وقع حائطها ، فدخلها المسلمون وعموا ما فيها ، وانصرف عند ذلك إلى معاوية
 ابن حذيف^(٢) . وظهر من هذه الرواية أن أسوار المدينة كانت مداعية آية
 للانقضاض ، ولا يصل حجر عند ملك عن الأسلاك عيب إلا فقه حربه وإسراعه
 بالعودة بعد حصار قصير ، وظهر من الرواية كذلك أن المدينة لم تكن لها
 حامية ، وإذ كان أهلها هم الذين يدافعون عنها ، وإنما استطاع أن يخذل فكرة
 عن ثروة المدينة في هذه الأيام إذا عرفنا أن نصف لسان من عائلته كان ماثلي
 دسار ، ويطلب أن العرب لم يحدوا بحصن ناس كثيرين ، ولم يصدوا منه شيئاً
 كثيراً ، لأن عند الملك من مرءاه اشترى نصيبه من العبيدة حارية ، مما يدل
 على أن الحصن لم يكن مأهولاً .

(١) جولاء أو حولاء على مقربة من القربون ناحية ، بعد عنها أربعة وعشرين ميلاً . وهي
 مدينة كبيرة وحصن بها على فداء ، ذهب دليل من أن أنصاه برطلي COUJIA أحد محارس
 الحصنة ، في حين ذهب دي فرج إلى أنها LA LINDIE ، وأثبت دي سين خطأ دي روجر .
 مما يتركه رثي دين ، وقد أجد عنه شواهد وحقن موضع لدسة نفسه . وانتهى حصره
 العرب على ذكرها والقول بقدمها ووجود الآثار بها ، ورد الكري أنها كانت عنه كثره
 الأشجار ونسار وما نصب لسكر ، ثم يدرسي قصصها حولاء ، ويقول : « إنها مدينة
 صغيرة عسك سوري وبها عين ماء حارة » ، الكري ، وصف أفريقيا ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨
 والإدريسي ، ص ١٢٠

(٢) ابن عبد الحكم ، فوج ، ص ١٩٣ - ابن الأثير ، ج ٣ ص ٢٥ (محاصرة حذيف)
 السكري ، وصف أفريقيا ، ص ٣٢ - ٣٣ ، ويظهر أنه نقلها عن ابن عبد الحكم . بن حليون ،
 (ملحة دي فرج) ص ١ - سوري ، نهاية الأثر ، ورقة ٦٧ (ب) ٦٨ ()

يتفق مؤرخون على أن حلالة وقع على قسمة غنائم حنولاء بين معاوية من
 حديث وعبد الله بن مروان ، إذ أراد هذا الأخير أن يخص بها من رافقه من
 الحدة ، في حين رأى معاوية أنها من حق الجيش كله . من اشترك معهم في فتح
 حنولاء ومن لم يشترك ، واشتدت البجاجة بينهما في حد صطر معه معاوية بن
 حديث في استشارة معاوية بن أبي سفيان ، لحسم النزاع بأن قرر أن غنائم حنولاء
 من حق جيش كله ، فضمت بين الحدة جميعاً ^(١) . وسدوا أن يرسلين ظلالاً
 متعددين بعد ذلك في الشهر الحلة ، إذ يقول السكري : « فإله : ولم كان من
 عبد الله بن مروان ما كان ، ومعارضة معاوية من حديث على فيش ، ثقل على
 معاوية من حديث ، فكان يتجهجه ولا يقبل عليه ، فرأى جيش القسمة في
 عبد الله بن مروان وهو متفكر صغير انور ، فقال له ما شئت ؟ فقال في
 أمدل فرش محب من لأمر ، فقال له جيش لائهم . . . الخ » ^(٢) .

يذهب نفر من مؤرخين إلى أن معاوية طار مكانه ناحية القوس ، فغير بها
ناراً لا تزال تسمى نار حديث ، وأنه أسمى بها دوراً سمها قيرو ^(٣) في موضع
 القيروان قبل أن تأتي عقبة ، ولكن ذلك كله مشكوك فيه ، ويجوز أنه انتهى بعض
 المسكن للحدة واحترق ناراً صغيراً ، أما أن يكون قد فكر في إنشاء لمدينة صغير
 صحيح ، ولا وجوده في المراجع لأهمية الأولى كان عند الحكم والسكري والبلاذري
 وابن الأثير .

مسير معاوية
 إلى بقرت

ثم هم معاوية فتوجه إلى الشمال ، وكانت وجهته بقرت ، ومن العريب أنه
 لم يقصد قرطاجنة عاصمة إفريقية البيزنطية ، وكانت معروفة للعرب إذ دأب فلا يقال
 إنه جهلها ، وربما كان السبب في ذلك أنه تهيّب حصارها لما كان معروفاً عنها

(١) أنظر المراجع المشار إليها في الماش الأخير من الصفحة السابقة (٢) السكري من ٣٣

(٣) الناجي ، الخلاصة النقية ، ص ٥٥ من نسخة ، مع الأبيات ، ج ١ من ٤٢ ؛
 المالكي ، رياض النفوس ، ١ (١)

من المعة والقوة ، ولا راع في أن معاوية أخطأ بذلك خطأ كبيراً ، فهو أنه وحده جهوده نحو قرطاجنة لخطأ بفتح إفريقية خطوة كبرى ، لاشك في أهميتها ، ولكنه انصرف إلى ميسر ، لا أهمية له ، ولم يكن لسقوطه أي أثر في تقدم الفتح العربي لهذه البلاد .

والتدصيل عن فتح بررت قليلة ، ويظهر أن أكثرها أصافه مؤرخو العرب ، فيحسب أن مكتفي بذكر رواية السكري الذي يقول : « وافتتحها معاوية بن حديج سنة إحدى وأربعين ، وكان معه عبد الملك بن عمرو ، فشد عن الجيش ، فمر امرأة من العجم من عمل بررت ، فقره وأكرمت مثواه ، فشرط ذلك ، فدا ولي الخلافة كتب إلى عامه بإفريقية في المرأة وأهل بيته وحسن إليهم ^(١) ، مما بهم منه أن بعض أهل أسلاد كانوا يرحبون بالعرب ويثقلونهم كمنحصرين من مساكن الروم ، وأن العرب لم يكونوا يسهون أسلاد السب الذي يع الذي يصوره صندون وديبل وفورتل ^(٢) وأضرابهم .

ويذكر بعض المؤرخين عروة بنتها معاوية بن حديج في ذلك الحين إلى صفلية ^(٣) ، ويحملون ذلك على فتح بررت ، وواضح أنهم أخطأوا فوصفوها حملة معاوية بن حديج ، التي نعته فيها معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة ٢٧ هـ ، أو ٢٨ في خلافة عثمان ، إذ كان معاوية قد عرابه قهرص ، وأرسل معاوية ابن حديج قهرارودس ثم صفلية ^(٤) ، ورد أخطأ ابن عذري في اسفل عن اللادري

(١) السكري ، وصف إفريقية ، ص ٥٨

(٢) راجع Daniel I op. 145-146 ، op. cit. p. 570. Caudel, op. cit. II, pp. 87-96

(٣) ابن عذري ، ليس ، ج ١ ص ١١ ، وابن السكيت ، معجم الأسماء ، ج ١ ص ٤١ ،

والسلاوي ، الاستقامة ، ص ٣٦

(٤) وراجع تماري ، صفحات ٨٨ - ٩٠ من جزء الأول حيث يذكر طريقة من سيرة معاوية بن حديج ومناصرة معاوية وشرطه في فتح مصر وفتح دقة وفتح مصر في تلك الحملة ، ثم توليه معاوية ربه على رأس الأسطول الذي عراب رودس وصفية وجمعه بها عن كثرة ، —

فتح جزيرة
جربة

فكتب : « وفي سنة ٤٦ من الهجرة — قال البلاذري — أول من غزا صقلية معاوية بن حديج بعثه إليها عبد الله بن قيس ، وأصاب فيها أصناماً من ذهب وقصة مكنانة بالجواهر ، فحملت إلى معاوية من أبي سفيان » ، وصحفتها في سنة ٢٦ وعن ابن عدي أن أحدهما ابن حني ، وابن الداجي خطأ^(١) ، وكان معاوية قد حلف على طرابلس محبباً اسمه ربيع من ثبات الأنصاري ، فقدم بحملة قصيرة على مها البحر إلى حرثة وهي جزيرة محيورة للساحل ففتحها ، وعاد سريعاً ، وبدوا أنها كانت مشهورة بالسكان لأن اسمين أصابوا فيها سبياً ، إذ يقول البكري : « قال حش من عند الله الصعاني^(٢) : عرووا مع ربيع من ثبات الأنصاري لمعرب ففتح قرية من عري معرب فقال لها حرثة ، قدم فيما حطياً فقال : « أيها الناس : لا أقول فيكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يوم حير : فادع رسول الله فقال : لا يحمل لأمري . يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى مارع عييه ، يمي . ثيان الجبال من السبي »^(٣) .

وبدو أن معاوية من حديج لم يحسن التصرف فيما ومع له من عداثم حملته ، فمساء قسمها ، إذ يقول ابن عبد الحكم ، رواية عبد الملك من مسلة عن ابن طليحة عن بكير من عند الله عن سليمان بن يسار ، قال : « عرووا إهريقية مع ابن حديج ، ومعه من مها حرب والأصهار شر كثير ، ففعلنا ابن حديج المصعب بعد الحسن ،

— ثم ذكر أنمري بعد ذلك أن تفرغ من لنا مارس والأمرامور فمطططين الثاني كان على أشده ، فإف ذلك معرب إلى فتح الحررة ، ولم يكد معاوية قطع من سرقوسة فائداً إلى الشام ، حتى نزل قسطنطين الثاني الجزيرة .

(١) أنظر ٢٠٣ I. p. ١ ، cf. Mercier op. ١ = ٢٣

(٢) سبق أن ذكر سكري حدثاً مع عبد الملك بن مروان بعد فتح حلولا ، وهذا يدل على أن حدثاً أشد في فتح حرثة بعد فرعه من حلولا ، ولما كان فتح حرثة سنة ٤٦ هـ ، فلا بد أن الفراع من فتح حلولا كان في أواخر ٤٥ أو في أوائل ٤٦ ، وفي هذه السنة تم فتح بيروت الذي يجب أن يكون قد تم قبل ههنا — انكري ، وصف قريعية ، من ١٩

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، من ١٩٢

فلم أر أحد أنكر ذلك إلا جلة من عمرو الأضرى^(١) . ولم يكن لتصرفه هذا أثر سيء كما حدث في حملة عبد الله بن سعد ، ولم يعترض عليه إلا جلة هذا ، الذي أبى أن يأخذ شيئاً ، وكان تصرف معاوية مثير مناقشة لفقهاء ، ويدل على ذلك أن ابن عبد الحكم نفسه عاد فروى الحديث عن يوسف بن عدى عن آخرين بالنص ، إذا كان في تصرف ابن حديج خلاف للحكم الشرع في تقسيم الغل



تلك كانت حملة معاوية ابن حديج على إمر بقية ، وذلك هو الموقوف به من أحبارها ، ولم يكن لها نتائج تذكر ، ولم تكن خطوة لإتمام الفتح الإسلامي للبلاد ، وإنما كانت عارة طالت بعض الطول ، استولى العرب فيها على مدينتين قلبي الأهمية ثم نجحوا عليهما وعادوا ، ويبدو أن معاوية لم يمد من إمر بقية سرعاً ، لأن مسلمة بن مخلد لم يمر له عن جند مصر إلا بعد ولايته بقليل ، ولم يذكر أحد من المؤرخين أنه استدعاه من ميدان إمر بقية ، وقد رأيت معاوية يؤثر السهل من الفتوح ، فيجلب كبار المسالخ والمقاتل ليهاجم صمداءه ، ولهذا لا يبعد أن يكون اكتفى بذلك ثم عاد ، دون سب مقول من غير أن يخلف في البلاد أثراً يذكر لا يخطيء . إذن إذا عددناها إحدى المقدمات الطويلة التي سقت الفتح الحقيقي ، إذا كانت آخر الغارات السريعة التي لم ينتج شيئاً ، وسنداً بعد ذلك أولى حلقات الفتح الحقيقي على يد رجل طالت حركته إمر بقية وأهدى ، فعرف السبيل الموفق لتثبيت قدم المسلمين ، فبدأ فتحه بإقامة معقل بمسعين وقبروا ل لأسلحته حتى تركز الفتوح وبدأ العمل المنتج .

الباب الرابع

فتح إفريقية

حملة عقبة بن نافع الأولى
وبناء القيروان

يقدم عقبة بتدريج دور المحاولات الأولى ، ويبدأ الفتح الثابت المستقر ،
وتعد أعماله خبجراً لأول في ساء إفريقية الإسلامية ، فم أنه بدأ عمله والمسلمون
في سهل تونس ، وانتهى منه ولمسلمون في رقة ، وأن حملته الكبرى لم تكن
أكثر من معصرة طويلة فبيلة اخدوى ، ولكنه كان أول من قام بحملة قوية ،
استطاعت أن تفتح طريقها وسط السلا وأهملها ، وتهد كل شيء في سبيلها حتى
تنتهي إلى المحيط

كان عقبة بن باع (بن عبد القيس بن لقيط) قرشي من هجر ، ولد قبل الهجرة
سنة واحدة^(١) ، يتصل نسبه بعمرو بن لعاص من ناحية أمه ، وإلى هذه القرابة
يرجع كثير من الفصل في ظهوره على مسرح التاريخ ، إذ كان عمرو يعرف قدره
وشق فيه ، فعهد إليه بعث قران كما مر - فوق فيه توفيقاً كبيراً ، ثم حلفه
في رقة مبراً على ما فتح من إفريقية حينما عاد سنة ٢٣ هـ ، فلبث فيها حتى قدم
عبد الله بن سعد سنة ٢٧ هـ ، والعلب أن عبد الله حلفه على رقة ، وتوجه هو
لإفريقية لأب لا يحد عقبة ذكر في أحداث حجة عبد الله ، ولو أنه اشترك فيها
لكان له دور لا يمكن ذكره ، ولا بد أن عقبة عاد إلى مصر مع عبد الله بن سعد
سنة ٢٨ هـ ، لأن هذ الأخير لم يترك في إفريقية أحداً من المسلمين ، ويظهر أن
بقاء عقبة في إفريقية هذه السنوات الست ترك أثراً كبيراً في نفسه ، فتمثلت آماله
بالفتوح والعروات ، وكان هذ البيل وراثياً في نفسه ، إذ كان أبوه باع بن القيس
فانحداً دأشاً ملحوظ ، فكانت السنوات التي قضاها عقبة في إفريقية معارياً للبر ،
مستقلاً بين قائلهم وواحائهم ، فرصة طيبة لتسمية مواهبه الحربية ، وكان طبيعته
رحلاً صليحاً شديد الإيمان فأحد - وهو في هذ المثل - تحول على مدى
الأيام إلى شخصية حربية دبية لا سكاذ تميل إلى شيء غير الجهاد في سبيل الله ،

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣ من ٤٢٠ - ٤٢١ . خلاصة تقييد ، الساسي ، ص ٥

ولا ترى عاية أعظم من الاستشهاد على قتل المشركين ، واضمرت معه عن
 متارعات السياسة وأسايلها ، لهذا لا نجد لعمه ذكرأ في ملحة السياسة الكبرى
 التي شعلت المسلمين عشرين سنة بين سنتي ثلاثين وأربعين هجرية . والعالم
 أنه قضى هذه السنوات بمصر مع معاوية بن حديج ونسر بن أبي أرطاة وشريك
 ابن سمى ومسلة بن محمد وغيرهم من القلبية ، وأنه اشترك مع هذا المعر
 في كعاج أنصار على ولا تراعى أن عفة كان يستطيع أن يصب من بعد نصت
 في هذه الأيام مثل ما أصابه معاوية بن حديج ، ونكر ليدان لم يكن ميدانه ،
 فازوى ساكده حتى سكنت ريح واستب الأمر لمعاوية ، عدت مصر إلى عمرو
 ابن العاص ، فوجد الفرصة سانحة لتحقيق ما أعتقت به نفسه من الفتح والجهاد ،
 فلم يستأن بدأ الشط من حديد ، فدمع ما حالت الفتنة به وبين بانه .
 ولما كان عمرو يعرف عدم معرفة مواهبه وما انطوت عليه معه ، ولما كان عمرو
 مكر إرداك في إرسال بعث إلى إفريقية لأسباب مرآبها ، فقد أدرك له
 في الخروج إلى إفريقية ، فم يكذب أن أسرع في تنفيذ ذلك من سنة ٤٩ هـ .

يقول ابن الأثير : « وفي هذه السنة — أي سنة ٤٩ هـ — استعمل عمرو
 ابن العاص عفة بن نافع بن عبد قيس ، وهو ابن حالة عمرو ، على إفريقية ، فنتهى
 إلى أمانة ومراة فطاعوا ، ثم كفروا فمراه من سنته فقتل وسى . ثم افتتح سنة
 اثنين وأربعين عداس ، فقتل وسى ، وفتح في سنة ٤٣ هـ كورا من كوز السودان ^(١) ،
 وبؤيده أبو الححاس بقوة . « وفيها — أي في سنة ٤٣ هـ — افتتح عفة بن نافع
 العهرى كورا من بلاد السودان وودان ^(٢) » ثم يقول ابن الأثير بعد ذلك أن عفة
 ظل مقبى بريقة وروبه حتى استعمله معاوية بن أبي سفيان على إفريقية سنة ٥٥ هـ ^(٣) ،

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣ من ١٨٤ (٢) أبو الححاس ، العيون الزاهرة ، ٢ من ١٣٥

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣ من ١٨٤

ويؤيد ذلك مؤرخ مصري آخر هو الكندي إذ يقول : « وعقد عمرو بن العاص لشريث بن سُمي المظني على عمرو لواءة من الدبر ، فصرام شريث في سنة ٤٠ هـ فصالحهم ثم انتقصوا بعد ذلك على عمرو بن العاص ، فبعث إليهم عقبة بن نافع ابن عبد القيس الهجري سنة ٤١ هـ فصرام^(١) » ، ثم يعود فيقول : « وعقد عمرو لعقبة ابن نافع على عزوه ولاة وشريث بن سمي على عزوه سنة ، فعروا ٥٤ في سنة ٤٣ هـ ، وعدا وعمرو شديد الدف في مرض موته^(٢) » .

بهذا يجتمع لدينا طائفة من الأخبار تدل على أن العرب عادوا بعد سنوات العتة يتمون ما كانوا قد بدءوا به قبل أن يتور ركابها ، وليس هناك ما يحول دون قبول هذه الأخبار التي يوردها هؤلاء المؤرخون لثلاثة ، وأن لم تؤيدها بقيتهم . لأن المكري وأما الحسن مؤيدان يوثق فيما يرويان من أخبار مصر وما يتصل بها ، وأما ابن الأثير فيذكر صراحة أنه اعتمد في كتبه هذا الجزء من تاريخه على رواية شريث بن سمي ، إذ يقول : « وأدى ذكره أهل التاريخ من العارفة أن ولاية عقبة ابن نافع . وهم أحمر سلاهم ، وأن أذكر ما أنتهوا في كتبهم ، فإنا . »^(٣)

لم يكف أمر مصر بنسب عمرو — إذن — حتى أتته بظلاله ناحية لمصر ، فعمل بتجديد الدبر من جبهه ويرى بهم هذه البلاد ، ولا بعد أن يكون هؤلاء أحد هم الدين سعوا إلى الخروج في هذه العتة ، لأن امتداد العتة قد حال بينهم وبين ما كانت نومهم غيل إليه من مصر والفتوح ، ولكن عزم عمرو في ولايته الكثيرة لم يكن على ما كان عليه في ولايته الأولى ، إذ علت به السن عن تدبير

(١) الكندي ، كتاب القصة والولة ، ص ٢٢

(٢) نفس المصدر والمضمة

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ص ١٨٤

فتوح واسعة النطاق ، تستدعى الكثير من الإهتمام والعناية ، ثم ترد جهوده على
بعوث وطلائع قليلة الأهمية والأثر .

وكان عقبة قد طال به الزمن وهو يتقرب العزيمة ليستأنف ما ساء في ولاية
عمرو الأولى من الفتح في فرا وودان وما يجاورهم من بواحي الصحراء ، ولا براع
في أن طول عهده بإفريقية وكثرة اشتغاله بمحروبها قد مكّنه من تكوين فكرة
واحدة عن هذه البلاد ، إذ اتصل بأهلها وعرف الكثير من أخلاقهم ، وجاس
في ربوعها فلم يطمعها ونظر إلى أمثال البلاد المفتوحة وإحصائها : فعرف أن
فتح العرب لا يشت إلا بأمرين : أولهما إنشاء مركز للعرب في قلب إفريقية ،
نصكر فيه حاميتهم ، وتوضع فيه أموالهم ومن شؤونهم وأقدارهم ، ويجرحون فيه
أعدائهم ، ويجرحوا من القساطر ، وثانيهما عمو البربر أنفسهم والتوسع في قلب
بلادهم ، وإدراكهم في مساكنهم في الهضاب والقفار والصحراء ، وسدوح الجبال
بدلا من الاكتفاء بعرو مدش الساحل ومهبها ثم العودة بالعمية ، لأن العرب
ما يكادون يصرفون عن هذه البلاد ، حتى تعود إلى ما كانت عليه قديما ،
لاتصال الأسباب بينها وبين الدولة البربرية عن طريق البحر ، ولقلة ما يتركه
السمعون من أثر في عرايتهم المريعة ، ثم لأن عزو روم الساحل لا خير فيه ،
وإحصاءهم لا يعنى خصوع إفريقية .

إلى هاتين العاتبتين اتجهت همه عقبة ، والبال أنه كان قد عقد الية — يوم
حرج في ولايته الأولى — على أن يتم الشطر الأول ، ثم يعقبه بالشطر الثاني ،
فدحاها العرب وحال يسه وبين تعيد ما أراد .

وكان عقبة على الحق في رأيه ، وكانت خطته هي أمثل ما يتبع في إفريقية ،
وقد أكمل شطرها الأول نجاح ، ولكنه أخط في تعيد شطرها الثاني ، فكانت
خيلته الكبرى معاصرة طويبة قبيلة الأثر وجمعة العاقبة .

بدأ عقبة عمله من سنة ٥٤١ هـ ، هذا باحصاع ثوابه من حديد ، ثم تقدم إلى غدامس فاحبها سنة ٥٤٢ هـ ، ثم توجه إلى الجنوب ففتح بعض واحات الصحراء التي أرادها ابن الأثير بقوله « كوراً من كور السودان »^(١) ، ولبت مقيا في هذه المواحي حتى ولاء معاوية حمد إفريقية وسيره بها سنة ٥٥٠ هـ ، ولا يبعد أن يكون قد رحا أن يوافيه عمرو أو معاوية بالحد وهو على سريته هذه ، ليم بدأ به ، وربما بحث في طلب ذلك ، وهذا — كما يجب على الص — موضع الاحتجاب الذي ذهب السلاوي إلى أن عقبة ، أرسله إلى عمرو في حملته الأولى سنة ٥٢٢ هـ ، يد أن معنى قوله إنه « قد وضع أخرية على أهل رولة ومن يمينه وبها ما رى أنهم يطيقونه ، ومن عنده جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء ويردوها إلى أمراء » ، ويأخذوا الحرية من الذمة فتحمل إليه تصر^(٢) » ، أن أهل هذه السلاو كان قد طال عهدهم بالإسلام حين أرسل هذا الكتاب فاعتقه منهم عمرو وبقي منهم عمر آخر على ديبه ، فأخذت الصدقة وجمت أخرية ، بل بعهم كذلك أن بعضهم كان قد أطاع ثم عاد فارتد ، منهم عقبة مرة أخرى وأقام عليهم العمل وإنجاة ، وامت إلى عمرو بحد ذلك كله . ومقول حد أن يكون عقبة قد أراد بهذا الكتاب أن يدل على عظيم توبيقه وحنانه ، ويستحث القنصين بالأمر على موافاة بالخنود والممد حتى يتم هذا الأمر الذي بدأ به ، ولست سطر إلا أن أمدد ليستف المسير . أما أن يكون قد بحث ذلك الخطاب في عمرو سنة ٢٢ أو بعده بقليل ، فامر بعيد الاحتمال ، إذ يبعد أن يكون العرب قد تقنوا على الإسلام من يوم دخل العرب إفريقية إقدا لا يستدعي تنظيم أمورهم وإقامة العمل وحماية الصدقات .

توفي عمرو بن العاص في أول شوال سنة ٥٤٣ هـ ، وأصبحت يد معاوية ابن أبي سفيان مطلقاً في شؤون مصر ، إفريقية يولي عليها من يشاء ، وكان

(١) من الأثر ، أسد القارة ، ج ٣ ص ١٨٤ (٢) السلاوي ، موج سدان ، ص ٢٢٤

معاوية بن حديج من أكر أنصاره في مصر . جاهد في سبيل عثمان ومعاوية جهداً طويلاً وأدرك للنهاية ثراها فقتل محمد بن أبي بكر ، وأصلح بين عمرو ومعاوية حين اشتدت الملاحاة بينهما وكادت تؤدي إلى مالا نحمد عقاه ، ورزيت له دمشق يوم وفد عليها بعد استقرار الأمور ، مما مات عمرو وتطلعت نفس ابن حديج إلى شيء من حسن الجراء الذي ستحق ، وعرف له معاوية أيديهِ ، فقامه على جند مصري ولاية عقبة بن أبي سفيان ، وأمره بالمسير إلى إفريقية ، وبعث إليه الإمداد من جند الشام ، فإلى حملته سنة ٤٥ هـ التي مرد ذكرها .

ولا راعى أن عقبة كان يرحو أن يكون مكان معاوية بن حديج ، ولكنه لم يجد بداً من الرضا بذلك ، لأن معاوية أعلى منه مرتبة وأرحح كفة في حساب سي أمية ، فانتظر حتى عاد معاوية من حملته في أوائل سنة ٤٧ هـ نسيمه قليلة ، وما هو إلا فليس حتى بعث إليه معاوية بأمره بالمسير إلى إفريقية وبعده بالحد فحف مسرعاً (١) .

— ٢ —

يعرّد ابن عبد الحكم والمكرى يذكر تفصيل وافية عن أعمال عقبة وفتوحه في حملته الأولى ، فيصعد مسيره من رقبة إلى موضع القيروان وصدّاً يحاطه قصص كثير ، ويدهش إلى أن عقبة خرج إلى المغرب سنة ٤٦ هـ «ومعه نُسْر بن أبي أرطاة وشريث بن شُمي المراسي ، فقتل حتى رل عمّداش» (٢) من صرت ، وكان توجه لمر إليها كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث بن سعد سنة ٢٦ هـ ، فذكره انشته . وكان (مصعباً) ، وبلغه أن أهل ودان نقضوا عهدهم وسعوا ما كان

(١) ذكر ياقوت أن عقبة جمع ٥ من أسلم من البربر وصحبهم إلى الجيش الوارد عليه من معاوية — مصعب البلادي ، ج ٧ ص ١٢٤

(٢) يعلل أن صحتها معدّاش ، على مرحلة من صرت إلى الغرب — المكرى ، وصف إفريقية ، ص ٧

نصر من أى أرطاة قد فرض عليهم ، خفف عقبة بن دافع جيشه هناك ، واستحلف عليهم عمر بن على القرشي و رهير بن قيس ، ثم سار نفسه وعن خف معه أرمائة فارس و . حتى قدم ودان « ثم ذكر المؤعان كيف أخذ عقبة قتيك ودين فقصم أذنه أدناه و فرض عليه حرية قدره ثلاثمائة وستون عمداً ، ثم سأل أهل ودان عن وراثتهم ، فدلوه على حرمة^(١) «مدسة فرس المظلى» ، فأحصعها بعد أن أدب ملكها ، و فرض على أهلها حرية قدره ثلاثمائة وستون عمداً ، ووجه ملكها بعد ذلك إلى المشرق ، ثم افتتح قصور فيران ، و تنقل إلى سد يسميانه حاور فمجر عن فتحه بعد حصار شهر ، فمضى إلى كوار وفتحها وادب ملكها ، ثم عاد حمية فدخل أهل حاور وفتحها ، ثم عاد إلى جيشه على مقربة من صرت ؛ و يصيف همدان للمؤرجان إلى ذلك كرامة لعقبة ، يد : « قوم عقبة تمكك اسمه اليوم « ماء فرس » — ولم يكن به ماء — فأصابهم عطش شديد أشقى عقبة وأصحابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ، ودعا لله وحمل فرس عقبة محث بيديه في الأرض ، فكشف عن صخرة فامجر منها الماء ، فجعل فرس عقبة يمشي ذلك الماء ، فأصره عقبة فمدى في الدس أن احترقوا واطفأ سبعين حريقاً ، ففسروا واستقوا ، فمضى لذلك ماء فرس^(٢) »

يحدد المؤرجان سنة ٤٦ هـ لهذه المرأة ، أى أنها كانت في نفس الوقت الذى كان فيه معاوية بن حذيف على عزو إفريقيا ، ويروى أن بعد المراع منها أن عقبة اتجه راجعاً إلى عدامس ، وقلبي قسطنطين فكان القيروان ، فبدأ قدر ما شهرين لسيير عقبة من صرت إلى عدامس — بعد رجوعه من هذه الجولة الصحراوية —

(١) ذكر برواة أن عمة حلف حدين على القيروان حين سار من إفريقيا

(٢) يسمي أن Garamantes الذى ذكره ديل ثم أهل حرمة هذه .

(٣) ابن عبد الحكم ، موج ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ، و انكرى ، وصف ورميسة ،

ص ١٣ و ١٤ باختلاف بسيط

سكانت لمدة لتي انقضت بين شروعه في السير الأول من حرفة وشروعه في بناء
 القيروان عشرة شهور أو سنة واحدة على الأكثر وإذا كان عقبة قد بدأ بناء
 القيروان سنة ٥٠ هـ فلا بد أن يكون قد قام بعروته تلك خلال سنة ٤٩ هـ ،
 وإلا فكيف يتفق ذلك مع قولهم إن عقبة شرع في هذه العروة سنة ٤٦ هـ ،
 وإذا كان عقبة قد أتم حوائله الصحراوية الطويلة في شهور خمسة ، فكيف قطع
 المسافة من فراب إلى القيروان عن طريق مسطبية في ثلاثة السوات الباقية ؟
 أعلب الظن أن المؤرخين أخطأ في تحديد ذلك التاريخ ، وذكرنا سنة ٤٦ هـ
 بدلاً من سنة ٤٩ هـ .

بذلك تستقيم سلسلة الحوادث : رجع معاوية بن حديج في أوائل سنة ٤٨ هـ ،
 وشرع عقبة في مسير سنة ٤٩ هـ إذا لا يتفق القول بأن معاوية بن أبي سفيان سير
 عقبة في نفس الوقت الذي كان فيه معاوية بن حديج على غزو إفريقية .
 وإذا جاز أن نستنتج شيئاً من قول ابن عبد الحكم والكبرى إن الوقت كان
 شتاءً ، لصح القول بأن مسير عقبة كان في أوائل سنة ٤٩ هـ لأن أول الحرم من
 هذه السنة يوافق ٩ فبراير سنة ٦٦٩ م ^(١) أي منتصف الشتاء .

عاد عقبة إلى جيشه لدى كان ممكراً على مقرته من صرت بعد عينة
 خمسة أشهر استراح الحشد خلالها ، وحثت جيوشهم وظهورهم ، سار متوجهاً
 إلى المغرب ، وجاءت الطريق الأعظم ، وأخذ إلى أرض فرب ، فرب كل قصر
 منها ، ثم مضى إلى (بياض) ففتح قلاعها وقصورها ، ثم بعث حيلة إلى غدامس
 فافتتحت غدامس ، ثم انصرفت إليه حيلة سار إلى فصة فافتتحها وافتتح مسطبية
 ثم انصرف إلى القيروان ^(٢) .

(١) روث ، ص ٣٥ Roth op. cit. p 35 ونورل ، ص ١٠ Fourne ,

op. cit. L. p. 150 وقد أورد أحداث هذه الرحلة لصحراوية سون نيبو

(٢) ابن عبد الحكم ، فوج ، ص ١٩٦ كبرى ، وصف إفريقية ، ص ١٤

يتفق ابن الأثير وابن عسار والمويرى^(١) على القول بأن معاوية وثى عقبة
أمر إفريقية في سنة ٥٥٠ هـ ، ويؤيد مؤرخون البيزنطيون ذلك ، فيعتقدون على ذكر
حالة كبرى على إفريقية في أول حكم قسطنطين الرابع^(٢) ، ومن هذا كمال الراجح
أن عقبة قام بمحلمته في الصحراء عقب عودة معاوية من حديج من إفريقية وقبل
تولية معاوية إليه وإرساله الإمداد إليه ، ولهذا عاد إلى مركزه الأول على مقره
من صرت ، ولو كان معاوية أقره على إفريقية ، لشد لسانه إلى إفريقية رأساً دون
الحاجة إلى العودة إلى صرت ، وما وصله الأمر والمدد شرع في المسير إلى العرب ،
واحتل عداس ، وربما كان هذا هو السبب في إبعاد أكثر المؤرخين ذكر هذه
العروة الداخلية ، إذ أن معظمهم بدأ تاريخ عروة عقبة من ساعة وصول العشرة
آلاف حدى إليه في أوائل سنة ٥٥٠ هـ ، ويبدون تتبع رحلاته على هذه النواحي
من سنة ٥٢٢ هـ إلى ٥٤٩ هـ أدى إلى دخول بعض أهلها في الإسلام ، لأن ابن الأثير
والمويرى يذكران أن عقبة أخذ معه من أسلم من البربر عند مسيره إلى إفريقية
سنة ٥٥٠ هـ^(٣) .

مسير عقبة
إلى إفريقية

أخذ عقبة طريقه في داخل البلاد معاًد الساحل ، وقد رسم هذه الخطة
في كل أعماله - سواء في هذه العروة أو غيرها - وربما كان دافعه إلى ذلك
يرشده الاعتماد على الإقليم الساحلى لثى بالخصون والحارس ومصيلة الطريق
الداخلى المقفر الذى لا يكون فيه إلا مقاومة ضئيلة من القبائل البربرية وسكان
الواحات ؛ ولا راعى أن عقبة لم يكن على الصواب دائماً في الترام هذه الخطة

(١) ابن الأثير ، أسد سادة ، ج ٣ من ١٨٤ - لمويرى ، نهاية الأرب ، ورقة ١٦٨ -
ابن عسار ، البيان للقرص ، ج ١ من ١١ - ١٢

(٢) السبى Pogonat لدى بدأ حكمه في ١٥ يوليوس ٦٦٨ م ما يوافق أوغسطس ٤٨ هـ

(٣) ابن الأثير ، أسد سادة ، ج ٣ من ١٨٤ - لمويرى ، نهاية الأرب ، ج ١ ، ١٦٨ ،
ويؤيد ذلك سى برومبال إذ يؤكد أن جيش زعيم أحد قبلايد بأفهام البربر إليه أثناء
مسيره في البلاد ، أصله د . م . ا . مادة عقبة

وتحسب غيرها ، لأنها جمعت من غزواته معمرات قبيلة بجدي ، الفيلة ما فتح
أثناءه من مدن البلاد الكبرى وحصولها مهمة ، وذلك على الرغم من كان حدوده
يقفون من متاعب السير في هذه المواحي الخشبية الفاحشة .

سار عقبة متفلا بين أقاليم الواحات التي أقيمت في طريقه مثل غدامس
ومسطيلية ومن ثم أقصى إلى إفريقية ونجح رأساً إلى موضع قنوصية الذي كان
معدوية من حديد قد عسكر فيه قبله ، فوقع اختياره عليه ليقيم فيه اندسة التي كان
قد عقد العزم على بنائها . .

لم يكن أهل إفريقية يتوقعون مجيء العرب إذ ذلك ، لم يتعدوا الحد
ولم يلبثوا إلى حصولهم كما عهدناهم في المرات السابقة ، فدعهم غنة ، وأصاب
مهم كثير ، وهذا يحدثنا البويري : « فتفتح ووضع السيف حتى أمسى من بها
من الدري » (١) .

ولسنا نحدد كراً بمدى القبل الدريع في غير البويري والاستنصار (٢) من
المراجع العربية ، وإن كان المؤرخون البيرطانيون من أمثال بوهاس وقذريوس
واسطاس الكتني ، يجمعون على وقوع اصطبل شديد تاسيحيين في إفريقية في أوائل
حكم قسطنطين الرابع (بحوث) ، أي في نفس الفترة التي ود غنة فيها حملته
على إفريقية (٣) .

(١) البويري ، نهاية الأرب ، ٦٨
(٢) لاستنصار ، (جمع كريمة ، ص ٣) . وصاهر أنه من ذلك عن البويري ،
لأن عبارتهما تتفقان حرفاً .

Theophanes , , p. 549 Cedrenus. Compendium, I, p. 764 Anastase (٣)
Hist. Eccl. II, p. 177 Fournel, op. cit. I, p. 151

وإذا أريد استيعاب من أمثال فورس ودبل وروب هذه الأخبار ، ولعل في تصوير هذا
الاصطبل مائة جعلت منه نيراً من أدمه كما قال روب ، انظر :
Roth. op. cit. p. 842 —
Fournel : op. cit. I, p. 151

كل عقبة تقدر أهمية إمامة مدينة لمسلمين في إفريقية ، لأنه قال : « إن إفريقية (إذا دحسها إمام) تحوموا بالإسلام ، وإذا خرج منها رجوع من كان أسلم بها ، وارتد إلى الكفر ، وأرى لكم يامعشر لمسلمين — أن تتحدوا بها مدينة محمل فيها عسكرياً وتكون عر الإسلام إلى أول الدهر^(١) » فشرع في اختطاط هذه المدينة دون أن ينتظر طويلاً ، ولا شك أن نطق عقبة إلى ذلك الأمر ، ومبادرته بإعادة كل يدان بدأ العمل لمتيج امتح إفريقية ، فتأسس هذه المدينة هو الحد الفاصل بين الأحوال الأولى التي تقدمتها والتي لم تنته إلى شيء ، والأعمال التي ستميها والتي ستنتهي بفتح البلاد فتحاً ثابته دائماً يجعل منها بلاداً إسلامية صرفة ، إذ أن جند المسلمين كانوا قبل ذلك يحرقون من مصر للأعرة على ما يستطيعون من بلاد إفريقية ثم يعودون إلى مصر أو إلى رقعة محددين بالعلم — أو من غير علم — دون أن يحلموا في البلاد أثراً ودون أن يكون في عاراتهم معنى الفتح .

يذكر ابن عبد الحكم أن عقبة « لم يصحب بالقيروان الذي كان معاوية ابن حذيفج ساه فيه ، مركب والدس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، وكان وادياً كثير الشجر والمطبخ تأوى إليه السباع والوحوش والهوم^(٢) » ؛ ويجمع المؤرخون — عدا المالكي — على ذكر ما قاله ابن عبد الحكم فالمعنى أو بالمعنى ، ويريد المربيون منهم فيحيطون بخطط القيروان بعدد كبير من الأساطير طاهر الالتحال ، فهل كان موضع القيروان كما قال ابن عبد الحكم حقاً و « شعاري لا يسلك^(٣) » و « دحلة مشنكة بها أنواع الحيوان من السباع والحيات^(٤) » أم كان « حصا لطيف الكروم ، وكان فيه كسرة وفيها السريتا الحراوان اللتان

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ص ٦٨ ١ (٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٦

(٣) النويري ، نهاية الأرب ، ص ٦٨ (٤) ابن الأثير ، أشع البقاء ، ص ٣٨١

هما اليوم في المسحده^(١) كما يقول المالكي ؟ لكي نصل إلى الحقيقة لابد من تحقيق قومية هذه التي احتطت القبروان موضعها أو فيها .

يتفق الكرى واليعتوي والتيحاني^(٢) على أن قومية قطر هي كثر العمران والروع ، ويدكره الأدريسى وابن حوقل باسم قودة^(٣) ، وأنه يضم عدداً من القرى والمدائن مثل فاصرة ومدكور وقافوس وحوس الصاور ، ويعتدون حدها الجنوبي بإقليم قسطنطينية وحده الشمال - وسط ، وينسب التيحاني إلى أن هذا الإقليم يصل إلى البحر ، لأنه يذكر أن قومية وسطى - قومية^(٤) ، وذكر ياقوت أن قومية هي المدينة المعروفة بسوسة المغرب^(٥) . ولما كان المعروف أن سوسة هذه هي هادروميثوم الرومانية ، وإلى حوسها تقع بلدة Caput-Vada الرومية كذلك (التي يظن أن العرب حرفوا اسمها إلى قودة أو قومية) فإنه يجب على الظن أن ياقوت أراد أن يقول إن قومية هي المنطقة المحيطة بمدينة سوسة .

قومية إذن — كما يحددها الجغرافيون — هي فلب إفريقية البربرية ، وكانت عاصمة بالخصوص والمدائن والبراري والقرى وما إليها من معالم العمران ، فكيف اتفق إذن وجود هذه العنات الكثيفة ، ملائى بالحشرات والهوام والسباع والحيت في وسط هذا الإقليم العاصر لمطروق ؛ ولو لم يكن التيحاني قد أكد اتصاله بالبحر لكان مقولاً أن توجد فيه نواح مقفرة من السكان والعمران ، لأن بعض أحرار الولاية الداخلية كان قد ذكره الخراب من منتصف العصر البربري ، أما وهي مطلة على البحر فتستعمل حداً وجود هذه العنات الملتعة والشعري لتي

(١) المالكي ، رياض النفوس ، ورقة ٧

(٢) البجاني ، رحلة ، ١٤ ، ١٥ و ١٤ ب و كرى ، وصف جزيرة ، ص ٧٥

(٣) الإدريسي ، ص ١٣٣ و ابن حوقل و ينفق وصف هذين الإقليمين لقودة مع وصف

الكري لقومية ويدكرهم فيها مدناً واحدة مما يدل على أن قومية وقودة إقليم واحد

(٤) اسعدى ، رحلة ، ١٤ ، ١٥ ب (٥) معجم بلاد ، ص ١٧٠

لا تسلك فيها ولو أن ذلك قيل عن مكان آخر بداخل لسلاسل تقسيم العمل ، لأن هذه المنطقة كانت قبل أن يسكنها الإنسان منطقة غابات معتدلة منتجة الأشجار ، أما إقليم قونية كما يحدده الجغرافيون فليس من المعقول أن تكون هذه الغابات قد تركت فيه على حاله خلال العصور الماضية كلها ، مع أنه على بعد ثلاثة أيام من قرطاجة نفسها .

لعل قولنا أن موضع القيروان كان حصن اللطيف الكروم وإليه كان موصلا لكيفية حكمة الله ، في البريتس الخمر والثلث بينهما حصن من المعين إلى مسجد عقبة فيه بعد ، لعل هذا القول هو الصوت ^(١) ومن المعقول أن يكون هذا الحصن اللطيف الكروم قد أدرجه الخراب في أوائل القرن السابع وعمره أهله فسكنت إلى كرومه حصن الذئب والصاع وما إلى هذه من الوحوش التي تخاور العمران ؛ وما قبل عقبة وأسمه وقع اختيارهم على موقع ذلك الحصن ، فحفظوا رحاهم على مقربة منه وأخذوا يستعدون لتخطيط مدنها إلى جواره ، فبرعت الصواري من حكمة جيش الذي عسكر إلى جوارها ، فأحدث تسرب هاربة ، فرآه العرب بفعل ذلك فطؤوا أهدأ معصرة من معمرات عقبة ، فكان ذلك موضعا حصن لجبال برواة ، فاصفوا حصنة الوحوش وصوروا الكرم هذا التصوير اسلخ فيه حتى تهر المعجرة وبصح بقيروان ما يريدونه ها من المقداسة والحلال .

هكذا يمكن سير ما اجتمع عليه رأي مؤرخين من وقوف عقبة على الموضع الذي تحيره لاحتطاط القيروان ومداته : ه أيتها الحيت والسبع ! نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إرحنا عما ياب نزلنا ! ومن وحدناه بعد ذلك فقتله ؛ مطر الدس في ذلك اليوم إلى السبع تحمل أشداه والذئب تحمل أحرأها

(١) سكي ، ريس سبوس ، ص ٨ وفيه مدحه ذلك إذ يقول إن قوسه أو قوده مددة رومانية مدته وسبع إلى أن عرب استصوبوا مواده في ماء القيرون . أشهر دائرة المعارف الإسلامية مادة قيروان

والحيات تحمل أولادها ، وسلم كثير من الرر^(١) . وقد أفاض المؤرخون العربيون في تفصيل ما دار بين عقبة وأصحابه في تحديد موضع القبروات ، فذهب الدناع في معالم الأيمان إلى أن عقبة تحرى أن يكون لأهلها ثواب الرباط وشرف الجهاد ، واعتقد بها عن الساحل حذراً من معاشاة الروم لها ، وحمى على مقرنة من سبعة اتكون قريبة من المراعى ، فترعى الإبل فيها آمنة من عرة الرر والصارى^(٢) ، بل بيع من إصحاب رواة العرب باختيار عقبة^(٣) أحد رواة الدناع — وهو الشيخ الصالح الفقيه أبو مهدي عيسى الصملى — رغم أنه استدل أن القبروات رابعة الثلاثة مكة والمدينة وست لمقدس^(٤)

موقع
القبروات

والواقع أن عقبة أحسن اختيار هذا الموقع ، فقد كان تطلم الفتح يستدعى إقامة مدينة في هذا الموضع المتوسط بين الساحل والحصنة ، القريب من السموع الصالحة للرعى وقد علق كودل على ذلك بقوله : « وكان اختيار مكان موقعا بل بيع من التوفيق في اختياره أن ولاية العرب ومن حلتهم من الحكام المستقيين قاموا بها زماناً طويلاً ، ولم ينتقلوا عنها إلا حين اضطرتهم ظروف سياسية جديدة إلى ذلك . كما كان موقعا الحربي معروفاً مدحوظ الأهمية ، إذ كان الحكم الذى يتخذ هذا الموضع مركزاً لأعماله ، يستطيع أن يرى العدو من بعيد ويتحرز من المرات المعاشاة الكثيرة الحدوث عند الرر . وإذا أراد أن يطاردهم إلى هضابهم وحد الطريق مفتحة أمامه ، إذ كان يستطيع بعد مسير نضع ساعات الوصول إلى أعلى الحضاب ، عن طريق وادى ررود ووادى مرجحى ومسالك حبل مارحو ، ومن أعلى الحضاب كان يستطيع الإشراف على ما يجاورها ، فيتيسر له حكمها إذا كانت لديه

(١) الزورى ، نهاية الأرب ، ٦٨ ب وقد أوردها بقية المؤرخين بصورة مختلفة —

أبو عبد الحكيم ، فتوح ، ص ١٩٠ — من الأثير ، أسد ساه ، ج ٣ ص ١٨٤

(٢) الدناع ، معالم الأيمان ، ج ١ ص ٨ و ٩

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ٦

القوة الكافية لذلك . كذلك كان وراءه الخدع قديرين على أن يقوموا بهذا النوع من أعمال الاستصلاع والتدبير السريعة والخراسة الدائمة^(١) .

بدأ عقبة في تخطيط مدينة «احتط دار الإمارة والمسجد الأعظم ولم يحدث فيه شيء وكان يصلي فيه وهو كذلك»^(٢) ثم «بنى الناس مساجد ومساكنهم»^(٣) «وهكذا كانت المدينة في أول أمرها وعلى ذلك بقيت زماناً طويلاً» ولم تكن المسجد كما أقامه عقبة بالنساء الكامل وإنما كان — كما يفهم من رواية المويري — عقبة قد حدد موضعه فقط ورعى أحاطه سياج وحصل له فيه كما حدث في كل المساحد الإسلامية التي سبقت في ذلك الحين^(٤) ، ويؤكد المويري أن حلاقاً قام بين عقبة وأصحابه على موضع القلعة لولا أنه : «إن أهل المدينة يصنعون قتلهم على قلعة هذا المسجد واحد بعدك في أمره»^(٥) فظل عقبة متحيراً أياماً حتى ألهمه الله بأن يحدها فقامها وذلك أسطورة أخرى لم يحيط بعقبة سعيها مجرد الاستدلال عن القبلة التي كان عقبة وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم قبل أن يهزموا في بناء المسجد ، وأنحدم أخيرة في تحديد اتجاه القلعة .

وقد ذهب ابن عداري إلى أن دور المدينة في ذلك الحين بلغت «ثلاثة عشر ألفاً

(١) كود ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٥ Caudel, op. cit. II pp.104-105

(٢) التويري ، نهاية الأرب ١٦٩

(٣) ابن الأثير ، أسد السادة ، ج ٢ ، ص ١٨١ وقد أنكرى عن ميراث موضعها بقوله : «في ساد من الأرض مدد ، من الحرف منها عمر تونس وفي شرقى بحر سوسة والندية ، وفي بقعة أسفاس وقابس وبني وبيد على مسيرة يوم ، وبينه وبين سودارتون المعروف بأساحن مسيرة يوم ، وشرقها ساحة منج عظم سمع صعب ، وسأرحو بها أرضون طلبة كريمة » انكرى ، وصف أفريقيا ، ص ٢٤

(٤) روى الطبري في حوادث سنة ٥٠ هـ عن رجل من قضاة ما يلي : «عن يزيد بن أبي حبيب عن رجل من خدم مصر قال قدم مع عقبة بن نافع ، وهو أول الناس احتطها وطمعها للناس مساكن ودوراً ، وبني مسجداً فقاما به حتى غرل وهو خير وال وخير أمير ، مما يفهم منه أن عقبة أعم بناء الجور ومساكن وأنه وثق من شيء من ذلك — انطري ،

ص ٦٦ - (٥) التويري ، نهاية الأرب ، ص ١٦٩

دراع وستائة ذراع^(١) » وذلك ملاحظة ظاهرة والمثل فيها لم ترد في ذلك الخين على قول روث : « ومن المحتمل أن لا تكون القيروان في زمن عقبة أكثر من محرر للسلاح (فيرون) ثم أحدثت بساني وسارل تمام حوله بعد ذلك^(٢) » وربما يكون عقبة قد قام حولها سور لأن الدحي يقول : « به — أي عقبة — جعل دور سورها إثني عشر ميلا^(٣) » ولم يذكر أحد من مؤرخين ذلك ، ولكن ليس هناك ما يمنع من قبوله مع الإشارة إلى المساحة لصاحرة في تحديد طول سور مدينة ناشئة بأثنى عشر ميلا .



أهمية قيام
القيروان

كان عقبة يعرف أهمية إقامة القيروان . وكان قد أراد من « أن تتخذ مدينة يكون بها عسكر مسلمين وأهلهم وأموالهم لينموا من نورة تكون من أهل البلاد^(٤) » فحقق في سائر وتخطيطها هذا الوقت الطويل ، دور أن يصرف إلى عمل آخر من أعمال المنوخ التي كان قد عقد العزم على القيام بها . وقد أدى دور بل دهشته من أن العرب أنفقوا هذا الوقت الطويل في بناء القيروان ، مطمئنين تمام الاطمئنان من هجوم الروم عليهم ، مع أن القيروان لم تكن تمتد عن قرطاجنة أكثر من ثلاثة أيام ، وعند ذلك أن الروم كانوا يدرك في شغل عن إفريقية وغيرها من ولاياتهم ، إذ كان العرب يحاصرون القسطنطينية حصارهم الذي بدأ سنة ٤٤٩ هـ وانتهى سنة ٥٢ هـ ، وقطعت الإمداد عن الروم بأفريقية ، طول هذه المدة وعدة سنوات بعدها ، إذ طلت المدينة تقاسي آثار هذا الحصار الشديد زماناً طويلاً^(٥) ، وقد وصف ديل عمل عقبة بأنه كان « شجاعة عظيمة » وعلى انصراف روم إفريقية عن العرب تضعفهم وانقسامهم على أنفسهم^(٦) ، « مما يمكن من الأمر

(١) ابن عسكري ، لبنان شريف ، ج ١ ص ١٤ (٢) روث ، ص ٤٩ ، Hoth, op. cit. p. 49

(٣) بساني ، الخلاصة بغيره ، ص ٥ (٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ص ١٨٤

(٥) فيرون ، ج ١ ص ١٥٧ — ١٥٨ Fournel, op. cit. 1 pp. 157 158

(٦) ديل ، ص ٥٧٣ Diehl, op. cit. p. 573

فقيام العرب ب إقامة هذه المدينة في وسط ولاية إفريقية البيزنطية ، يدل تمام الدلالة على أن سلطان الروم كان قد تقصص من الدخول تماماً .

و يبدو من قول ابن الأثير : هـ وكان في أثناء عمارة لمدينة يبرود يرسل السراية فمير ونهب ، ودخل كثير من البرق في الإسلام واتسعت حطة المسلمين ، وقوى حنان من هات من الحدود بمدينة القيروان وأظهروا على انقام فئت الإسلام فيها ^(١) أن عنة لم يظل ساكناً ، طوال هذه السوات الأربعة التي قام فيها تحطيط المدينة ، وبعد أحد يبعث السرايا إلى المقات المحورة ، فيصيون ما يصون إليه ثم يعودون على عادة العرب في عاراتهم السريعة . و ربما كانت تلك العارات هي بعض ما أراد الموزحون البيزنطيون الذين سقت الإشارة إليهم — من دكرهم المدحجة الشديدة التي رلت عسيحي إفريقية في ذلك الحين . ويفهم من تلك الرواية كذلك أن استقرار المسلمين في ذلك المكان أربع سوات ، وقيدهم بساء المدسة قد أثار بين البر اصطراً شديداً ، ونهب جعلوا عدون على المسلمين إما محاربتهم أو للصلح معهم فأحدث دعوة الإسلام تنق هوى من موسهم

بدأت إفريقية تصحح ولاية ذات أهمية بعد ساء القيروان ، إذ كانت المدينة الجديدة نوة إفريقية الإسلامية ، كما كانت القسطاطوة مصر الإسلامية ، مكان طبيعياً أن يعطى فيها ولاية مصر ويسعوا ليحملوا منها جزءاً من ولايتهم ، كما كانت قبل قيام القيروان ، وكان ميدان إفريقية أوسع من ميدان مصر ففيه احتمال مفتوح للعروات وانقسام وأسلاب . وكان عامل مصر منذ سنة ٤٧ هـ ، هو ممنة بن محمد الأنصاري ، وهو أموي ملحوظ الأثر في نصرة غزن ، وكان أثيراً على معاوية وأولى الشأن في هذه الأيام . وكانت إفريقية في أول ولايته شيئاً آخر يختلف عما صارت إليه بعد سوات تمام من حكمه ، كانت في أول الأمر ميداناً غير محدود

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ص ١٨٤

ليس للعرب فيه أملاك ولا رعية ولا مدائن . فم يبق إليها نالا ولم يجد بأساً في أن يولى عقبة قيادة الحرب فيها من قبل معاوية رأساً دون صب رايه ، أما الآن - وبعد قيام القيروان وساء المسجد والمدينة - فقد بدأت اولاية الجديدة تسترعى التمتع ، فبدأت بعنه إلى السيطرة عليها وجعلها من بلاد ، وساءه من عقبة انصرافه عنه وعدم جعله به ، وصدوره في عمله غير متق إليه نالا ، فحفضه ذلك منه وراذه رعية في السيطرة على إفريقية ، ولست يتحين الفرصة بذلك .

لماذا عزل
عنه ؟

وكان عقبة قد انصرف عن كل شيء . - حلاً تخطيط لمدينة - خلال هذه السنوات ، فلم يتم بما تعود قواد العرب القديم به ، من عرو لمدائن واوراع والقرى منها بأعنتهم الوفرة ، ومن ثم انقطع ما كان العرب تعودوا وروده من إفريقية من وفرة المناجم والأموال . وما كانت هذه هي مقياس الذي كان يقاس به جهد الفتحين ، وب كانت أهمية القيروان لم تنصح إلا بعنة وحده ، فقد مهل لمسة ومن معه ، أن يهوبوا من شأن عقبة لدى الخليفة عن ذلك السبيل ، ففعلوه آخر الأمر بالتخلي عنه ، واستبدال غيره به على حكومة البلاد .

ذلك أقرب التفسير لمرل عقبة المضحى الذي نشأ به المصادر من غير تمثيل أو تمثيل طفيف ، وربما كان إغفاهم أسباب هذا العرب راجعاً إلى حطهم في ترتيب ولاية مصر ، وفي تحديد علامة هذه الأخيرة بإفريقية في هذا الحين

قال الطبرى في حوادث سنة ٤٧ هـ : « وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، وولياها معاوية بن حديج ، وسار - فيه ذكر القاذى - في المغرب وكل غمياً »^(١) وقال في حوادث سنة ٥٠ هـ : « وفيها عزل معاوية بن حديج عن مصر ، وولى مسعة بن محمد مصر وإفريقية ، وكان معاوية من أنى مقيان قد بعث - قبل أن يولى مسعة مصر وإفريقية - عقبة بن نافع القهري ، إلى إفريقية

(١) الطبرى ، ج ٦ ص ١٣٩

فافتتحها واحتفظ بغيرها . وعزل معاوية هذه السنة على سنة ٥٠ هـ معاوية
 ابن حديج عن مصر ، وعقبة بن رافع عن إفريقية ، وولى مسلمة بن مخلد مصر
 والمغرب كله ومصر و رقّة وإفريقية وطرابلس . فولى مسلمة بن مخلد مولى يقال له
 أبو الهار على إفريقية من قبل حتى هلك معاوية بن أبي سفيان ^(١) ، أي أن الطبري
 يحمل ولاية عبد الله بن عمرو تمتد إلى سنة ٤٧ هـ ، ثم يعقبه معاوية بن حديج
 إلى سنة ٥٠ هـ ، ثم مسلمة بن مخلد إلى وفاة معاوية . وليس الواقع كذلك ، كما يعلم
 أن عبد الله بن عمرو عزل في نفس السنة التي ولى فيها وهي سنة ٤٤ هـ وحده عشرة
 أشهر في سفيان فطن إلى سنة ٤٥ هـ ، ثم عقبة بن عامر الجهني الذي ظل
 إلى سنة ٤٧ هـ ، حين ولى مسلمة بن مخلد . فلا محل لولاية معاوية بن حديج إذن ،
 وإن استفتح مؤرخون ولايته استنتاجاً ، إذ قالوا إن عمرو بن العاص كان وإلى
 مصر ، فقام بعرو إفريقية ، وكذلك عبد الله بن سعد ، فقام بمعاوية بعرو معاوية
 ابن حديج ، فقد استفتحوا من ذلك أنه كان وإلى مصر إذاً ، ولما كانت عروة
 عقبة تقع - في حسابهم - في ولاية معاوية بن حديج فقد استنتجوا أن هذا
 الأخير هو الذي سيره إلى إفريقية ، وما دام معاوية بن حديج قد عزل سنة ٥٠ هـ
 مسلمة بن مخلد ، فطبعاً أن يعزل معه فائده على إفريقية عقبة بن رافع ، ويولى
 مسلمة بن مخلد على مصر والمغرب معاً .

ومن هنا كان خطأ ابن الأثير وابن عذارى ومن أخذ عنهم من رواية المغرب ،
 وسكوتهم عن استقصاء أسباب عزل عقبة ، ومن هنا كذلك كان خطأ أبي العرب نعمان
 وقوله : « إن عقبة بن عامر هو الذي بنى القيروان » وخطأ لماكي الشاذلي في هذا الجزء
 وأخطأ أخرى شديدة وقع فيها القيرواني : في مؤنس وابن مقديش في زهرة الأنظار ^(٢)

(١) الطبري ، ج ٦ ص ١٢٩

(٢) قال ابن الأثير : « وقد ذكر أبو جعفر نصرى أن في هذه سنة (٥٠) ، ولى
 مسلمة بن مخلد دولة ، وأن عقبة تولى مصر والقيروان » ثم عاد ذكر رواية أخرى بعد -

وقد يبدو قول ابن الأثير والنويري وأبو الحارث ، إن مسلمة بن محمد أول
من جمع له العرب ومصر عربياً ، لأن عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد كانا
قبله واليمن على مصر وعلى ما كان العرب قد فتحوه من إفريقية . فلماذا لقب مسلمة
بذلك اللقب ؟ وهل لقب به من أول ولايته أي سنة ٤٧ هـ ، أم أطلق عليه
هذا اللقب بعد ذلك ؟ قل تفسير ذلك ، يسمى أن رجح أنه لم يلقب بذلك اللقب
إلا بعد ولايته سجوناً سبعين أي سنة ٥٥ هـ ، وهي السنة التي عزل فيها عقبة
عن إفريقية لأن ولايته إفريقية لم تكن إليه هذه السنوات الثمينة . إذ كان معاوية
ابن حديج قد ولي من قبل معاوية بن أبي سفيان حتى سنة ٥٠ هـ ، ثم عقبة بن نافع
من قبل معاوية كذلك فلا يتفق أن معاوية ولي على إفريقية مسلمة بن محمد

— ذلك أقرب للصحة . فامضوا . هـ والذي ذكره أهل السير من معارفة أن ولاية عمه
ابن نافع إفريقية ، كانت هذه سنة وبنى القيروان ويقال له سنة ٥٥ هـ . وولاه مسلمة بن محمد ،
وهم أحب بلادهم ، وأما ذكر ما ثبتوه في كتبهم ... وقد أخطأ أهل ولاية مسلمة بن محمد
سنة ٥٥ هـ ولكنه ذكر تأسيس القيروان على يده . وقال ابن عدي : « في سنة ٤٧ هـ
عزل معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، وولاه معاوية بن حديج
سكندي » وقد روى محمد بن أحمد بن تميم (أبو العرب) عن أحمد بن أبي سليمان ، وحبيب
صاحب معالم مشهور وغيره ، عن سعد بن عبد الله بن سعد قال : « لم يلى أن
عمه بن عاصم عزرا قبل ذلك إفريقية ، بقي قبل عمه بن نافع ، ثم روى بناء عسبة للقيروان
وقبضته مع الحيات مسبوكة إلى عمه بن عاصم ، وخلص في هذا ما هو ، ونفرد ما سلك في رياس
نعموس بأخطاء لم يشاركه فيها أحد . نحن سعد بن يزيد (بكه بن زيد) يفت عمه إلى
إفريقية ، مع أن سميئاً بن مصر سنة ٦٣ هـ ، أي في السنة التي سار عمه بها إلى إفريقية
في غزوة الثنية . ثم جعل معاوية بن أبي سفيان (الذي توفي سنة ٦٠ هـ) ، يزل سميئاً بعد
ذلك ، ويولي مسلمة بن محمد الذي يبعد أن المهاجرين إفريقية سنة ٥٧ هـ . وبعد خلط وضح
أما ابن أبي ديناؤف قد جعل غزوة عقبة بن أبي سفيان سنة ٤٢ هـ أو ٥١ هـ . وذهب بن
مقدش إلى أن معاوية بن أبي سفيان : « عاد معاوية بن حديج حيوش الشام سنة ٥٠ هـ » وحقيقة
أن الذي أعيد في هذه السنة هو عقبة . وذكر كذلك أن مسلمة بن محمد ولي على إفريقية حال أن
قامت القهري سنة ٥١ هـ ، ولا صحة لذلك ورعا أحمد عن لما سلك الذي يحميه ثاب الفهمي — ابن الأثير ،
أسد لاية ، ج ٣ ص ١٨٥ ، ابن عدي ، بيان سيرة ، ج ١ ص ١١ . صفات عمه إفريقية ، ص ٨
سكني ، رياس نعموس ، ورقة ٧ ، نفيون ، مؤنس ، ص ٢٦ ، ابن مقدش ، نزهة الأقطار ، ص ٧٠

في مصر الوقت الذي كان معاوية بن حديج على حكمه ، وإذا قيل إنه يجوز أن معاوية بن حديج كان حاصصاً لمسة بن مخنف ، رد على ذلك بالقول بأن معاوية ابن حديج كان حاصصاً لمعاوية رأساً ، بتدليل احتكامه وعقد الملك من مرواس إلى معاوية بن أبي سفيان ثم إن هذا الأخير هو الذي سير عقبة إلى إفريقية سنة ٥٥٠ هـ .

الحقيقة إذن أن مسة بن مخنف طمع في إفريقية ، بعد بناء القيروان وظهورها في هيئة ولاية جديدة . على لدى معاوية بن أبي سفيان في ذلك . فلما نجح فيه وعزل عقبة عن مصر « جمعت له مصر والمغرب » فنصب بذلك ولزمه هذا اللقب على أسن الرواة ، فأنشأه : والحسن بنون تحديد تدرجيه .

يعب أن عقبة كان على بية الفتح بعد الفراع من بناء القيروان ، فهاجاه العزل وحال بينه وبين ما أراد فزل من معه مرلا سناً وحقق على مسة ومولاه أنى المهاجر دسار ، وراد في سطحه أن أما المهاجر ثناء غزبه ولم يحفظ له حرمة ، فقد روى ابن الحكم : « وكانت ولاية مسة بن مخنف — كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد — سنة ٤٧ هـ . وروى أن المهاجر دساراً مولى الأنصار ، وأوصاه حين ولاه أن يعزل عقبة أحسن العزل خائفه أو المهاجر ثناء غزله وسجنه ، وأمره حديثاً حتى أنه الكذب من الخبيثة فحلية سبيله وإشخاصه إليه^(١) » ، وهذا تدارك معاوية بن أبي سفيان خطأ ، فأنقذ عقبة من يد أنى المهاجر بعد أن كاد يورده مورد التلف .

لماذا أساء أبو المهاجر سقعة وأرسل به هذا العقاب ؟ لم يورد المؤرخون تسجيلاً معقولاً لذلك . فقال اللواتي إن دساراً : « ثناء غزله عقبة واستحلف به لشيء

عقبة مود
إلى دمشق

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٧

كان بينهما^(١) » ولم يفسر لنا هذا الشيء الذي كان بين عقبة وأبي المهاجر .
واراحح أن هذا تعميل غير صحيح ، فمدا يكون بين مولى صغير كدسار وفتح عظيم
كعقبة من الأشياء ؟ إن تكون الأشياء بين مسلمة وعقبة وكلاهما وإن ظاهر
عظيم القدر ، يكون بينهما التحاسد والبراع على الولاية واشرف والقبيلة ، والحظوة
لدى الخليفة ، ويبدو أن السلاوي استنتج ذلك من قول ابن عبد الحكم .
« فلما قدم عقبة مصر ركب إليه مسلمة بن محمد فأقصر له بالله لقد حانعه فيما صنع
أبو المهاجر ولقد أوصيته بك خاصة^(٢) فأخذ يظهر هذه الرواية ، وسب إمساة عقبة
إلى أبي المهاجر ، مع أن سعى مسلمة إلى عقبة واعتدائه له وبغية التهمة عن نفسه ،
لا يعقل إلا أن مسلمة حتى أن يعصب معاوية عليه ، حين يقص عليه عقبة
ما رل له من مساة على يديه ، فأسرع وألقى التهمة على أبي المهاجر خوفا من
معاوية . بيد أن ابن عبد الحكم يروي رواية أخرى بهمها بوضوح ، أن مسلمة
هو الذي سعى لعرل عقبة ودفع معاوية إليه ، فإن عقبة لم تكذب بسط له طلامته
من أبي المهاجر حتى أحاب : « قد عرفت مكان مسلمة بن محمد من الإمام بطوم ،
وتقديعه إياه وقيامه بدعه وبغية مهجته وقد رددت إلى عملك^(٣) » ، وفي هذا اعتراف
من معاوية بأن المسئول عما رل بعقبة هو مسلمة ، لا أبو المهاجر . وأن عزل عقبة
كان على هوى منه ، وأن عقاب أبي المهاجر كان يسمى مسلمة ومسلمة رجل ثير
على معاوية ، ذو مكانة عظيمة عنده ، لما كان له من الحظوة عند عين الإمام
الطوم ، وإذا جاز أن يستنتج شئ من قول ابن عبد الحكم إن معاوية قال لعقبة :
« قد رددت إلى عملك » ، لقلنا إن معاوية أراد أن يؤكد لعقبة ، أنه لا يماح في رده
إلى ولايته ، ولكن مسلمة كان يمارض في ذلك .

(٢) ابن عبد الحكم ، فوج ، ص ١٨٦

(١) السلاوي ، الاستقصاء ، ص ٣٧

(٣) نفس المصدر ، ص ١٩٨

و قد صدق ما توكلده لروايت من أن عقبة دعا على أنى الماهر ، فطل هذا
 حانف من دعا ، عقبة لأنه كان يحب الدعوة ^(١) ، فإن ذلك يكون رهبةً حديداً
 على برء أنى الماهر من سمة إيداء عقبة ولأن يدل على أن نأ الماهر كان يوقر
 عقبة ، ويعرف ما له من مقام العظيم ، وأنه مستحب الدعوة ، فكيف يعاقبه
 ويسىء إليه بعد ذلك من يندء به ؟ وكيف يعمل ذلك إلا مضطراً راعماً ؟

(١) نفس المصنف ، ص ١٩٨

معنى لفظ قيروان

يعلب أن عفة وأنحاه أرادوا بلفظ قيروان « مدينة » أو معسكر أو مسلحة .
هكذا نهم من قول عفة « وأرى لكم يا معشر السدس أن تتحدوا بها مدينة
يجعل فيها عسكرياً ويكون عراً للإسلام إلى أول الدهر »

ومن قوله حين انتهى إلى اختيار موضعه « هذه قيروانكم » أي أن قيروانهم
هذه ، هي مدينتهم التي يجعلون بها عسكريهم ، أي معسكرهم . وهذا المعنى استعمال
لفظ قيروان في الروايات الخاصة بفرقة فقد قال « كي إن معاوية بن حديج :
« بنى ناحية القرن مسك سماها قيروان » أي معسكراً للحد ، وذلك قبل
احتطاط القيروان وإن الأثير يقول إن دبراً أن مهاجر « حرب قيروان عفة »
أي معسكره .

ولفظ قيروان « رمى معرب ، أصبه كروان أو كروان ومعناه دفعة أو مزاح
القوافل ، ويعهم من لسان العرب أنه كان مستعملاً حتى في الذهبية . هذا المعنى ،
إد روى أن امرئ القيس قال في وصف غارة :

« وغارة ذات قيروان كأن أسرارها الرمال »

ونقل ذلك عنه ياقوت .

وقد ذهب ابن الأثير في تفسير معنى هذا اللفظ ، إلى أن معناه : « معظم العسكر
والدفعة من الجماعة » وقال الدبائع في تفسيره : « واحتف في لغة العرب في لفظ
القيروان ، فقبل هي موضع اجتماع الدس والخش ، وبين محط أنقل الخيش ، وقبل
هي الجيش نفسه والمعنى متقارب »^(١)

(١) الدبائع ، معالم الأيمان ، ج ١ ص ٧

بيد أننا نلاحظ أن ديناراً أما المهاجر حين أحد الناس يتركون قيروان غنية ،
 تحير لم قرية تعرف تكيروان ، وهو عطف قريب جداً من قيروان . وقد رأينا هذه
 القرية تسماء محتمة عند المؤرخين مبريين هي « نيكروان » و « دكرور »
 و « نكرور » مما يحمل على الظن أن لفظ تكيروان أصله رري ، وأنه كان يطلق
 على قرية قريبة من القيروان . فهل لفظ « قيروان » تحريف لتكيروان ؟ إن قول
 لمسكي عن مدينة أي المهاجر : « فسماها البربر تكيروان » يؤيد ذلك . إذ يفهم منه
 أن هذا اللفظ رري أراد به بر هذه الأيام من المعنى الذي أرادته العرب
 من « قيروان » ، ولكن أحياناً من المتصلين في اللهجات البربرية لم يجد للفظ قيروان
 أو تكيروان أو نيكروان معنى أو وجود في هذه اللهجات ، مما لا يحمل سيلاً
 إلى الأخذ بهذا الرأي .

وليس هناك ما يؤيد القول بأن « قيروان » كان عطفاً على مدينة قديمة
 بإفريقية ، احتضنت القيروان مكانها كللفظ بعدد مثلاً ، فيبقى إلا القول بأن
 عطفه وأصله أرادوا به محطاً لقوامهم وسرحاً عسكريهم .

الباب الخامس

فتح المغرب الأوسط

دينار أبو المهاجر ودوره في فتح إفريقية

٥٥ - ٦٣ هـ = ٦٧٤ - ٦٨٢ م

قال ابن عبد الحكم رواية عن عبد الملك بن مسلمة ، عن ابن هبة وأحمد بن عمرو عن بن وهب عن يزيد بن أبي حبيب : « وكان الناس قبل أني المهاجرين يفرقون ، ثم يفتنون بها إلى القسطنطينية ، وأول من قام بها حين عراها أبو المهاجر مولى الأنصار ، أذنه في الشتاء والصيف واتخذها مديناً ، وكان مسلمة بن مخلد الذي عقدته على الجيش أحد الذين خرجوا معه إليهم فلم يرالواها حتى قتل ابن الزبير فخرجوا منها » (١) وتلك عمارة يفهم منها أمر على جانب عظيم من الأهمية ، وهو أن إفريقية أصبحت مقراً يقبضه المسلمون ويطمشون فيه دون أن يعودوا إلى مصر بعد كل غزوة ، أي أنها أصبحت — رغم تسميتها لمصر — ولاية إسلامية مستقلة الشخصية تعبر الشيء ، وهذه هي الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إفريقية إسلامية ، فقد كان الناس قبل أني مهاجرين يفرقون ، ثم يفتنون بها إلى القسطنطينية ، أما في ولاية أبي المهاجر وما بعدها ، بهم يقيمون بها العام كله ، ويخرجون يفرقون من قيروان ثم يعودون إليه مرة أخرى ، أي أن إفريقية أصبحت ولاية صغيرة مستقلة ولاية مصر ، لها عاصمتها ووليها الذي يختاره حاكم مصر ، وجيشها الذي يصكر فيها طول العام

ولاية أبي ، خرج من نفس هذه التطور في مركز إفريقية في الدولة الإسلامية وبنيتها تعين تطور آخر هو تحول إفريقية إلى ولاية مستقلة الشخصية قائمة بنفسها ، يولي حاكمها من قبل الخليفة رأساً

صاحبة هذا التعبير السياسي الذي حدث على المركز السياسي للسلاطين تحول جوهري في سير الفتوح فيها ، ولأسباب التي نلحقها في إتمام فتحها ، إذ كانت العربات قبل ذلك لا يرحل منها شيء بعد العزيمة الوفيرة والسبي الكثير . أما الآن — وقد أصبح المغرب عاصمة فيها — فقد أصبحت غاية العربات إحصاء نواحي

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٦٢

البلاد لهذا الزكر ، وتعنى آخر إتمام فتحها وجعلها بلاداً إسلامية كقصر والشم
سواء سواء ، ولهذا لم يجد العرب يقعون الانصراف عن البلاد لقد صنع من المال
كما فعل عند الله بن سعد قبل ذلك بسبع عشرة سنة ، ولن يتوجهوا بمحمد بن
المدائن انسية أو المزارع الواقعة لزروع ، وإنما إلى المواسم ذات الأهمية السياسية
كقترطحة ، ولن يؤثر العافية فيكتفوا تهاجئة المدائن الضعيفة ، وإنما سيحاولون
بدليل الجبال والمصائب باحترافها وفتح ما فيها من مراكز الزكر ، وستكون
لأكثرهم الحطة المدورة المرسومة ، طلقاً لخدمة البلاد وما يسببها ، وهذان التعبيران
متلازمان في الواقع والمعنى ، ناشئان عن تعبير شامل في نظر المسلمين إلى إفريقية ،
فلو كانت إفريقية عديم إدراك ما كانت في الغزوات السابقة لما أرى القائد نفسه
المقدم بإفريقية على ثنى من مصر ودمشق ، ولعاد لنا معه من العائمين ليتقدم بها إلى
أولى الأضر ، ولكنه الآن كما مكلف بإتمام فتح البلاد وتجهيد أمورها ، فلاحاجة
له بالفتائم .

- ٩ -

أصبح دينار أبو المهاجر - مولى مسلمة بن محمد أميراً على إفريقية من
سنة ٥٥ هجرية ، واستمر على ولايتها مدى سبع سنوات تنتهى سنة ٦٢ هجرية ،
أى العودة عقبة بن نافع إلى إفريقية ، فكانت ولايته بذلك فصلاً بين ولايتي
عقبة أو بين شطري رابعه ، فكان هذا سبباً في انصراف المؤرخين عنه
ومهاجمي إياه ، إذ شغل ارباب العقبة ونسج أعماله ، همروا ثنى المهاجر مسرعين
بل ربما تعدد بعضهم بغمال شنه والتهوين من أمره لما رل بعقبة على
يديه ، ولهذا كان أقل فائحي إفريقية ذكراً وأبصرهم لفتاً لانشاء المؤرخين ،
على الرغم من أن أعماله كانت على حاد كبير من الأهمية والخطورة ،
لأنه أول من حمل عاتقه الأخيرة فتح البلاد ونشيت قدم العرب والإسلام فيها ،

ولهذا كانت به حطة مرسومة وسياسة مقدرة يجرى عنها ويتحرى إعادها ،
بخلاف من مررنا بهم إلى الآن .

لم تلب المراجع الموثوق بها بشيء دى مال عن أبى المهاجر ، بل إسا يحفل
كل شيء عن أصله ومولده وثبته الأولى ، إذ أعده المؤرخون للأسباب التى مرر
بها . وأعمله كتبت التراجم ، لأنه يسر بصاحب ولا تبع ولا عرى ،
وإنا هو مولى ، وردنا كان من أهل مصر ، عتقه مسلمة بن محمد أمير مصر وقره
إليه لدكانه وعطفته ، ويسدو من قول مسلمة : « إن أبى المهاجر صه عليه فى غير
ولاية ، ولا كبير ميل ، فحقن بحد أن يكافيه »^(١) . أن أبى المهاجر أخلص فى خدمة
مسلمة فرضى عنه وولاه إفرقية مكافأة له .

وكان مسلمة قد نكس على عقبة سركره فى إفرقية ، وساء منه انهزامه عنه
وعدم حمله به ، فلم يكد تنكس من عرله عن إفرقية ، حتى أشد يستقم منه ،
فاوصى أبى المهاجر بذلك ، ونكس هو من التهمة ، فمررت أبى المهاجر فى كتب التاريخ ،
فيقول ابن الأثير « استعمال مسلمة على إفرقية مولى له يقال له أبو المهاجر ،
فقدم إفرقية وأساء عرل عقبة واستعفى له »^(٢) . ثم عاد فأكد ذلك بقوله :
« ولم ير عتقه على إفرقية إلى سنة ٦٢ هـ فعزله يريد من معاوية ، واستعمل
أبى المهاجر مولى الأنصار ، فحس عقبة وصيق عليه ، فلما سمع يريد من معاوية ما فعل
عقبة ، كتب إليه بأمره بإطلاقه وإرساله إليه »^(٣) . وكذلك الويرى لا يكاد
يسكر للرجل إلا هذه الإساءة التى تروها بعقبة : « ولما وصل مسلمة إلى مصر ،
استعمل على إفرقية مولى له يقال له دبارة وبكى أبى المهاجر ، وذلك فى سنة ٥٥ هـ
وعزل عقبة ، فلما وصل كره أن يرل فى الموضع الذى احتطه عقبة ، فعزل عنه

(١) من عبد الحكم ، فوج ، ص ١٩٦ (٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ص ١٨١

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ص ١٨٥

بمسافة ميادين ، واحتفظ مدينة يكون له ذكره ويفسد ما معه ، فها البربر
تتكبرون ، فأخذ في عمارتها وأمر الناس أن يخرقوا القبرول ويعمروا مدينته ،
وتوجه عقبة بن معاوية بن أبي سفيان^(١) ثم إلى ذلك شكوى عقبة إلى معاوية
ثم رده على يد يربد ، وهذا أهل الرحل بإحلالا تاما . ولو لم يذكر أن حصون طرفا
من أحصاه عرضا ، في سياق حديثه عن قسبة أورة البربرية ، ولو لم يشر
أبو الحسن إشارة موحدة إلى بعض أعماله في حتام حوادث لسنة الثانية عشرة ،
من ولاية مسعدة بن محمد وهي سنة ٥٩ هـ ، لما كان لداشي . يوثق فيه من أخبار
هذا الرحل وأعماله ، وبطل تاريخه حلقة مفقودة بين حلقتي المتح العربي
لشمال إفريقيا .

يبدأ روايات مؤرخي العرب وسلكي وان أبي دينار
واس مقديش والساوي ، نجد بعض هذا النص ما ورد فيه من الأحكام ، فعلى
الرغم من أن روايات هؤلاء مشحونة بالأخطاء والزيادات التي لا يمكن الأخذ بها ،
في الإمكان الاستعانة ببعض ما ورد فيه ، لإكمال ما أهمل المؤرخون المصريون
والشريقون ذكره .

- ٢ -

شمل الروم عن إفريقية خلال حملة عقبة الأولى ، لأن العرب كانوا إذ ذاك ،
يحاصرون القسطنطينية حصارهم الثاني الذي بدأ سنة ٤٨ هـ ، واستمر إلى ما بعد
سنة ٥٠ هـ ، ولشت البؤسة نضعة أعوام بعد ذلك تقاسى عقيل هذه الحملة التي كادت
تودي بها ، فلم يعد إليها الهدوء الذي يسمح له بالاهتمام بولاياتها ، إلا بعد سنة ٥٥ هـ
أي بعد عزل عقبة ، وقد ذهب موريل إلى أن معاوية تعمد أن يهاجم القسطنطينية
إذ ذاك ، ليشغل الروم عن إفريقية ، فيتمكن عقبة من بناء مدينته ، وليس لدا

(١) التويري ، نهاية الأرب ، ص ٦٩ ب

ما يؤيد هذا الرأي ، وإن كان الواقع أن حصار القسطنطينية كان عظيم الفائدة لعقبة ، إذ سمح له فترة هدوء تام ، استطاع في خلالها أن يحطط القيروان ، دون أن يعوقه هجوم الروم ، أو مهددهم إليه عن ذلك

نشأ إمبراطور روم إذ ذلك ، وهو قسطنطين الرابع ، يصلح من أمر الدولة ، ليتداركها قبل أن تهوى إلى درك حقيق ، فشطط طاعنًا عظيمًا لذلك ، وكان يعرف أن السياسة الاندية التي جرى عيها أسلافه ، هي عنه العسل في صنف الدولة البرطانية ، فعول على وضع حد لها ، وجمع محبًا دينيًا سنة ٦٨٠ م^(١) ، بصع حذاء خصوصيات المذاهب التي باعدت بين الدولة ، وبين ما بقيها من الرعايا في السلقا ويطايا وإفريقية ، فلم يلبث أن عمله هذا أن ظهر في الولايات ، فبدأ ما كان أهل إفريقية يصعدونه للدولة من العنص والكراهية بروم ، وبدأ بعضهم يميل إلى مخالفتها ، وبعث صاهرة جديدة أخرى ستلاحظ في الحملات المقبلة وسيكون لها أثر بعيد . كانت المقاومة التي اتبها العرب في الحملات الماضية ضئيلة لم تشتد إلا في موقعة سننيطنة ، لأن حريجور يوس كان يدافع عن كيوس مسكه ، أما بعد ذلك فلا مقاومة عقيمة ولا حرب طويلة المدى ، وإنما معارك قصيرة أو اعتصام حلف الأسوار ، وهذا سقطت حولاء وبرت وسوسة وقصعة على هيبة ، أما من الآن فما بعد ، فمحمد الروم والبربر إنما واحداً ، يحاربون العرب حرباً عقيمة حذاء ، حتى يكاد العرب يتأخسون من أنفسهم ، بل تحارب العرب يقشون في الأسبيلاء على أعقب الحصون والنداء التي يحذرون الأسبيلاء عنها ، وعة ذلك أن جهود قسطنطين أثمرت بمرور الأيام ، فعددت الحياة تدب في الولايات ومنها إفريقية ، واتصلت الأسماك بها وبين بيرطة لطلب الأمداد والمعونة وما إلى ذلك ، وأحد البربر

(١) دين ، ص ٥٧٠ . وسبق شرب من أن هذا المجلس حم براخ لوبوندية ، وأعاد الأرثوذكس من حظيرة الدولة ، ويؤكد أن هذا كان بعد الأثر في إفريقية .

Diehl, op. cit., p. 576.

يتركون ما في نفوسهم من صيق الروم ، ف يداهم من تدمر الروم ، هذوا لهم يد المعاونة وكان منهم خلف قوى ، سدى من مقدمة شيئاً كثيراً ، ومما يؤيد تحليل حذف البربر والروم بسبب الإصلاح الدينى الذى أدخله مسقطين ، أن نصارى البربر وحدهم هم الذين سجدوا بروم ويقعون معهم بد الحرب .

على أنه لا تسعى لمصلحة في تقدير أثر هذه السياسة البيزنطية لجديدة ، فلا يزال لها أعادت الروم في إفريقية إلى ما كانوا عليه أيام حوسنين ، أو حدثت البربر أنهم كما حدثتهم سياسة آل حربجو يومس ، وإنا يقول إن نصارى البربر اطلأوا إلى الروم ، وقبوا حذفهم ومدوا لهم يد العون ، ولا يزال إلى الدولة شطت فأرسلت الخيوش إلى إفريقية ، إنا قل لها عنت معونة من مال ، أو دالت الأهلين بالمصح والإرشاد ، وإنا روم إفريقية شعروا بذلك فبد في نفوسهم نشاط جديد .

إشياء مقاومة
البربر

اصطلى الروم وحدهم من مقدمة حتى الآن ولم يقدروا أن يحدوا أسلاد البربر —
شيء يذكر منها ، وهذا غير ما كان متصراً منهم بعد الذى سبق بيده ، من تحريم من سلطان الروم في أواخر العصر البيزنطى بيد الظاهر أنهم بدأوا يتحركون لمقاومة ، إذ يقول ابن خلدون : « وكانت المطول التي فيها الكثرة والعس ، من هؤلاء البربر استزكاهم عهد الفتح ، أوربة وهواة وصباحة من العراس ونفوسة وربانة ومطهرة ومراوة من البر ، وكان التقدم عهد الفتح لأوربة هؤلاء ، مما كانوا أكثر عدداً وأشد ثباتاً وقوة ، وكان أميرهم بين يدي الفتح ، ستردير اس روى من ناريت من ترزيات ، ولى عليه مدة ثلاث وسبعين سنة ، وأدرك الفتح الإسلامى ومات سنة إحدى وسبعين هجرية وروى عليه كيلة من لاء الأوربي ، فكان أميراً على العراس كلهم ^(١) » مع أنه أن البربر كانوا في ذلك الحين ،

=

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٦

الذى وحده فيه كسبية على درجة من القوة والاتصاف ، يد كالم فيهم ملك مثل
 متردير ، استطاع أن يحكم هذه الدولة الطويلة ، وما مات حنيفة ملك آخر ، هو كسبية
 الأوربي المعروف ، وكانت ثورة على الخصوص كثيرة لعدد شديدة الناس ،
 فكيف لم تشع هذه القبائل كلها خطر العرب وتهص لردده من أول الأمر ؟
 لقد فتح العرب فلسطين ، وفيها ما كان يراوة ووخومة وقوية ، وفي حواشيها
 مزارع روعة وفصحة ، وعلى مقربة منها مصاريف موضة وحولاء ، وهي باب موانع
 هواراة وحرارة ، فإن هذه القبائل كلها حتى السبعة ؟ وماذا لا يذكر أن حديدون
 من موكلهم إلا كسبية وسبعة ؟ ألا يتكلم أن سبعة من ذلك أن هذه القبائل
 صلت في سكوتها وحولاء من أول الفتح العرب ، ولم يشط إلا قبيل طهور
 كسبية ، في حولي أوفت يدى أول فيه دسر على إفريقية ، وأصبح فلسطين
 سياسته الدينية ؟

إد حارن منهم من موب ان حديدون « وكان التقدم لهذا العهد لأوربة
 هؤلاء ، مما كانوا أكثر عدد ونبوة وأشد ناسا ، وكان أميرهم بين يدي الفتح
 متردير بن رومي^(١) » أن هذه القبائل اجتمعت إلى أوربة وقررت منها ، لصح
 أن يقل إلى هذه القبائل كانت قد تركت مواقعها هذه زمان الفتح ، واتجهت
 نحو العرب وبل جمهورها حسان الأوراس موطن أوربة ، وتزيد هذا الرأي
 أن لمؤومة البربرية مستطير حبيب يحاول العرب حترق الأوراس في حمة عقبة من
 باعع الذبية ، وهذا لم يصح فهم عسيرة ان حديدون على هذا النحو ، لعل على النظم

— وسدوا أن سبعة « لاقى في أصل عنها ، بعد أن حصة كسبية في رسم لأعلام ، فالسبح في
 قبل عن فورس ودي سبيل كسبية سبعة لا متردير ولم لا يرم وهذا هو الأصح لأن
 المراجع العربية الأخرى تورد كسبية بهذا الرسم .

(١) حديدون ، ص ٦٠٠ ص ١١٤ و ١١٥ و ١٢٩ و ١٣١ عن مواقع هذه القبائل ،
 وفي حديدون تلك الأماكن كانت ما كان « ومع من هذه القبائل لا قبائل جميعا ،

أنه بالغ في تقدير قوة البربر أيام الفتح ، خصوصاً وأن الظروف كلها تؤكد ضعف
البربر إلى ذلك الحين ووجود شاطئهم ، فعلى فرض أنهم بدأوا يشطوب ، فيستعد
جداً أن يكونوا قد سموا كل ذلك المبلغ من القوة دفعة واحدة ، وإعنا لعقول
أن يكونوا قد بدءوا يتحركون لمقاومة فقط في ذلك الحين .

بيد أننا نستطيع أن نعلم من قول النويري إن عقبة بن نافع أخذ معه
« من أسلم من البربر وصحبهم إلى الجيش الوارد عليه »^(١) حين سار في حجة الأولى
سنة ٥٥ هـ ، أن بربراً من البربر كان قد اتصل بالعرب اتصالاً مكثفاً من معرفة للإسلام
واعتناقه ، وبؤيد ذلك قول ابن الأثير يصف ما فعل البربر حين رأوا عقبة يخطط
القيروان : « فرآه قبيل من البربر فسلموا »^(٢) ، بدية دلالة كافية على أن بعض
الصلات قامت بين العرب والبربر ، صلات ودية وعدم تؤدي بعضهم إلى الدخول
في الإسلام ، إذ صدق هذا حدراً أن يستتبع منه أن العرب لم يحدوا في طريقهم
قنائل قوية سهم لردهم وتعاددهم ، وإما جماعات قبيلة ضعيفة تنفج حولهم
وتصاحبهم ، بما أسلمت أو طلت على ما هي عليه ، وكان العرب ناظمين في حاجة
إلى مثل هذا البربر للاسترشاد به على السير في البلاد على الأقل ، وذلك كله يؤيد
القول بأن بعض قبائل هذه الأقاليم كانت قد فارقها بعد حراستها إلى واحة أخرى
في العرب أو في الجنوب ، ولم يبق في مساكنها الأصيلة إلا طوائف قليلة منهم
« تشبوا بمقدمهم في نقايا حراستهم حساءً لموطن »^(٣) ، كما قال الإدريسي عن
الذين بقوا في تيزينة إحدى قرى قران بعد حراستها .

يقول السلاوي : « وكان كسيلة بن (أعر) الأورني ثم البرنسي من أهل
الغرب الأقصى من عظماء البربر ، وكان نصرانياً قد جمع الجوع من البربر ولفرج ،

(١) النويري ، نهاية الأبواب ص ١٦٨ (٢) ابن الأثير ، المستدرک ، ج ٣ ص ١٨٢

(٣) الإدريسي ، ص ٣٥

وحرف نحو المسلمين قهره أبو المهاجر وأسره^(١) ، أى أن الربريدوا يحسون
 خطر العرب في ولاية أى المهاجر ، فاحذر عيهم كسيطة يجمع القبائل ويؤلفها ،
 ثم سار على رأسه نحو المسلمين ، فكان ذلك حافرا لأى المهاجر على التحميل
 بعونه لطويبة لنى وصل فيها إلى تفسد ، والتي لم يفعل فيها أكثر من هزيمة
 كسيطة والعودة به في ركابه ، أى أنه لم يفر هذه الحملة للعبدة لدى ، إلا ليقصى
 على هذه المقدمة ، بعد تم له ذلك عاد إلى القيروان ، وربما كان قول ابن خلدون :
 « ولد ربر (ابن) المهاجر تفسد سنة خمس وثمانين ، كان كسيطة من لزم مر تادأ
 بالمغرب الأقصى في جملة من أوردته وغيرهم ، فطهره أبو المهاجر وعرض عليه
 الإسلام فأسلم^(٢) » دليلا على أن كسيطة كان على جهل تام بما فعل العرب
 في إفريقية ، وأنه لم يقصدهم بشروا بما هم الدين سعوا إليه حتى ذكره عند تلمسان
 فطهروا به ، ولكنه يؤيد السلاوى في الواقع ، فهو يدل على أن العرب أحسوا
 ربح المقاومة في هذه الدحية فأنهبوا إليهم ، وكيف أحس العرب هذه المقاومة
 إلا أن يكون أهل هذه النواحي قد سدل موقعهم من السكوب إلى الانشطار ومن
 الهدوء إلى المقاومة ؟ ولو أنهم كانوا على ما عهدناهم عيه من السكوب ، لما كلف
 أبو المهاجر معه مؤونة السير إليهم ، لعدم الثقة وعظم الجهد الذى يتطلبه السير
 إلى تلمسان ، وماذا يكون سبب هذا التغير في موقف الربر من المسلمين ،
 إلا إحساسهم بأن المسلمين يفترون منهم ، ويهددون منزلهم التى اعتصموا بها
 في الجبال وهضاب ؟ بهذا تتسدد الروايات فتؤدى إلى نتيجة واحدة معقولة ،
 وتتعاون الظواهر فتعطى صورة واضحة بعض الوصوح ، ولمؤرخين المعريين كرام
 مختلفة في موضوع كسيطة هذا ، فالساحى يقول في الخلاصة إن كسيطة كان قد أسلم
 قبل حجة أى المهاجر ، « ثم ارتد وحالف وجمع أمم من الربر والروم ، فصمد لهم

(١) اسلاوى ، الأسعد ، ص ٢٧ (٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٦

ديار وهزمهم حول تلمسان ، وأسلم كسيلة فطلقه وتكس من البلاد^(١) ، وفي هذه الرواية أخطأ ينفى تصحيحها ، وهي وإن كانت في مجموعها تؤيد السلاوي وإن حدود فيها ذهب إليه ، من تحرك البربر لمقاومة في ذلك الحين ، إلا أن فيها ديلا قويا على نشاط البربر ، يرجع في بعض أسانه إلى شعورهم بتقدم العرب نحوهم وتحفرهم للقضاء عليهم ، أما الخطأ فتوجه إن كسيلة كان قد أسد قلوبهم ، أي المهاجر ثم عاد فارتد وهذا غير الواقع كما مر بيانه ، وإنما الحقيقة أن أوربة وأحلافها كانت قد اتحدت بواحي تلمسان والمربعات الخيرة لها مديدا وأحر المعصر البربري واطمأنات هناك زمانا طويلا ، فمد تحس مقدم العرب إلا حين ساروا نحوها في حملة أبي المهاجر هذه .

لا يتفق مؤرخون إحد على رأي فيما يتصل بحال البربر ، يوم بدأ ديار ولايته ، وكان لابد أن يعرف ذلك على وجه التحقيق ، حتى يستطيع ترتيب أعمال ديار ، إذ هي معها في حاجة إلى ترتيب ، فلتحدد نسط ما يهم من هذه الآراء جميعا ، وهو أن البربر أحسوا خطر العرب وسهوا إلى غزوهم السلاوي ، فدأوا يتحركون هذه المقدمة ، ولكن مقاومتهم لم تحدد شكلا طاهرا ، إلا حين بدأ العرب يهاجمون حال الأوراس ، وهي موطن أوربة أقوى قسائل البربر ، ذلك ، فدأ الصراع بين الجيوش ، وكانت قيادة أوربة كسيلة من لمزم أميرها من سنة ٥٥١ هـ^(٢) .

(١) الناس ، الخلاصة منه ، ص ٥ — ٦ وقد أبدى الكاتب ذلك بقوله : « إن أن المهاجر صالح بربر إفريقيا وفيهم كسيلة الأوراس وأحسن له » . وقد ذكر مرسيه أن حاجة البربر نارت على العرب ، عند رحيل عنه من لشرق ومقدم ديار ، وكان على رأس ثائرين كسيلة رئيس قسلة أوربة — وهي روية لا تؤيدها المراجع الأخرى ، ولكنها تدل على أن مرسيه يؤمن على رأي لثائل ، بأن بربر نشطوا نشاطا مفرقا في ذلك الحين ، وهو بالمعومة .

Mercier Hist. de l'Afrique op. cit. Sept. 1. p. 204.

(٢) يقول بن خلدون : « وكان أميرهم بين يدي الفتح سعد بن روي بن نورت —

على أن رأى حوتيه عن كسبة حدير جداً بالظفر ، فقد استرعى انتباهه اندق مؤرخي العرب على أن كسبة كان صرايياً ، وتسميتهم سبعة سقرديد بن رومي ، وذكرهم ما كان من حلف كسبة مع الروم على عفة في بحر الأسم ، فاستنتج من ذلك أن أورنة كانت على علاقات متصلة مع الروم ، وأن هذه العلاقات لم تقتصر على الاشتراك في الدين ، بل ليس هناك ما يمنع القول بأنه كانت هناك علاقات مباشرة بين الحيين ، وقد عرّض حوتيه رأيه بالقول : « من مركز قوة كسبة أيام الفتح ، كانت المنطقة الحسية واقعة بين تاهرت ووهران ، والتي توسطها بلنس ، وهذه المنطقة كانت منذ قديم الزمان ، مركز البربر الذين تأثروا بالحضارة الرومانية ، وأخذوا صفتهم وحبوا أوطانهم في إفريقية : مركز ماكس وسبياكس ويوحورثا » ، ومن هنا استنتج أن كسبة وسقرديد ومومهما كانوا هم أكثر البربر تأثراً بالحضارة البيزنطية في أيام الفتح ، وكانت هذه السحبة بقصة اتصال بين الروم والبربر ، ثم حصص من هذا كله ، إلى القول : « من مقومة كسبة كانت مقومة بيزنطية في الواقع ^(١) » ، وهذا أبقى على موضوع ضوءاً جديداً ، واكتشف للروم إصعاً في حركه كسبة ، فلم يعد سلب ثورته مجرد شعوره بتسيير العرب نحوه ،

— في روم ، وفي عهدهم سنة ثلاث وسبعين سنة ، وتلك فتح إسلامي ومات سنة إحدى وسبعين هجرية . وروى عنهم كسبة بن برم لأورن فكان أميراً على بربر كلهم » ، وهذا سداً لمادة كسبة من سنة ٢٦١ هـ أي في ولاية رهبر بن قيس ، وهذا لا يفي مع المعروف من أن كسبة بن ثابته حر وصحة . وقد ذهب بورس بن ثابته أن حدود أوردن بنون سنة ٥١ هـ أحاطاً بنجاح وروى سنة ٥٦١ هـ ، وهذا ليس معقول لأن حدود تسيق به ، على أن حدود القول في موضع آخر من سقرديد كان عند كسبة ، فصحيح بورس ذلك بالقول بأن كسبة كان قائد سقرديد ، وهو أمر رتب لأجله ، فمن معقول أن يكون سقرديد قد عثر عن القوم بأعناء الحكم في أو حرانمة ، فهداه إلى كسبة الذي حلفه فيه بعد موته . وقد ذهب ماسكوي إلى أن كسبة كان واسع غنى وأن منحه من أوردن وإن ما فيها عرباً .

(١) حوتيه ، ص ٢٤٠ — ٢٤٢ ويرى كل رأي فيه أدب في صحة إد ذهب إلى أن كسبة ربما كان رطل سقرديد في دة أورنة ، التي كانت محل الأراضى الواقعة عرب اتصال وأنه كان صرايياً فأسلم Gantier op cit pp. 240-242 أنظر دائرة المعارف الإسلامية مادة كسبة .

وإنما حرصه الروم على مقدومة ، ووضعوا يدهم في يده ، وربما كانت الحوادث التالية ، أكبر مؤيد لرايه .

— ٣ —

لم تتفق الأمور حول على رأي واحد في ترتيب ما يجب لأني المهاجر من أعمال ، بل بينهم من روايات بعضهم طرف واحد دون الباقي ، ومن حددوا يد كرهوه للبر ، ووصوله إلى تيمس ، ويترك حمته على قرطاجنة بدون إشارة ، وأبو الحسن يد كرهه على قرطاجنة بتفصيل ، ثم يشير بعد ذلك إلى الحملة على البر إشارة موجزة بقوله : « ثم افتتح أبو المهاجر المذكور ميلة (مدينة صغيرة يسها وبين بحيرة ثلاثة أيام) ، وكسب إدمته في هذا بغير نحو من سنتين ^(١) » وذلك بعد أن فصل حصار العرب قرطاجنة وعراقهم عنها ، وقد علم أن ميلة في الطريق إلى تيمس وهم أنه أراد أن يحمل الحملة على قرطاجنة مدقة للحملة على تيمس ، مروي أحدث الأول ، ثم عقبه نظار من أخبار انديسة ، ولكنه يحمل سنة ٥٥٩ هـ ربحا محصورة في مهاجر قرطاجنة ، وقد كان هذا الأخير قد بدأ ولايته سنة ٥٥٥ هـ ، وفي قصي السوت الأربع اتى انقصت بين هذين التاريخين ؟ وكيف تتفق أن يقع أربع سنوات من ولايته دون أن يؤدي عملاء مع أنه كان مكلفا بتعبية آثار أعمال عقبة ، ثم حمل أعظمها ، ثم يشط بعد ذلك ليقوم بكل هذه الأعمال في ثلاث سنوات ؟

كان ترتيب نعم أنى لمهاجر مشر العدل بين هوريل وكودل ، وذكر الأول أن أبا المهاجر لم يكذب بربل إفريقيا حتى أعين الحرب على البر ، وتقدم بحوم حتى أدرك أقوى مدتهم — أوتة — في الأوراس ، فهدمها وأسر قائدها كسيلة وكاد يقتله لو لم يعتق له إسلامه . ثم قرر — رواية عن أبي الحسن كما يقول —

(١) أبو الحسن ، التجوم الزاهرة ، ج ١ ص ١٥٧

أن إسلام كسيلة حسن بعد ذلك ، واستتبعه دينار وانصلت بينهما صداقة موصولة
 الأساس ، استطاع البربري عن سنسبه أن يؤثر في أنى المهاجر الذي أسلم له قياده ،
 ويدفعه إلى تحريض قيروان عقبة ، خربها واتجه إلى الشمال بعد ذلك ، وحاصر
 قرطاجنة مدة طويلة فلم تقدر عليها ، ونصرف عنها بعد أن رل له أهله عن
 جزيرة شريك ، ثم توجه بعد ذلك إلى ميلة رأساً ، حيث بقى هناك سنتين ،
 حتى عزله بريد من معاوية بعقبة سنة ٦٢ هـ (١) ، وهذا لم يفعل أكثر من أن
روى رواية ابن خلدون ، ثم أعقبها برواية أنى الخمس ، لأن الأول حدد
 سنة ٥٥ هجرية لخمته أنى المهاجر على أورية ، والثاني حمل حننته على قرطاجنة
 سنة ٥٩ هـ .

أما كودل فيبنى أن سجل لأنى المهاجر حطاً سيديب كالذى ارتضاه له فوريل ؛
 فهو يستمد أن يكون دينار مد عامر محده في قسب اللاد ، وترك ظهره مكشوعاً
 للروم أندين كانوا يتحرون للوثوب به من قرطاجنة ، وبقا يرحح أن دسراً يند
 حطب البربر استمعين بهم على أروم أو ايضاً حياهم على الأهل ، ودرانم له
 انصه على الروم ، توجه بهيته بعد ذلك لبربر ففراهم . وقد اعتمد كودل على
 روايات لمربيين الذين لم تظهر فوريل على شيء مما كتبوا ، فقد قال لاسكي :
 « ثم إن أما المهاجر صاح بربر إفريقيا ، وفيهم كسيلة (الأوري) ، وأحسن إليه ،
 وصاح نجم إفريقيا وخرج يحبوشه نحو المغرب ، ففتح كل مأسر عليه ، حتى انتهى
 إلى العيون المعروفة بأنى المهاجر نحو تفسال ، ولم يستهدف على القيروان أحداً ،

(١) فوريل ، ج ١ من ١٦ - ١٥ ويلاحظ أنه جعل كسيلة ، هو البسط على دسار
 وحننته حدثه وسر به ، ولا أصل لذلك في دقة ، ولا نعلم ذلك من روى أنى الخمس وبن
 خلدون ، وقد فوريل يفسر سار - تفسال - ، التي ثبت من أصلها كسيلة ، وهي ذات أن
 البربر كانوا دائماً سادة العرب وقادهم من أول الأمر .

ولم يبق لها إلا شيوع و... ، ثم رجع إليها فومس^(١) ، ووضح أن عبارة
 الماسكي لا تؤدي «حط إلى التفسير الذي انتهى إليه كودس ، فإنه يجعل الصبح
 بين كسيلة وأنى المهاجر سافة على مسيرد إلى نفس ، وليس هناك ما يؤيد ذلك ،
 والأصح الذي يمكن الأخذ به ، هو أن ارحنين لم يتصافيا إلا بعد ذلك ، ثم إنه
 يذهب إلى أن الماسكي أوجز بقوله إن بالمهاجر : « صبح نجم هريقية » ،
 حوادث حملة أنى المهاجر على قرطاجة التي انتهت «لصالح مع الروم ، وهذا تفسير
 واسع غير دقيق . وحنة كودس في ذلك أن تحديد أنى الخامس لعمرة قرطاجة
 سنة ٥٩ هـ أمر غير ذي نال ، فأما الخامس — في اعتباره — لا يفتى يحظى .
 في التواريخ ، وليس هذا الخطأ ، فمن من جعله حملة حسن بن النعمان سنة ٥٧ هـ .
 وراء هذا التساقص والعموض ، يمكن الأخذ بطاهر روايتي أن حملات
 وأنى الخامس ، بعد إضافة إحداها للأخرى ، فتكون حملة حسن سافة على حملة
 قرطاجة ، مع رفض ما ذهب إليه فورل ، من أن تحررت أنى المهاجر للقيروان
 إنما كان رأي كسيلة وحداعه ، وبه — لذلك — كان بعد عودة أنى المهاجر
 من حملة تلسان .

ويعرض الدجى والسلاوى رأياً حديداً يختلف عما سلف بيانه ، خلاصته أن
 أبا المهاجر لم يتوجه بنفسه لمهاجمة أروم بل وجه إليهم أحد رجائه ، وهو حسن بن
 عبد الله الصنعاني ، ولم يبعثه إلى قرطاجة ، بل إلى جربة شريث «فتفتحها ، ثم توجه

(١) الماسكي ، رياس اسفوس ، ورقة ٧

وقد ذكر هذه الرواية حسن ابن معدش في برهة الأضمار ص ٧٠
 أما حؤس فبشارته مضطربة معككة «نفسه ، جس فيها ، لا زسب أنى المهاجر لحسن
 الصنعاني إلى جربة شريك ، ورواية س سجي نافعة يس فيها ، لا تحررت أنى المهاجر للقيروان ،
 ومحاولة ساء مدسه استنها تاكروان ، وقد فصل كودس بين قول سسكي ، أن حملة قرطاجة
 كانت سنة ٥٥ هـ وقول أنى الخامس إنها كانت سنة ٥٩ هـ ثم رجح رأي الماسكي بدون دليل
 معقول . الدباع ، مقام الإيمان ، ج ١ ص ٤٢ و ٤٣ وكودس ، ج ٢ ص ١١٣

القيروان ، ويعمرها مدينته ^(١) « ذو مخرج يزل القيروان ، وإني تتدعها عيلين
وأخذ يحتط مدينته ثم أسر الناس البحر من القيروان ويعمرها مدينته ؛ أي يتركها
القيروان ويسكنوا مدينته .

ثم ما معنى قوله : « فبها العرر يتكثرون » ؟ لماذا سمى العرر كذلك ،
ولم يسمى (العرب) مع أنهم ساء كما تقول الروية ؟ وإذا كان هو المهاجر قد أراد
بعبه هذا أن يحدد اسمه هذه المدينة الجديدة ، فلم لم يحتزل اسماً عربياً يقرب
مذكره ، كما اقترن ذكر عقبة بن نافع بالقيروان ؟ ليس المقول أن يكون هذا الموضع
الذي انتقل إليه هو المهاجر ، قرية بربرية بهذا الاسم أو ما قربه ؟ إن قول
المالكي المروي : « ثم انصرف من مذكور مدينة العرر ، بقرب من موضع
القيروان ^(٢) » يعرر هذا رأي ، وهذا أقرب بواقع ، فم يكن لدى أبي المهاجر
من الوقت ما يمكنه من بناء مدينة جديدة ، وبناء اكتفى بالروى في قرية بربرية
على مقربة من القيروان ، وأسرى الناس باحلال مدينة عقبة وحلوها ، ولعل قول
المالكي إن أبا المهاجر حين سار إلى تونس ، « لم يستحلف على القيروان أحداً ،
ولم يبق فيها إلا شيوخ وساء » يؤيد هذا الرأي ، فدامت المدينة الجديدة بربرية
أصلاً ، فلا محل لحرامتها وتراث حامية عندها ، ولو أنها كانت مدسة حديثة العهد
لحلف عليها من يحميها .

سواء أكان كسيلة : ^(٣) « مرند بالمغرب الأقصى في جموعه من أوربة ^(٤) »

(١) به الأرب . البربري ، ولا يشير من عند حكم أو من الأثر إلى تحرب
القيروان ، واحد في المهاجر مدنة أخرى ، وقد رسم مؤسس هذه القرية تكرون .

(٢) المالكي ، وفاق النفوس ، ص ٧

(٣) يرسمه أكثر مسرقي كسيلة Ksila وقد حصاً إداري من دائرة سطيف في أسد
سواء هكذا ، كسيلة مع لكاف وكسر من الجبله ويرسم مع بلام وافر ، وبينهما ميم ساكنة
وأخره ميم — بن الأثير ، أسد لعمه ، ج ٣ ص ٣٢١ (٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٦

كما يقول ابن حلدون ، أم كان : « قد جمع الجميع من الدرر والفرنج ، ورحل نحو المسلمين »^(١) . كما يقول السلاوي ، فإن أبا المهاجر قد عمل بالمسير نحو الدرر ، ليقص على ماسأله من يوازي مقومتهم ، وكانت رعاية الدرر إذا دأب لأوردية ورعيها كسيلة النصراني ، وكان مقدمه في المنطقة المحيطة بلسان وحنوبها ، مسار إليهم نحو المهاجر حتى أدركهم في هذه المنطقة ، وعسكر إلى حوارها وقضى زمناً طويلاً في معسكره هذا ، فحضر لحشه تاراً سميت باسمه ونصى زمناً طويلاً هناك وسميت الآمار بعيون أبي المهاجر^(٢) ، ثم اتجه بعد ذلك إلى مركز المقاومة رأساً ، ولم يبق وقته في حصر مدني الطريق للاستيلاء عليها والتمسك بها ، وهذا يدل على أنه كان يعم أهمية العمل الذي كان في سبيل إتمامه ، وهذا أمر جديد يختلف عن كل ما رأينا ، فقد كان السامانيون لا يكادون يحرقون على حطة مرسومة ، أو حتى على عم بحالة اللاد ، وكان مهمهم مصراً دائماً إلى محاصرة بعض المدن ، والغنى منها .

+

أبو المهاجر
وكيلة

لا تذكر المراجع أن أبا المهاجر حارب كسيلة حرباً عفيفة ، وربما كان سبب ذلك حرصه على أن تتخذ السياسة قبل الحرب ، إذ اثبت أن هذا الرجل كان على شيء كثير من الحكمة وبعد النظر ، وإذا كان قد نصيح عقبة بقوله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف حجارة العرب ، وأنت تعتمد إلى رجل حمار في قوته في دار عمره ، قريب ما شريك ، (فتفسد قومه) »^(٣) حين أخذ عقبة يسند بكسيلة ، وبسبب إياه ، فأولى بسا أن يستتبع أن تلك السياسة كانت رائده مع كسيلة ، حين توجه لخرقه في بلسان ، ومصداق ذلك أن المراجع لم تذكر حرباً

(١) السلاوي ، الاستعداد ، ص ٣٧

(٢) المالكي ، رياض النفوس ، ص ٧

(٣) ابن خلدون ج ٦ ص ١٤٦

بين ارححين ، وربما أيد ذلك أن الرحلين تحاه بعد ذلك ، وأعجب أحدهما بالآخر
إعجاباً شديداً ، مما يدل على أنهم تعاضوا قبل أن يجترأ^(١) .

وإذا كان أبو المهاجر قد بدأ حصار قرطاجة سنة ٥٩ هـ ، فيكون قد مضى
سنوات أربعاً أو ثلاثاً في رحلته إلى تلمسان وعودته منها ، وإذا كان المفهوم
من المراجع أنه مرّ بها وعاد منها رأساً دون أن يعبل إلى قرية أو حصن ، فيكون
قد لبث عند تلمسان عامين أو ثلاثة كسب فيها ودّاً ذلك لرجل ، واطمأن إلى طاعة
من معه من البربر .

لنسا نعلم إذاً كان أبو المهاجر قد عاد إلى القيروان بعد حملة تلمسان ، أو انجحه
إلى قرطاجة رأساً ، وعلى أي الأحوال ، عاب أن سمته على قرطاجة كانت مدمرة
حتى قبل المسير إلى تلمسان إذ يعلب أن يكون قد انجحه للبربر ، للإخلاص من أسرهم
ثم التمرع للروم بعد ذلك ، مما تم له الأمر الأول انجحه لإبعاد الثاني رأساً .

يذكر أبو المحاسن في حوادث السنة الثانية عشرة من ولاية مسمدة من محاد
على مصر وهي سنة ٥٩ هـ : « وفيها عرأ أبو المهاجر دبيراً مرسل على قرطاجة وخرج
إليه أهلها ، فالتقوا وكثر اعتل بين الفريقين حتى ححر الليل بينهم ، وانحار
المسلمون من ليثهم ، فبروا حلالاً في قسلة ولس (توس) . ثم عاودهم وصالحوهم
على أن يخلوا لهم الجزيرة ، ثم اقتح أبو المهاجر لمدكور ميلة (ميلة مدينة صغيرة
بأقصى إفريقية ، بينها وبين بحيرة ثلاثة أيام) وكانت إقامته بها في هذا العرو
سجواً من سنتين^(٢) .

(١) أيدي غورتل شك في صحة سلام كتلة ، وذهب إلى أنه مصطنع ، لحا إلى زحل
ليجو من القتل ، وليس هناك ما يؤيد ذلك ، ولعل أن غورتل أصابه من عده على عاده .

(٢) أبو المحاسن ، سجون برهمة ، ج ١ ص ١٥٣

والمراد بالجزيرة هنا جزيرة شريك ، وهو شبه جزيرة المحصور بين احمامات وتوس ،
ولا يبعد عنها شطوط جزيرة ، حارب على عاتقهم في سنة شبه الجزيرة بالجزيرة ، كقولهم نه

ملاحظ في عمل أبي المهاجر هذا أمر من حديد ، وكلاهما واضح الدلالة على التطور الذي جد على مسير الفتوح في إفريقية ، وعلى ما يمتاز به أبو المهاجر نفسه من مهارة سياسية ، فهو لم يعهد الزوم على أن تصرف عن قرطاجنة لقاء فدية من مال ، وإنما طلب إليهم أن يتنازلوا له عن جزء من البلاد ، لأنه لم يطلب انهم والعودة ، وإنما كان يرغب في إتمام فتح البلاد ، فذهبنا طمع أن يحصل على جزء من ما دام قد تمحى على الاستيلاء على قرطاجنة والفساء على زومهم ، وهذا يدل على أن بنة أبي المهاجر كانت معفودة على الاستيلاء على قرطاجنة ، وصرب الزوم ضريبة فدية .

يذهب أبو الحسن إلى أن أبي المهاجر لم يمد إلى القيروان بعد انخراخ من حملته على قرطاجنة ، وإنما انخرعها حتى فتح ميلة^(١) على مقرنة من بحرية ، وم بفضل ما حدث في هذه السرية ، ولا العرض الذي رعى إليه أبو المهاجر من الاستيلاء على هذه المدينة ، لأنها ليست من مدائن السكري ، ولا الخراس التي تستحق عنه السير إليها هذه المسافة الطويلة ، وكان تمام أبي المهاجر لو أنه رغب في الفتح ، مداخل أخرى أعظم وأهم من الدخلة الجاسية أو الخربة أو حتى من ناحية العي

— جزء عرب ، ومعهم من مكى بها كانت عمرة كبيرة ، روع في رماه ، وأنه كانت بها عدة من أسلحة ، وقد كثر لإدريس أبي حسان بن موسى ، وسماه حريرة باشو ، وقد قل دوت تحديدها عن سكرى . ويلاحظ أن أحد أبواب تونس كان يسمى باب حريرة شريك . وقد سمع بهذا الاسم في شرب بعضي ، الذي مداه في حلة عبد الله ابن سعد فربما سمعه ، وشرب اسمه هو أبو قرنة شريك ، حاكم مصر المعروف ، ونقع قرطاجنة بن سبيل هذه الحة ، ونتمها حراث مديرة لمروفة ، فلا بد أن شه حريرة شريك كان عمراً في ذلك الذي فتحه أبو المهاجر . السكري — وصف إفريقية ، ص ٣٩ و ٤٠ وإدريس ، ١١٨ — ١٢٥ . دوت ، مادة شريك : سكرى ، رحلة ، رحلة ص ١٠١ (أ)

(١) لا تسمه مدينة موحدة من يوم ، وقد ذكرها لكرى في مدائن سكرية ، التي برل بها المشركون من القيروان إلى مرسى الرسوة ، وذكر أنها بن مصطفىة ، وكذلك ذكرها الإدريسي — سكرى ، وصف إفريقية ، ص ٣ — ٧٦ والإدريسي ، ص ٥٧ — ٩٤

كان حادثاً عظيم له معناه وأثره المحدث ، فاما معناه فتحاح الفتح الإسلامى
 فى ترقية العرض الأسمى من هذا الفتح ، وهو شر الإسلام ، وأما تأثيره فلا يراع
 فى أن كسبته لم يسلم مقوده ، وإنما سعى به كثير من قومه ، من القادة والأقارب
 والأسياع والأصغر ، ورتبنا حققت أهمية هذا الأمر الآن ، لأنه ليس طاهراً
 مضموناً ، ولأن المؤرخين الذين تحدث عنهم لم يعصوا به ، ولم يجهدوا أنفسهم
 فى استقصائه ، ولكن أهميته مستصح أن بعد ثلاثين سنة فقط ، حين نجد رجالاً
 من السير وأهل البلاد ، مسلمين على ثقة وتمكن من دينهم يسرون مع العرب
 حسناً حسب لفتح البلاد وشرراية لإسلام ، وكيف يصر ظهور رجل كطارق بن
 زياد عمرى الإسم عربى لأب فى سنة ٩١ هـ ، لأن أمه زياتاً قد تزوج امرأة
 من أهل البلاد ، فى مثل هذا الوقت الذى نتحدث فيه ؟ وربما المثل بطرق
 لكي يؤكد أن حركة لاحتلاط بين العرب والعرب « رواج وإسلام — كانت
 سير حسناً إلى حسب مع الفتح التى شغل مؤرخون بها .

الباب السادس

محاولة فتح المغرب الأقصى

رحلة عقبة الثانية

(من سنة ١٠٦٠ هـ — سنة ١٠٦٣ هـ)

كان عقبة على وشك الخروج للعرو حين عرته ممة ثنى لهاجر ، فوقع
هذا العرو من نفسه موقعا سيئا ، لأنه حرمه من الثمر الذي يدل في عراسه ما يدل ،
وطال به الأمد وهو يتربق الفرصة لإمداذه . ولما اقتصر الأمر على العزل لمان
الخطر على نفسه ، ولكن أبا الناحر كان قد أمر ثا يسى به ، وقال منه
وبعض على كثره فأخذ أسس بترك لقيروان ، فصحت حلاله قواء ، ولا يعد
أن يكون الخراب قد عثبها ، بعد إذ عرته الدس وهي بعد ناشئة لا قوم لها ثم
أخذ عقبة بأهله الستة والسجن الشديد ، فخلت نفس عقبة بالسخط عليه . فما
ن وصلت الأحبار بذلك إلى معاوية ساءته ، فأسرع بأمره بتخية سبيله
وإشجاصه به ^(١) ، فعسى وقته ببعض السخط حتى أتى معاوية ، فشكا إليه
ما رز به ، فكان رد معاوية بشعر بأنه أصف لما أصابه ، وأنه رجاء يرد به ،
ولكنه حتى أب يسوء ذلك ممة ، فقل ممة : لا قد عرفت مكان ممة من محله
من الإمام مطبوع ، وتقديمه به وبيامه بدمه و بدل مهجته ^(٢) . « بد كان ممة
عن شهد معه — أتى مع معاوية — صميم ، وقيل لم يشهد وكال فيس شهد
قتل محمد بن أبي بكر ^(٣) ، فآثر معاوية أن يدع الأمر على ما هو عليه ، صرحا بصرف
عقبة إلى من سيحي ، وهكذا حل إصاف عقبة ممة حتى انتهت أيام معاوية .
فما مات معاوية في أول رجب سنة ٦٠ هـ وحلعه يريد توقيع عقبة
أجير على يديه ، ولا بد أنه سطر شكاه ، وانحس منه الإنصاف ، لأن لا باع
يحدثنا أن يريد أن عقب ذلك . « ذكر كرها قبل أن يجرى ، وبد عقبة بها ^(٤) »
و حنب أن ذلك لم يكن إلا عقب هذه ممة ، لأن يجمع مراجع ممة على أن عقبة
رد إلى عمله سنة ٦٢ هـ ، وما دام ممة قد توفي في ٢٥ رجب من هذه السنة ،

من سارعة
في حمله
السياسة

(١) بن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٧ (٢) نفس المصدر ، ص ١٩٨
(٣) بن كثير ، المستدرك ، ج ١ ص ٢٦٥ (٤) المدافع ، عدم الإيمان ، ج ١ ص ١٥

فأراح أن عقبة رد عقب ذلك^(١) ، ولو كان عقبة رد قيل وفاة ممنة ، فعدا
تحدد مراجع سنة ٦٢ هـ بدأت أي بعد سنتين من ولاية يزيد ؟ ولم لم يرد
يزيد من أول ولايته ؟ وفيه كان الانتظار ؟ بل لو كان ممنة حياً حين رد عقبة إلى
عمله لتولى حماية أبي المهاجر منه ، أو لاستعث به هذا الأخير على الأقل ، فما
وقد كان عقبة مطلق اليد ، فعلى أبي المهاجر ما يشاء ، فإن في ذلك لدليلاً على أن
هذا الأخير كان قد فقد وبيه وصيره فيما أمره على الناس^(٢) .

بدأ عقبة عمله بالاختصاص من أبي المهاجر ، فوثقه في وثاق شديد ، وأساء
عزله وعزاه السوس وهو في حديد^(٣) . وأبقى عليه لينتقم منه على مهل ، ويذهب
المالكي ويندفع إلى أن عقبة وخدمته مسجونين ، قد راه بمائة ألف دينار
فجدها^(٤) ، وهي رواية طاهرة لمسة ، يؤيد صحتها ما سبق بيده من عدم اهتمام
أبي المهاجر بالأموال والعنانم ، فذكر النصوص أنه جمع من الأموال ما يمكنه
من الحصول على هذا القدر من المال .

إصلاح
القبول

ثم أتى عقبة إلى قيروانه يصحبها رجل بها على يد أبي المهاجر ، وقد ذهب
للملكي إلى أنه « جدد الداء وشيدها فعمرت وعظم شأنه^(٥) » . ولكن العائد

(١) وممنعه في أجود الزهرة سنة ٦٣ هـ ، وهي السنة الأولى من ولاية سعيد بن يزيد
على مصر ، وفيها عزى عقبة بن رافع القديون ، وسار حتى دخل السوس الأقصى ، وهذا يؤكد
أن عقبة رد في أواخر سنة ٦٢ هـ ، وبدا عقبة في إفريقية سنة ٦٣ هـ . — أبو محمد بن النعمان
الزاهرة ، ج ١ ص ٩٠

(٢) من هذا مطلع أن مطلع حصاً سوري دنا رغبة من سعي ممنة للداء عقبة في عودته
إلى إفريقية ، وعنده ربه عمر . — لأن ممنة كان قد مات رد ذلك ، وعاد أن
ويرى نقل هذه الصورة ، من عن ابن عبد الحكم . ولكنه خطأً قطعها في رجوع عقبة
من دمشق سنة ٦٢ هـ ، في حين حدث هذا في صيرته إليها حين عزل سنة ٥٥ هـ .

(٣) من عبد الحكم . فوج ، ص ١٩٨ (٤) المالكي ، رصاص سندوس ، ص ٧
الدباغ ، معالم الإبلان ، ج ١ ص ٤٣ ، من مقدش ، برهه لأخبار ، ص ٧
(٥) المالكي ، رصاص السوس ، ص ٧

أن قول ابن أبي ديدار أنه « أعاد الناس إلى القيروان وعمرها »^(١) هو الأصح ،
إدراك قول بأن أبا المهاجر لم يخرب القيروان ، وأنه لم يهدم دورها كما يذكر
نص المؤرخين ، وإنما اكتفى بنقل الناس منها خربت ، فلما عاد عقبة أعاد الناس
إليها فعاد إليها العمران .

وبذا انتهى عقبة من ذلك ، فقد عجل بإعادة ما حالت الظروف بينه وبين
إعادة صنع مسوت متوليات ، وربما كان الخوف من أن يفاخأ بمرل حديد
هو الذي دفع به إلى التعمهل بالمسير دون أن يرسم لنفسه خطة أو غاية ، ولو قد تفكر
في هذا الاستطاع أن يعيد حيراً عيماً من جهود سلطه ألى المهاجر ، الذى استطاع
بالسياسة والتدبير أن يصرب الروم صربة شديدة ، وأن يملك زمام البربر عما وفق
إليه من صحة أميرهم كسبة وإسلامه . لو أن عقبة تبين هذا على وجهه ، لهات
مهمته وسكان نصيبه من التوفيق أعظم وأبقى أثراً . وربما جعل ذلك لمروته
الكبرى وحماً آخر ، إذ كان يستطيع أن يعص من ولاه البربر ، أن يقضى القضاء
الأخير على ما بقى للروم في إفريقية ، وأن يصمن طاعة من بقى من أهل البلاد ،
وكان يستطيع إلى جانب ذلك ، أن يكسب أسراً هو إحدى عليه من كل فتح ،
وهو نحبب الإسلام إلى أهل البلاد بالحسنى والرفق والمودة كما فعل أبو المهاجر ،
وقد حاول هذا الأخير أن يفت نظر عقبة إلى ذلك ، ولكنه أبى الأخذ به
تخفيراً له ، فقد روى المساكى أن أبا المهاجر قال لعقبة حين هم بالمسير لحرب بربر
طليحة : « ليس بطليحة عدو لك لأن الناس قد أسلموا » وهذا رئيس السلاط
— يريد كسبة — فاستمع معه والياً ، فبنى عقبة إلا أن حرج نفسه^(٢) . وهكذا
أصاع عقبة على نفسه فرصة كبرى ، واستعص عن ذلك بحرب شعواء هو جاء

(١) القيروان ، المؤسس ، ص ٢٢

(٢) المساكى ، رياض النفوس ، ص ٨

شنها على أهل السلاط ، بلا غرض محدود ولا نتيجة ترجى ولا معنى يهيم ،
فضاع جهده هباء . ٤

يبدو أن قول السباع^(١) : « إن حشد عقبة كانوا خمسة عشر ألفاً » ، أقرب
إلى الصحة من قول ابن عبد الحكم إنهم كانوا خمسة آلاف فقط^(٢) ، لأن خمسة
آلاف جندى أقل من أن يهضوا عمل صرح كالذي قام به عقبة في حخته
الكبرى . وإذا كان قد سار في حخته الأولى بنشرة آلاف فقط ، وسار يمثلياً دينار
فليس بمقول أن يسير هذه المرة بخمسة آلاف فقط ، وحذف عقبة على القيروان
رجل سيكون له شأن عظيم في فتوح إفريقيا هوزهير بن عيسى الملوي^(٣) ، على رأس
حامية صميرة من الحشد ، وفصل عن القيروان ، وقد اصططحت معه أبا المهاجر
مقيداً مكسلاً . وتذكر المراجع كذلك أنه خدمه كسيله بصاً في حديد ، وكانت
تلك أكبر أخطاء عقبة وأوجعها عاقبة ، فقد غيرت عليه البربر ، ودفعتهم إلى مقاومته
مقاومة عنيفة ، ويذهب المؤرخون إلى أن عقبة أراد بذلك أن يعاقب كسيله
على ما أخلص لأبي المهاجر ، وما بدله من الود وحسن المعونة ، وهذا تعويل ضعيف
لا يبرر هذا الأسر ، والمالب أن عقبة حارب شر كسيلة إن هو أطلقه ، وحتى
أن تثير قومه ثاراً لصديقه أبي المهاجر ، بل العتاب أن عقبة حتى أن يدفعه
أبو المهاجر إلى ذلك ، وربما أراد عقبة بحسن كسيلة وإهنته ، أن يؤكد لأهل
السلاط استحقاقهم وتمحيصه لشتمهم ، ففصلت أورة ومن والاهما من القبائل
لما لحق كسيلة من المهانة . وإذا كانت المراجع تنفق على أن كسيلة قد اتصل بآله

(١) السباع ، معجم الإيمان ، ج ١ ص ٤٣ - وقبده ابن مقديش في رحله لأندلس ، ص ٧٠

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٦٩

(٣) ذهب ابن عبد الحكم إلى أنه ترك مع رهبر سحراً اسمه عمر بن علي عرس ،
وقد سبق أن ذكر أن عقبة حارب هذا شعباً أيضاً على عدو من حشده سار في بنش
الصحرى ، ويطلب أن ذلك راجع إلى حشده أحرار حمى عقبة بن عبد الحكم ،
فتوح ، ص ١٦٩

في أواخر أيام عقبة ، وأحكم معهم تدبير مصرعه ، فإن الدلائل كلها باطقة بأنه كان على اتصال بهم من أول الأسر ، وأنه أحد يدبر معهم الأسر خلاصه والانتقام من عقبة .

سبق القول بأن روم الحبس كانوا قد شططوا منذ أوائل أيام أي المهاجر ، وأن هذا الأخير استطاع أن يكسر شوكتهم بما أنزل بهم في حصار قرطاجنة ، إذ أجبرهم على التنازل للعرب عن حرية شريك ، وأرسل قائده حش الصفاتي فعسكر فيها ، فكان تشاة الحارس يهدد قرطاجنة ويرقب أعمال الروم ، ويستمعهم من التقدم نحو جنوب أي نحو القيروان ، فاشفق حوثهم وسعوا للخلاص من ذلك القيد الثقيل . وليس في المراجع ما يدل صراحة على ذلك ، ولكنه يفهم من مجمل الحوادث التي متلى .

يذكر ابن الأثير أن عقبة قدّم : فاعرض إلى بلاد العرب ، وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة ، بقصد مدينتي العظمى واسمها أرونة ، فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى ^(١) . فمن هم المصري الذين يذكرهم ابن الأثير ؟ يجب أن يكونوا قومًا حريصين غير الروم لأنه يذكر الروم كذلك ، وربما أراد مصريي مصر من تلك القوم ، ومن هم نصارى البربر إلا أرونة ومن والآه ؟ ثم ماذا قدّم الروم بلاد بربر ومن تركوها منذ زمن بعيد ؟ أي شيء هم في هذه الدخيلة أو عاصمتها أرونة حتى يقتلوا المسيحيين عباد هذا القتل العنيف ؟ ولماذا تحير الروم هذه المسئلة ، بدأت ؟ ألمست تلك دلائل تحمل على الصواب أنه كان هناك شيء حجب بين الروم وأرونة ؟ وليس معقول أن تكون أرونة قد غصت لما رل برنسها ، فسعت للاتصال بالروم الذين كانوا في خوف من عسكر العرب في حرية شريك ؟ فلم يستهؤلاء أن يصرعوا بمصر البربر ، إذ وحسدوا إلى ذلك سبيلا

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٤٢

مقاومة العرب والقضاء عليهم . ربما استطاعا بذلك أن نفسر المقاومة الشديدة التي لقيها عقبة في ميده ، وهي مقاومة من البربر والروم معاً لم يستق لها مثيل فيما سلف من غزوات ، بل ربما استطاعا أن يملأ الكثير من بي من أعمال عقبة وما يلقاه من عت وكيد ، وهي أمور اكتفى غالب المؤرخين برويتها على علاقتها دون تعليق أو تحقيق ، ولا سبيل إلى فهمها إلا عن هذا السبيل .

يبد أن العالب أن عون الروم للبربر لم يزد عن توجيههم إلى تسليح القتال ، ومعاونتهم على تحصين مدينتهم ومقاومة هجوم المسلمين ، ثم يكن روم إفريقية بذلك على قوة تمكنهم من تحييش الحيوث أو المعاونة لمسادية القوة ، ومصدق ذلك أن البربر يجرون في مقاومة عقبة على شيء يشبه الخطة المخططة أو الخيلة المرسومة كاحتدادهم عقبة من طيبة إلى تهودة لحصره هناك والقضاء عنه ، ولا يحى كذلك أصعب كسيلة في هذا كله ، إذ كان عيباً على المسلمين ، يرسل أهله وذويه ويرشدن إلى ما يجب اتباعه .

- ٢ -

ويحفظ من مؤرخين من أحدث هذه الحملة وأحداث حملة عقبة الأولى ، فيدكرون فيها عروة لقسطيلية وقصة^(١) ، بل يريد البعض بمحيطون بها وبين سنة الأول ، فيدكرون عرو فرا^(٢) وقصة ماء العرس^(٣) ، والراجح الذي يتفق عليه أكثر المؤرخين أنه خرج من القيروان رأساً إلى باعية ، دون أن يصرح نحو الجنوب ليعيد عرو قسطيلية وقصة ، ثم يعود إلى الشمال مرة أخرى نحو باعية . يفسر المؤرخون طوائف ثلاثة في تفصيل ما وقع في غزوة عقبة هذه : فريق يوردها موحدة بإحاراً شديداً كاسلادري وأبي الحارث ، وفريق آخر يطيل التمهيد

(١) السكي ، ر. من سوس ، ص ٨ — رحلة سدي ، ص ٧٠

(٢) السكي ، خلاصة سنة ، ص ٢٥ — (٣) ابن الأثير ، سنة دولة ، ج ٤ ص ٤٣

في أحداثها ، ويحفل بها قصة حادثة دفاع والانتصارات ، والآيات المعلقة
بولاية عقبة وولده من الله ، كان الأثير والويزي وابن عداري وطائفة مؤرخين
المعريين ، وعريق آخر يعرض أمرها بمص التفصيل ، ولكنه يذكر أحداثاً
يختلف عما ذكر غيره وهو بن الحكم .

فما البلاذري ، فيكفي من أمر هذه الحيلة بقوله : « وما ولي يريد من معاوية
رد عقبة من دفع إلى عمه ، فعز السوس الأدنى وهو حنف طيعة ، وحول فيما هناك
لا يعرف له أحد ولا يقبله ، ونصرف ومات يريد من معاوية ^(١) ، وهو قول موخر
فيه حظ كثير فقد أهل ذكر ما قام به عقبة ولبرر والروم من حرب عبيدة
عند معاوية في كرب ، ولم يشر إلى استشهاد عقبة في نهودة ، وهو أمر متوارد
مذكور لامعنى للاستطراد عنه ، ويستصح من إثبات البلاذري إلى ما يلي ذلك
من فتوح إفريقية أنه بعد ذكر شيئاً من التفاصيل المصحية التي تعودنا
وجوده فيه ، مما يدل على أن مصدره التي كان يقل عنها قد انقطعت عنه بعد
موقعة سبيلة ^(٢) .

وكذلك أبو المحاسن لا يكاد يذكر شيئاً مما حدث لعقبة في مسيره الطويل
من القيروان إلى صخرة ثم إلى المحيط ، ثم يبدأ بنص سير عقبة إلى نهودة
ومصرعه هناك بتفصيل دقيق ، فسندع روايته إلى حيثها من نعم عقبة ^(٣) .

ويورد ابن عبد الحكم روايتين محتملتين : أولاهما شديدة الشبه برواية الواقدي
التي ذكرها البلاذري : « لا شرح عقبة من بعد ما رجعاً بحقه على أي أمهجر ، حتى قدم
بقرية فوثق أما لم يحرق وثاق شديد ، وغرأه معه إلى السوس وهو في حديد ،
وأهل السوس نظر من البرر غل لهم أسيرة (أنفة . أنفة) ، حول في بلادهم

(١) البلاذري ، فتوح سدي ، ص ٢٢٨ (٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٨

(٣) أبو المحاسن ، فتوح برهية ، ج ١ ص ١٥٨ - ١٦

لا يعرض له أحد ولا يقبله صرف إلى إفريقية ، فلد من نعرها أمر ضحاه
 « ففترقوا عنه وأذن لهم حتى بقى في قلة ، فأخذ على مكان يقال له تهودة (تهودة)
 فعرض له كسبة من لزم في جمع كثير من يروم والبربر ، وقد كان يلعبه افتراق
 الناس عن عقبة ، فافتتحو قتلًا شديدًا قتل عقبة ومن كان معه ، وقتل أبو لهاجر
 وهو موثق في الحديد^(١) » . وقد أهمل ابن عبد الحكم فيها كل ما وقع لعقبة
 حتى بدأ عودته ، وذكر بعض التفاصيل عن مصرع عقبة ، ولاحظ أنه لم يشر
 إلى وجود كسبة مع عقبة في حشده موثقًا بالحديد ، كما أراد أن يقول ، كسبه
 كان بعيداً عن عقبة ، وأنه « سمع » فقط فترافق الناس عن عقبة ، فمأخذه
 عند تهودة ونهى عليه ، ولم يكن أوانع كذلك .

ثم عاد ابن عبد الحكم فروي رواية أخرى ، لاشبه بينها وبين روايته لأوى
 أو رواية أخرى لأوى مؤرخ آخر ، ولم يذكر إسده بل اكتفى بعبارة « وبقى »
 بدأها بذكر خروج عقبة إلى السوس ، وتركه عمر بن علي الفرسى ودهير بن قيس
 على القبروان^(٢) ، فلم يكده يحصل عن مدية حتى هاجم القبروان رحل من العجم
 في ثلاثين ألفاً ، ولكن الله نصر المسلمين ورد الأعداء ، ثم يذكر ابن عبد الحكم
 عدة أخرى ، إدامت كانت عطية الأهمية في تبيع عقبة وما انتهت إليه
 حياته ، وهي قوله : « وأخرج ابن الكاهنة البربري عن أثر عقبة ، كل رحل عقبة
 من مهبل (ودمه — مهبل) دفعه ابن الكاهنة ، فم برن كذلك حتى انتهى عن عقبة
 إلى السوس ولا يشمر عما صنع البربري ، فما انتهى عنه إلى البحر الأحمر فمسه
 فيه . . . وانصرف راجعاً ، فم له قد عورت ، وتبعه عبيد البربر فلم يزل يركب .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٨ .

(٢) ذكر البلاوى أن عقبة جعل رعيه بن قيس على مدمه حشه . وكان صاحب
 حمله على القبروان كما يعرف ابن الأثير البلاوى ، لا ينفص ، ص ٣٧ — ٣٨ . ابن عبد الحكم .
 فتوح ، ص ١٩٧ — ١٩٩ ، وريدة ابن عبد القواس من عمل بشر .

وأبو الهجر معه في الحديد ، فما استحر الأمر أمر عقبة بفتح الحديد عنه فأبى
أبو الهجر وقال : « نقي الله في حديدي ، فقتل عقبة وأبو الهجر ومن معهما ^(١) »
إذا صحح ذلك كان دليلاً على أن عقبة كان محطاً من أول الأمر شبكة واسعة
المطوق وهو جاهل بصره ، هذه الرواية تذكر أن جرأ من البر كان نفسه ،
وبردم الآثار التي تترى حتى تنهى عقبة إلى المحيط ثم انقلب راحته ، فإذا المياه
قد تلتفت وأصبح يسير عليه صعباً ، فأخذ البرر يتجمعون في طريقه ، وتأخذون
عليه السبيل حتى أوقعوا به عند نهودة ، إذا جار أن شئت في هذه الرواية
لأنهم ما يؤيدونها من روايات الأخرى ، لما جار أن ستمدهم غمماً لأن فيها
إشارات هامة ، ولا راع في أن عند الحكم على باب الكاهنة هذا « كسبه »
نفسه في ينهى بـ في رأى حديد هـ هـ هـ ، وهو أن موت عقبة لم يقع شخص
مصدفة وإلا كان سيحتمل مديد بدأ من ساعة فصله عن القبروان ^(٢) ، لأن
نقص مراجع تحمل بين كسبه وبين الكاهنة صفة وسبب ، فكان أن عند الحكم
أراد أن يقول بـ كسبه كان يسع عقبة ، ويعود ماء في طريقه يتقطع عليه خط
انمودة ، بيد أن مع وف أن كسبه كان سبباً لدى عقبة طوال جلته ، فكيف
ينبغي ذلك مع تفسير رواية أن عند الحكم على هذا النحو ؟ ربما حار القول بأن

- (١) هم روث يعزير لاه هـ على أنه تسم الآثار والوصح من الرواية أن البر لم
يكونوا يسمون الآثار ، وقد يظن أنها قصص كاهن معاصر من الناس .
(٢) ذكر سبب في أن عقبة خطب في أولاده حصصه عليه كل حصصه ، أعني يوم أنه
مستشهد لا بعده وأوصاه بعض وصايا ، وقد تناول بسبب هذا خطاب فأصاب إليه وروده
حتى أصبح يلائه أصناف ما ذكره سورى ، وكلامه طاهر الاختراع بل فيه ما يدل على أن
وصفه قريب من سورى في طريقه ، ولذلك أن هذه الخطب وصف بعد ذلك
نفسه ، أي حين سبب أبناءه عنه حكم في القرية في وجر العصر الأموى وأوان نصر الأساس ،
فوصف هذه الخطب لنشد من أروع وقتب من حضرم ، وكفى بهم طراً أنهم أساءوا لولي الله
عنه وأنه تركهم على الدلاد ، وأوصاه الناس من بعده - سورى ، بهانه ، أثرت ، وزقة ٧٠ (أ)
المالكي ، وياض القوس ، ص ٨

سطور ابن عبد الحكم تحكى أمراً آخر له أهميته ، وهو أن ، من الكاهنة « كسيمة »
 كان يذبح لعقبة من أول الأمر وهو سجين في حشيه ، يتصل بآله وذويه ويدبر
 معهم المكيدة لعقبة ، فعملهم يعورون الماء في طريقه وأحد يرافيقهم ، يحضره
 وأسراره ، ويرسم لهم المؤامرة لأخيرة التي انتهت بمصرع عقبة في يهودة .

بقيت الطائفة الثانية وهم : ابن الأثير وابن خلدون والبيروني وابن عدي
 وطائفة المؤرخين لمربيين . فاما ابن الأثير فقد سبق بيان اعتماده على مراجع
 معربة أصلية في كذبة هذا الخبر من تاريخه ، فروايته حذيرة بالاعتدال فيها دقة
 مصدقة للواقع . وأما البيروني وابن عدي فقد أخذوا — كما هو معروف — عن
 ابن أبي الرقيق فتشابهت روايتهم تشبهاً تاماً ، وعنهما أخذ البيروني وراودوا على
 ذلك أساطير كثيرة وخطب شتى يستل لعقبة ، ونحصر أهميتها في أنها تعطي فكرة
 عن شخصية عقبة كما عدها المربيون .

ذكر ابن الأثير أن عقبة خرج من القيروان : « ثم سار في معسكر عظيم حتى
 دخل مدينة باغاية » : وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقتلوه قتالاً شديداً
 واهرموا عنه ، وقتل فيهم قتلاً دريماً وعم منهم عتائم كثيرة ودخل المهرمون
 المدينة ، وحاصرهم عقبة ثم كره للمقام عليهم فسار إلى بلاد إراب^(١) . ورواية
 على هذا النحو غير مستقيمة لنسق ، إذ كيف تتفق قوله إن عقبة : « دخل مدينة
 باغاية » ، وقوله بعد ذلك : « إنه قتل في الاستيلاء عبيد » « عصف عبيد » ؟ روى كانت
 رواية البيروني أوضح إذ يقول : « ومضى في عسكر عظيم حتى أشرف على مدينة
 باغاية وقابل أهلها قتالاً شديداً . وغنم منهم حيوياً ودخل الروم حصنهم فكره
 عقبة أن يقيم عليهم فمضى إلى بسش^(٢) ، وهذا هو الأقرب للصحة . يستول

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ص ٢٣

(٢) لنورى ، نهاية الأرب ورقة ٧ (أ) و ٧ (ب) وانساب ابن بسش هذه هي نسخة

عقبة على باعية وبنت أشرف عليها وقال أهلها فظايرها ، وعمر مهم حيلاً ثم كره
أن يبق وقتها في حصارها فاصرف عنها وسار إلى العرب حتى وصل إلى لميزة .
ينزل سير عقبة من القيروان إلى باعية إلى لميزة على أنه اسع طريق السهل
الذي سبقت الإشارة إليه ، وتجنب السير على الهضبة الوعرة . ولهذا لم يعثر
على نسا ولا الأرس لأهلهما على شاطئ منها . ولما كانت لميزة على باب الهضبة
مشرقة على المخرج منها ، فربما يكره له بد من المرور بها والوقوف عندها لأهلها
على باب سهل منع ، بتوسطه شط هذبة الذي سحدر إليه وديان وسهيرات كثيرة ،
فيقوم على جانبيه عمران قليل .

وقع لعقبة عند لميزة مشاة وقع له عند باعية ، إذ : « مضى إلى نيش وهي
من أعظم مدن الروم فجاء إليها من كان حولهم ، وخرجوا إليه وقتلوه قتلاً
شديداً حتى من الناس أنه القاء ، فهرمهم وسعهم إلى باب حصهم وأصاب عاثم
كثيرة ، ذكره نعام عليها فوصل إلى الرب^(١) » كما يقول المويرى . في حين
لا يذكر أن الأثير مروره بصيرة ، بل يذكر أنه اتجه من باعية إلى الرب رأساً^(٢) ،
وبما يعل أن المويرى هو الأصوب لأنه ما دام قد انحدر من الهضبة إلى وادي
الرب المنيع وما دام مقللاً من باعية فلا مفر له من المرور بصيرة .

3 كيف استطاع الروم أن يشتوا هذا الثبات في هذه النواحي الداخلية ؟ لقد
رأيناهم منذ حين لا يكادون يقتصمون من العرب في سيررت وسوسة وحلولا .
وما إليها ، بل يسرعون بالتسليم مع أن القوى التي سارت إليهم إددت كانت
في أحيان كثيرة نوعاً صميرة يقودها قواد صغار . فكيف أبدى الروم هذه المقاومة

— عن الحسن الروماني معروف ، وأخطأ النسخ فكتبوها كفتك ، وقد وردت في ابن خلدون
ليس ، ومعنى أن أصل ليس هذه ليس ، وانحرف من ليس إلى نيش فربما الوقوع ،
وفدكتها كودل صيرة دون حاجة إلى تعديل هذا التصحيح

(١) المويرى ، نهاية الأرب ، ورقة ٧ (ب) (٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٤٢

الشديدة التي لم تكن تتوقع في هذه الواحي التي لم تكن لهم فيها مسعة حتى في أعز أيامهم منذ زمن بعيد ؟ أليس هذا عسداً لما سبق بيانه من عود النشاط إلى روم إفريقية ؟ وكيف يظل هذا النشاط الجديد إلا بأن الأسباب عادت فانصلت بين بربطة وطرطحة على أثر السياسة الجديدة التي اسمها قسطنطين الرابع ؟ فحدوا يعكرون في سبيل المقاومة ، ووجدوا في البربر عوناً صادقاً على مهادنة العرب وردمهم ، فتشجعوا وتوعوا معاوية البربر — إلى ماغاية ولبيدة ، حيث استطاعوا أن يحصوا هذه المداثر أمام العرب ويكسوها من مقاومة الحصار الطويل .

أقصى عقبة إلى الزاب وهذا خرج من شدة المصصة ووعورتها إلى إقليم كثير الوديان والزرورع وال عمران ، تنتشر فيه القرى التي تذكر المراجع أن عددها كان ثلاثمائة وأن أكرها كانت تسمى أربة^(١) ، ومن عجب أن عقبة لم يوفق في الاسيلاء على مدينة صغيرة كهذه تدل الدلائل كلها على أنها لم تكن إلا محرساً صغيراً قديماً ، هو الروم منذ زمن طويل فيقول ابن الأثير : « فسار إلى بلاد ازسومي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة ، فقصده مدينتها المظني واسمها أربة فامتنع بها من هناك من الزور والصارى ، وهرب مصهم إلى الجبال فاقتتل المسمون ومن في المدينة من الصارى عدة دهمت ، ثم انهزم الصارى وقتل من فرسانهم ورجل إلى تاهرت^(٢) » ورواية المويرى أكثر تفصيلاً إذ يقول : « فما أصبح أمر بالقتل فكانت بينهم حرب حتى نثر المسلمون من الحياة ،

(١) يذكرها ابن خلدون أدنة والنوري أربة ورسمها لكري أدنة ، بلد كثير الأنهار واليون العذبة ، وهناك عين الكنان عين عدة في معارة عليها أربع نخلات ، بينها وبين سيلة مرحلة ، ولم يذكرها الإدريسي وقد وردت في بعض النصوص أربة وربما كانت هذه أليفة هي الأصح لأن الإقليم كله اسمه زاب فيقول أن يكون عاصمته « أربة » ، ابن خلدون ج ٤ ص ١٨٥ - النويرى ، هامة لأرب ، ص ٧ (ب) الكرى ، وصف إفريقية ، ص ١٢٤ - ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ص ٤٢
(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ص ٤٢

وَعَصَدَهُ اللَّهُ الطَّغْرَ فَهَرَمَ الْقَوْمُ ^(١) » وَيَصِيفُ لِعَرَبِيَّونَ عَصِيلَ لَطِيعَةٍ لَا بَأْسَ
 مِنْ إِثْمَانِهَا ، بِدِقُولٍ : « إِنْ لِمُسْلِمِينَ مَا تَوَلَّاهُمْ لَيْتَهُمْ نَيْتٌ عَلَى حَذَرٍ وَهُمْ حَافِقُونَ أَنْ
 يَأْتِيَهُمُ الْأَعْدَاءُ عَلَى غَرَةٍ ، فَتَوَاقَفَ الْقَوْمُ أَنْتَلَّ كُلُّهُ لَا رَاحَةَ وَلَا فِتْرَةَ وَلَا يَوْمَ وَمِثْلَهُ
 الْمَسَّ الْيَوْمَ وَادَى سَهْرَ الْأَهْمِ سَهْرُوا عَلَيْهِ ، فَهَذَا أَصْحَحُ عَقْبَةَ صُلَى الصُّبْحِ . . ^(٢) »
 وَبَنَى ذَلِكَ كَلَامَهُ شَدِيدَ الشُّبْهِ كَلَامَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ وَالنُّوَيْرِيُّ

رَبَّنَا كَانَ قَوْلُ ابْنِ الْأَثِيرِ . « فَمَنْعَ مَنْ سَهَا مِنْ الْأَرْبَابِ وَالْمَصَارِي . . فَأَنْتَقِلَ
 الْمَسَامُونَ وَمِنْ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَصَارِي ^(٣) » ، كَافِيَةً لَتَعْيِيلِ هَذِهِ الْقَوْمَةِ الشَّدِيدَةِ ،
 الرَّاغِبِينَ بِمَلَادِ رُبْرِيَّةٍ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونَ . « وَفَتْحَ أُدْيَةَ قَاعَةَ الرَّاغِبِينَ بَعْدَ
 أَنْ قَاتَلَهُ مَوَكَّهُ مِنْ لِبَرِّهِمْ ^(٤) » فَإِنَّ الْأَثِيرَ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ فَمَنْعَ مَنْ سَهَا
 مِنْ الْأَرْبَابِ وَاللِّبَرِّ الْمَصَارِي أَيْ الْأَرْبَابَ وَأُورْبَةَ وَمَنْ حَالَمَهَا ، وَمُصَدِّقٌ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ
 النَّاحِيَةَ بِحَدِّ مَرَاكِزِ أَوْرْبَةَ وَمَرَاكِزِ اللِّبَرِّ الْمَثَرِينَ بِالْحَصَارَةِ اللَّاتِيئَةِ .

هَذَا تَصَحُّحٌ تَقْدِيمًا أَنَّ هَذِهِ مَعْرُومَةٌ شَدِيدَةٌ كَانَتْ مَدْرَةً مُحْكَمَةً ، دَرَنَهَا أَوْرْبَةُ
 بِإِشَارَةِ كَسِيلَةٍ وَإِشَارَةٍ ، وَدَلَّاهُ قِيَامُ الرُّومِ الَّذِينَ أَسْرَعُوا لِحُدُودِ اللِّبَرِّ فِي الرَّاغِبِينَ
 بَعْدَ أَنْ أَفْلَحُوا فِي رَدِّ الْعَرَبِ عَنْ بَغْيَةِ وَلِيمَةِ ، وَرَغْمًا كَالْوَلِيِّ يَتَمَعَّرُونَ عَقْبَةَ خَطْوَةِ
 حَطْوَةِ لِيَطْمَرُوا لَأَنَارِي طَرِيقَهُ وَيَكُونُوا عَلَى أَهْلِ الْمَحْجُومِ حَيْثَا تَسْبَحُ الْفُرْصَةُ .
 فَرَعَ عَقْبَةَ مَنْ سَهَلَ الرَّاغِبِينَ الْخَصِيبَ وَأَحْدَثَ بَرْقَ حَرًّا مِنْ الْمَصْصَةِ قَلِيلَ الْإِرْتِفَاعِ
 كَثِيرَ الشَّعَابِ وَلُودِيَّانَ وَاشْطُوطَ ، مَعْرِسَ شَرْفٍ وَنَجْمَةٍ إِلَى تَاهَرْتِ حَيْثُ مَارِعَ
 الْحَنْفِ الرُّومِيِّ الْعَرَبِيِّ لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِهِ مَرَّةً ثَلَاثَةً ، وَكَانَ فِي تَاهَرْتِ حِمِّسٌ يَبْرُطُ
 قَدِيمٌ ، فَلَمَّا بَلَغَ الرُّومُ حِمْمَهُ اسْتَعْمَلُوا دَبْرَهُمْ فَغَاوَهُمْ وَنَصَرُوهُمْ ، فَقَدِمَ عَقْبَةَ وَخَطَبَ

(١) النُّوَيْرِيُّ ، سَهْلَةُ الْأَرْبَابِ ، ص ٧٣ (٢) مَالِكِي ، رَدُّ الْعَرَبِ ، ص ٨

الدَّخَلُ ، مَعَالِمُ الْإِسْلَامِ ، ج ١ ص ٢٥ تَعْيِيلٌ فِي الْأَنْبَاءِ .

(٣) ابْنُ الْأَثِيرِ ، أَسَدُ الْغَامَةِ ، ج ٤ ص ١٢

(٤) ابْنُ خَلْدُونَ ، ج ٤ ص ١٨٥

الناس وحرصهم على الفبال ، فالتقوا وافتلوا ولم يكن للروم والبربر طرفة بقتهم
فقتلوا ذريته ، وورق جموع الروم عن مدسة ثم رحل حتى رل طلحة ^(١) ،
وبدو من قول ابن الأثير : « إن الأمر اشتد على سمين لكثرة العدد ^(٢) »
أن مقاومة البربر والروم شتدت إلى درجة كبيرة مما يدل على أن جماعتهم كانت
تتسرع تنقب في وجه مدعين ، وكل حلف عقبة حصصاً سريع أهله للوقوف مع
من أممه حتى أصبح اقتتل شديد عيباً ، لا يكاد المسلمون يصغرون منه ، لا يصغر
قبيل ، ورمى كل الروم يتراحمون بعد القتال لكي يفرروا بالمرء ويعروهم يتقدم
والقول ، فالحذع مسون في حماس لفتح ومصوا في وجهه لا يكادون يخطون
إلى شيء مما حولهم .

عنه في طلحة
المحدر عقبة من اعسة في السهل الساحلي بعد رحيله عن « هرت و سار
ساحلا حتى انتهى إلى طلحة ^(٣) ، ولا يفسر انهذه إلى هذه مدسة رت دون
أن يمر بمدسة أخرى من مدائن الساحل مثل ناديس وكور ونصور ، بل أنه
احتار لمر لصيق المحصور بين حصنة الزف وحال الأطلس الأوسطي ، لكي
يحكم نفسه مشقة مرور بالساحل من مدائن حصنة التي في فيها مثل ماقي
في ناحية ومدينة وتاهرت .

^١ وبعد عقبة على طلحة رحلا تسميه مراحم العربية بلبان ، ويختلف المؤرخون
في حقيقة أمره اختلاف كبير فيذهب ابن الأثير إلى أنه . « بطريق من روم
اسمه بلبان ^(٤) » ويذهب الويرى إلى أنه . « رحل من الروم فقط ^(٥) » في حين
يدكر ابن حديون أنه برى ويسميه : « بلبان مدك عمارة وصاحب طلحة ^(٦) »

(١) الويرى ، نهاية الأرب ، ورقة ٧ (ب) (٢) ابن الأثير ، أسد السادة ، ج ١ ص ١٢

(٣) ذكر الدماغ في معالم لإعسان أن عقبة فتح بها من طلحة وهذا مشكوك فيه -

الدماغ ، معالم لإعسان ، ج ١ ص ٢١ (٤) ابن الأثير ، أسد السادة ، ج ١ ص ١٢

(٥) الويرى ، نهاية الأرب ، ورقة ٧ (ب) (٦) ابن حديون ، ج ١ ص ١٨٥

ويؤكد مؤرخو الأندلس أنه قوطي تجمعته أساب كثيرة يسريق منك قوطلة
 إسبانية^(١)، فلا بد من تحقيق شخصيته لأن له علاقة وثيقة بتاريخ عقبة .
 يذكر ابن الأثير أن هذا الرجل أسرع حين اقترب منه عقبة فأهدى هدية
 حسنة ورجل على حكمه ، ثم سأل عن الأندلس فعظم عليه لأمره ، فسأله عن البربر
 فقال : « عم كثيرون لا يعلم عددهم ، لا الله ، وهم بالسوس الأدنى وهو عرب طليجة^(٢) »
(وعادة النويري أوضح وأشد دلالة إذ يقول : « فأنه عن بحر الأندلس فقال له
 إنه محمود لا يرام ، فقال دلي على رجاء البربر والروم ، قال قد تركت الروم خلفك
 وليس أمامك إلا البربر وعربهم ، فقال عقبة وابن موضعهم ؟ قال في السوس
 الأدنى وهم قوم ليس لهم دين يأكلون لحيشة ويشربون الدم من أنعامهم ،
 وهم أمثال الهن ، ثم تكفرون بالله ولا يعرفونه^(٣) » ، وهذه أقوال يفهم منها أن الرجل
 لم يكن رومي ولا بربري ، ففقدنا عقبة : « ابن الروم ورواه » وإن البربر أمامه »
 ثم ن تحذيره لعقبة من الصور إلى الأندلس يدل على أنه كان حريصاً على أن
 يحسب الأندلس شر المسلمين ، ولا يتفق هذا إلا إذا كان هو نفسه من أهل الأندلس
 ومن بينهم أمره ، وهذا يزيد القول بأنه قوطي معين من قبل ملوك القوط
 في إسبانيا ، فكان عليه أن يحرس مدخل البلاد ويرد العرب وغيرهم عنها .

وبذا كان هذا الرجل رومياً أو بربرياً ، فساد معه من الاستعانة بالخلف
 الرومي البربري مدى أثبت قدرته على صد المسلمين وحماية البلدان منهم ؟ ما الذي
 حال دون أن يستدعي أحقاد روم وفرنس البربر لمساعدة العرب دون طليجة
 والاحتياط منهم حيف أسوارها ؟ لقد كان تصرفه مع عقبة ناطقاً بأنه غريب عن
 البلاد لا صلة له رومياً أو بربرياً ، وبما فهمه أن يعرف العرب عن رول

(١) لسان العرب ، ابن عسدي ، ج ٢ ص ٨٥٧ (٢) من الأثر ، أسد خاتمه ، ج ٤ ص ١٢
 (٣) النويري ، نهاية الأرب ، ورقة ٧١ أ و ب

الأندلس فوق إلى ذلك ، ولو كان الرجل بطريقة رومية لكان معه من الحمد ما يكفيه مثونة المصانعة والاحتيل ، ولو كان أمير عمارة لما انتظر في طنحة وعقة يجتاز بلاد عمارة سد الحذر إلى السهل بعد رحيله عن تاهرت ، وإذا كان النويرى صادقا فيما روى من وصفه يبين لنا هذا الوصف السيء ، لخار أن تقطع بأن هذا الرجل لم يكن روميا عمريا [كما قال ابن خلدون] .

يبد أن تصرف عقة مع يدين حدير بالمطر ، فقد سارع هذا الرجل حين تسمع بمقدم العرب فأهدى هدية حسنة إلى عقة وتطفت في معامته ، فكان هذا كافيا ليصرف عنه العرب ولا يعبه عقة بأدى . هبل كان عقة طالما لهذه الهدايا الحسنة فقط ، فمن بدله جارا ن يعني من قبول الإسلام أو بدله الحرية أو الحرب ؟ أو أن عقة اكتفى بما بدله هذا الرجل من طاعة إسمية فأعده من كل قيد ، وقبل تصيحته وعمل بها ؟ إن الرواية لا تستقيم على هذا النسق ، خصوصا إذا كان هذا التصرف مسوونا إلى عقة ، لما نعرف من عدم جعله باليسة وتعبه عن أسبابها ثم إن قول ابن الأثير : « إن يبين رل على حكم عقة » غير مفهوم على وجه صحيح لأنه لم يحدث في غير هذه المناسبة أمر كهذا : حبوش إسلامية عارية نقل على بلاد لتفتحها ، فيقدم ملك هذه البلاد بالهدايا الحسنة والصيحة الطيبة ، فيصرف عنه اسمون لا إسلام ولا حرية ولا قتل .

ثم إن الرأي القائل بأن يمين هذا هو نفس يمين صاحب طارق من رباد بعد ذلك ثلاثين سنة يحتاج هو الآخر إلى ما يبرره .

رأى حار أن شئت في وجود هذا الرجل في ذلك الحين ، وأن يملل ذكر العرب له بما هو معروف من طريقة العرب في تسمية لأعلام الأجنبية ، فكل من وجد على القسطنطينية هرق ، وكل من وجد على مصر مقوقس ، وكل من وجد في إفريقية حرجير ، وكل من أقاء في طنجة يمين ، ولا بعد أن يكون وجود

يبين صاحب طريق دا أثر رحى على الشخص اوعى الذى وجد على طلبة
إدراكه ، وقد أسكر وجوده به من مؤرخين مثل ماسديو وروى .

كان على عقبة أن يعود أدراجه بعد ذلك ، وربما كان فى استطاعته لو أنه
سار مسجلاً أن يعود إلى القيروان سداً ، فطريق الساحل مأمون على ما فيه
من المذائن والمخارس ، أما الداخل فكثير الشعاب والمصايد والمساوير التي يخشى
الصلال فيها والمكيدة فى شعابها ، وكما أن أراد توجه إلى البربر بعد أن عرف
مكالمهم فالتحق بمحو الجنوب إلى السوس الأدنى .

وصول عقبة
إلى المحيط

بين المؤرخين خلاف على الطريق الذى سلكه عقبة حتى أشرف على المحيط
الأطلسي ، فيذكر ابن الأثير أنه سار حتى وصل إلى السوس الأقصى ، فقاتل
جمعا عظيما من البربر وسبى منهم مسبا كثيرا وسار حتى بلغ البحر المحيط ، فقل :
« يارب ^(١) » وهذا لا يكون عقبة قد سار إلى الجنوب فى السهل الساحلى الغربى ،
وإنما عاد أدراجه فى السهل الساحلى الشمالى حتى أدرك ماين ^(٢) ، ومن ثم اتجه
شمالا حتى أشرف على البحر الأبيض . أما ابن خلدون فيذكر أن : « بين دل
عقبة على بلد البربر وراءه » مغرب مثل ولى عند زرهون وبلاد المصمدة وبلاد
السوس ، وكأوا على دين المحوسية ولم يديبوا بالمصرابية ، فسار عقبة وفتح وغنم
وسبى وقتل فيهم وانتهى إلى السوس ، وقاتل مسوفة من أهل الشام وراء السوس ،
ووقف على البحر ثم عاد راجعا ^(٣) « أى أن عقبة التحدر إلى الجنوب وراء السوس ،
ولا يعرف بالضبط ما أراد ابن خلدون من قوله : « وراء السوس » ، أراد غربه
أم حوضه ؟ الراجح العرب ، لأن عقبة أشرف منه على المحيط ، وهذا يعلى

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١٣

(٢) ذكر « باب » فى سيقه على ترجمة ابن الأثير « ماين » ولم أجد هذا الاسم فى مرجع
آخر ، ولا يذكره النويرى .

(٣) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦

أنه سرّ بوليلي ثم انحرف من عندها إلى الحط . أما البوري فلا يحدد شيئاً ، وإنما يقول عبارة مبهمّة يعهم بها أن عقبة أتت إلى الجنوب ثم انحرف إلى الغرب حيث أشرف على المحيط ، فدخل فيه حتى بلغ له صدر قومه ووقع يده إلى السماء وقال : « يا رب لولا هذا البحر المحيط لمصب في البلاد إلى ملك ذي القربين ^(١) ، مدافعاً عن دسك ومقاتلاً من كهر بك وعبد عيرك ^(٢) » .

ومهما يكن من اختلاف هذه الروايات فقد أشرف عقبة مجدده على المحيط الأطلسي ، بل أوقف قومه في مياهه وأسف لمجده عن اجتيازه ، ثم انقلب بعد ذلك عائداً أدراجه ليعود إلى القيروان دون أن يترك بأي ناحية سرها آخرًا يذكر .

يدو أن عقبة كان يحشى أن يسمى أبو المهاجر للعدو به ، وكان هذا مكثلاً بالحديد كالأسير في حبسه ينتقل به من مكان إلى مكان ، فكان عاراً بذلك عن الانتقام وإن فكر فيه ، فحشى عقبة أن يسمى ليشار به مستعياً بكسيلة وقومه ، فسارع بحس هذا الأخير ماء ذلك أبا المهاجر ، لئلا يسهل حاله بينه وبين الانتقام وإنما لأنه رأى عقبة يرتكب بهذا العمل خطأ سياسياً كبيراً وقد سبق بيان سياسة أبي المهاجر التي كانت ترمي إلى تقريب العدو به وكسبهم بالمودة وحسن المعاملة ، فصار رأى عقبة يفعل هذا مزع وحشى العاقبة وتقدم ينصحه وقال : « ما هذا الذي صنعت ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف حاضرة العرب كالأقرب من حاس التيمي وعيينة بن حصن ، وثبت نجى إلى رحل هو خير قومه في دار غزاه قريب عهد بالكفر فتعصد قلعه أو توثق من الرحل وبني أحاف فتك ^(٣) » فكانت نصيحة أبي المهاجر توكيداً لشكوكه

(١) المالكي ، دسك لعوس ، ورقة ٨ (٢) البوري ، مياه الأرب ، ص ٧١ ب —

(٣) المالكي ، رياض النفوس ، ورقة ٩

عقبة فبالغ في تخيير كيلة والليل منه ، يؤكد لأني المهاجر أنه لا يخشى الدرر ولا عدرهم ويضعه رأيه وسياسه في تقريب أهل البلاد ومصالحهم .

ظل كسيلة «ميراً» في جيش عقبة ينفى من المهدة شيئاً كثيراً ، وربما بالغ في تصوير لأساليب التي كان عقبة سحاً إليها لليل من الرعي الدرري ، فيتفقون على ما رواه ابن الأثير من أن عقبة : « أني نعم فسر كيلة بذمتها وسلاحها مع الساجين ، فقتل كيلة » هؤلاء فتياي وعلمي مكفوحى اثوبة « فشتمه وأمره بساجها ، ففعل^(١) » ، لأن مثل هذا الأمر إذا صدر عن عقبة كانت دليل فساد في رأيه وميل شديد للاستبداد اعاشه ، وهي صفات نرى عن عقبة ونستعد انصافه بها مهما كان من جهة شئون السياسة وساليبها وإيماناً بعلت على الظن أن عقبة أهل أمر الزحف ودره ، ولم يصمه في الموضع الذي كان أبو المهاجر يصمه فيه ، فمثل هذا من عن كيلة ودام خصوصاً وأنه رجل شريف في قومه عظيم المنة بين الدرر والمسلمين جميعاً . ومعه في هذا الرأي أن كسيلة استطاع أن يمر دون أن يشعر به عقبة ، ولو كان هذا لأخبر كنه بالحديد واهتم بالليل منه وركوبه بالسحر والإبادة في كل حين لما استطاع أن يمر دون عهده ، فما وقد أهدمه وأعداه عن محله وادراه فقد كان من السهل عليه الهروب إلى قومه لتدبير لمؤامرة معهم ، فطل الرجل في جيش عقبة حياً ، ثم عذره دون أن يهتم عقبة لذلك أو يفرع منه^(٢) ، وآية ذلك أن لما مهاجر ساءه من عقبة إهماله الرجل وعدم حذره منه وقال لعقبة : « توثق من الرجل في أحاف فتكه^(٣) » فراد عقبة تهووا ،

(١) من الأثير ، أسد السادة ، ج ١٤ ، ص ٤٣ ، وابن خلدون ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، وأبو المحاسن ،

العلوم ابراهيمية ، ج ١ ، ص ١٨٤ ولورنزي ، نهاية الأرب ، ص ٧٢ أ

(٢) ويصم من قولا ابن خلدون : « شهر فيه القرصة وأرسل للبرر فاعترضوا عهده

في تهودة » أن كسيلة كان يفتل عقبة يرسل أهله - ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ١٨٦

(٣) المالكي ، رياس النفوس ، ورقة ٩

مئبث كسيلة في حيشه زمانا يرقب الأمر ثم فر هرباً ، فكان هروبه ينادي شورة
 الزبر ، وفي هذا يقول الماسكي : « قد انصرف نكت البر ما كانوا عليه ^(١) » .
 واستمر عقبة في طريقه محتاج ملاذ البر ويبرل بها من الأذى شيئاً كثيراً ،
 فأفرعها ذلك ودفع أهلها إلى التفكير في الانتقام ، وشجعهم عليه قلة من مع عقبة
 من الحند وإيماله ما يسعى اتحاد من الحندر والحيطه في مثل غروته تلك ، وأقل
 أروم عشدوا أرومهم وعقد الحين الحاصر على القصر على ما نرى السموت
 في إفريقية ، وأشأ كسيلة يتصل بهم ويرشدهم في ما يجب ساعه ، ويؤيد هذا
 اس الأثير الذي يذهب إلى أن أروم كانوا براسون كسيلة « يسعى هذا حتى جمع
 أهله وبني عمه وقصد عقبة ^(٢) » .

إذا جاز أن نحكم بما يهمم إحدا من رواية ابن عبد الحكم الكنية التي سقت
 الإشارة إليها ، لصح القول بأن كسيلة فر في وقت مسكر جداً أي قبل وصول
 عقبة إلى طنبجة ، لأن ابن الكاهنة (أي كسيلة) كان يتعمقه ويردم الأمار خلفه
 ليلة طلع عليه سبيل العودة . وإذا لم يصح الأحد بها كان كسيلة قد فر من حيش
 عقبة بعد ارتداده من السوم وعوده إلى إفريقية .

يعلب أن عقبة اتحد في عوده طريق السهل المتوسط ، فسلك وادي سنوا
 ووادي ملوية حتى أدرك الهضبة ، فمضى شمال شط هذنة حتى أدرك مدينة طنبجة ،
 ويبدو أنه كان مسرعاً في عودته لأنه لم يقابل أحداً في رجوعه ولم يزل إلى
 حصار بلاد مصر به ، وربما كان سبب هذا الإسراع بده إحصائه بما كان الروم

(١) الماسكي ، ديس نفوس ، ورقة ٩ ، نفس نصير وانصعة .

(٢) اس الأثير ، أسد لعدة ، ج ٢ ، ص ٤٣ وفهم من نص عبارته : « وراء الروم ملة
 من مع عقبة فأرسلوا إلى كسيلة وأعموه ساعه ، وكان في عسكر عقبة مصيراً بالندر وقد
 أعمر أروم ذلك وأطعمهم ، فلما أرسلوه فظهر ما كان بصره وجمع أهله وبني عمه
 وقصد عقبة » .

والحرر يدبرونه له ، وربما أحس من فساد الماء في طريقه شيء من المكيدة المذبرة
 فآثر العودة مسرعاً ، ويؤيد ذلك ما تنفق عليه لمراجع من أن عفة أدن لمعص
 فرق حده في أن تسرع إلى القيروان بعد وصوله طسة ، مما يدل على أن الجيش
 كله كالشديد الرعدة في الإسراع بالعودة ، فاحدوا يتساقون في إدراك القيروان ،
 وأدن لمعص في ذلك لأنه وجد الطريق حالياً أمامه لأن أهل البلاد — ممن لم يأتروا
 مع المؤتمرين — كان قد أفرغهم ما رل مهم على يد عفة في مسيره الأول ، فأفسحوا
 له طريق الرجعى .

أسرع الحرر والروم بالعمل بعد إدراك عفة طسة ، فقد سمحت الفرصة
 لذلك بالتصرف أكثر حده وقائه في مرق قليل ، وحافوا إن هم تركوه بعد ذلك
 أن يدرك القيروان أو يكون على مقربة منها فيمكنه الاستعانة عن مها ، ويعلب
 أن يكون من انصرف من حده عفة قد اتجه إلى الشرق في طريق تمعاد مثلاً ،
 فحرص الحرر والروم على أن يسحروا بعفة عن ذلك الطريق ، فحاولوا أن يحدوه
 إلى الجنوب الغربي في اتجه تهودة ، حتى لا يستطيع حده العثور عليه إذا هو
 استبعد منهم أو يعثر عن اللحق بهم إذا صلهم وحد في أثرهم .

يدكر ابن الأثير أن أما مهاجر قال لعفة حين رأى تحجر كسيلة ومسيره نحو
 المدين : «عاحله قل أن بقوى جمعه»^(١) ، ثم يقول : «أفرحف عفة ، فتجى كسيلة
 عن طريقه ليكثر جمعه»^(٢) أي أن كسيلة انحرف عن طريق عفة ، وتراجع أمامه
 حتى وصل أمام حصن رومي قديم عند تهودة ، كان الروم قد عسكروا فيه وتحجروا

(١) كان موقف أبي المهاجر طوال حلة عفة مما يدعى الإغاب ، فإن مراجع كلها
 تؤكد إلحاحه في صبح عفة وإخلاصه منسحقاً مما يبرئه تمام تبرئة من حرمة إهانة عمة
 الأول ، ومما يؤكد أنه كان مسلماً محضاً متغياً واسع الإدراك صادق القلب ، ومن هنا لا يمكن
 لقول مالك : «وقل إن كسيلة إنما أتى بأسراً لأن المهاجر» بما فهم منه أن أما المهاجر كان
 عسوقاً في الحسد لا يرى الروم وشريكاً في الذميمة على عفة وهذا غير صحيح — اهـ لكى ،
 ربيع النفوس ، ص ٨ (٢) ابن الأثير ، أسد غابة ، ج ٤ ، ص ٤٣

للقمة عقبة عنده واجتهد الروم في اجتداه إلى حصصهم ، وطعموا فيه وأغرقوا أبواب حصونهم دونه وشتموه ورموه بأسل والخطارة ، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل^(١) ، وقد أوضح النويري حطة كسيلة وأخلاقه بقوله : « فزحف عقبة إلى كسيلة فتمسحى عنه ، فقال البربر له ، لم (تلتجى) من بين يديه ونحن في حمة آلاى ؟ فقال إسمك كل يوم في رادة وهو في نقصان ، ومدد الرجل قد افترق عنه فإذا طلب إفريقية رحلت إليه^(٢) » ، مما بهم منه أن جوعاً من البربر كانت تهرع إلى صغوف كسيلة كل يوم ، فبردا حدده بينما حصد عقبة في نقص ، وقد انقطع طريق الإمداد إليه بالخرافة نحو تهودة وأصبح من العسير وصول شيء إليه .

دارت الواقعة الأخيرة على مقرية من تهودة ، وأدرك عقبة وأصحابه أنهم واقعة تهودة هالكون لا محالة ، واحتاط بهم الأعداء ولم يبق لهم مهرب ، فحرب عقبة وأصحابه بالموت واستقبلوه في شجاعة حذيرة بالذكور والإبلحاب ، وحصوا يتنازعون الحر الاستشهاد ، فما رأى أبو الماهر ذلك تثل نقول أنى محجن النقي :

« كفى حزناً أن ترتدى الحيل بالقصا وأنك مشدوداً على وثيقه إذا قت عسانى الحديد وأعقت مصارع من دوى نغم المنادية^(٣) »
 منع عقبة ذلك فأطلقه فقال له : « إلق بالمدين وقم بأمرهم . وأنا أعتم الشهادة » ، فلم يفعل وقال : « وأنا أيضاً أريد الشهادة » فكسر عقبة والسفون أحماس سيوفهم وتقدموا إلى البربر وفانهم ، فقتل السفون جميعهم ولم يعلت منهم أحد ، وأمر محمد بن أوس الأنصارى ، شخصهم صاحب قصصة ونعت بهم إلى القيروان^(٤) ، وهكذا كانت حادثة عقبة وأصحابه استشهاداً جليلاً حله ذكرهم .

(١) النويري ، حياة لأرب ، ص ٧٢ أ (٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) خطأ ذكرى في رواية البيت الأول قال : « ألس عطفاً أن تخرج الحيل بالقصا ... الخ » المالكي ، رياض النفوس ، ص ٩

(٤) ابن الأثير ، أسد الساسة ، ج ٤ ، ص ٤٣ — وقد ذكر المالكي أن الأعداء اصطوا —

في هذه البلاد، وراثة الأنابيب الكثرة التي حلت إلى عقبة حلالاً فاجتمع منها في ذهن الناس « عقبة سطوري » آخر غير لدى معرفه في التاريخ .

ما الذي يهمه من قول ابن الأثير : « صاحب قصبة سمي بخلاص من أسر من المسلمين وردهم إلى القيروان ؟ » لقد أيد كثير من المؤرخين قوله هذا وراثة بعضهم سمي صاحب قصبة هذا ابن مصد^(١) ، وإذا أضفنا إلى ذلك ما يذكره السلاوي من أن عقبة حين وصل إلى حل در : « بهت رباته وكانت حاصصة نصفين مد إسلام معاوية » وقوله : « إن عقبة أثنى في المصامدة حتى حملهم على طاعة الإسلام »^(٢) تكون لدينا صورة واضحة بعض الوصوح عن شؤ جماعات بربرية إسلامية ، أو تميل إلى المسلمين على الأقل في ذلك الحين ، وأن هذه الجماعات لم تكن قبيلة وإنما كانت كثيرة نوعاً ، فيها بعض رباته وبعض موسوعة وبعض مصمودة . وإذا لوحظ أن هذه القبائل التي بدت تدخل الإسلام أو تميل إليه من ذلك الحين كانت تكن الحبوب فتدخل فيها برعواطة^(٣) وزبنة^(٤) وموسوعة^(٥) ، كان من السهل تكوين فكرة عن بدء إسلام إفريقيا القبلية

— بعض من ماء وأن اللقاء والاستعداد كان في صبيحة يوم إلى — المسكي ، رصاص نفوس ، ص ٩ — الفرج ، مقدم الإحسان ، ج ١ ، ص ٤٨

(١) ابن خلدون ، ج ١ ، ص ١٨٦ — أبو المحاسن ، نجوم دار هرة ، ج ١ ، ص ١٥٩

(٢) السلاوي ، الاستقصاء ، ص ٣٨ — منهم من ذلك أن بعض رباته ومعرفة كانت مد أسلحة مد رمن لأهلها بهتاً لمدة عن المسلمين .

(٣) ذكر السلاوي أن عقبة : « أثنى في المصامدة حتى حملهم على طاعة الإسلام » أي أن نفراً منهم اعتنق الإسلام على يده ، وقد قال ابن خلدون مؤيداً ذلك وموضحاً له : « وكانت التقدم فيهم أي في مصامدة — وفي الإسلام ومصدره البرعواطة ، ثم سار تقدم بعد ذلك لمصامدة حين در » أي أن هاجن أنفسهم كانت أول مائل لمصامدة إسلامياً ، ومساكن القيسيين في الحبوب لإحداها من سوس الأدنى والأقصى (برعواطة) والأخرى حبوب الأخصن موسوعة السلاوي ، الاستقصاء ، ص ٣٨ — ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٢٩

(٤) مساكن رباته حبوبى مصفة سى في الأوراس وعمدوب حتى الأخصن الأدنى وممدوب .

(٥) سبع إشارة إلى أن نفراً من موسوعة أسلم على يدى عقبة في سنة الأولى سنة ٤٣ هـ —

واتجاهه: بدأ عبد القائل الحويصة الكثيرة الشبه بالعرب التي تميل للرحلة
وتحب حياة مشطورة بين الفطن والإقامة ، ثم أخذ يتعد إلى الشمال شيئاً فشيئاً
كما سيرى ، وواضح جداً أن سبب انصراف القائل الشمالية عن الإسلام وهوضها
لمقاومته وقيادتها حركة العداء رجع إلى أن أعياها كل مسيحي أو مسيحي
الصفة ، أي أن جواره للأتين واروم حمل يمينه وبين المصرية بعض الأسباب ،
ثم إن هذه القائل إلى ذلك — كانت متثرة إلى حد بعيد بالحصارة البرنطية ،
وكان البرنطيون على جانب من القوة ما يراون ، فصعب على المسلمين اجتذاب
أهل هذه القبائل في أول الأمر ، وكان لابد لكسبهم من لقضاء التزم على كل أثر
للروم وللتعكير اللاتيني من شريط الساحل ، حتى يقطع هذا المدد الذي كان
يقوى أهل هذه القبائل وحتى يتمكن الإسلام أن يحتلهم إليه .

وإذا جاز اساع التفسير الاصطلاحي الذي اسعه مؤرخو البربر ووقدمتهم
إن حلدون — في جعل البربر طائفتين : طائفة البربر وطائفة الراس ، أصبح لقول
بأن ابتر كانوا أول إسلام لأن نفوسه ولوانة وردتة كلها بترية ، وأن الراس
ظنوا على المقاومة زماناً طويلاً ، لأن أروم كانوا يمدوهم بالعور ، وقد لاحظنا أن
حركة المقاومة فادها فائد الراس إذ ذلك كسيلة من لم لم الأوربي البربري ، وسيطال
على قيادتها حتى نفصى عليه رهبر فتولى القيادة بعده الكاهنة ، وهي وإن كانت
بترية من جراوة ، إلا أنها هي نفسها كانت شديدة لفلة بالروم إذ كان لها روج
رومي (إغريق) أولدها أحد اسباب المسلمين ميائتي ذكرها .

لهذا لم يكن موت عفة وأصحابه نقض على كل أثر للمسلمين فيما فتحوه
من البلاد ولكنه كان قاصياً على بعض الآثار السياسي ، لأن عمل عفة لم يكن

— وأنه أحد منه من أسلم منهم حين أمره معاوية بنسرة ٥٠ هـ ، وكانت طائفة أخرى من
نفوسه لكن شمال شط الجريد ، وهذا ليس بتوسطه قصة مما يطل على أن ابن مصاد صاحبها
سعى لخلاص المسلمين لأنه كان مسلماً — إن حلدون ، ج ٦ ، ص ١١٤

سياسياً وإنما كان دينياً ، وقد لاحظنا إسلام هر كثير من البربر حين رأوا ساءه
 القبروان وطرده الحيت ، ولا بد أن نفراً كبيراً منهم كذلك كان يتبعه في مسيره
 في البلاد ويسلم ويقبل أحداً إلى طوائف البربر مسلمون أو يتحولون إلى الإسلام ،
 حتى إذا كان استشهاده اهترت له البلاد كلها وأصبحت « باراً » كما يقول
 المالكي ، وتراقت أسماء هذه العجبة وما أظهره عقبة والمسلمون فيها من الشجاعة
 والتضحية في سبيل الله ، فدأت موسى أهل البلاد تهوى إلى الإسلام شيئاً فشيئاً ،
 ومن هنا لاحظنا إدخال عمل عقبة كالمحامي من ناحية الدينية وإن كان
مثلاً من الناحية السياسية .

ترك ذكر حياة عقبة ومعمراته وأعماله واستشهاده ينتقل على ألسن
 أهل البلاد ، ويصيغون إليها ما تشكروه أحببتهم ويتذكرونها بين الدهش
 والإعجاب ، لتتركها فخر في موسمه ولتحلف ذكرها رافدة في أدهاسهم ليعود
 إليها بعد حين .



ماذا أراد عقبة من جهته الكبرى ؟ وما هي الخطة التي رسمها لنفسه لإدراك
 ما أراد ؟ سؤالان لا جواب عليهما ، لأننا أصبح أن الرجل لم تكن يرى إلى غاية
 معينة ، وربما كان هذا موضع قد شديد لو أن الذي فعل ذلك امرأاً آخر غير عقبة .
 فقد مضى دور المحاولات والمقدمات وكان لا بد لكل من يتولى قيادة الفتوح
 في إفريقية أن تكون له الخطة المرسومة . أما عقبة فالأمر معه على خلاف ذلك ،
 فلم تكن الرجل من أصحاب السياسات المرسومة المدبرة ولا العديات المهيمنة ،
 وإنما كان ولياً من أولياء الله كما تصفه المراجع وكما كان أصحابه يسمونه . وماذا يرجي
 من ولي الله إلا أن يعصى في طريقه متوكلاً على خالقه لا عرض له إلا بحارته
 المشركين والتماس الشهادة في سبيل الدين ؟ بل لم يكن نشر الإسلام غاية واضحة
 في ذهن عقبة ، إذ لو كان يطلب هذا فبست تلك هي السبل التي تؤدي إلى إدراك

هذه العاية ، إنما تدركه بأدق قوف بكل قوم و بلد و عرص الإسلام ، و تحيّر الناس به
 و بين الحرب و الحرية ، و أوا كانت الحرب . هكذا كان المتحور في الشام
 و مصر يفتنون ، بل هكذا فعل عند الله بن سعد مع حريز . أما عقبة فكان
 ينقص على لدائن محارمة مقابلاً و نلت على ذلك فترة ثم ينصرف دون أن ينتهي
 مع أهل البلد إلى شيء معلوم . بل لو كان يرجو نشر الإسلام خلفه فيها مرة به
 من البلاد ثمراً يعلم أهله الإسلام . أما هذه التحديا الحربية التي دأب على تورعها
 طوال مسيره ، و هذا التمدد في السير و المحاربة في التوع و الوقوف بالحيط ،
 و الأسف على المعر عن الاسترسل في المنع فأمور لا معنى لها ولا عناء فيها ،
 ولو لم تكن قد انتهت بمناسبة تهودة لكات عامتها أوحى على عقبة إذا ما
 يكون حواءه لو سألته احطية ماذا فعلت ؟ و ماذا حبست من نصحيته هذه الآلاف
 من الحسد التي سارت معه ؟ إنما كان عقبة شديد اشبه عرس الصليبيين الدين
 كانوا يخرجون من دورهم و يمرون البحر إلى غير عاية معلومة ، في يدري أحدهم
 أحلاص بيت المقدس أراد أم مجرد قتال المسلمين أم كسب الثروة و العودة بالمال ؟
 بل لم يكن عقبة ، أقانده لاهر أو المحارب دي الشين ، فليس هناك فائد واحد
 يسترسل هذا الاسترسل دون أن يؤمن ظهوره و حط رجعتيه تاركاً أعداءه
 متحصنين خلف ظهره . و ليس بالفائد لاهر من يستمع بصيحة رحل من أعدائه
 دون تنصر أو حذر كما فعل عقبة ، فسهل على أعدائه احتدائه إلى حلق هقيق
 بين طسة و تهودة و الإيقاع به و نقصاء عيه في سهولة و يسر .

و كم كان المؤرخون موفيقين في صياغة الخطيب التي نسوها لعقبة قبل روله
 الميدان ، إذ ليست فيها إشارة واحدة إلى حطة القتال أو مكيدة الحرب ، وإنما
 هي مواظ حسة فيها حث على أخذ العلم عن آله و تحذير من الاستع إلى المفاقي
 الذين يدعون العلم ليغرروا بالناس ، و النصيح بمجاسة الدين حفظاً للكرامة و غير ذلك

مما هو أليق بالأولياء والوعظ منه بالقادة أو الساسة ، لأن عقبة كان في نظرهم ولياً واعظاً متديباً لا قائداً سياسياً ، ونبت هي لصورة الصحيحة التي ينبغي أحدها عن عقبة من دفع ، ولا بد من مراعاتها في تتبع أعماله ودراساتها ولا يمكن فهمها بغير ذلك .

وسدوا أن رجلاً كان يحثي أن يفتح نهر حديد ففتح ما أراد
دور تريث أو إبطاء ، ولهذا كان لا يكاد يجاهر بدأ حتى يصرف عنه إلى غيره
حتى انتهى إلى نصي الملاح . ولا يخطئ كذلك من يقول إن الخندق
على أي المهاجر وازعة في التقليل من شأنه كان مص ما أصل سبيله ، فقد وصل
أبو المهاجر إلى حسن فكان لابد لعقبة من الوصول إلى بعد من تمسك .

ولا بعد أن يكون قد عيب عليه ما نفق من أوت في حشيشه الأولى دور فتح
كبير ، فعول هذه مرة على أن دفع لفتح لدى لن يفتي مثله أحد من بعده ،
فيص إلى المحيط ويقع فرسه في مانه ويشهد الله على أن لا إرسال إلى بعد
من ذلك محال .

وقد كان كسيلة بيد عقبة ما كان فيرس بيد عمرو ، كلاهما سيد في قومه
عظيم انبهاة فيهم شديد الإحلال للعرب وبيق النصبة بأوم . وقد أفاد عمرو
من فيرس ما يعرف وحى من صداقته ومصحته أعظم العلم وكان عقبة يستطيع
أن يعود من كسيلة أعظم من هذا لو كانت له سبيحة عمرو ، ولكن الحق أقضه
في هذا الأمر ونهى به عن الصواب ، فأخذ كسيلة بحريرة أبي المهاجر فتعير
قبت الرجل على العرب والإسلام ، وكان الرجل على صلة بأله فتعيروا هم
الآخرون على العرب والإسلام ، وانقلوا فاصبحوا أنصار أروم . وهذا بعد
ما كان قد أثمر من جهود التمهين قبله ، وأصبح يسمون في نظر أهل هذه البلاد
طلاب عم ودماء ، يحمون الحرب للنعيمة والظفر ، فكان ذلك وحيم العقبة

على مسير الفتح راح عقبة حقيقته واستند حمود فائحين عظيمين هما
رهير وحسان .

كان عقبة قد حلف على القيريين حماية صغيرة ذكر ان عبد الحكم ان عذتها
كانت خمسة آلاف رجل على رأسهم رهير بن قيس النوى^(١) ، وما وصلته أخبار
مدمجة تهودة عزم على القتال ، وأحد بتهيب له ، ولكن الظاهر ان أحبار تهودة
أفترعت برأ كبير من الحذفاء إلى العودة ، والعبس كذلك أن إجهاد عقبة لم
يهذا العرو الطويل كان قد أسهم ، وحميمه عاجرين عن القيام بأي عمل آخر
فترة من الزمان . وجاءت فاجعة تهودة فاصفت الفرع إلى الإجهاد وحملتهم يمينون
إلى العودة ميلا شديداً ، وكان على رأس هؤلاء الزاعمين في العودة حبش الصنعاني
الذي كان ديار قد أرسله إلى حريرة شريث^(٢) ، شاعر رهير ، وعاد إلى مصر فتمعه
أكثر الناس ، فحضر رهير إلى لعودة معهم مسار إلى بركة وأقام بها .
وأما كسيلة : لا اجتماع إليه جمع أهل بركة وقصد بركة (يريد القيروان) ،
وسا أمحاب الأمل والدرري من لاسين فطلقوا الأمان من كسيلة فأمهم ،
ودخل القيروان واستولى على بركة وقام بهب إلى أن قوى أمر عبد الملك
ان مروان ، فاستعمل على بركة رهير بن قيس النوى وكان مقبى بركة
صراطة^(٣) .

(١) يدعى بن بروسان بن أبي رهير لم ين على القيروان وبع مسار على رأس مائة
فقدم عقبة في حنة الكبرى ولبس هناك ما يزيد ذلك . مقال عقبة أخبار د . م . ١

(٢) المالكي ، وياض النفوس ، ص ٩

(٣) ان الأثر ، أسد عام ، ج ١ ، ص ٤٢ وقد روى ساجي لخرطة في أسبهم
ناس في تلك السنة ورتما كانت موضوعة — الخلاصة نسخة ، ص ٦ — وقد جاء في لعلوم
الزاهره : « حبش الصنعاني » وهذا خطأ صحتاً ، ثم قال بعد ذلك ان حبشاً حين تم بالقول إلى
مصر : « تبعه » أكثر ناس من بهب كرمصرة من حنة سعيد حاكم مصر « ثم يؤيد لقول
أن عقبة إنما سار إلى إفريقية بعد موت مملكة وولاية سعيد فبعث هناك معه بقر من الجند ،
ولم يرد بالمرتين هناك ثم سار إلى مصر أبو محمد ، حجوم براهرة ، ج ١ ، ص ١٥٩

أمن كسيلة من بقى بفريقية من المسلمين ، وهذا يدل على أنهم لم يكونوا
كلهم من العرب ، وقد كان منهم من كثر من أهل البلاد فلم يرحلوا مع العرب ،
فكان كسيلة معطراً إلى مسجهم الأمان لأن لهم قسائم القوية ، التي ربما
ثرت عليه ، إذا هو منهم ، وذا هو السب في بقائه منى بفريقية
من العرب منهم وغير العرب — تحير حتى عود حدود المسلمين لفتح البلاد مرة أخرى.
ولو كان هؤلاء المسلمون الذين بقوا في البلاد بعد رحيل رهير — كلهم من العرب
لم تولى كسيلة عن قسائمهم ولقصاء عليهم كما فعل على جواسيسهم في تهودة لأنه
كان مديراً رأى أخلاقه من الروم ، أما وفيهم من كثر من أهل البلاد : بعضهم
من موسى وبعضهم من أهل درج ، وبعضهم من زناتة ، فلم تكن له يد من
أن يؤامهم بكمس ودم ، طاعنتهم في هذا الطرف المصيب^(١)

كان ارتداد رهير إلى رقة ثم هزيمة إلى مصر ، كما قال ابن حبان الحمصري
أحد أصحاب رهير ، فقد خرجت بفريقية عن أيدي العرب مرة أخرى وحكمها كسيلة
ليرى الحمصري ، فكان لا بد من فتحها من جديد ، وانكسر فرق بين ارتداد
رهير اليوم وارتداد عبد الله بن سعد ، وعلى الرغم من أن ابن أبي سرح
ارتد مستصراً وأن رهيراً ارتد مهزماً ، وعلى الرغم من هذا الفرق الجوهرى
بين الحالين ، فإن ابن أبي سرح ارتد عن بلاد كان هو معتدباً عليها ولا شيء له
فيها ، أما رهير فارتد عن بلاد مسلمين فيها قيروان ومساحد وحقوق كسب
نصها تعاهدات ثائرة ، ولم فيها طوائف كثيرة من المسلمين أو من يتميل كل لئيل

(١) ويدون في كسيلة كان مصرى — بعد دخوله القيروان — من تأميم بفريقية
من عرب ، وذكر ابن عبد الحكم أنه أرسل حداً وصيوا ماسد قاس وأنه جعل يرسل أحاده
في كل وجه ليقصوا على كل أثر عدل العرب . ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا لموضع الذي
كان عقة احتطه فأقام به ، وفهر من قرب من ماسد قاس وما يليه ، وجعل يمت أصحانه
في كل وجه .

إلى عودة المسلمين ، أى أن المسلمين ارتدوا عن بلادهم لهم . و إنما كان عهد الله
 أن سعد حراً في أن يعود أو لا يعود إلى إفريقية ، فإن رهيراً كان لا بد أن يعود
 ليستعيد ما فقد من أرض إسلامية وليستعد الفير وان ولحقه الشعب الإفريقي
 الإسلامى الناشئ من يد مستند ككسيلة

و يعهم من قول للملكى عن كسيلة : « وزحف على الفير وان فانقست إفريقية
 ماراً^(١) » ، أن ثورة عظيمة شملت البلاد بأسرها بعد انصراف المسلمين وسقوط
 الفير وان في يد كسيلة ، فكيف تصل هذه الثورة إلا بأنه كان في إفريقية في ذلك
 الحين امر عظيم لم يرضهم سقوط الفير وان في يد كسيلة فانهم ذلك وثارت
 المنازعات بينهم وبين أنصاره ؟ ومن يكون هؤلاء الذين ثاروا تلك الثورة إلا حراً
 مسلمين . وأنصاراً لمسلمين ؟ ذلك أن كل حمد العرب قد عادوا إلى رقعة مع رهير ،
 فكان أولى بإفريقية أن يهدأ حالها بعد انصراف المسلمين منها وحلاصها
 للبربر والروم .

(١) الملكى ، رياض القوس ، ص ٩

الباب السابع

تمام الفتح

— ١ —

رحلة زهير بن قيس البلوي على إفريقية

ارتدّ المسلمون نجد « تهودة » إلى رقّة ، وسقطت القيروان في يد البربر ،
وقام في سهل تونس شبه دولة بربرية مسيحية ، وهذا خيّل للرّائي أن كل أثر
للمسلمين قد انمحى من البلاد ، فعادت ميّنتها الأولى كأن لم تمسّسها أقدامهم ، وأنكّد
ذلك فوريل بقوة : « وهكذا بعد أن أريق كل هذا الدم العربي مدى سبع وثلاثين
سنة ، أصبح البربر سادة لإفريقية والقيروان نفسها ^(١) » . أي أن دولة بربرية
قوية قامت محل العرب وحكمت إفريقية من رقّة إلى المحيط . وهي دعوى ظاهرة
اخطأ قال الأستاذ كودل في مناقشتها : « إلى هذه العناية يريد مؤلف أن ينتهي ،
لقد انتصرت نظريته المحجة بيه ^(٢) — في يبدو — انحصاراً لا يقبل مناقشة
ولا جدلاً . أصبح البربر سادة في القيروان ! وهذا هو الواقع ، ولكنه في رأي
فوريل منتج عظيم لا يحدّ معسكر أئامه جماعة من اللصوص وأشعوه تأسيساً واهياً
على قدر ما يسمح الفن الحربي البربري ، بلع من ضعف تحصينه أن أصحابه اضطروا
إلى التحلّي عنه عندما تهدده الأعداء أول مرة . . . إذا كان البربر في القيروان
قبل ، هم أصبحوا سادة إفريقية ؟ بالطبع لا . لقد خدع فوريل هذا بقول رواية
العرب ، هؤلاء لا يعمّون من موت عنة في تهودة إلا أن إفريقية قد ضاعت
من المسلمين وأصبح كسيلة سيدها وصاحبها ^(٣) » . ثم يقول بعد ذلك قليل
في وصف حكومة كسيلة التي أقامها في القيروان : « لم تكن هناك حكومة
ولا يستطيع المرء أن يقول إن البلاد — التي حكمها جرجير من قبل ومهبا العرب
مراراً عديدة — أصبحت اليوم محكومة بسلطان كسيلة ، لأن هذا الأخير لم يفعل

Fournel, op. cit. I. p. 181 (١)

(٢) ألف فوريل كتابه للدفع عن البربر وإظهار أنهم خير من العرب وسادة هم ، ومأول
أن برهم في كل صفحة من صفحاته على أن العرب إن لم يلاصوم ، لا ينجون إلا للست
ولهم ، وذلك هي نظرية المحجوبة في سحرها كودل في هذا التعليق — انظر صفحة ١١١
عن هذه الرسالة .

Caudel, op. cit. II. p. 141 (٣)

أكثر من احتلافه ، وهذا أمر يختلف عن الحكم تمام الاختلاف ، فم يرد الأمر على أن حلت القبيلة البربرية محل جموع العرب ، وصريت حيدمها حوار العيون التي كان العرب يستقون منها . . . فم يكن كسيلة يحكم بالمعنى الذي يفهمه من هذه الكلمة ، إذ لو كان يحكم حقاً لتوقع عود العرب ولأنخذ العدة لذلك ، وسترى أن شيئاً من ذلك لم يكن ^(١) ، أصاب كودل في مساهمة فوريل ، ووفق إلى وصف حكومة كسيلة وصمة قريبة من الحقيقة ، ولكن عات عنه أمور أخرى على جانب عظيم من الخطورة والأهمية ، وهي الآثار التي خلفها العرب في البلاد بعد هذه الحملات الكثيرة .

الأنصار العرب
من أهل
البلاد

سبقنا الإشارة إلى ما كان من مصاهرة بعض قبائل البربر للعرب وانصائهم لهم ، وما كان من دخول بعضهم في الإسلام ، وسبق القول أن أصب هؤلاء الأنصار كانوا من البربر المحبوبين لأنهم كانوا من قبائل الشمال أو من قبائل الأوراس أو من وادي مرطانية ، أي أنهم كانوا من قبائل البدو من أمثـل قبوهم ولوانة وبعض رباتة وغير من رعواطة ، وأن مصاهرة هذه القبائل للعرب لم تقتصر على مجرد الترحيب بهم أو التزام الحديد معهم — كما فعل قبط مصر مثلاً — بل كانوا يحفون لعرب العرب كلما تخرج بهم الأمر ، كما حفت رباتة لمجدة العرب عبد وليي ، وكما أمرع ابن مصد صاحب قصبة لاسبقاد أبي لمسين بعد تهودة ، بل لم يكن هؤلاء الأنصار بعد مصارحة العرب للبلاد ، وإنما كانوا يشعرون على كسبيهم ومن معه من التراسس بحيث أصبحت البلاد « برراً » طوال الفترة التي عاشها العرب فيها كما قال النويري .

لذلك لا يصح القول أن كل أثر للعرب قد انمحى من البلاد ، وإن كان على حيلة عقبة أن يمدد كما بدأ عمرو بن العاص قبل ذلك سحر حسين سنة ، وبعث

Caudei, op. cit. II, pp. 142-143 (١)

الأصح أن يقال : من مهمته كانت إخماد ثورة في بلاد كانت للعرب وانتقصت عليهم .
 وإذا كان أصحاب الأثر في الدولة الإسلامية محيرين في معنى ابن يواصلوا
 القروح أو يصرفوا عنها ، وإذا كانت العروش على المغرب قد صلت إلى الآن
 رهناً رعية الخليفة أو الخاج عامل مصر ، فقد أصبحت إعادة ما كان قد تم فتحه
 إلى الطاعة وبعث فتح رعية البلاد ضرورة لا بد منها ، لالمسلمين وحدهم
 بل للعرب وأهل كدلت . فما لم يلبس منهم رعية في البلاد وأصابع ينبغي
 بتقدم من الأسر الذي خضعوا له ، تنصير كسيلة ، وما رحلت القيروان ومجدها
 الجميع يدكران لمسلمين بضرورة العودة ، وما العرب فقد وجدت بعض قضاة
 في اسمين نصيراً لهم على ازوم وأحلافهم من القبائل المسيحية أو المتأثرة بالخصارة
 اللاتينية ، ورحلت بمحودهم نفاساً للفتح معهم والاشتراك في الأسلاب وديارهم
 ونجارت إلى جانبهم . فلو كانت هزيمة تهودة وارتد لمسلمون إلى رقة ، لثبت
 على عدا كسيلة وحكومته ، وظلت ستطر عود العرب تنصير إليهم وتؤازرهم على
 القدس على كسيلة ومن معه ، وذلك هو الأثر الذي عاب عن فوريل وكودل ،
 وهو على أنكر جاب من الأهمية والخطورة ، لأنه الثمرة الوحيدة التي نتجت
 عن جهود العرب طوال هذه السوات ، ولأنه يعسر له السهولة الطاهرة سيدة —
 التي استطاع بها العرب إحصاع البلاد . وكان كسيلة نفسه يشعر بذلك ويدل
 وسعه في انتفاء شره : كان يعلم أن البلاد ليست حاله له ولأصابعه ، ولهذا حرص
 على أن لا يمس من باغثيرون من المسلمين ندى حتى في الساعة التي أهدره العرب
 فيها بمودهم ، مع أن وجود هؤلاء المسلمين كان يقفقه ويشير بحوجه ، ومع أنه كان
 في استطاعته أن يتخلص منهم دون أن يكون عليه بأس من ذلك ، فإنه لم يفعل
 ثم الانتقال نفسه من القيروان إلى كمش حذر من مؤثرهم به . وقد سبق القول
 بأن هؤلاء المسلمين الذين حبسهم زهير في القيروان بنهم إلا « الدراري ودور الانتقال

من التجار» كما يقول لسانكبي، فكيف يعالج خوف كسيلة منهم وقوله :
 « فإن بالقيروان حلقاً كثيراً من المسلمين ، ولهم عيتا عهد فلا يعذر بهم ، ويخاف
 إن غلبوا رهيراً أن يثب هؤلاء من وراءنا ، فإذا رلنا من أمانهم^(١) ؟ » ليس
 من المعقول أنه فعل ذلك ، فقد غصب العرب أو مصاصة لهم ، ولا يصح تعليله بميل
 الرحمن إلى العدل وكرهه للدماء ، فإن المدحمة التي درها لعقمة تبي ذلك ، وإما
 تعذيبه ، فوحيد أنه وجد هؤلاء المسلمين أضرأ من أهل السلاذ شيرهم الإساءة
 إليهم . ولابد أن هؤلاء الأنصار كانوا من الكثرة بحيث يخشاهم كسيلة ويؤثر
 مصاصتهم ، ولابد كذلك أنه كان يعرف أنهم يصمرون له الشر ويترصون
 به الدوائر ، فحرص أشد الحرص على أن لا يثير ثارتهم في المحطة التي أنصر فيها
 حيل العرب مسرعة نحوه للأخذ شارتهودة

— ٢ —

سكن الروم فترة طويلة بعد هزيمة سببيلة ، لأن أحوال الدولة المركزية
 اضطرت وتهددت. العرب من الشرق ومن العرب بالإغارات والهجمات التتالية ،
 فاقطعت الأمداد عن إفريقية ، وأحد أمر رومها في الضعف حتى اهدمت
 مقاومتهم أصلاً كما رأيت في حملة معاوية من حديج والسرائب الصغيرة التي تمت بها
 إلى بررت وسوسة وغيرها من كبريات مدن الروم . وقد لوحظ كذلك أن روم
 إفريقية بدأوا يطهرون بعض النشاط بعد هذا الخمول ، وكان ذلك بعد خلاص الدولة
 من حصار القسطنطينية الثاني الذي استمر تأثيره عليها حتى نهاية حملة أبي الهناجر .
 وما بدأ عقبة حملته الكبرى سنة ٥٥٥ هـ طبر بجلاء أن الروم شطوا ثلثاً معاجناً ،
 ترجع أسسه إلى استرداد الدولة عافيتها بفصل جهود قسطنطين الرابع وإصلاحه
 الديني ، واحتجاده في وصل ما كان قد وهى من علاقات الدولة مع أملاكها في إفريقية

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ص ٤٢

وعبره ، وبلى انتدخ كسيلة على العرب ومحلفته الروم وتعدون الحيين معاً على مقومة عقبة . وبدوا أن روم تشجعوا عند نهودة واتهروا فرصة اشغل كسيلة بتطعيم أسره واستعدوا بعض ما كان لهم في اللاد ، وحرصوا على أن يشقوا أقدامهم من جديد . فيؤكد ديل أن : « رجال الإمبراطورية طخوا يحتلون الولاية القسطنطينية احتلالاً قوياً ، ونشرنا السحنى من الولاية الداخلية والجزء الأكبر من نوميدية . وكأولاً في القرن لسمع كذلك لا يقتصرون على محرس الساحل وحدها مثل سوسة (Hadrumetum) ، وقرطاجنة ودررت Hippone Diarryte ونومة Hippone من وضعوا يدهم على عدد كبير من الحصون الداخلية . وقد كان ارتباط الثاني ملها لم يسهل هجوم بعد . وكانت الحاميات ماقية على حالها في نوميدية حتى في المحارس انقى تحصى لأوراس ، من ينكر القول بأن علامة ما — نشه ما بين السبد والتابع — كانت تعين الحكومة البيزنطية في إفريقية بمسكة كسيلة ، وعلى أى الأحوال فقد كان الأمير اومضى على صلة صعبة بالبيزنطيين ^(١) ، وورع جار أن نشك إلى حد ما في بعض محاء ديل هذه ، فانقول بأن : « الرباط الثاني كان إلى ذلك الحين سبباً لم يسهل هجوم » غير صحيح ، لأن لمعروف أن معاوية بن حديج احترقه في معته الذى أرسله إلى دررت والتمت الآخر الذى وجهه إلى سوسة ، وأن دبسر أنه أخرج هذه قرطاجنة وحاصرها ولم يصرف عنها إلا بعد أن برل الروم له عن حرية شريك أو قعة داخل ارتباط الثاني ، ثم إن مركز أعمال العرب كان منطقة ساحلية محصر بين اقصية وساحل سوسة وهى منطقة قوية الداحلة في هذا ارتباط . وليس هناك كذلك ما يدل على وجود الحاميات التى ذكرها ديل في محرس لأوراس وحصونه ، وإثبات لا شك أنه لم يخطئ حين أكد وجود صلة ما بين روم إفريقية وكسيلة .

Diehl, op. cit. p. 519. (١)

وإما يمكن تصحيح عبارة ديل بالقول بأن روم إفريقية أخذوا يستعيدون
 أشغالهم بعد سنة ٥٥٥ هـ ، وأن طروقهم وطروق الدولة نفسها أعادت على ذلك ،
 فاستطاعوا أن يستعيدوا مدائن الساحل وبعض محرم الداخل وأن الدولة شطت
 فأحدثت تواهم بالأمداد ، ولم يرد هذه الأمداد ذكر صريح في هذه السوات
 التي نقص أخبارها ، وإما سجد أحد في رقة سنة ٧١ هـ أثناء عود زهير
 ابن قيس من إفريقية ، وكان اشغال العرب بكيفية وتوجه اهتمامهم للقضاء عليه
 فرصة طيبة استطاع الروم فيها أن يشدوا أمرهم ويشتوا أقدامهم استعداداً
 لصراع حاسم يشتد أواره في حملة حسان بن النعمان سنة ٧٨ هـ .

— ٣ —

زهير يعود
 إلى مصر بعد
 السجاء من
 إفريقية

تفق امرأع كلها ما عدا فتوح مصر والعرب على أن زهيراً أقام بركة طوال
 السوات الأربع التي انقضت بين أسجائه من إفريقية سنة ٦٥ هـ ثم مسيره إليها
 سنة ٦٩ هـ ، ولكن ابن عبد الحكم يفرده هذه المرة كما فرده في سابقها —
 برواية شديدة الموضيعة الاختلاف عما اعتمد عليه إجماع غيره ، فيقول بعد ذكر
 عدة حوادث فيها خطأ كثير : « إن الروم أغاروا على أنطلس (رقة) ونقوا
 فيها أربعين ليلة أزلوا بها أنساءها من الفساد شيئاً كثيراً ، وسمع ذلك عبد العزيز
 ابن مروان ، فأرسل إلى زهير بن قيس وكان خرج مع حسان ، فلما بلغ مصر
 أقام بها ، فأمره عبد العزيز بالهوض إلى الروم ، ولم يجتمع زهير من أسجائه إلا
 سبعون رجلاً ، وكان عارض من الصدق يقال له جندل بن صحر — وكان موطاً
 عريضاً — فقال زهير لعبد العزيز بن مروان : أما إذا أمرتني بالخروج فلا تعثن
 معي حداً عارضاً فيجيب على (عني) الناس لشدة ومقاطعة ، وكان عبد العزيز
 عائداً على زهير بن قيس ، لأنه كان قاتله حين وحيه أوه مروان بن الحكم من ناحية
 ألفة من قبل أن يدخل مصر ، فقال له : ما علمتك يا زهير إلا حلفاً حافياً فقال

له زهير . . . : « ما منطلق فلا ردني الله إليك »^(١) . وهذه الرواية مسوبة إلى الليث بن سعد ، ونقلها عن يحيى بن مكير ، وليس هناك ما يؤيدها ، ولكنها تضم إشارات على جاب عظيم من الأهمية مما يميل بنا إلى قول معناها حجة فهي تدل على أن زهيراً لم يزل رقة طوال هذه السوات الأربع ، وإنما عاد إلى مصر وأقام بها فترة من الزمن ، وعاد معه أنجابه كذلك وعرفوا يلتصقون الراحة وتقاعد أكثرهم عنه حين هم ناعود إلى إفريقية . ويعلم منها كذلك أن ملاحاة وقعت بينه وبين عبد العزيز بن مروان إما للسب الذي ذكره ابن عبد الحكم أو لأى سب آخر ، وزنا أيد ذلك ما ورد في الإصابة من تشاحن عبد العزيز ابن مروان مع زهير بن قيس ووقوع المرة بينهما إذ يقول : « وذكر له قصته مع عبد العزيز بن مروان وقد توجه إلى رقة ، فخطبه نسيء فاجابه زهير : أقول لرجل جمع ما أنزل الله على نبيه قبل أن يجمع أواله هذا ؟ وههه إلى رقة »^(٢) وهذا برهان صريح على ما كان بين الرجلين من مبغ وكرهية ، وهذا المقام عصر يفسر لنا السب الذي دفع ابن عبد الحكم واللاذرى^(٣) إلى القول بأن عبد العزيز ابن مروان هو الذي أرسله ، وهي دعوى لا صحة لها ، وأنسط ما يههه من الأدلة لدحضها هي ملاحاة والعداء الذي كان بين الرجلين . ويعلم من هذه الرواية كذلك أن سعى عبد العزيز بن مروان لضم إفريقية إلى ولايته بدأ قبل حجة زهير ، فحرص على أن يبعث معه برأ ممن يكرههم زهير كخندل الصديق هذا ليعرفل مساعيه ، وهو سعى سبوق إلى تحقيقه بعد ذلك زمن طويل ، أي حوالي سنة ٨٤ هـ حين تمكن من عزل حسان بن النعمان فتابعه موسى بن نصير^(٤) .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٢) الإصابة : مادة زهير بن قيس .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، نفس الصفحة - اللاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٦

(٤) أما أمطه بن عبد الحكم لى منه الإشارة إليها فتوبه : « إن كيلة قن =

أقام رهبر إذن بعض هذه الفترة في مصر ونقصها الآخر في بركة ، وكان لا يكف أثناء ذلك مستغنياً بعد الملك بن مروان حتى بيعت إليه بالجند يستنقذ المسلمين الذين خلفهم في إفريقية حين عاد ، ولكن عبد الملك كان في شغل عنه بما حربه من أمور وما تهدده من أخطار ، فقد قضى السنوات العشرة الأولى من ولايته في صراع مع أعدائه الذين تواتوا عليه نساء من مده ولايته ، بل كان قد ولي الخلافة والثورة قائمة في نواح كثيرة من الدولة ، كاندلس التي لم يتخذ ثورتها انتهاك مسلم بن عقبة المري إيها وتحريرها سنة ٦٣ هـ ، والكوفة التي تحرك بها الشيعة وظهر التواجد بها سنة ٦٥ هـ ، واستمرت هذه الاضطرابات قائمة على حدتها ولم يبدأ أمرها في السكون إلا بعد سنة ٧٠ هـ ، أي بعد مقتل مصعب بن الزبير بدير الحاتليق ومقتل أخيه عبد الله بن الزبير في محادي الآخرة سنة ٧٣ هـ وهذا كان طبعاً أن تذهب مرخات رهبر دون حدود ، ولو تأخر عبد الملك في إمداده حتى بعد سنة ٧٣ هـ لكان له العذر في ذلك ، ولكن العال ب أن عبد الملك ورجاله كان لهم اهتمام بأمر إفريقية ورغبة في تحييص من بها من المسلمين ، فعلى الرغم من أن ثورة ابن الزبير وأخيه واضطرابات الشيعة كانت على أشدها في سنة ٦٩ هـ ، فقد استطاع عبد الملك أن يبعث بالأمداد إلى رهبر في هذه السنة ، بأنصره بالسير إلى إفريقية ، وفي هذا دليل على أن أمور إفريقية أصبحت لهم أولى الأمر في الدولة الإسلامية كما تهتمهم أمور العراق والحجاز مثلاً ، فقد بعث رهبر إلى إفريقية سنة ٦٩ هـ في حين لم يمر عبد الملك نفسه لقتل مصعب بن الزبير في العراق إلا سنة ٧١ هـ ، بل استطاع القول بأن سبب لاهتمام باسترجاع إفريقية لم يكن مجرد استنقاذ من بها من المسلمين وإنما كان لرغبة

سنة ٦٤ هـ وهذا أمر لا سمح ، لأن رهبراً لم يشرع في حربه إلا سنة ٦٥ هـ ، وقوله : « إن عبد العزيز هو الذي بعث رهبراً إلى إفريقية » .

في تهدة أمورها و يقدم فتحها ، لأن الخلافة أصبحت تنظر إليها ككلاد إسلامية
لا مفر من الاهتمام بأمرها اهتماماً لا يقل عن الاهتمام بالموصل والحيرة . ومصدق
هذا أن هريرة رهير ومقنه في برقة لم تنس عبد الملك عن مواصلة العمل على استرجاع
إفريقية ، فبعث حسن بن النعمان في نفس الوقت الذي كان الحجاج يعمل فيه
لإخماد ثورة الصغرية في الموصل والحيرة سنة ٧٦ هـ

وما يؤيد اهتمام عبد الملك بأمر إفريقية وتقديره أهمية إتمام فتحها أنه على
أن يعد الحملة التي يرسلها إليها عدية خاصة ، فأرسل إلى أشرف العرب ليحشدوا
إليه الناس من الشام ، وأفرغ عليهم أموال مصر فسارع الناس إلى الجهاد ،
واجتمع منهم خلق عظيم فأمرهم أن يلحقوا رهير فلما وصلوا إليه خرج بهم
إلى إفريقية (١) .

اهتمام
بمسد الملك
قصة إفريقية

بين المؤرخين اتفاق على تاريخ هذه الحملة ، فكلهم عدا ابن خلدون (٢)
بمجموعها سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) ، وإذا صدق لما ذكره في أن زهيراً وصل
القيروان في عيد الأضحى كان من لمسكن القول بأنه شرع في المسير في ذي القعدة
سنة ٦٩ هـ .

كان اختيار عبد الملك لرهير (٣) فائقاً على معرفته به وثقة رجال الدولة فيه .
فقد روى النويري أنه : لما أشير على عبد الملك بن مروان بإرسال الجيش

(١) الطائفي ، رياض نفوس ، ص ٩

(٢) ذكرها ابن خلدون سنة ٦٢ هـ : طبعه دي مريح من ؛

(٣) جاء في الإصالة ما بين عن رهير : قال ابن يونس : « يقال له صفة ، ومكي أباشداد ،
وشهد فتح مصر ، وروى عن عتبة بن ربيعة لثوى ، وروى عنه سويد بن فريس ، وقتله الروم
ببرقة سنة ٧٦ هـ » ثم أعقب ذلك بكلام مؤيد لما سيرد ذكره من وقوع الحفوة بين رهير
وعبد العزيز بن مروان عامل مصر رد ذلك إذ يقول : « وذكره قصته مع عبد العزيز بن
مروان وقد تدبى إلى برقة فخاصه بشيء فأعاده رهير : أقول لرحل جمع ما أنزل الله
على نبيه قبل أن يجمع أمرك هذا ؟ وهنس إلى برقة فلق الروم في عدد قبيل فمات حتى
قتل شهيداً » .

إلى إفريقية قال لا يصلح للطلب شرعة بن نافع من الشركين إلا من هو مثله
 في دين الله عز وجل ، فاتفق رأيهم على رهير بن فيس ، وفادوا هو صاحب عقبة
 وأعرف الناس سيرته وأولاهم بطلب ثأره ^(١) . وكان قد صحب عقبة مدة سنة ٤٣ هـ
 واشترك في فتوح إفريقية من ذلك الحين ، ويبدو أنه كاتب أعظم رجاله شأن
 لأنه جعله على جندة حين سار في ثمة الصحراوي ، ثم خطفه مرة أخرى على لقيروان
 حين سار بحملته الكبري ، وكانت صحة عقبة الطويلة قد أثرت فيه فعدت
 عليه هو الآخر مسحة دينية رادها قوة ووضوحاً علو شأنه حين قام بحملته هذه .

انضمام غير
 من البربر
 إلى زهير

يهمهم من قول ابن عذارى : « فكتب إليه (أي إلى عبد الملك) رهير
 يعرفه بكثرة من اجتمع على كسبية من البربر والروم ، فأنه بائعهم وأرحال
 ولأموال ، وحشد إليه وجوه العرب ونسبهم إليه ، فوفدت الجيوش على رهير
 وتسرع الناس معه إلى إفريقية ^(٢) » أن الاستعداد لحمة رهير كان عظيم ،
 وأن الخليفة لم يقتصر على حشد قوة عظيمة إليه بل دعا الناس ليسيروا معه ،
 فلقبت الدعوة إقبالاً من الناس فتسارعوا للاشتراك مع رهير ويذهب المالكي
 إلى أن زهيراً لم يقتصر على ما وصله من مدد بل ضم إليه ميراً كبيراً من البربر
 تنبع عدتهم ألفين في حين كان العرب أربعة آلاف ^(٣) ، ونفس أن العرب كانوا
 أكثر من هذا العدد الذي أورده المالكي ولكن روايته تدل على أن جيش رهير
 كان فيه ممر كبير من البربر على أي حال . وثبت ظاهرة ستلاحظ في كل الجيوش
 العربية التي ستتولى تمام الفتح وسيهم مؤرخو العرب بتسجيلها ، إذ مسند

(١) تنويري ، نهاية الأدب ، ص ٧٣ ، ويرى المالكي رواية تشبه هذه من ناحية دعي
 وتدخلها في بعض النواحي ، وحينها أن اختيار رهير كان ساء على ردة ممر كبير من المسلمين
 لا بعد ذلك ورجال ملأه عطف ، إذ يقول : فاتفق رأيهم ورأى مسند على رهير بن فيس لدوي
 وكان من رؤساء المحدثين وأشرف المجاهدين — المالكي ، رياض النفوس ، ص ١٥

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ١٦

(٣) المالكي ، رياض النفوس ، ص ٩

الذكي يقول : « إن حكاماً كانت تراقبه طائفة من البربر يقل لهم القدر »^(١) ،
ويؤكد ذلك ابن الأثير حين يقول : « وجمع كيلة له البراس »^(٢) وكل أولئك
دلائل تعزز ما سقت الإشارة إليه من أن البربر البدو الحواريين أخذوا جانب
العرب ، وانحصرت مقاومة في القنائل الشمالية التي يسبب سادة البربر البراس
لأنها كانت بعيدة التثراً بالمحصرة البيزنطية والساحية ، ولا راع في أن الروم كانوا
يواسون بالموث والابشاد ، وسيلاحط محلاء أن مقاومتها نصف تدمراً بعد قضاء
حسان على الروم .

مرع كيلة
لسير العرب

ظل كيلة مقيماً بالقيروان على حذر من العرب طوال هذه المدة ، ولم تنكس
الأحبار ترد إليه غير رهبر محو حتى تولاه جزع شديد ، « وجمع حشد البربر والروم
وأحصر أشراف أصحابه وقال : قد رأيت أن أرحل إلى ممش »^(٣) فانطلق ،
فإن بالقيروان حلفاً كثيراً من المسلمين ولم عينا عهد فلا تعدر بهم ، وبحاف
إن فانت رهبراً أن شب هؤلاء من ورائك ؛ فإذا رما ممش أممهم وفادما رهبراً
فإن طفر ما بهم تصعب إلى طراس وفتطم أثرهم من إفريقيا ، وإن طفروا بما
تعلق بأحدل ونحوها ، فحاجوه إلى ذلك ورحل إلى ممش .^(٤)

لماذا انزل
كيلة
إلى ممش ؟

أما تلميح أصحاب كيلة إلى ممش محو من المسلمين الذين بالقيروان فقط

(١) - سكي ، رياس بنوس ، ص ٩ (٢) ابن الأثير ، أسد السادة ، ج ٤ ، ص ٤٤
(٣) ممش أو ممش Manma مدنه يرضية حصنه قدسية ، كانت من محارس ارباط
لثاى الكبرى ، وقد ذكر الكرى عن محمد بن يوسف : « أنها قرية عاصمة أهلها بها مسجد
وودق » محمد بن علي أنها كانت مهددة إلى أيمه ، وبسببها سابقة ممش ، وقد وردت بصور
مختلفة في الروايات العربية قد كرها ابن الأثير ممش ، وذكر ابن خلدون ممش ، والنويرى
ممش ، وقد أخطأ الأستاذ دى فرجى في قراءة لفظ ممش فقرأها عس وأنتها بالمرسة
والإفرجة ، وردت كالاسم مديش أشد مؤرجح تحريماً هذا اللفظ فقد أورد « معصرة » -
الكبرى ، وصف إفريقيا ، ص ١٤٠ - ابن الأثير ، أسد السادة ، ج ٤ ، ص ٤٤ - النويرى ،
نهاية الأرب ، ص ٧٣ أ - ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ - دى فرجى ، ص ٤ و ٢٣ - ابن مقديش ،
نزهة الأقطار ، ص ٧٣ (٤) ابن الأثير ، أسد السادة ، ج ٤ ، ص ٤٤

ضعيف ، لأن هذا البحر كان قليلا لا يخشى منه الناس ، وكان أكثره من غير لقاتين أو القادرين على المقدمة . وكذلك لا يستقيم تعيين المسكن لهذا الانتقال بأن عمش أكثر ماء من القيروان^(١) ، لأن هذا غير صحيح . والحقيقة أن القيروان لم تكن حصينة في حين كانت عمش كذلك ، وكانت القيروان في وسط السهل مما يسهل الالتفاف حولها ومهاجمتها من أي ناحية ، ولو هاجم العرب من العرب لقطعوا عنها مدد من الجنوب . وأما عمش فعلى شرف من الحصنة تطل بمحصبها على السهل وتقف جانبا يصعد لتقدم من السهل ولا يستطيع العرب مهاجمتها من خلف ، ثم كانت على اتصال بالحصنة وجبل الأوراس ، فيمكن الحصول على الأمداد ولؤلؤ ، بدد دارت الدائرة على كسيلة تنعق بالجلد كما قال .

ولا بد كذلك أن القيروان كانت محوطة بطوائف من البربر المواليين للعرب . فقد رأيت بمصهم يسلم وعقبة فاشم ساء القيروان ؛ وأعد على ذلك قرب موقعه من مسارل موسى التي نبت ولاؤها للعرب وبسلام بمصها من أيام عقبة ، وربما كان قول كسيلة : « بأن القيروان حنق كثير من المسلمين ولم عليه عهد فلا يضر بهم ، ويحذف إن فاشم رهيرا أن يثبت هؤلاء من ورائه^(٢) » إشارة إلى ذلك . فإن خوفه من هؤلاء المسلمين وتمصيه تركهم والانتقال إلى مكان آخر لا يعمل إلا بأنهم كانوا عددا كبيرا يخشى نأسه . وقد عرف أن رهيرا لم يخلف بإمريقية إلا عددا ضئيلا من العرب فلا بد أن كسيلة أراد بذلك مسمى البربر أو أنصار العرب منهم . أحمد زهير الطريق الساحلي الذي سلكه عبد الله بن سعد في حتمته الأولى حتى أفصى آخر الأمر إلى حوار القيروان^(٣) وعسكر جوارها دون أن يدخلها^(٤) ،

(١) لاسكى ، رياس سموس ، ص ١٠ (٢) ته الأثير ، أسد الغابة : ٤ ، ص ١١ (٣) يقول ابن عبد الحكم : « خرج زهير في جمع كثير ، فلما دنا من موقعة وبها عسكر كسيلة بن لرم عا رهير لقتاله » والأصل أنه أراد قلوبه هذه قلوبه ، أى موضع القيروان — ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٠ (٤) اتفق ابن الأثير ولؤورى على القول بأنه أقام طاهر القيروان دون أن يدخلها —

وربما كان هذا موضع تساؤل لأنه إذا كان قد طلب الراحة هذه الأيام الثلاثة ،
 فيما بداخل لندن لا يظهره يستريح الدس . وري جار تعليقه بأنه كان مسرعا
 يخشى أن يطول به الأمد إن هو دخل القبروان ، وري حشي أن يفاحته
 العدو وهو يدحسها وقد جمع لباس الحرب ، ففصل النقاء كما هو على استعداد
 لكل طارىء .

رهير يهادن
 الروم

يورد المللكي تفصيلات عظيمة الأهمية في توضيح أعمال رهير ، ويدكر أن
 رهيراً لم يسر إلى يمس وإما ثنت في القبروان ه حتى رحف كسيلة في جمع كثير
 من البرر والروم ، ونقص الروم العهد وخرجوا من حصونهم ، ووافق جميعهم
 عيد الأصحى فاعتذر رهير ومن منه : أرسمة آلاف (كدا) . أنسان من البرر
 وأرسمة آلاف من العرب ه فلما رأى رهير ما حصل به من الروم والبرر أرسل إلى
 الروم وقال لهم . ه وإنا وإينكم أهل الكتاب وقد حصرنا يوم نعطه ... سا
 حتى تنقضى العيد فحاره إلى ذلك ، فما انقضى العيد رحف إلى كسيلة فقاتله
 قتلاً شديداً ، ه هره كسيلة وقتل من أصحابه ما لا يحصى وتفرقوا ، فقام رهير
 بالقبروان يسيراً ثم رحل إلى مصر^(١) ه وبدت لا يكون رهير قد أقام نفاظر
 القبروان ثلاثة أيام ه حتى استراح وأراح ، ثم رحل إلى كسيلة والتفيا^(٢) ه وإما
 كان مقام رهير نفاظر القبروان للتدبير ومحت احالة عن كس .

وحسد رهير أن الحلف الرومي البربري لا زال قوياً يخشى نأسه ، ولاحظ

— وحالفها المللكي فأكده أنه دحبها ، وقد عنت رأى الإيس الأولي — .س الأثير
 أسد صا ٤٠ ، ص ٤٤ ولتوري : نهاية الأرب ، ص ٧٣ — المللكي ، رياض الفرس ، ص ٩
 (١) المللكي ، ريس نفوس ، ص ٩ — وقد عاد المللكي فأورد بعد ذلك رواية أخرى
 تنق تماماً مع ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون دون أن يذكر إسناد أي الروايتين ، ويهم
 من سياق حديثه أنه يقرر حلتين لرهير وهذا خطأ ؛ وفيه كد خطأ قوله : إن أنجاه
 الحلتين مما كان عس وكسلة وأنه عليه في كل منهما
 (٢) التوري : نهاية الأرب ، ص ٧٣ أ

أن الروم لا زالوا محتفظين بمحوصهم القديمة إلى شمال القيروان وشرقها ، ولاحظ
 أن البربر رخصته باب اهضة يردوه عنها هو حاول اقتحامها ، ومن ثم خشي
 أن يتجه إلى إحدى الدجيتين محفة أن تهم به إحدى الطائفتين من حلف ،
 فأحب أن يبعد الروم عن الميدان ريثما يخص من أمر البربر وكسيلة ثم يعود
 يرى ما يكون من أمر الروم معه . ويبدو أن الروم مالوا إلى أن يتركوا العرب
 والبربر يكافح بعضهم البعض ليخلصوا من أيهم فسهل ذلك لهم استرجاع
 سلطانهم في البلاد (١) .

خلص زهير من الروم «سطلق للقاء كسيلة في ممس التي تحصن بها
 ولبث ينتظر العرب عدها . وتنق لمراجع كلها على أن اللقاء كان ممس
 هذا المالك الذي يذهب إلى أن ذلك كان ساحية قريبة من ممس نسي قصر
 عبيدة (٢) . ويبدو من مختلف الروايات أن المعركة بين زهير وكسيلة كانت
 شديدة عنيفة إذ : « اشتد القتال وكثر القتلى في الفريقين ، وانجحت الحرب عن قتل
 كسيلة وجماعة من أصحابه ، وأهزم من بقي منهم وتنهمم الجيش فقتلوا
 من أدركوهم منهم ، فذهب رجال البربر والروم وأشرفهم وموكمهم في هذه الموقعة
 وعاد زهير إلى القيروان (٣) » كما يقول التويري . ولم ترد المراجع الأخرى على ذلك
 شيئاً ، مما يدل على أن الموقعة كانت قصيرة الأمد على رغم أهميتها ، وربما صح
 تعويل ذلك بأن العرب كانوا مدموعين لقتال كسيلة تشوق إلى الانتقام مشد
 ذلك من عزائمهم ، ولم يثبت لهم كسيلة ولا أحد ممن كان معه . ولا نموتنا ملاحظة
 ضعف القوى البربرية أمام العرب حينما تحلف الروم عنهم ، ولو أن الروم كانوا
 بجانب البربر أثناء موقعة ممس لرما كان شأن العرب فيها كشأنهم في باعية

(١) المالك ، رياس العوس ، ص ٩ (٢) المالك ، رياس العوس ، ص ٩

(٣) التويري ، نهاية الأرب ، ص ٧٣ أ و ب

أولميرة وعيبره من الحصون . ولكن كيف لم يعر كسيطة ومن معه حين اشتد عليهم الأمر ؟ لقد عرف أن أحد الأسباب التي ألبنت كسيطة إلى ممس هو افتراها من الهضة وسهولة الفرار إلى الحبل مها ، فكيف لم يتمكنوا من الفرار ؟ ربما صح تعيين ذلك بأن كسيطة وكدر الرعاء قنوا في بداية المعركة ، أو بأن هيراً أحاد تورع قواته ساعة الهجوم فلم يستطع البربر تعيد ما كانوا عرموا عليه من التفكر إلى الهضاب . وهذا تم القضاء على مقاومة البراس في موقعة واحدة . ويدو أن رهيرا كان يعرف أهمية هذه الموقعة وأصر على القضاء على البراس قضاء تاما ، فحينما انهزم عر منهم إلى الحبل وطسوا المعجة « تنعمهم الحبلش فقتلوا من أدركوه منهم » فذهب رجال البربر والروم في هذه الموقعة وعاد زهير إلى القيروان ^(١) .

التتبع
السياسية
لواقعة ممس

تعرض السلاوي لإبصار لتنازع السياسية هذه الواقعة ، فأكدها كانت شديدة الأثر على البربر والروم كذلك (ويسمهم المرحمة خط) ، وأضاف أن البربر دعوا من العرب بعدها رعا عطي ، فنجأوا إلى الحصون والقلاع وفارموا الأوراس ونحصوا بالمرب الأقصى « في ويلي بين فاس ومكناش بحوار جبل زرهون ^(٢) » وليس هذا الكلام صحيحاً على إطلاقه ، لأن مركز المقاومة لم ينتقل من الأوراس إلى المرب الأقصى بعد ذلك مباشرة ، وإنما الصحيح أن هذه الموقعة كسرت شوكة البراس وقصت على مقاومتهم ، وقصت على ما كان معقوداً بينهم وبين الروم من تحالف على العرب وتعاون على طردهم . وسيلاحظ أن خليفة زهير وهو حبس لن يحارب البراس وإد الترمثين في قبيلة حراوة . أما قوله إن البربر تحصوا بالمرب الأقصى بعد ذلك « في ويلي بين فاس ومكناش بحوار جبل زرهون » فلا تؤيده الحوادث التي وقعت بعد ذلك . فقد كان مركز

(١) نفس المصدر ونصه . (٢) سلاوي ، لاستقصاء ، ص ٤٣

المقاومة لتي لقبها حسان في الأوراس أيضاً ، ولن يحدد موسى من نصير في المغرب الأقصى إلا أيسر المقاومة^(١).

يذهب المالكي إلى أن العرب سمعوا العدريين من البربر إلى المغرب الأقصى ، « وتبادت العرب في طلبهم حتى سفوا حيلهم من ملوية وادي طمحة^(٢) » ، وربما كانت تلك المهالعة ، لأن ملوية قريب من طمحة ولا يسهل الاسترسال إليه بهذه السهولة لتي نعمهم من رواية المالكي .

لاستبلاء
على شقشارية

اكتفى رهبر باشتار في ماس فناد أدراجه يريد القيروان ، ويدعو من قول المالكي : « وفتح شقشارية وفتحاً أخرى ورجع وقد حرج جميع الروم والبربر^(٣) » أنه لم يعد إلى القيروان رأساً ، وإنما اتجه إلى الشمال حتى أدرك شقشارية Sicca Vaneria الميرطية (الكف الحليّة) وضع قلاع أخرى كما استولى عليها قبل انعود إلى القيروان .

— ٥ —

ترك الروم رهبراً يفعل مع البربر ما يستطع ونصرفوه ثم تدير أسراً آخر شديد الشبه بما دروه لعلقة ، وربما دفعهم إلى ذلك أن رهبراً وقع في ماس خطأ لدى وقع فيه غفلة ، فلم يؤمن طريق عودته بل نادى إلى إفريقية دبر أن يحلف في برقة أو طرابلس من يحصى طريق عودته ، فاصتروا بدولة واستجدواهم ، وفتحوا لها حال إفريقية حتى توافيهم بالامداد ؛ وفي هذا يقول ابن الأثير : « وكان قد بلغ الروم بانقضاء مسير رهبر من برقة إلى إفريقية لقتل كسبية ، دعتموها حلوها فخرجوا إليها في سراك كثيرة وقوة عظيمة من حريرة صقبة ، وأغاروا على برقة

(١) كذلك أحمد بن حنبل في قوله : « فذهب رهبراً فتح تونس » لأن تونس كانت مد ففتح قلبه مزاراً ، ولا يعد نصار من مزاراً ، وربما أراد للداري بذلك الرواد الفصيرة التي شها رهبر بعد ذلك على بعض مدائن السهل مثل شقشارية . « دارى » ، فوج سدد ، ص ٢٢٩
(٢) المالكي ، رياض غوس ، ص ١٠ (٣) نفس المصدر وبعده

فصاومها سبياً كثيراً وقتلوا وسبوا ، ووافق ذلك قدوم رهير^(١) مما يدل
على أن الروم انتهروا فرصة اشتغال رهير بحرب كسيلة وأخذوا يبدرون سبيل
الخلاص منه مع روم بيزنطة .

يهم من رواية ابن الأثير السابقة أن مدداً رومياً وحصل إمريقية إذ ذاك ،
والتي مراسيه في رقعة وأعد عيباً وأسريراً من كان بها من المسلمين ، فلما
احتقر هذا المدد رقعة دون سواها ؟ وقد كان أولى به وفي مقدوره أن ينزل قراطنة
عنها ، أو أية مدينة أخرى من مدائن إمريقية البزنطية ؟ لا يمكن تعليل ذلك
بأعول بأنهم إنما قصدوا لعمومهم هذا مجرد السلب والهب كما بهم من رواية
ابن الأثير ، ولو كان هذا هو عزمهم الوحيد لما كفوا أنفسهم عما قاتل رهير
حين مر بهم ، ولأنهم في منهم سلبين موفورين ، بل لسكوا وتخبروا مكاناً
لنفسهم غير رقعة ، إنما الصحيح الذي يهم من رواية ابن الأثير أن هذه المراكب
الرومية^(٢) أتت ماء على دعوة من لروم (روم إمريقية) وعدم معهم ، وأنها
تجبرت بره ماء على ربههم وسبيهم ، فبدأ صدق ذلك حار القول بأنهم
وحدوا رهير يستسلم في متوجه دون أن يترك حمله حامدة تؤمن طريقه ،
فصاوموا تركه مع البر يبقونهم ويضعف من قوته في حرهم ، حتى إذا كان في
طريق العودة إلى مصر رطرا له في رقعة فسهل عليهم القضاء عليه ، كما سهل
عليهم القضاء على عقبة بأسلوب مشابه لذلك .

وكان مر من المسلمين قد تحفف عن الحش بركة ، وربما كان هذا المر

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٤٤

(٢) يؤكد ابن الأثير أن هذه السفن أقدم من سفينة ، بين يدهم ابن خلدون إلى أنها
أنت من القبطانية نفسها ، وربما صح التوقيع بين رأيين فالقول بأن الدولة البيزنطية قامت
بإعداد هذا الأسطول في صعيدة ووجهته من هناك ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٤٤
ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧

من درج المؤرخون على تسميتهم : « أصحاب الدراري ولأثقال » تخمدوا هناك ليروا ما يكون من أمر رهير مع كسيلة ، فإن انتصر مصوا إلى فريقية وإلا فقم على مقرية من مصر يسهل عنهم إدراكها في حالة احرمة ، ويبدو من قول ابن عبد الحكم : « وشارت لزوم بعد حساب على أنطالس وأهل ذمها في أيدي الروم فهرب ابراهيم بن النصراني ، وحلى أهل أنطالس وأهل ذمها في أيدي الروم فرأسوها أربعين ليلة حتى أسرعوا إليها الفساد^(١) » أن رهيراً كان قد حلف على رقة ابراهيم بن النصراني هذا ، وربما كان من قبط مصر كما بين من اسمه ، وسبوردان عبد الحكم ذكره في مناسبة أخرى لعرفته البلاد ولغة أهلها ، وبما حذا الروم رقة ولى هرباً ، وربما كان قول ابن عبد الحكم « وأهل ذمها » معيباً على مهم مهمة ابراهيم هذا ، إذ كان وسيطاً بين أهل الدمة والمسلمين ، وبه يكن هؤلاء قد تعدوا العربية بعد .

لماذا ارتد
رهير مسرعاً
عن إفريقية ؟

لماذا ارتد زهير عن إفريقية مسرعاً لغير سبب ظاهر بعد انتصاره في خمس ؟ يبدو أن تمثيل المراجع^(٢) لذلك بقوله : « إنه رأى بإفريقية ما كآ عظيم فأتى أن يقيم وقال : إنما قدمت للمجاهدة وأحلف أن أميل إلى الدنيا فذهبت ، وكان عابداً راهداً » تمثيل ضعيف ، لأن الراهب الروع الذي يحلف على بسة فتنة الدنيا هو الذي يقيم على الثمور ويرابط على باب دار الحرب ، وهذا فضل على ذلك المود في العواصم والمدن لم يكن ذلك دليلاً على الروع أو بداعيه بل دليل أمور أخرى وبداعها . ثم أين هي رفاهة المش وسعة الملك التي حاصها على بسة مآثر الانصراف عنها

(١) ابن عبد الحكم ، صوح ، ص ٢٢٢ وعدد كرام حسن خطأ لأنه يقول بعد ذلك : « وبلغ ذلك عند لمر بن مروان ، فأرسل إلى رهير بن قيس ، وكان خرج مع (حسن) ، فلما بلغ مصر أقام بها ، فأمره عبد العزيز باللهوس إلى لزوم ولم يجتمع لرهير من أصحابه إلا سبعون رجلاً . . . » ثم يلي ذلك فيه أحداث عروة رهير ، والراجح أنه أراد أن يقول عقبه وذكر « حسن » .

(٢) من الآثار ، أسد غابة ، ج ٤ ، ص ٤٤ . لوبري ، نهاية الأرب ، ص ٧٣ ب .
الملك ، ريس المقوس ، ص ١٠ — المعبروس ، المؤس ، ص ٣٠ — ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ —
اللسي ، الخلاصة النقية ، ص ٩ — والرواية الواردة ها هي رواية ابن الأثير ولوبري معاً .

زهدا فيهما ؟ لقد كانت إفريقية حتى هذا الزمان دار حرب صرف ، لا أمان فيها
 ولا مسعة في العيش ولا بسطة في السطى ، ومسترى من أعمال حليفته حسان
 أن هذه البلاد لن تصحح دار استقرار وأمان للعرب إلا بعد عشرين سنة ، وبعد
 حروب طويلة تكاد تعدل أصعب ما قام به رهير ، فما هي الأسباب الحقيقية
 التي اضطرت رهيراً إلى هذا العود السريع ؟ يبدو أن رهيراً اعتبر مهمته انتهت
 بعد قتل كسيلة وتنجيس من إفريقية من المسلمين ، وقد كان هذا الرجل صديقاً
 لعقبة مقرئاً به ، فآله عذر كسيلة به وقتله إياه ، فخره ذلك إلى طلب المسير
 إلى إفريقية والإدخ في ذلك ، حتى إذا أمكنته الفرصة نادر باتهارها وتوجه
 مسرعاً إلى إفريقية ، فسا وفق إلى إدراك ثار عقبة رأى أنه بلغ بذلك غاية
 من المسير إلى إفريقية ، فترك غيروا حامية وأنشأ أهلها وعد مسرعاً . ويبدو
 كذلك أن رهيراً لم يكن مطمئناً إلى عهد العريبر من صروب ، وقد رأسا الحفاء
 يسود علاقتهما ، حتى إذا حل أن يشي به عهد العريبر عهد أخيه عبد الملك فحصل
 العود السريع . ويبدو كذلك أن الرجل كان مستأجراً حين هم بحملته تلك ،
 وأنه لم يتم إلا بعد أن صاحبه عقبة ، فخرج منه عن العود . ذلك قصارى
 ما يمكن اقتراضه لتعميل تلك العودة ، وعلى الرغم من ذلك يبدو أن الأمر لا زال
 عامصاً يحتاج إلى كثير من الإيضاح .

عهد رهير
 ٢٢٨

تتفق لمراجع كلها على ما تذكر من الحوادث التي وقعت لزهير بركة وانتهت
 عقبته ، ويقولون إنكي وهو أكثر المؤرخين تفصيلاً في تلك المناسبة . ولم بلغ
 الروم أن زهيراً خرج (إلى) رقة أمكنهم ما يريدون ، خرجوا إليها في سراكب
 كثيرة وقوة عظيمة ، وأغاروا عليها فسموا وقتلوا ، فوافق ذلك قدوم رهير
 من إفريقية إلى رقة ، فأخبر بحزم فامر عسكره أن يعصى على الطريق ، وعدل
 هو في حيل كثيرة من مرسن أسحائه ، وطعم أن يدرك العدو فيستنقذ منه أسارى

المسلمين^(١) . وفي هذه الرواية عبارتان على درجة عظيمة من الأهمية ، أولاهما قوله : « إن رهيراً أمكن الروم العرض مودته إلى مصر » مما يفهم منه أن الروم كانوا مترصين له منتظرين فرصة سروره لبيادروها ، وثانيهما قوله : « إنه عدل إلى الساحل في خف من أمحاه » ، فقد كان أولى به بعد أن سمع بوجود الروم بالساحل أن يسرع بخوم بكل من معه للقتال ، ولا يمل ذلك إلا بأن زهيراً لم يكن يتوقع أن يجد الروم في قوة عظيمة أو عدد كبير ، وإنما ظن أن مراكب رومية أغنت مراسيها بالساحل خف بسر يسير من أمحاه ليستطاع أسرهم ويستولى على هذه السفن إذا قرر ، مما أشرف على الساحل وجد الأسر أعظم مما كان قدره ، فكان الروم في مراكب كثيرة ، ولم تقتصر أسرهم على مجرد النزول بالساحل بل أسهم أسروا من مسلمي مدسة عدداً عظيم ، فلم تكذ هؤلاء الأسرى برونه حتى استشهدوا به ، فلم يجدوا من مهاجمة الروم لاستنفاد من معهم من المسلمين ، ومصدق ذلك قول لما لكي بعد ذلك . « وب وصل إلى الساحل أشرف على الروم بدهام حقق عظم ، فاستعث ديارى المسلمين وصاحوا والروم يمدحونهم في المراكب وعسكر الروم في البر ، فمدى رهير في أمحاه أرلوا راحكم الله ، فبرر المسلمون وروم الروم لقتلهم^(٢) » مما يدل على أن الروم كانوا معسكروا في البر على أهبة القتال ، فخاصهم من مع رهير وفكروا في العود ، فاستخدمهم رهير وراحهم في النزول ومدادة الروم فأجابوا وشب القتال بين الفريقين .

هكذا كانت حكمة حياة رهير ، إذ استشهد استشهاده لا يقل روعة ولا حلالاً عن استشهاد عفة ، فثار مصرعه ثورة العرب وحفرهم على مواصلة الفتح لا يدرأ ثار رهير وأمحاه ، وقد كان لقتله على يد الروم أثر عظيم في سير الفتوح ، إذ كان

(١) المالكي ، رياض النفوس ، ص ١٠

(٢) المالكي ، رياض النفوس ، ص ١٠

رهير قد حسب — بعد قتله كسياسة — أن كل مقاومة للبلاد قد حدثت ، البلاد وأن
أصبحت آمنة مطمئنة ، فكان مقتل رهير ممها للعرب إلى ما يجمعهم عن ترك الروم
من خطر ، وإلى ما يتمكن أن يسوء للعرب من المتاعب إذا تركوا في مدائن
الساحل يستعيدون ما صاع من قوتهم ويستمدون العون من يبرطة معها .
وكما كان مصرع عفة محدداً لمهمة رهير ، فصرف همه في القضاء على مقاومة راس
البر ، كان مقتل رهير محدداً لمهمة حار . فاتفق ما قدر عليه من جهد في القضاء
على الروم حتى تمكن من ذلك تماماً .

قصي رهير على مقاومة اندراس فكان هذا القضاء عظيم الأثر في مستقبل
الفتوح ، فقد سقت الإبرة إلى أن نُثر الدبر كانوا إنبا مع العرب أنصاراً لهم ،
وأن راسهم حملوا لواء المقاومة بدم الروم بالعون ، فكانت ضربة رهير فاصية
على رأس المقاومة وجامعة لآمال الروم في الاستمارة بأهل البلاد على العرب^(١) ،
ونفيت صربة أخرى توجه إلى بقايا الروم في البلاد ليقتل بعدها إن البلاد
قد قضت تماماً .

(١) أما ثورة الكاهن مكن أكثر من ثورة وثنية لها أساليب الخاصة ، وسبب
بيان ذلك .

الباب الثامن

تمام الفتح

- ٢ -

حسان بن النعمان

ودوره في فتح إفريقيا

كان مقتل عقبة على يد البربر مسبةً بتحويل المسلمين إلى ناحية انصرفوا عنها
فيما انتفى من الحوادث ، ومبداً لحملته رهبر من قس إلى حصه التي ينسبها
حتى تكون عليه ذى العبة وقوة سيلا . من ثم كان عمله عظيم الأهمية من الناحية
السياسية لأنه جرى على حصة ثمة وصحة ، إذ قضى على مقدمة بربر الشمال
وهم أقوى عناصره وقوة ، ولكنه أعلن شأنهم — وهم عنصر مقدمة الثاني —
فهم يحسن لهم لأن ربحهم كانت قد سكنت مسدود من طويل ، ولم يكن يتوقع
أن يستيقظ الروم مرة أخرى وعودوا إلى محاولة استعادة البلاد ، فهاجوا
هذه الفحاه التي استشهد فيها بركة .

لهذا كان مقتل رهبر على يد الروم بركة مسبةً لحملته إلى العمل على استنزال
مقاتله ، ومبداً له الحصة التي يسعى انصافها حتى يكون عمله خطوة موفقة في إتمام
هذا الصبح ، إذ عرف العرب من هذا الحادث أنه لا تمام لفتح هذه البلاد
إلا بد من ربح من ربح كل أثر للروم .

من ادخل أن حركته مقاومه كانت تحسف ضعف وشدة معاً لحالة الروم
في إفريقية وفي بربرية كدنت ، فقد ركبت مقدمة بمد سبيضة ركوداً طويلاً
استمر طوال السنوات التي شعت فيها الدولة البربرية بصراع العرب في المشرق .
فقد حفت حدة هذا الصراع وتمكنت الإمبراطورية البنداء بمد سنة ٥٥٠ هـ ،
مع الروم في إفريقية وسرى النشاط بينهم ، ومن ثم شطت مقدمة نشاطاً
لوحظ أثره في المقاومة الصعبة التي تقب عقبة في مسيره ، وفي هذا سدير مدى أثره
بعونه . وأعقب ذلك محنة صريحة من الدولة لاستعادة إفريقية ، فأنقذ من بربرية
الاستول إلى لقي رهبر في بركة انتفى عليه ، فكان معنى ذلك انتصارهم عليه
وعودهم إلى مكانهم عليه من النشاط في البلاد ، ومن هذا كان على الصالح الحديد
أن يتوجه بهمة نحو الروم ، فيما قضى عليهم فيكون ذلك حداً فاصلاً بين إفريقية

البرنطية وإفريقية الإسلامية ، : بما غصوه وبحوا الآثار التي تحمى عن حملات معاوية وعفنة ودار وزهير وعادت لملاذ سيرتها الأولى قبل سيطرة .
 وكان مقتل زهير بعد حقبة عظيم الأثر في موقف الخلافة من إفريقية ، فقد حفزها إلى إتمام فتحها فحدثت هبة مدوية إسلامية أن تهبط في أعين الروم ، فلو وقف المسلمون بالفتح قبل مقتل هيريقنديس الكبير من لما نتج من ذلك كبير ضرر ، أما وقد هزمت جيوش الإسلام وقتل قوادها على يد الروم ، فلا بد من العمل على إزالة أثر هذين الحزبين وبلاي ما يكون قد نجم عنهما من مساوئ اسمعة الجيوش الإسلامية ، وهذا هو سر لاهتم العظمى لدى سيدييه عبد الملك ابن مروان بأمر إفريقية ، وتسجيله بإرسال الجيوش إليها على الرغم من كثرة مشاغله ووثوب الشيعة في العراق في تلك السنوات .

- ١ -

تتفق المراجع اليونانية على القول بأن انتصار الروم في رققة أعنفه اهتمام عظيم من جانب الدولة بأمر إفريقية ، يؤكد دلي (عن صاحب الكتاب الهوى) أن إفريقية عادت إلى طاعة الدولة حوالي سنة ٦٨٥ م (٦٦ هـ)^(١) ، ولم يحدد المصدر البرنطى تاريخاً لتلك العودة ، ولكن دلي جعلها سنة ٦٨٥ م ، وهو تاريخ لا يتفق كثيراً مع ما سبق تعديله من أحداث إفريقية ، إذ في ذلك الحين كانت حركة كسيلة في عموها ، : لأصح جعله بعد مقتل أي بعد سنة ٦٩٠ م (٥٧١ هـ) وهما يكون الترتيب منطقياً . انتصر الروم في رققة سنة ٦٩٠ م فكان ذلك كافياً ليحكم المؤرخ البرنطى تقتضاه بأن إفريقية عادت إلى طاعة الدولة وسلطانها ، وقد أيد دلي ذلك بقوله : « يبدو أن البرنطيين أجادوا من الاضطرابات

Diehl, op. cit. p. 581. (١)

التي أعقت مقتل عقبة وانتفاض البربر لكي يعيدوا الولاية الداخلية إلى سلطانهم بشكل أقوى» .

تؤيد الحوادث الثانية رأى المؤرخين البريطانيين ، ويعمره ما يعرف من أن حستينال الذي إمبراطور الدولة إداك كان قد استنس اشتغال عبد الملك من مروان بالخارجين عليه ، فمادر بالاستعداد من تلك الفرصة وهدد بالمحوم على تخوم الدولة الإسلامية في المشرق سنة ٥٧٠ هـ ، ولم يرجع إلا بعد أن صلحه عبد الملك على حزية يؤديها إليه كل عام ، وربما فكر حستين في انتهاز هذه الفرصة والمبادرة بإرسال جيش يستعيد إفريقية فعسى في إعداد ذلك ، ولكن المية عاجته ، فكان إبعاد هذا المشروع من نصيب خلفه ليوس الذي استهل به حكمه سنة ٧٩٥ م (٨٧٩) .

وصاحت هذا التغيير في موقف الدولة تشرّ بساسه ويؤيده في موقف روم إفريقية من البربر ، إدا لمكند ستوارد عليهم الأحمار بعودة الدولة إلى التعكير في أمصرم وإحاشها مطالهم — بإرسالهم إليهم السفن التي لقيت رهيراً في رققة حتى وحدوا أنفسهم في غير حاجة إلى عون البربر أو الإتحاد معهم ، ومن ثم أحدث عرى الحلف البربري الرومي سحلاً شيئاً فشيئاً ، وقد استنس ذلك حسان فسكر من بادي الأمر في القضاء على كل من الفريقين على حدة .

وربما كان قول جوييه في معرض الكلام على الكاهنة : « كان الروم إذاك الخدميات المتفرقة في الحصون المستعصية على الجيش العربي ، وكانت الأسباب موصولة بين قرطاجنة وبيرطة ، وكانت المدن البيرطية ما تزال — في الواقع اللدوس أو المفهوم — وكانت بيرطة تولى البربر بالمال والجند والرأى ، فوجد العرب حينذاك حلفاء يصح العرب جميعه : روماً وبربراً ، بدواً وحصراً ، وكانت مهمة حسان هي محاولة تحطيم هذا التحالف بالاستيلاء على قرطاجنة ، ولكنه لم يوفق إلى النتيجة المرجوة من ذلك ، لأنه هزم تماماً بسد ذلك بقليل

أثر ذلك في روم إفريقية

واصطر إلى إخلاء إفريقية^(١) ، موضحاً لحال الروم يوم دخل حسان البلاد ،
ومبيكاً الخطه التي كان عليه أن يسير عليها .

- ٢ -

منى سار
حسان ؟

بين المؤرخين اختلاف على تاريخ حملة حسان ، بيد ذكر ابن عبد الحكم
أنه سار سنة ٧٣ هـ وأنه انتهى من حملتيه سنة ٧٦ هـ ، ثم عاد فروى عن الليث بن سعد
أن الانتهاء من الحملتين كان سنة ٧٨ هـ^(٢) ، وذكر ابن الأثير سنة ٧٤ هـ^(٣) ، وأيده
ابن خلدون^(٤) في ذلك ، وحدد ابن عدارى سنة ٧٨ هـ^(٥) ، وتردد القبر واني بين
سنوات ٧٦ و ٧٧ و ٧٩ هـ^(٦) ولم يحدد إحداها ، وذكر ابن الجي سنة ٧٩ هـ^(٧) . فما علة
هذا التباين الشديد ؟ ربما جاز تعليل ذلك بأن حسان قام بحملتين لاحده واحدة ،
فتح في الأولى قرطاجنة ثم اتجه نحو الكاهنة فاهزمه ، واتجه في الثانية نحو الكاهنة
ثم فتح قرطاجنة مرة أخرى ، فاحتلط الأمر على المؤرخين بنشأه أعمال الرجل
في كليهما ، وترددوا بين كل السنوات التي انقضت بين مسيره الأول ومسيره
الثاني ، ويبدو إلى ذلك كما سيري أن ابن عبد الملك أعد حملة حسان ثم نقاه
في مصر فترة من الزمن نظراً لما كان يحبط به من أحداث في المشرق ، حتى إذا اطمأن
على مركزه أذن لحسان في المسير فساد ، فوقع في طم المؤرخين أن حسان انفضى
إلى إفريقية مد أتمره عبد الملك على الجيش وأعدده للمسير .

فإذا كان عبد الملك قد فعل ذلك فليعلم أنه شرع في التفكير في أمر إفريقية حديثاً
بعد فراغه من ابن الزبير في حمادى الآخرة سنة ٧١ هـ ، ويستبعد أن يكون قد أعد
جيش إفريقية بعد ذلك سنتين وثلاث سنوات فقط أي سنة ٧٣ هـ ، لأنه كان محاطاً

(١) Gautier op. cit p 248 (٢) ابن عبد الحكم . فتوح ، ص ٢٠ ٢٢

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١١٣ (٤) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧

(٥) ليان المعروف ، ابن عدارى ، ص ٢٤ (٦) القيروى ، كتاب المؤسس ، ص ٣١

(٧) الباجي ، الخلاصة النقية ، ص ١٠

إذ ذاك بالخارجين عليه والثمنين به من طوائف الشيعة وغيرهم ، وإعما بعلب أن
 الحملة سارت سنة ٧٦ هـ أو سنة ٧٨ هـ لأن عند ذلك ما كان يستعمل عن أرعين ألفاً
 من حدوده إلا بعد حدود الفتن واستقرار الأحوال ، ولم يكن ذلك إلا بعد سنة ٧٥ هـ
 يتفق المؤرخان البيروني ونيويسي وشمسور^(١) على القول بأن حصار هاجم
 فرطاجنة محومه الأول سنة ٦٩٥ م أي سنة ٧٦ هـ ، أي أهمها يؤيدان رأي
 القيرواني ، وقد وافق كودل على ذلك بعد تردد كثير^(٢) إذ قال : « إنه يرجح
 هذه السنة مع إصاصة شكوكه في شكوك موريل وأماري وديل^(٣) » . وليس هناك
 ما يمنع قبول رأيه هذا وتحديد سنة ٧٦ هـ لهذه الحملة .

— ٣ —

لم يرد لحسان النعمان ذكر في فتوح إفريقية قبل ذلك ، و« كان أول أمير
 شامي يدخل إفريقية أيام الأمويين^(٤) » كما يقول السكي . ويدوانه كان من رجال
 بني أمية لمقر بين الموثوق فيهم ، لأن الساجي واللاوي يذكران أنه كان ينقب
 بالشبح الأميين^(٥) ، ويستصح من أعماله وحفظه أنه كان على شيء كبير من القدرة
 السياسية والمهارة الحربية وحسن النظر ، مما يدل على أن ذلك لم يكن أول عهده
 بالإمارة والقيادة ، وعلى أن عدائته تحيره بالذات لإتمام هذا الفتح الذي انقضت
 إلى الآن خمسون سنة ويبف دون أن ينتهي إلى نتيجة حاسمة .

أهتم عدائته اهتماماً عصبياً بأمر الجيش الداهب إلى إفريقية ، « فمات مثل ابن الزبير

اهتمام
 عند الملك
 بحملة حسان

Theophanes, op. cit. p. 370 — Neophore, op. cit. p. 39 — (١)

op. cit. p. 583

Caudal op. cit. p. 159. (٢)

(٣) أمار موريل سنة ٧٧ هـ أي وبعدها وسطاً بين سنة ٧٦ هـ وسنة ٧٨ هـ وتردد
 أماري بين سنة ٧٤ هـ وسنة ٧٥ هـ مصداً على س. دأير ، وميل دن سنة ٧٣ هـ ٧٤ هـ
 ابن عبد الحكم ، وفي عباراتهم جميعاً ترجيح لا قطع .

(٤) للسكي ، رياض النعوس ، ص ١١

(٥) الساجي ، الخلاصة بقية ، ص ١٠ — اللاوي ، كتاب الاستقصاء ، ص ٢٢

واجتمع المسلمون عليه حيز حيث كثيراً واستعمل على إمر بقة حسان بن النعمان
 الثاني، وسيرهم إليها في هذه السنة (٥٧٤ هـ) لم يدخل إمر بقة قط جيش منه^(١) .
 ولم يبالغ ابن الأثير فيما ذكر ، لأن عدة الجيش كانت أربعين ألفاً^(٢) ، ويبدو
 أن عدد الملك تردد قبل أن يبعث بهذا العدد الكبير من اخذ إلى إمر بقة ،
 لأنه كل محاطاً بالمصاعب والأعداء الذين كانوا يهددونه بالوثوب به بين ساعة
 وأخرى ، « فأمر حسان بن النعمان بالقدم في مصر في عسكر عدته أربعون ألفاً
 وتركه عدة لم يحدث ، مكنب إليه بالهوص إلى إمر بقة ويقول : إلى أطلقت
 يده في أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك من السمس وأخرج على جهاد
 إمر بقة على حركة الله^(٣) » . ولا يلزم مني أمر حسان بالقدم في مصر ولا مني شخص
 إلى إمر بقة ، ولكن الظاهر أن حسان لم يبق هذه الفترة التي قصها في مصر
 مدي ، وإنما جعل يمد حذوه لهذا الفتح ، لأن الفيرواني يذكر أن عسده الملك
 أطلق يده في أموال مصر . على ما شاء لمن يرد عليه من الناس^(٤) .

صار حسان إلى إمر بقة مسرعاً ، واجتاز بركة وطرابلس دون أن يلقى مقاومة
 حتى أفضى إلى سهل تونس ، ولا راع في أنه كان قد رسم لنفسه خطة العمل قبل
 مسيره ، لأنه سيجتبه إلى قرطاجنة رأساً للقضاء على الروم وسيلج في ذلك إلخاً
 شديداً حتى يتم له ما يريد ، ويذكر أن عسده الحكم رواية يفهم منها أنه وحد
 طرابلس معراً من المسلمين — ما بين عرب و بربر — فأخدم معه إذ يقول :
 « ثم قدم حسان بن النعمان ولياً على المغرب ، أقره عليها عبد الملك بن مروان
 في سنة ٥٧٣ هـ ، قضى في جيش كبير حتى نزل طرابلس ، واجتمع إليه بها من كان

(١) ابن الأثير ، أسد السادة ، ج ٢ ، ص ١١٣

(٢) شعبي بن عدي و سوزي و نفرو و والدمس و خلاوى على ذلك ، وسعد الذي
 بالقول بأن عدة الجيش كانت ستة آلاف وهو ظاهر الخطأ .

(٣) النويري ، نهاية الأرب ، ص ٧٤ (٤) الفيرواني ، لمؤسس ، ص ٢١

خرج من إفريقية وطرابلس ، فوجه على مقدمته محمد بن أبي بكر وهلال بن شروان
 (في بعض النسخ مالك بن مروان وفي بعضها الآخر ابن تومان) ورهير بن قيس ^(١) ،
 ولم يرد هلال اللواتي هذا ذكر في غير ابن عبد الحكم ، ولم يوضح لنا هذا الأخير
 حقيقة أمره . ولكن ذكره هنا عظيم الأهمية فهو يدل على أحد أمرين :
 إما أن هلالاً هذا أسم وانضم للعرب ، وإما أنه ناصرهم وأخذ جانبهم فوثقوا فيه ،
 وأقاموه في مقام كبير من خدمتهم ، وعنه منه في تلك الحان أن المسلمين كتبوا
 لأنفسهم أنصاراً من أهل البلاد ، يسوونهم في مستخدمهم ويصرفهم معهم
 حسب إلى حسب ، وهذا أمر عظيم الأهمية لهذا الفتح ، وكونه لوائاً يقرر الرأي الذي سبق
 بيانه من أن حل أنصار العرب في البلاد كما ومن العرب راحل بين البدو ، وقد سمعت
 إلى ذلك إشارة طابعه . ولكن عذرة ابن عبد الحكم هذه صريحة لا تختم
 إلا بنويلاً واحداً ، وهو أن نراً من لوائه دخل في الإسلام أو حارب في صفوف
 العرب ودخل في خدمتهم ، إذ لا راع في أن العرب كتبوا منها أنصاراً كثيراً
 غير هلال هذا .

ووصل حسان إلى القيروان وحده وقام فيها من السرب لأبهدده أحد ، وهذا
بهمس دايلاً على نطال دعوى « ديل » أن ازوم استعادوا الولاية الداخلية كلها
بعد انتصارهم في رمة ، فهو قد صدق في ذلك بوجد حسان لزوم أن رأى مسيره
في هذه الولاية التي دخله بعد غنوه بقدس ؛ بيد أن قول النويري إن حسان
سأل عن أعظم ملك بقي بإفريقه فتبين له صاحب فرطاحه ^(٢) ، يدل على أن الموقف
السياسي تغير في البلاد بعد مقتل كسيلة ؛ رحيل العرب ، فانفتحت الرعاة من البربر
إلى ازوم ، وأن فرطاحه مهتمة مرة أخرى واشتد ساعدها وقام فيها حاكم

وسون
حساب
من القروان

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٠
 (٢) النويري ، نهاية الأرب ، ص ٧٤ أ

مهرهوب الخائب من أهل البلاد ، فيعرفون بأنه أعظم ملك بقى بإفريقية . ولا يبعد أن تكون الدولة البرنطية قد عشت في إفريقية نظرياً حديداً يقوّم نشوئها بعد إذ تركها العرب وعادت سيرة الأولى .

مسير حسان
إلى إفريقية

والغالب أن الروم لم يكونوا يتوقعون مسير العرب إليهم بهذه السرعة ، فمضوا يحش حسان قل أن يتحدوا لأهية برده ، وعرف حسان أهمية لتعجيل العمل فلم يبطئ ، بل جمع جنوده ومضى إلى شمال ، على أن لعاب أن عودته ومسيره نحو قرطاجة ففنى الروم وبعراً من البرر فسادوا ، نحو هذا البلاد ، ويقول ابن الأثير : « وما ورد القيرون تحوّر منها وسار إلى قرطاجة وكان صاحبها أعظم ملوك إفريقية ، ولم يكن المسون قط حار بوه (كذا) فوصل إليها رضى منها من الروم والبرر ما لا يحصى كثرة ، فقتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيراً ، وما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب ، فركبوا مرابهم وسار معهم إلى صفينة ومضهم إلى الأندلس ، ودخلها حسان بالسيف فسيروا^(١) كما يدل على أن وقوف حسان بقرطاجة لم يطل ، وأنه لم يكدر لروم بظاهرها حتى طلبوا النجاة ، فأسعوا المديّة وفروا في سفهم وهذا سقطت قرطاجة بدون عناء كبير^(٢) .

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١١٤

(٢) روى لكري أن حسان بن النعمان سار إلى قرصه فقاتل ، ومعه بعض روم ، وأنه الروم أن لا يدخل عليهم وأن يصح إخراج عليهم ويقوموا له ثياب يخله وأصحابه . فأجابهم إلى ذلك ، وكانت لهم سفن معدة من ناحية جانب الذي يقال له باب النساء ، فحملوا بها أهلهم وأموالهم وهربوا ، ولا وأسمو الله ، فدخلها حسان فخرق وحرب وبنى فيها مسجداً وبنى هناك صائفة من المسلمين . وهذا كلام غير مفهوم ، لأن بوس لم يكن قامت حتى الآن ، ولم يكن القرية لى أقمت عليها وقعة على البحر حتى قطع روم منها في سفهم ، كما يدل على أن هذا القتال لم يقع في بوس بل في مدينة أخرى ، ثم بعد ذلك يذكر حادث أخرى لحسان مع صاحب قرطاجة في تلك الحملة . مما يؤكد أن سكري أراد بقوله هذا حملة حسان على قرطاجة . وهذا منقح من ذلك على أن قرطاجة كان فيها بطريق لذلك بعد له صراف ، وأن أهلها فوجئوا بحسان ثم يمسوا بها من الفرار فعودوا مع مدد بوى كما يرى ، وهذا —

لم يلبث حب - أن انصرف عن قرطاجة عائداً إلى القيروان ، وكان أهلها

الذين هم رؤسها قد تفرقوا في محيطها من سوحي طلة لبيدة . فلما وجدوه يرحلها
على عمن عادوا إليها مسرعين بالاعتصاف فيها . وكان الخوف من العرب قد بلغ منهم
مبلغاً عظيماً ، فسرعوا يجمعون مائة ويصحبون سوارها ، فتسمع حسا بذلك
فهمه ، وعرف أن لهذا الأمر معه ، فعدت معه مرة أخرى إلى قرطاجة
ورر عليها فحاصرها حصاراً شديداً حتى دحبت بالسيف ، فقتلها قتلاً ذريعاً
وأسلمهم ، و أرسل إلى حوائها فاجتمعوا إليها من رعين حوق من عظيم سطوته
وشدة بأسه ، فماتوا ولم يبق منهم أحد أسلم من حريق قرطاجة وهدمها فخر بها
حتى صارت كأمس العدم^(١) ويدون أن عدري^(٢) مع في وصف ما فعل حسان
بقرطاجة ، لأن الأحداث نقية تدل على أن المسلمين لم يجر بها قتلها ، وإنما بقيت
على درجته كبيرة من معة ، حتى أن أبوه سيجتمعون بها مرة أخرى بعد ذلك
بمسوات ، وهذا ما يفهم من قول البويري . « هدم المسلمون ما أمكنهم منها »^(٣) .
ثم حصل بعد ذلك الحدث إلى أن برزوا لا رأتوا على شيء من القوة والكثرة
في نوحى كثيرة مما يحيط بقرطاجة ، وأما لارات لهم مدائن وحصون يحتمون بها
بعد ذلك انقطع رجوعهم من قرطاجة منها ، أى أن القاطنة القنصلية كانت عامرة
الخواب بهم ما نزل ، ولهذا لم يجدوا بالعود إلى القيروان وإنما أعد العدة لصرية
أخرى ينزلها بالروم .

يقول ابن الأثير : « ثم بنى المسلمون بالروم والجزيرة قد اجتمعوا له في صفة مورة

و بررت وهما مدينتان ، صار إليهما وفاتلهم ونقى منهم شدة وقوة ، فصار لهم المسلمون

يدل على أن مع معة م تكن لا مجرد محونة كما يفهم من قول ابن عبد الحكم : « وخرج
إلى معة قرطاجة وبها الروم فلم يجد فيها إلا دلاء من صائهم فاصرف » - وقد نقل
ابن النديم رواية البكري حرفياً .

ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٠ . البكري وصف إفريقية ، ص ٣٧
(١) من عدري ، ص ١٠٠ ، ج ١ ص ٢ (٢) البويري ، نهاية الأرب ، ص ٧٤ ب

فاهرمتم الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ، ولم يترك حسان موضعاً من بلادهم إلا وطئه ، وحافه أهل إفريقية خوفاً شديداً ، وخافوا الهمرمون من الروم إلى مدينة ناحية فتحصنوا بها ، وتحصن البربر ثدييه بوية ، فعاد حسان إلى القيروان ، لأن الخراج قد كثرت في أقاليمه فافهمها حتى صحو^(١) ، وقد نقل الويرى هذه الرواية عنه ، وأورددها ابن خلدون وابن عسارى باختلاف قليل في الألفاظ^(٢) مما يؤيد صدقها ، ويؤكد أن حسان أعقب حمته على قرطاجنة بسير إلى الشمال حيث لقي جموعاً من الروم اعتصمت في هذا الجزء الحرجى لاهرب في السفن في الغالب ، ويدعو من اقترق الروم عن البربر واتجه كل منهما ناحية أن انزع والخس معاً استولوا عليهم فلم يعودوا يطلون إلا الناحية .

هذه العسرات الثلاث اطلعت حسان إلى أنه قضى على الروم القضاء الذي لن تقوم لهم بعده قائمة ، ويدعوا أن طول اقتتال قد نال من أصحابه وأصاب منهم كثيراً ، فدل إلى العودة إلى القيروان ليربحهم بعد ذلك الماء الطويل ، فانصرف عائداً إلى القيروان عبر عالم بأنه مادام روم إفريقية^(٣) محتلين بعض مدائن الساحل مستطيعين الاتصال بملاذ الدولة لطلب المدد والعون فلا قضاء عليهم

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١١٣ — وصورة لأمم بحري وسعة ابن خوقل بأنه إقليم بحري فصح ، يضم ثلاث مدن قريبة جداً من تونس وهي : سلونة وناحية وبردس ، أما الإدريسي فيذكر ثلاثة مدن حكماً : أشلونة وشعنة وبردس وكلها الوصفي غير دقيق ، وربما صح القول جملة بأن إقليم سطقورة هو شبه الجزيرة الواقعة شمال تونس الذي يجمع فيه بردس ، وند دكرها ، وبـ سطقورة ، وابن الأثير اصطورية ، وقد اعترض فوريل على ذكر حاجة في هذا الموضع حاسياً أن المراد بها بجاية .

(٢) الثوري ، نهاية الأربعة ، ورقة ٧ ب — ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ — ابن عسارى ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠

(٣) أخطأ المالكي يذكر أن حسان أنشأ دار الساعة في تونس في هجومه هذا على قرطاجنة لأن ذلك تم في حمته الثانية التي سأل دكرها ، وقد وافقه كودل في ذلك على عادته — المالكي ، رياس النفوس ، ورقة ١١

نور
الكاهنة

عاد حاس إلى القيروان ليبرح أمحمد مما أصابهم في حجة قراطحة ، وأظن
أظن أن أحسن الكاهنة التي تكلمت قد وصلت إلى أمحمد قبل ذلك العود ، لأن المراجع
تذكر أنه عرف أحدها وسأل عنها بعد عودته إلى القيروان ، فيذكر أن الأثير
أنه قال « دولي على أعظم من بقي من ملوك إفريقيا ؟ فدلوه على امرأة تملك
البر تعرف الكاهنة ^(١) » و في يده في ذلك مؤرخون كثيرون

من هي
الكاهنة ؟

يختلف الناس في شأن الكاهنة احتلاقاً بيناً ، بل يميل بعضهم إلى إنكارها
أصلاً معتمداً على ما يشوب أخبارها كلها من النسخة الأسطورية ، ومن هؤلاء
ليو الذي يزعم أن هذه الكاهنة ما هي إلا الطريق يوحنا ^(٢) ، مؤكداً
أن ذلك يرى قال به عمر من أوثق العهد ، ذكر في مقدمتهم *Otter* ، وهذا
مذهب لا يقل حيلاً ، خطأً عن روايت مؤرخين لسمين الذين يحرم منهم ،
فملأوه على ما استصح بعد قليل من أن الطريق يوحنا وحملته مذكوراً في الكتب
العربية يوضح إلى جانب قصة الكاهنة ، مقدماً كد فوريل أن ليو احتلق
على أوتر ذلك القول ، إذ لم يقل الرجل منه شيئاً

نقتنع الآراء كلها على وجود الكاهنة وعلى ذكر الدور العظيم الذي قامت
به أثناء فتوح إفريقيا ، ولكن شخصيتها وحقيقة أمرها لارالت غامضة في حاجة
إلى كثير من التوضيح والتفصيل

(١) ابن الأثير ، أسد الثابة ، ج ٤ ، ص ١١٢

(٢) قال ليو : « كما عرف الذين يعرفون العرب الحديث عراً سديداً — قصة
هذه الثورة نحو من الخيال ، فيدعون كما يزعم روايتهم إلى أنه كانت هناك عدكة للبر تسمى
الكاهنة تمكنت من هزيمة العرب أو الأسر ، وهذه الكاهنة — كما يستبان لعمر من أوثق
العهد — ليست إلا الطريق يوحنا ^(٣) ، أظهره مؤرخون في شكل امرأة لأنه كان حياً »
وقد ذكر أنه أحد ذلك يرى عن أوتر وسكن فوريل أكد أن أوتر لم يقل ذلك

يذكر السلاوي رواية عن هاني بن سكور الصريسي : « أن الكاهنة كان لها ثلاثة أساء ووثوا رياضة قومهم عن أبيهم » وبيدرو أنهم كانوا صغاراً ، « فاستندت بهم وصارت رياضة قبيلة حراوة لها » ثم يذكر أنها ملكت البربر خمسا وثلاثين سنة وأن انتقامها على حسان لم يكن أول عهد لها بكفاح العرب ، وإنما كان لها صاعق في مقتل عقبة إذ أغرت به رابعة أرباب ففتوه ، وأن ربيعة البربر صارت إليها بعد مقتل كيلة ، إذ احتتموا إليها ونصرها منهم بر غفير فيهم : « سو يعرف ومن كان يعرفه من قناش ربيعة وسائر السمر^(١) » ويذكر ابن عذارى أنه : « كان لها ابن : أحدهما ربري والآخري يولي^(٢) » وهذا هما الروايتان الوحيدتان اللتان تعطيان فكرة واضحة بعض الشيء عن حقيقة هذه المرأة وأصلها .

كانت الكاهنة إذ في أول أمرها زوجا رئيس من رؤساء قبيلة حراوة ، وحراوة إحدى قبائل البر الحصر الغنمين في الأوراس ، ويجمع من رواية ابن عذارى أن حراوة كانت على صلة بالروم وثيقة بعض الشيء في هذه الأيام ، صلة تسمح بالمصاهرة والنسب ، ثم تولى عنها زوجها وحلف لها اسين أوصى لها رياضة اقبيلة من بعده ، والطاهر أنها كانت مسموعة الكلمة في قومها ، مهيسة الجلب بين ذويها ، فاستطاعت أن تحفظ الأمر لابناتها القاصرين ، ويستبعد أن تكون استأثرت بالأمر من دونهما أو امتدت بهما كما يذكر السلاوي ، لأن الحوادث التالية تدل على أنها كانت شديدة الحب لها ، لا تتردد عن تصحية نفسها في سبيلها .

أما علاقة الكاهنة بكسبية وقومه ونورته فغير واضحة ، ويبدو أنها غير صحيحة ،

(١) السلاوي ، الاستعلاء ، ص ٤٢ - ٤٣

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢١

بل يطلب أن القول بأن الكاهنة قادت ثورة البربر بعد كسيلة ضعيف لا تؤيده
لحوادث ولا المعروف عن البلاد وأهلها وعظام قضايتها ، والحقيقة أن لاصلة بين
كسيلة والكاهنة ولم تكن بين الاثنين علاقة ما .

ثورة كسيلة هي مذبحة البراس المستقرين بمرمر الروم وبمصر وهم لأنهم
نصارى أو آخرون باسماء الحضارة البيزنطية ، ودهاءهم كان عن النواحي العامة
الفسحة التي كان هؤلاء البراس الحصر بمصروها ويلجئون أرضها ويرسلون
سوانهم في مراعيها وسوقها ، وهي ثورة مدبرة مرسومة الخطة وبها معنى الانتقام
لما أصاب كسيلة من المهانة على يد حقبة .

أما ثورة الكاهنة بثورة قبيلة يهودية احتشطت بقايا من الحصار القديمة ،
وطال عهدا بالاستقلال لصعب الحكام البيزنطيين وعجزهم عن إخضاع البتر
في الصحراء والخصاب ، وازدحج أن هذه المرة لم ترفع راية العصيان إلا حين
تسامحت بمسير حسان إليها ، وأنها كانت مطمئنة في مواجهتها ترقب مصير كسيلة
ثم مسير الروم على يد حسان ، مما رأت حسان يسير نحوها أحدث تستعد
للقائه وردة عن بلادها ، ويطالب أنها ما كانت لتثور أو تنقص لولا مسير حسان
نحوها وتهديده ببلادها ، فإذا أصعب إلى ذلك أنها كانت شديدة الحب لانيها
عظيمة الحرص على أن تستنق لها تلك الأذى خلفه لها أيوها ، عرفنا أن مسير
حسان نحوها أفرعها على مصيرها ، ودليل هذا أنها مالت إلى التسليم حين اطمأنت
على مصير ولديها عند حسان ، وأن القبيلة كلها بدأت تدخل الإسلام وتأخذ
جانب العرب عقب مقتل الكاهنة مباشرة .

أما رفض قصة الكاهنة والنك في أمرها لمجرد أنها امرأة فحجة ضعيفة ،
يؤكد نطلانها أن المرأة لا تكاد تنقل مقاماً أو احتراماً عن رجل عند كثير من قبائل
البربر ، بل من النساء العربيات صالحات يقمن إلى اليوم مقام الأولياء الرجال ،

ثورة
كاهنة

يتكهن ويستشيرهم الناس ويحجون بالزيارة والدعاء إلى أضرحتهم^(١)، بيد أن ذلك لا يمنع من القول أن المؤرخين ما غوا في وصف سلطان الكاهنة مسحة غير عمودة، يقول ابن عذاري: «قدومه على امرأة يحمل أوراس يقال لها الكاهنة وجميع من بإمريقية من الروم منها خائفون وجميع البربر لها مطيعون.. فإن قبلتها دان لك المغرب كله ولم يسبق لك مضاد ولا معاد»^(٢)، يومه ين سلطان هذه المرأة كان يشمل المغرب كله ومنها كانت سرهوبة الجلب في كافة أنحاء البلاد، وليس هناك دليل واحد يؤيد ذلك، ونمل قرب أمور هؤلاء المؤرخين إلى الصحة هو قول ابن خلدون يصف حال البربر بعد استنشاء رهير: «و اضطرت إفرقية ماراً وافترق البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم، وكان من أعظمهم شأنًا يومئذ الكاهنة داهيا بنت مانية من تيفن منكحة حمل أوراس، وقومها من جراوة ملوك البتر ورعائهم»^(٣). فهذا تصوير صحيح يصح الأمور في مصابها ويحمل الكاهنة زعيمة على جراوة فقط.

(١) راجع Fourner, op. cit. 1 p. 217. وقد ذكر مذكوراه وورد وسترمارك أن هؤلاء الصالحات كثير الوجود في أكس، وأن هذه اللاد تنفرد بك عن عامة بلاد ليبيا، وأكد أن ملحي مرا كش استمعوا ذلك من أمهم ونبيهم لأول. وذكر إمبراصياء شديدة الله بالكاهنة كانت لها شهرة رعاة على سبيل ذلك كانوا يدعون عريين واسمها Layla Fatma أطر. E. Westermarck Ritual and belief in Morocco, vol. I, p. 51. Enc. de l'islam: Kabina (G. Yver).

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ٢٠.

(٣) ابن خلدون، ج ٦، ص ١٠٩. ولا يستصاع تحقيق هذا الاسم الذي أطلقه ابن خلدون على الكاهنة، وقد حرره عبره عملة دامية، وطاهر أن «الكاهنة» لف أسفه، سرت عليها لا اسم علم، ولكن حقيقته حاول أن يثبت أنه اسم علم أصله عيني، لأن كلمة «كاهنة» عبرية لا عربية، وأنها مؤنث كوهين. وذلك رأى غير مستقيم أنه بحث بالثقافة، وقد علل ابن الأثير سبب إطلاقه عليها بقوله: «وكانت تحرم نساء من ليبيا سميت الكاهنة» Gautier, op. cit. p. 245. — ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ١١٣.



يبدأ المؤلفين الفرنسيين يرون في الكاهنة رأياً آخر ، وعسرون حركتها
تفسير نذهب بالتقاربي مذهب لانفل خطأ عن آراء من اسع الخيال من العرب ،
فهم يرون فيها رخصة للحسن البري مخالفة عن استقلاله أمام العرب المصبيين
لمعتدين ، حتى كودل وحوبيه على الرغم من اعتدالهما وإتصافهما (في أكثر الأحيان)
فنهما رأيا في الحركة بوجه من اوطية ، بل أكد كودل أن الكاهنة أثارت
في السداد روحاً وصية^(١) ، وهذا أصبح هذا الحدث العادي مشكلة من
مشاكل التريخ البري ، لا يكاد العكس يستقر فيه على رأي بين حبال الرواة
ودعوى الفرنسيين .

حرف
الكاهنة
من سير
حساب

أعجب الظن أن الكاهنة كانت نتوقع سير العرب فيها ، لأنها لم تكذ تتسامع
تسير حسن إنها حتى رحلت من الجبل في عدد « لا يحمي ولا يدرئ بالاستقصا »
كما يقول ابن عداري^(٢) ، فو لم تكن نتوقع سيره لما سهل عليه جمع هذا العدد
العظيم والانتقال بهم إلى الجبل بسرعة ، وحطت رحيله عند تأعية وهي مذبة
حسية على صفيح الأوراس تقوم من الجبل مقدم الدب من الدار ، وقد أرادت

(١) من ذلك قول مرسية يعنى على اسير لكاهنة على حساب ومعانيتها لأسرى السبي
« وهكذا صرنا نرى الخوشتون - المرة لانه - مثلا في الإساسة لهؤلاء الذين هم يكوونوا
يحدون أساليب أخرى غير العنف والقتل » ثم قال مره أخرى في مع من الكلام عن عريب
لكاهنة لإزالة : « كان هذه تصبه وطيه ، وقد أهدم عليها الوطنون أكثر من مرة
وهم يعضون حراف بلادهم على الأسعاد » أما بوريل نصير ليرى لدى أمك كساه ليطهر أهم
أشرف من عرب وأصل ، وأهم أصحاب السداد و سرب دخلاء فقد حرس أثناء كلامه على
أن لا يكف مدداً للعرب سحراً منهم كقولهم عن لكاهنة : « ومرة عند نرى مخلوق محرم
وليت كما هي عند العرب محبوبون محجراً منها » وهكذا ، ويؤكد كودل أن الكاهنة أثارت
في السداد روحاً وصية وجمعت يوم إلى الأسعاد لهذه الدب ، وستبقى مناقبه آراء حوتبه
لأنها على جانب كبير من الأنفة في توصف الحدة سانية للسداد

Mercier op cit I, pp 214-215 Fournel, op. cit I, pp. 217-219

(٢) ابن عداري ، اساع العرب ، ص ٢٠ ، وقد ذكر مرسية أن لكاهنة كانت - أثناء
شمال حساب بالحملة على مرصاحه - تير قائل ومحسباً لقاد العرب ، وليس هالك
ما يؤكد ذلك وإن كان ممكن استحق

Mercier, op. cit vol. I p. 211

الكاهنة بذلك أن تكون على مقربة من مواطن جراوة الأصلية في الأوراس ،
سكى تستمد منها العون أو تطلب النجاة فيها إذا دارت الدائرة عليها ، ولم يكن
المقام يستقرها هناك حتى خشيت أن يتحصن العرب في ناعية ، فيحتلوا ذلك المحرم
المقام الذى يشرف على مدخل الأوراس ، فأمرت بهدمها بهدمت وهذا العمل
يدل دلالة واضحة على أن الكاهنة كانت تحارب مفردة بدون عون من الروم ،
وكان هؤلاء إلى جانبها كما كانوا إلى جانب البربر أثناء حمة عقبة وثورة كسيلة
مصحوبا لها بالتحصن في ناعية ولاحتماء من العرب فيها ، وقد سبق أن استطاع
هذا الحصن أن يصمد للعرب ويستمضى عليهم ، ولكن حركة الكاهنة كانت
حركة بربرية صرفة لا تعرف حرب الحصون ولا المأخرة خلف الأسوار ،
وإنما أسوؤها هو اللجوء إلى الأرض القلاء بالحرب والسيوف وما إلى ذلك ، وكان
حسان مشبه لا يفكر في الاحتماء بالحصون ، فلم يرجع على ذلك الحصن وسار إليها
فالتقوا على نهر نينى^(١) .

بذلك يمكن تصور الطريق الذى اتخذه حسان : خرج من القيروان وسار
محاذاً « واد بك » الذى يسمى في محراء الأدنى « واد حاطوب » ومضى حتى أدرك
نيسنة على البحرى الأعلى لواد ملخ ، ومن نسة اتجه شمالا شرق في واد كثير
النهيرات والأخوار والزرع حتى أدرك واد نينى ، وعلب أنه أخذ النهيرات التى
نصب في « حرة الطرف »^(٢) ، وهناك عسكر وحمل ينتظر الكاهنة .

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١٤٤

(٢) يسميه ابن عدارى وادى سكنة ، وإن خلدون مكيبه ، ولم يرد نهر نينى ذكر
لا في « قوت » الذى وصفه بأنه واد شهير في طرف برقي ، وقد جاء في شو أن نينى
مدينة كورة شرق نجا - ابن عدارى ، ألبان العرب ، ص ٢١ - ابن خلدون ، ج ٤ ، ص
164 Shaw, Voyages, op. cit. I, p 164 وقد ذهب إمبر إلى أن مسكنة قرية من موضع

فلسطين الحالية . Enc. de L'Islam - Kahina.

كانت معركة بني شديبة حمية اضطرب حسب حذوهم في حوص عسارها
 وهم بعد مجيئهم من ثار حجة قرطحة وما نالها ، وهذا نحوهم في الوفاق والعزم
 وإذا حسب إلى ذلك أن العرب كانوا يقاتلون هذه مرة قوماً مشهمين ، ندواً ينجيدون
 البرل في ليلتان ، حال عهدهم بصرع المرعطين ، وأن الكاهنة استطاعت بما لها
 من لسطط عليهم ومكافة من قومهم أن تثيرهم وتخرجهم من لقتال العرب وردد
 عن الأوراس ، إذ ذكر ما هذا كله فكأن أن تنصور كيف ثبت العرب للعرب
 هذه المرة ، أن كيف استبدوا صميمهم فحسوا تحملاً شديداً وعموا عنهم جميعاً
 هجوماً لم يكووا يتوقدوه ، فدارت الدائرة على العرب واضطروا إلى التقهقر بعد
 قتال شديد بصعه ابن عذاري بقوله ٥٠ فما أصبح الصباح التقي الجمعان وحصر
 الفريقين صرماً لم يمسسه أحد إلا نعه قديلاً عن كله ، إلى أن استهرم حسان بن
 النيمان ومن معه من المسلمين الشجعان ، وقتلت الكاهنة العرب قتلاً ذريعاً
 ونسرت ثديين رحلاً من غيل أمية ، وسمى ذلك الوادي وادي العذاري ، واتبعته
 الكاهنة حتى خرج من بين فاس^(٢) وهذا لم يكتف لكاهانة هزيمة العرب
 في فاس الأوراس وإنما سمعت حسان حتى أحرقت من حدود إفريقية واطمأنت
 على سيطر بامنه ثم عادت ذراجه .

(١) قال كودس : « تقرب القائل من مرة تحت ضغط العرب ، وجسوا جميعهم وبغثوا
 عن رئيس ، ووجدوا في مرة الأوراس ليوناني جرحير قاتلوا تحت لوائه جرم معه
 جميعهم ، فماتوا جميعاً مرة أخرى واحارو أميراً من حشمهم وهو كيلة فاستحوه
 القصر ثم لمعه بأخرة ، وفي هذه مرة رعدوا لاصمهم امرأة رثية ، ثم أعقب ذلك كلام
 عن صرصر مرأه في مجمع من يرى ، وفي هذا ما عهم أن البربر أمة واحدة تشعر بشعور
 واحد وتحس إحساساً وطنياً ولا حياً مدوم للعرب ، وأنهم — يقرأ وبرانس يونان وبرير —
 كانوا أولاً واحداً على العرب ، وليست الحجة كذلك ، أن كودس نفسه يكذب بهذا الرأي
 في الجزء الأول من كتابه : (Arden, op. cit. II pp. 150-161)

(٢) ابن عذاري ، البيان للعرب ، ج ١ ، ص ٢٠ — ٢١

انحراف حسان
إلى رقة

اكتفت الكاهنة بذلك ، وكان في مكانها من نصير إلى القبيروان ولكنها
لم تفعل ، مما يدل على أنها لم تكن على تمام العزم ، إذ أنه كسبية حين نصر على
عقبة ، ثم سر إلى القبيروان رتباً فطرد رهير واتحد لعاصمة لأسلامية له مركزاً ، ولو
كانت الكاهنة تريد أن تقبى إمبراطورية كفتي بسببها ، كودل^(١) قد ترددت
في امسير إلى القبيروان ، وسكها . يمكن ترخوشية حد خلاص مدبرل قيسنها وملك
أناشها في لأوراس ، فاكتمت بإعانة العرب ، وكانت القبيروان إذاً ، وبعد
انصراف حسان عامرة بالمسلمين كما يهيم من قول ابن عبد الحكم ، « وأفت
حسان وبعد من مكانه إلى تطيس ، فرب قصور من حير رقة ، فسميت قصور
حسان واستعصف على إفرقية أو صالح^(٢) » ، وبدوكذلك أن حسان لم يجد من
الفرار ما يسمح له بالمرور « القبيروان » وصعدت من كان حمله بها من المسلمين ،
وإنه اضطر إلى التوجه إلى فاس ، لم يجد مدد من أن يرسل أحد رجاله
أنا صالح — إلى القبيروان ليبلغ أهلها ما ترل مسلمين وبه يهيم للفرار أو اتحد
الخدر ، وهذا ما يهيم من نور مدح في معاد الأذن « وحقق يرق في سيره طبعاً
فيمن يحا من أبحاثه أن يبحر به^(٣) » .

درواب
إلى غيبان
المسلمين

ومهما يكن من شيء فقد بقيت القبيروان على حالها لم تتسبب الكاهنة بسوء ،
وأقام من بها من مسلمين يقوهم بنصرهم أو صالح حد ، ولم تفعل الكاهنة لهم وإيها
عادت إلى لأوراس ، وبها لا تحطى : بد وصف حركة الكاهنة أنها لم تكن أكثر
من ثورة محلية في ناحية من وادي البلاد لا حركة امتد من تام ، وكان حسان يهيم
الحركة هذا القيم ، وهذا في طرس ينتظر امدد ونظم أموره هناك ، فالتفت
لنفسه مدبرل على مقربة من صيرت سميت قصور حسان : « وكانت أفت من ونوبه

(١) Caudel, op. cit. II, p. 160

(٢) ابن عبد الحكم ، فوج ، ١ ، ص ٥٧ (٣) الدع ، معاد الأذن ، ١ ، ص ٥٧

ومراقبة إلى حد أجدانية من عمل حسان^(١) « وأرسل حسان يسط
 لأمير المؤمنين عند بيت ما حدث له ، فوصل كتب حسان إلى عبد الملك في فترة
 اضططحت عليه فيها الأحداث ، فأرسل يستعمل حسان ويأمره أن يقيم حيث
 هو : « فكتب حسان إلى أمير المؤمنين عبد الملك يحبره بذلك ، وأن أمم العرب
 ليس لها غاية ولا يقف أحد منها على نهاية ، كما نادت أمة خلقتها أم وهم من الخلق
 والكثرة كسائمة العم ، فعاد له جواب أمير المؤمنين يأمره أن يقيم حيث وافاه
 الخواب ، فورد عليه في عمل رقة فأقام بها وبني هناك قصوراً تسمى إلى الآن
 قصور حسان^(٢) » .

— ٥ —

يدعو من مجموع لروايات أن البلاد لم يهدأ أمرها بعد مسير العرب منها ،
 فيذكر ابن الأثير : « وملك الكاهنة إفريقية كلها وأساءت السيرة
 في أهلها وعسفهم وضغفهم^(٣) » أي أن الاضطرابات سادت البلاد طوّل الفترة
 التي تميم العرب عليها حلالها ، وذلك طبعاً لأن البربر لا يميلون بطاعتهم إلى الخضوع
 لقوم منهم ، فما حاولت الكاهنة أن تؤلف معهم جهة لانتقاء هجوم العرب عارضها
 عنهم « صطرت إلى اضططع الشدة معهم فثاروا بها . فانشر الاضطراب في البلاد
 بل فكر بمصعب في لاستئعاد العرب واستدعاءهم كما سيري . فلم يحطى » ابن الأثير
 فيما ذهب إليه ، وإعنا أخطأ مرسية حين قال « بهذا جمع العرب من أقصاه
 إلى أنصاه لطاعة الكاهنة » .

قال السلاط
 بعد الصراف
 حسان

(١-٢) ابن عذاري ، الزمان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٦

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ١ ، ص ١٤٣

وإعنا فصلت الإبقاء عليهم لتتعرف منهم أحبار العرب وحقيقة أمرهم^(١) ولهذا تجمع الروايات على أنها أحست معاملة هؤلاء الأسرى وأرسلتهم مبرلا كريما ، بل يذهب بعض المؤرخين إلى أنها أصرفت سراحهم ، وكان من بين هؤلاء الأسرى رجل من القرينين إلى حسن وهو جالد بن يزيد العبسي ، فتخبرته من بين هؤلاء الأسرى ، ورأت أن تستميله إليها ليعلمها سوايا حسن ومراميه ، ودلعت في إكرامه حتى آتته بولديها ، وجمعت له كأحد قومها حتى نأس إليها وتحدث جانبها ويتحون قومه العرب ، وهذا هو التعليل المعقول لقول ابن عذري : « وحسنت عندها جالد بن يزيد ، فقلت له يوما : ما رأيت في أرجل أهل منك ولا أشجع ، وأنا أريد أن أرفعك فتكون أبا لولدي ، وكان لها أسن . أخذها رري والآخريون ، وقالت له : نحن جميع البربر لم نضع إذا فعلناه نتوارث به ، فعدت إلى دقيق الشمر فبنته ريت وجعلته على نديها ، ودعت ولديها وقالت : كلا من على ندي ، وقالت لهم : قد صرتم إخوة »^(٢) .

ولكن جالدا لم يكن سدا طي الكاهنة به ، فأنهر فرصة عناية الكاهنة بأمره وإبعاد أرقاء عنه ، وحمل يرأسل حسن ويصف له أسر الكاهنة وحال إفريقية في حكمها ، فكان عينا على الربر ، وأفاد حسن من ذلك فائدة كبرى كما سرى .

ثم لاحظت الكاهنة أن العرب ما يكادون يرلون الملاد حتى تنوحه همهم إلى المدائن والواحي المامرة يبدلون وسعهم في الاستيلاء عليها ، فإذ اتهم ذلك انقصوا على الخيرات والعائس والأموال فأنهموها ولم يحفظوا وراءهم منها شيئا ، ثم يصرفون بعد ذلك عن إفريقية كأنما كانوا يأتون لهذا وحده ، فوقع في ظلها

(١) أنهر صهيبة موقف الكاهنة هذا لقول : « وهكذا صرب الربر المتوحشون العرب الذين رعموا أنهم رسل الله وأنذروا لا يمشلون وسائل أخرى غير لصف والقن والتعريب — مثلا عطية في الكرم واممو » Mercier, op cit. vol I p. 24

(٢) ابن عذاري ، البيان القرب ٤ ج ٦ ، ص ٢٢

أن العرب لا يريدون من فتح هذه البلاد إلا أسراً واحداً : الأموال والعسائم والأسلاب والسبي ، فأحت أن قطع رجاء العرب في البلاد بأن يقتضى على كل معامل العمران فيها لجعلها قاعةً مفضلة لا أرب فيها لهاب أو سالب ، وقد أحطت في ذلك وحى عبق التطور الكبير الذى شغل حركة الفتوح الإسلامية من بدء حملة عقبة الأولى وبعد قديم انقيروان ، فقد كانت وجهة الفتوح قبل ذلك لا تختلف كثيراً عما رأته الكاهنة ، ولكنها أصبحت بعد ذلك ترمى إلى استكمال فتح البلاد وإدخال أهلها في الإسلام ، ومن ثم رلت لأسلاب والعسائم إلى الموضع الثانى من اهتمام العرب ، ولم يعد منهم منصرف إلى مدائن والمزارع وإنما إلى أهل البلاد أنفسهم ، ولهذا لم يكن معنى الكاهنة هذا أثر في نفس حساس ولا سياسته ، ولم تكن لكاهنة من الإسقاط هذا البلاد عليه وتركها إيدهم وميهم إلى جانب العرب ، وهذا ما يفهم من قول ابن عدري : « فصار رت يطاء العرب عبا قالت للبربر إن العرب إن يبطسون من إمرئقية لندن والذهب والعصاة ، ونحن إنما نريد من المزارع والمزرعى »^(١) ، فلا يرى لكم إلا حراب بلاد إمرئقية كلها حتى يبين من العرب فلا يكون لهم رجوع إليهم إلى آخر الدهر ، فوعدت قومها يقطعون الشجر ويهدمون الحصون ، قد كروا أن إمرئقية كانت طلالاً واحداً^(٢) ،

(١) هذا قول يؤكده في حركة الكاهنة حكمة بركة خالصة ، فلم يكن في صفوه أحد ممن يكون لئب أو سؤلون نصده ، ولهذا لم يوحا إلى ما سألت ، أما الذين عارضوها هم البرابى والمنظرون وأهل الملائن .

(٢) سميت لإشادة من هذا وصف عند الكلام على حال إمرئقية عندما فتحها العرب ، وهي أوصاف مبالغ فيها بعض شئ كقول ابن عدري : « فداوا أن إمرئقية كانت طلالاً واحداً من أجدلس إلى صنعاء : قرى متصلة ومدائن متصلة حتى لم يكن في أقاصم الدنيا أكثر حيران ولا أوصل بركات ولا أكثر مدائن وحصوناً من إلمة إمرئقية » ، والغرب مسيرة ألف ميل في مثله ، وهذا مبالغ فيه مبالغه طهرية ، وقد روى النويرى هذا الوصف عبارة أكثر اعتدالا ولكنها ظاهرة لندعه كذلك ونسبها إلى رجل أسماه عند الرحمن من زياد بن أعم — النويرى ، نهاية الأرب ، ورفه ٢٥ أ — ابن عدري ، ابن العرب ، ج ٦ ، ص ٢١

هزيت الكاهنة اعياها الله ذلك كله ، وخرج يومئذ من المصارى والأغارقة خلق كثير
مستعشرين مما رزقهم من الكاهنة ، ففزعوا على الأندلس وسائر الجزر البحرية ^(١) .
أمر هذا العمل بقضية الكاهنة صرراً عطياً ، لأنه إذا كان قد وُجد من أهل
البلاد من يؤيدها في مناهضة العرب وطردهم من البلاد ، فليس فيهم من يقف
مكتوف الأيدي . راء هذا التحريب المريع الذي احتارته الكاهنة للبلاد على
يديها . وفهم جهادهم العرب إذن ؟ وعلام يبدلون النفس في صدمهم عن البلاد إذا
كان مصير البلاد إلى الخراب على أي الخليلين ؟ سواء أدخل العرب أم لم يدخلوا ؟
ولهذا لم يلبث الأسبياء أن عم البلاد من تصرف الكاهنة ، وأمرع بعض أهلها
فاستغاث بحسان واستقدمه ، وأخذوا يمارصون الكاهنة وساحرونها ، فاضطرب
الأمر بيدها ووردت البلاد سوءاً على سوء ، ولما كان رجاء الداس قد انقطع من
الروم فقد تعقت آمالهم كلها بالعرب ، وتؤكد الروى ذلك قوله : « ولا اقرب
حسان من البلاد لقيه جمع أهلها من الروم يستغيثون به من الكاهنة ، فسره ذلك
وسار إلى قانس فقيه أهلها بالأموال والصناعة ^(٢) » أي أن أهل البلاد أصبحوا
ينظرون للعرب كمخلصين ، وهذا تطور له أهميته في علاقة البربر بالعرب واعتبار
كل منهما للأخر ، وسيكون له أمد الأثر في أيام فتح البلاد

- ٦ -

وجد الروم في خروج حسان من إفريقية فرصة سانحة لاستعادتها وسط
سلطانهم عليها من جديد ، وكان الإمبراطور الجديد ايونتيوس - الذي خلف
جستينيان الثاني سنة ٦٩٥ م ^(٣) (٥٧٤) - قد أجهه سقوط قرطاجنة في يد العرب

(١) ابن عسري ، سان العرب ، ٦٥ ، ص ٢٦ (٢) النويري ، نهاية الأرب ، ورقة ١٧٥
(٣) في سنة ٦٩٥ م تار ايونتيوس (ايونس) على حسان الذي تمكن من عزله - مد أن
حكم سه وبعده أشهر - ثم عدي وضع أنه وأعلى عنه . مبرطورا .

{ Theophanes, op. cit. I, p. 566
{ Fournel, op. cit. I, p. 214.

وتحريب حصار هـ : « لم يجد تسليم هذا الجزء الكبير من الإمبراطورية
دون مقاومة - أمراً سهلاً على منس^(١) » كما يقول ديبل . فلم تكذب أحبار هرطقة
حسان على سهر بنى نرد إليه حتى عمل بالعمل

أعد الإمبراطور حملة كبيرة لإفريقية ، ويبدو أنه بذل في إعدادها جهداً
عظيماً ، لأنه تخير نقيبها فلاناً من أشهر قواد الدولة ، وأقدم وهو الطريق يوحنا
Patricius Jean^(٢) وأعد أسطولاً كبيراً لنقل أحد بني إفريقية .

طهر الأسطول البيزنطي في مياه قرطاجنة في سنة ٦٩٧ م (٥٧٨ هـ) ، وتمكن
من الاستيلاء على المدينة في يسر ، وطرده المسلمين الذين كانوا فيه (الذين كان على رأسهم
أبو صالح) ، وقبض في معاملة من وقع تحت يده من المسلمين فسوة زائدة حتى أنه كان
ليقبل اسكفار بيده كما يقول تيودور^(٣) ، فلما تم له ذلك اكتفى به
وأراح في قرطاجنة طيلة شتاء هذه السنة غير حاسب لعودة العرب حساباً ، فلم يكلف
نفسه عناء الشروع في عمل آخر .

ذهب فوراً إلى أن حصار استيلاء الروم على قرطاجنة عانت من العرب
فلم يذكروها منهم أحد ، وعلى ذلك بأنهم شعلوا بأحبار الكاهنة فلم يبينوا حملة
يوحنا^(٤) ، ولكنه لم يكن موفياً في ملاحظته تلك ، لأن اثنين من أعلام مؤرخي
هذا الفتح أشارا إليها إشارة مقتضضة ولكسها صريحة الدلالة : أولها السكري الذي
يقول : « وأعدت الروم من البحر على من كان بقى من المسلمين بمدينة تونس
(كندا) ، خرجت إليهم في المراكب ، فقتلوا من سها وسوا وعموا ولم يكن للمسلمين
شيء يخلصهم من عدوهم ، إنما كانوا مصكرين هناك ، وطلع حسان ذلك (فرحل

(١) Diehl, op cit t 5٥3

(٢) Diehl, op cit. p 581

(٣) Theophanes, op, cit p. 370 - Neciphore, op, cit. p. 39 - Diehl, op cit.

p. 583

(٤) Fournel, op. cit. t. p 213

إلى تونس) وأرسل أربعين رجلاً من أشرف العرب إلى عبد الملك بن مروان ،
وكتب إليه عما بال مسلمين من اللأواء ، وأقام هناك مراعاة ينتظر رأى عبد الملك ^(١) .
وثانيهما التيجاني الذي قال : « وكان لروم أعاروا عليها (أى على قرطاجنة)
في ولاية عبد الملك بن مروان في مراكب فهم هتوتوا من بها وسوا وعسوا »
ثم يذكر بعد ذلك أن حسان انتقل إليها ، وأقام بها مراعاة ، وبعث أربعين من
أشراف المسلمين إلى عبد الملك يستجدون به ويخبرونه عما بال المسلمين من الجهد
فغظم ذلك عليه ^(٢) .

سهاين الحركتين — حركة الكاهنة وحركة المطرق يوحنا — ثم انتقض
إفريقية على العرب وحرقت من يدهم حمّة ، ولم يبق في طاعتهم شر واحد من
الأرض من على قاس غرباً ، وكان التقسيم بين المطرق والكاهنة سهلاً لا اختلاف
فيه : أقامت هي في الجنوب في السهل الداخلي ، سهاين يوحنا بأن يعبد ارتباط
الذي يمتد من سوسة Hadrumentum إلى شفشافية ^(٣) .

— V —

أقام حسان هذه السنوات على مقربة من صرت — في المكان المسمى بصور
حسان — يدح على الخليفة في موافاته عما طلب من العون والمدد ، وكان الخليفة

(١) الكرى ، وصف إفريقيا ، ص ٣٧ — ٣٨ وملاحظ أن الكرى غلط ، دائماً
ليذكر تونس عن قرطاجنة ، لأن تونس لم تكن قد أعيد مدينة للمسلمين بعد ، بل كانت
لداك قرية صغيرة اسمها Tynes ، وقد أحضرت كرى كذلك في قوله : « فرحل إلى تونس »
لأن حسان بن أبي حنيفة هو وأرسل بن عبد الملك .

(٢) رحلة لسان ، ورقة ٣ أ ، وملاحظ أن يحيى نقل هذه نصرة ، ليس من الكرى ،
وربما أحد الإنسان من مرجع واحد ، ولا كان المعروف أن البعاج بسى بعد أن يذكرها
من هذا النص من أن الرضى ، فرعاً صحيح نقول بأن الكرى أعيد على إبراهيم بن الرقيق
في نفس تاريخه .

(٣) Caudel, op. cit. II, p. 171.

قد أمره « بالمقدم إلى أن يأتيه أمره »^(١) فقام بعمل ورقة جس سين ، فلما فرغ عبد الملك من مشاعته سارع بإرسال المدد إلى حسبان وأمره « يسير إلى إفريقيا في أواخر سنة ٨١١ هـ ».

ويبدو أن المراسلات كانت متصلة أثناء ذلك بين حسبان وحالده بن يزيد ، وما توافقت عليه — أي على حسبان — فرسان العرب وحالده بن قنبل أمير المؤمنين دعا رجل شق به ونفسه إلى حالد بن يزيد بكتاب قرأه وكتب في ظهره :
 « إن المرء متعقوب لا نظام لهم ولا رأي عدم فادعوا لأجل واحد في المسير »^(٢)
 وتجميع المراجع على أن الكاهنة كانت تشعر بصعب أمرها وتوقع مسير العرب إليها وقضاءهم عديها بين الحين والحين ، ولمؤرخين في ذلك روايات أشبه ما نكون بالقصص مثل قول ابن عبد الحكم إن حسبان لما توجه به إليها : « خرجت مباشرة شعرها فقالت : يا بني انظروا ماذا تروى في السماء ؟ فادعوا »^(٣) ترى شيئاً من سبحان الأحمر ، قالت : لا وإني ولكها وهج حيل العرب »^(٤) وفي هذه العبارة وأمثالها نصور قصص لطيف لهذا الخوف الذي دخل الكاهنة من العرب « حتى كانت تنظر إلى رأسها يركض به إلى ناحية المشرق »^(٥) كما يقول القيروني ، وذلك كلها دلائل على أنها استيقنت أن المرء يدعوا يفتسون من حوها ، وأن كثيرين منهم كانوا ينتظرون عود حسبان فرح لصرا ليفصوا عليها ويدعوا لها ، فحذت تفكر

(١) النوري ، نهاية الأثر ، ورقة ٧٥ أ - ٧٥ ب ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١١٣ وسدوان مقام حسبان برفق لم يطل هذه البدة كلها ، لأن علوم أن مسيره الأول إلى إفريقيا كان سنة ٨٧٦ هـ ، وليس لديها تحديد ثابت لرجوع عودته ، لا ما ذكره ابن عدي من أن حسبان فرغ من أمر الكاهنة وعاد إلى القيروان في رمضان سنة ٨٨٢ هـ ، وعلى هذا حساب يكون قد بدأ مسيره إلى الكاهنة في أوائل سنة ٨٨٢ هـ أي أن مقامه برفق استمر إلى ما بعد سنة ٨٨١ هـ ، وهذا يكون قد أقام برفق ثلاث سنوات وصحة شهود لا خمس سنوات ابن عدي ، ابن العرب ،
 ج ١ ، ص ٢٢ (٢) ابن عدي ، البيان للعرب ، ج ١ ، ص ٢٣
 (٣) ابن عبد الحكم ، موج ، ص ٢١ (٤) اللؤس ، القرواني ، ص ٣٥

في وسيلة تنقذها ولديها اللذين دفع بها حبهما إلى مناصرة العرب وحررهم ،
فأحت أن تسلم العرب وتستأن لنسبها وأولادها من حسان ، ولكنها خشيت
أن هي قصت ذلك أن ينقص عليها من بقى على الولاء لها ، وتؤكد المراجع أنها
استحييت أن تسلم نفسها لحسان ووجدت ذلك عاراً عليها ، ورعا خشيت أن يأسرها
العرب ويحملوها سبية إلى دمشق ، فقصت أن تستأنم بولديها عند حسان
وأن تطل هي — ومن بقى على الولاء لها — على حرب العرب ، فاستقدمت خالد
ابن يزيد وقالت له : « إنما كنت تسميتك لمثل هذا اليوم ، فأوصيك بأخويك
هذين خيراً ، فقال خالد : إني أخاف إن كان ما تقولين حقاً ألا يسبقيا ؟ قالت :
بلى ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأناً من اليوم ، فاطلق فحذ لها أماناً ،
فاطلق خالد فلق حسان وأخبره خبرها وأخذ لابنها أماناً ، وكان مع حسان جماعة
من البربر البتر بولي عليهم حسان الأكبر من أسى الكاهنة وفربه »^(١) كما يقول
ابن عبد الحكم ، ورواية ابن عذارى تضم إشارات على جانب عظيم من الأهمية
إذ يقول : « فرحل حسان إليها وبلغ الكاهنة خبره ، فرحلت من جبل أوراس
في حنق عظيم ، ورحل إليها حسان ، فمك في الليل قالت لابنها : إني مقتولة
وأعنتهم أسأرت رأسها مقطوعاً موضوعاً بين يدي ملك العرب الأعظم الذي
بعث حسان ، فقال لها خالد . فارحلي بنا ورحلي له عن البلاد ، فامتعت ورائته عاراً
لقومها ، فقال لها خالد وأولادها : ما نحن صدمون بعدك ؟ فقلت : أما أنت يا خالد
فتدرك ملكاً عظيماً عند ملك الأعظم ، وأما أولادى فيدركون سلطاناً مع هذا الرجل
الذى يقتضى ، ويعقدون للبربر عراً ، ثم قلت . اركبوا واستموا به »^(٢) ، ورواية
الحوادث على هذا النسق أدخل في باب لقصص منها في التاريخ ، ولكن جوبيبه

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٩

(٢) ابن عذارى ، البيان للعرب ، ص ٢٢ — ٢٣

يؤكد أنه لا سجد أن يكون هذا هو الواقع بعينه بدون زيادة أو اختراع ، و يورد
مثلاً حياً حدث أثناء حرب الفريسيين مع البربر شديد الشبه بقصة الكاهنة ،
إذ استأن رعيهم رعى لأولاده عبد القائد الفريسي ، وأقام هو على الحرب فكان
أولاده يقدونه في لبيدس^(١) في لموقعة التي مات فيها .

على أي الأحوال يتكرر القول بأن حسان وجد الكاهنة سنة ٥٨١ على غير
الحال التي خلفها عليها سنة ٥٧٨ ، فقد خلفها بالأمس قوية احببت عريضة الأنصار
وعاد اليوم ليعيد الزوم والفراس ويرغم من الترممضين عي يستعثنون حسان في القضاء
عليها ، بل يبدو إلى جانب ذلك أن أهل البلاد كانوا قد سئموا طول كفاح العرب
ومالوا إلى التسليم ، ولهذا لن تطول المقاومة هذه المرة إلا ريثم تقتل الكاهنة ،
ثم يبدأ الأمر بعد ذلك ويسود اسلاد هدوء ، فيبدأ العرب في تنطيم أمورهم .
بل يبدو من قول المويري^{٥٠} فك قرب حسان من البلاد ، وفيه جمع من أهلها من

(١) قال جوييه في حدى على هذه قصة : « هذه القصة في الواقع بربرية غامضة ودماء
سحب فمهم من مورويس ، وعد الإبان شمس لها - في صرا أكثر في القرن العشرين - حدث
للغاة الفريسي ، إذ استعبد رئيس قبيلة حبيه يكنى مطلة ريدن واسمه موحا أو حوا أن
مصر على أنغام الفريسي انتصاراً - ستم - وسد عصاه بصع سوب أثنى أن حسان قد صعب
وال مقاومة مسلحة ، فاد يمس ؟ حوا بن حسان حدا ، هو بعينه ما ذهب الكاهنة ، وهو
عمل مدتها كما أدهش العرب عندها من حسان وأتم سنة ، هل يدع نفس ؟ لا كما كنت
الكاهنة ، رأى ذلك عرباً عليه ، ولكنه أمر أولاده أن يسأموا عبد لغاة ويسلموا له ،
وأطاع هؤلاء دون تفكير وشتكوا في المومعة فامسلة الأحيوة التي قبل فيها أبوم ، أي أنهم
اشتركوا في قتله ، ثم أصبحوا بعد ذلك أنصاراً أعزاء لوميراو Ροϋμται حديفة حسان لبيدس
ثم قال بعد ذلك معلقاً : « لقد صرب في مكان آخر حسان لغاة في تصرف عرب
كهد ، ويكنى الآن أن يقال إن البربر في القرن العشرين - كما كانوا في القرن السابق -
لا يرمون على الوطنية ، بل لا يهتدون للعرب كوحدة عيهم واحاب نحوها ، بل هم لا يحسون
بالحب نحو وطنهم لصعب مثل يومدي أو مصقة ران ، فلتلت لهم هذه الفكرة ، أما الأمر
الوحيد الذي يتحس به البربري ولا يتردد في فعله في سبيله فهو قومه وقبته . والرجح
الذي كتب فيه لغال الذي فسره فيه ذلك هو محلة Hesperis عدد الثلاثة أشهر الثلاثة

لغة ١٩٢٤ وعنوان نص : «Un passage d'Ibn Kha.dun et du Bayan»

الروم يستعيثون به من الكاهنة ، مسره ذلك ، وسار إلى فاس فلقية أهلها بالأموال والطاعة ، وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الأسماء^(١) ، أن أهل الملاد تسارعوا للقاء العرب وانصموا تحت لوائهم ، ويؤيد ذلك قول ابن عذارى : « وكان مع حسان جماعة من البربر يستأمنون إليه »^(٢) .

ينفرد الدباع بإيراد بعض التفاصيل التي تتصل بالصراع الأخير بين العرب والكاهنة ، فيذكر أن حسان لم يكذب بعد نقاس حتى : « بقيت الكاهنة في حيوش عطيفة ، فقائتهم حسان ، وهزمهم الله وهربت الكاهنة مبهمة تريد قطعة بشر لتحصن بها ، فأصبحت القطعة لاصقة بالأرض ، فمضت تريد حبال أوراس ومعها صم كبير من خشب تمده ، فتعها حسان حتى أدركها واتصرعها ، وتحتها عند ثر الكاهنة ، فمر حسان لموضع الذي قتلت فيه ، وبقا إهاب قتلت عند طبرة »^(٣) .

هكذا قصي العرب على آخر حركة هم بها أهالي الملاد لردم ، إذ كانت لكاهنة هي الحصن الأخير الذي احتسب وراءه أهل الملاد ، فلما سقطت انتهت كل مقاومة ، ولم يبق أمام العرب بعد ذلك إلا « عمار قبائل » كما يقول حوسيه : « ولم يبق إلا صخرة صميرة تنفض عن الملاد هذا الخيال البيرطلي الذي استقر في قرطاجنة » حتى يمكن القول بأن فتح الملاد قد تم .

يشير الكرى ولما سكي والدباع بإشارات لطيفة إلى مسير حسان في قرطاجنة وإجلاله أروم عنها ، ولكن المؤرخين البيرطيين تيوفانيس وثقفور^(٤) يسدان هذا

(١) الثويري ، نهاية الأرب ، ص ٧٥ أ

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٣٣

(٣) الدرع ، مقام الإيمان ، ١٥ ، ص ٦ — ٦ — وينبغي أن يكون معركة الأخيرة التي

قتلت فيها الكاهنة قد دارت عند طبرة ، لأن هذه المدينة تقع على بحر شمال قرطاجنة ، وإنما المقول أنها كانت في جبل أوراس .

Theophanes op. cit. p. 37. Nec phore, (٤)

op. cit. p. 39. — Diehl, op. cit. p. 584.

النقص وبمضلاع هذا الأمر من التفصيل ، فيذكر أن الأسطول البيزنطي
 هزم في موقعة كبيرة سقطت بعدها قرطاجنة في يد حسان ، فأدرك اليأس الطريق
 يوحنا ، فجمع أحبابه وتولى إلى برحلة ليعود من مرة أخرى بعدة أقوى ، ولكنه
 كان واهماً لأن الظروف لم تسمح له بعد ذلك بالعودة إلى قرطاجنة قط ^(١) .

بهذا حصلت إفرقية لحسان ، وله بعد ذلك قوة تعاضده أو تنقذه من يمارته
 على البلاد ، ثم بقيت صمم وواح لم يصل إليها العرب بعد ، وصع قد نزل لم يعلم
 بمقدمهم ، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن الفتح العربي قد تم ، وأن واهب
 الأمير العربي الآن أن يرفع لبيح ليهتم ناحية أخرى ، هي شر الإسلام في البلاد
 وتقرير أمورها وإصلاحها وتنظيمها وما إلى ذلك

إشاعة تونس

بيد أن حسان لم يطعمش إلى ما نزل بقرطاجنة على يديه ، ووجد أن سقوطها
 في يده لا يمنع الروم من الإغارة عليهم من البحر مرة أخرى والتحصن فيها من جديد ،
 فأحب أن يصنع حداً للحدوات الروم وتقع باب إفرقية في وجههم ، ففكر في أن
 لا يكتبني حلال الدحل وترك الساحل ، وإذا يحتل الساحل معه ويشي فيه
 بحرس قوي حصين يقي الروم إذا جاءوا الروم إلى البر هكذا بدأ حسان
 يفكر في إنشاء ميناء جديدة في إفرقية لتحتل بح قرطاجنة ، فلا يعود أهل البلاد
 يفكرون في تعمير هذه الأخيرة وسكدها لشئون التجارة البحرية ، ولتكون مرساً
 لإفرقية الإسلامية من الروم الذين كانوا لا يفتأون يقصرون على الساحل بين الحين
 والحين ، ويهددون البلاد كلها ، وليبقى فيها سطوا لا يصير به على ساحل الروم
 فيشغلهم أنفسهم عن الإغارة على إفرقية ^(٢) كما يقول القتيبي .

(١) يحدد مؤرخ ابن حبان لهذا الحادث سنة ٦٩٨ م أي سنة ٢٧٩ هـ ، ولا كما نعلم أن حسان
 م يزع من مصر سكاهة إلا في رمضان سنة ٨٢ هـ ، فلا بد أن سيره إلى قرطاجنة كان بعد ذلك
 بقل ، أي في شهر شوال أودى بقعه أودى الخجة سنة ٨٢ هـ أو أوائل سنة ٨٣ هـ أي سنة ٦٩٩ م
 وهذا هو التاريخ الصحيح لهذا الأمر . (٢) رحلة سعاد ، ص ٢٣

لهذه الأسباب أنشأ حسان يثت عن موضع على البحر يستطيع أن يثى فيه مياه الحديد ، فوجد إلى جنوب قرطاجنة مدناً قديماً بطن على سبعة فسحة لا يفصلها عن البحر غير ررخ صغير فاسترعى انتباهه ، لأن وقوعه على شاطئ الساحة أى إلى الداخل قليلاً يحسب العرب فى سكنى المدن الساحلية الصرفة ، ثم إن موقعها هذا يجعلها تخدم من عارات ابروم لمخاضة ، فيكنى احتراماً من مدخل الساحة لكنى منه أهل المياه الحديدية إلى الخطر قبل وقوعه ، وكان هذا البلد القديم مينا يونانية قديمة ذكرها ديودور السقلى ووصفها بالميناء ، قيل التلال المحيطة بها إلى لىباس لكثرة ما تحويه ربتها من مباح يصفاء AEYKON TYNEIA ورا دحسان إغريقية موصوفة أن كان له فرصة صغيرة على البحيرة تسمى آس (Ales) (١) فلم يلبث أن وقع اختياره عليه فأقل إلى موضعه وبدأ يحططه من حديد ، ويبدو أن المدينة اليونانية كان قد اصمحل أمرها حين أنشأ العرب يعيدون مساها ، ولم يبق منها إلا دير تقم فيه بعض الرهبان ، ومصدقات ذلك قول ابن دينا : « وذكر غيره — أى غير ابن الشيع — أن العرب كانوا يسمعون أصوات بعض الرهبان طول الليل فى صلواتهم فينادونهم فقلنا : هذه البقعة » (٢) . كان عليه أن يبدأ بحفر البرج الذى يفصل البحيرة عن البحر ، وأن يحفر فى ماء البحيرة الحسنة ماء عميقة تسير فيها السفن حتى تصل إلى البلد ، وهذا متصل البحيرة بالبحر وتصبح تسمى ميناء بحرية تحميها البحيرة الواسعة من أمواج البحر ، ثم عقب ذلك ببناء ميناء بحرية « دار صدقة » البلد الجديد حتى تستطيع السفن

(١) Shaw Observations pp. 155-156 وهذا الميناء هو الذى حمله جرافو العرب

رادس ، ويقول ابن أبي ديار مثله : « وبلغ سحرها بحر رادس » الفيرواني ، المؤرخ ، ص ٦

(٢) الفيرواني ، المؤرخ ، ص ٨

أن ترسو فيها وتضع مها في أمان ، وهذا ما أراده القيرواني بقوله : « إن حسان هو الذي حرق البحر في تونس ^(١) » ثم أراد أن يستعين سمر من أهل مصر في إنشاء امبياء ، فأرسل إلى الخليفة يطلب إليه مراً ممن لم حجرة بإشياء دور الصاعات وساء السعن ، « فكتب عبد الملك سمر وان إلى أخيه عبد العزيز وهو والي مصر ، أن يوجه إلى معسكر تونس ألف قطي بأهله وولده ، وأن يحملهم من مصر ويحسن عولهم حتى يصلوا إلى ترشيش ^(٢) وهي تونس ، وكتب إلى ابن البمان أن يبنى لهم دار صناعة تكون قوة وعدة لمسلمين إلى آخر الدهر ، وأن يجعل على البرر حر الخشب لإشياء المراكب ليكون ذلك جاريًا عليهم إلى آخر الدهر وأن يصنع بها المراكب ويجهز الروم في البر والبحر ، وأن يعير مها على ساحل الروم فشتعوا عن القيروان نظراً لمسلمين ونحسباً لشأنهم ، فوصل القطب إلى حسان وهو مقيم بتونس ، فاجرى المحرم من مرسى رادس إلى دار الصناعة ، وحر البرر أخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة وأمر القطب بعزلتها ^(٣) » .

هذا استطاع حسان أن يشي مدينة تالية بأفريقية ، وإذا كانت القيروان قد أصبحت من يوم أسست محروماً للملاد الداخل ومعسكراً للجند الإسلامي ،

(١) القيرواني ، المؤرخ ، ص ٣٣

(٢) ذهب كثيرون من العرب أن اسم تونس — قبل تسميتها لها — كان ترشيش أو طرشيش ، وقد علق ديسدي في ترجمته للكبرى على تلك الدعوى بقوله : « ترشيش هي Tharsia التي ورد ذكرها في السورة ، وقد ذهب حرب في القرن الأول الهجري بالقبول هذا للقطب عن تونس ، ولحققة أنه لا وجود لهذه اسم تارسيس في قرصة ، ولم يورد أحد من اللاتين أو اليونان مدسة بهذا الاسم بها . وقد ذهب وسيلك إلى أن هناك مدينة اسمها Tartessus جنوب أسبانيا ، وقد تكونت تلك هي التي ورد ذكرها في الإنجيل Journ. Asiat. 1844, p. 505.

(٣) اسكيري ، وصف قرصة ، ص ٣٩ — ٣٩ ويلاحظ أن حسان لم يصل بعد العزير ابن مروان رأساً وكان يستطيع ذلك — ولكنه اتصل « خيفة مما يدل على أن العلاقات بينهما لم تكن على ما يرام ، وستؤكد الحوادث التالية ذلك .

فستصبح تونس كذلك رابطاً بحمي القيروان ومحرمًا للمحر وميساء جديدة للبلاد يقوم مقام قرطاجنة ، ولو قد أتى حسان من فراع الوقت أكثر من ذلك لتمهد المدينة بالرعاية وأن كل إنشاءها ، فقام فيها مسجداً وخطط دورها وما إلى ذلك ، وسكن العزل عائلته ، فبقي إنشاء المدينة ناقصاً حتى بدأ إكمال عيد الله من الحجاب بعد ذلك بثلاثين سنة ، فأنشأ مسجد المدينة وبدأ يحططها ويبطل أمورها^(١) .

شائع
قيام تونس

قيام هذه المدينة حيل بين الروم وبين إفريقية ، فلم يمدوا يستطيعون الدلول إلى أرضها ، فأمّن العرب شرم وأصبح يهدم مصرفاً إلى تنظيم البلاد وتمهيدها للإسلام ، دون أن يرجعهم الروم بهجاتهم المذجبة بين الحين والحين ، وكان حسان موقفاً كل التوفيق حين أهتم بتعمير تونس بهذه العائلات التي جلبها من مصر ، لتحتل في المدينة الجديدة حواً محروباً حتى تصبح ميساء ، وحتى ينشأ أهلها على حب البحر ومعرفة صناعة السفن ، وسيلاحظ أن المسحة البحرية ستسود المدينة الجديدة ، وسيكون لها أبعد الأثر في تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، إذ كانت هي البائدة التي أطل منها عرب المغرب على غربي هذا البحر ، والباب الذي خرجوا منه إلى صقلية وسرديا وإيطاليا ، ليتموا دورهم الخطير في هذه النواحي^(٢) .

- ٨ -

العلائق
بين حسان
وعبد العزيز
ابن مروان

مسقت الإشارة إلى ما كان من فساد العلائق بين عامل مصر عبد العزيز ابن مروان وعامل إفريقية رهير بن قيس ، وكيف حاول عبد العزيز أن يستبد

(١) ابن خلدون ، ص ٤٤٨ ، ص ١٨٨

(٢) حلفت الكاهنة بعد مماتها أثراً عميقاً في نفوس الأهلين . وتحولت غرور الرمن إلى شخصية أسطورية يداول أهل الله قصصها وأحاديثها ، ومن ذلك ما ورد في رحلة اليجاني في سياق وصفه ندبة ألم (الأنعام) : « ويقال إن الكاهنة المعروفة بكاهنة لواتة حصرها عدوها في ذلك المحبس ، فخرت منه سرداباً في البحر الصلد عذب منه إلى مدسه سلقطة ، وكانت أختها هناك فكان الطعام يجلب إليها في ذلك السرداب على ظهر الدواب » — رحلة اليجاني ، ص ٢٣ أ و ب .

زهير فتلاحيا ، ودأب عبد العزيز على أن يذس لهههه في حبشه من بعصاه فبعده
 عليه الأمر ، ويدو أن عبد العزيز كان يرحو أن يتخلص من زهير حتى يتخلص
 له أمر إفريقية ، فبعده منها العمامة الوفيرة والسبي الكثير ، فها قتل زهير وتولى
 حسان حاب طه واصطفن على حسان ، وأخذ يتربص الفرصة للإيقاع به والخلاص
 منه ، وقد سقت الإشارة إلى أن حسان كان يشعر بذلك ، فرعب عن كل اتصال
 بعد العزيز ، ولهذا سأل عبد الملك لمعونة حين أراد القسط وكان يستطيع أن
 يسألها عبد العزيز بن مروان ، ويروي ابن عبد الحكم رواية يفهم منها أن الرحلين
 كما بسدلال سوء الطن والريبة ، وقد أراد عبد العزيز أن ينهر فرصة هزيمة حسان
 الأولى وتهميره من إفريقية بيطس في قدرته ويتدرع بذلك لمره عن إفريقية ،
 فوجه إلى طرابلس رجلا من عنده يقوم بأمرها ، فلب قدم حسان في مسيره
 الثاني إلى إفريقية ، قال لعبد العزيز : « أكتب إلى عبدك بالإعراض عن
 أنطالس ، فقال له عبد العزيز : ما كنت لأفعل بعد إذ صيغتها فاستولت عليها
 الروم ، فقال حسان : إذن أرجع إلى أمير المؤمنين ، فقال عبد العزيز :
 . . . أرجع » ^(١) وهذا حدث نقل ما يدل عليه أن عبد العزيز كان يرحو أن
 تكون له إفريقية مع مصر ، وأن حسان كان يحشاء ويرتاب في أمره ، فكان
 لا يفتأ يحنى في الخليفة ويستعين به كل بدت له وأدر الشر من جاسد عبد العزيز .
 أقام عبد العزيز بمصر ينسقط أحار حسان في حنته الثدية ، فساءه ما وفق إليه
 من نصر ونوفيق ، وعول على أن لا يدعه بعث عما فار به من أموال وعشائم ،
 فقام يرقبه بمصر حتى يأتي بالعشائم فيأخذ منه ما يريد ، فعلم حسان ما أراد
 عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك ، فعمد إلى الجوهر والذهب والفضة فجعله
 في قرب الماء ، وظهر ما سوى ذلك من الأمتعة وأنواع لدواب والرفيق وسائر

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٣

أنواع الأموال ، مما قدم على أمير مصر عبد العزيز بن مروان أهدى إليه مائتي جارية من أسماء ملوك الروم والعرر ، فسلمه عبد العزيز جميع ما كان معه من الخيل والجمال والأمتعة والوصائف والبوصعان ، ورحل حسبان الأتقال التي بقيت له حتى قدم على الوليد ، فشكا له ما صنع عبد العزيز فمضب الوليد لذلك ، ثم قال حسبان لمن معه : « أتوى قرب الماء » فخرج منها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت ما استعظمه الوليد ، وعجب من أمر حسبان فقال له الوليد : « حراك الله خيراً يا حسبان » فقال : « يا أمير المؤمنين إنما خرجت محمداً في سبيل الله ، وبس مثلي يحول الله ولا الخليفة » فقال له الوليد : « أما أردت إلى عمك وأحسن إليك وأتوه بك » فخنق حسبان : « لا ألى لى أمية أبداً »^(١) وهذا ما يستعمل حسبان - على رغم ما بدله من جهد - البجاة من انتقام عبد العزيز ، وكان هذا يستعمل مكانه من الخيفة وبس استعماله فأساء إلى رهير كاسق . ثم آى حسبان ولم يزل به حتى أخرج إفريقية من يده وجعلها من ولايته . وقد انصح بحلأه أن الرجل لم يكن يريد لها ليصالح أمرها أو تم إسلام أهلها ، وإنما كان يريد لها للعننم والأسلاب . ولهذا لم يرض عن التخبين الأسماء المخلصين من أمثال رهير وحسان ، وصارع فأسد أمرها لرجل من أتباعه ومن هم على شاكلته وهو موسى بن نصير . ويبدو أنه أوصاه بالاهتمام بالأموال والعننم ، فصرف موسى همه إلى ذلك . وكان عبد العزيز يقوم في مصر بين الخليفة وإفريقية ، فكان قيساً أن يقتدر على الكيد إذا هو أراد . وكان أحبا للخليفة يستطيع أن يأتي من الأمر ما ينبغي . وكان حسان إذ ذاك رجلاً مساً وموراً لا قبل له بالكيد أو التدبير ، فأثر البجاة نفسه وأى أن يعود . لأنه كان يريد أن يقول « لا ألى لى أمية أبداً » مادام عبد العزيز في مصر تخشى منة ذلك ، فأسر على رفضه وسكت .

(١) ابن عذارى ، البيان المرفوع ، ص ٢٣ - ٢٤

ولم يذكر له المؤرخون مصير حسان بعد ذلك ، وكل ما يقوله أنه لم يلبث
 إلا يسيراً حتى توفي ^(١) . مما يدل على أنه قضى الفترة القصيرة التي بقيت من حياته
 هادئاً مطمئناً . وستطبع القول بأنه توفي نهاية سنة ٥٨٥ هـ . لأننا نعلم أن موسى
 ابن نصير بدأ عمله في إفريقية في أواخر أيام عبد الملك أي في أواخر سنة ٥٨٥ هـ .
 وهذا تكون عودة حسان من إفريقية في أواخر هذه السنة كذلك . فإذا صح
 تقدير هذه الفترة القصيرة التي لم يلبث حسان أن توفي بعدها — بضعة شهور —
 جاز القول بأن حسان توفي في أوائل سنة ٥٨٦ هـ .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٣

الباب التاسع

انتشار الإسلام في المغرب
والنظام الإداري الذي وضعه العرب له

ليس من السهل تحديد تاريخ ثابت لانتها الفتح الإسلامي لبلاد العرب ، لأن هذه البلاد ليست قطراً واحداً يتم خصومه بمعاهدة شاملة أو بموقعة واحدة . وليس من اليسور كذلك أن نقطع بأن أهل العرب تم إخضاعهم وإسلامهم في سنة معينة ، لأن : « أم العرب ليس لها عاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية ، كلما نادت أمة حلفتها أم ، وهم من اخفد والكثرة كثرة لهم ^(١) » كما قال ابن عذاري على لسان حسن بن النعمان ، وربما كان هذا الاضطراب الذي يسود تكوين العرب السياسي والاجتماعي والطبيعي هو السبب الأول في طول مدة الفتح واحتلاله سبله على الفاتحين .

ولنصف إلى ذلك العنومات الأخرى التي تقبها العرب ، والتي لم تشأ عن طبيعة البلاد أو أحوال أهلها ، وإنما عن ظروف العرب أنفسهم ، وما برل منهم من لأحداث التي شعلتهم عن الفتح أو حادت بينهم وبين أن يتعهدوه بما ينبغي له من العناية والاهتمام ، كالتفتن الطويلة التي كانت تحول بين أولى الأمر من العرب وبين إرسال الحملات إلى إفريقيا ، وتهدد لمصر التي جعل إرسال الحملات والبعوث إليه مراً يتطلب المدة العظيمة والنفقة الامة ، والخصومات بين حشد العرب مما كان له أسوأ الأثر في سير الفتوح كالذي حدث بين عبد الله بن سعد وعبد الله بن الزبير مما كان من أسباب فشل حجة عبد الله بن سعد على دعم ما أدركه العرب من نصر فيها ، والبراع بين ولاية مصر وقواد إفريقيا ، ورعية الأولين في السيطرة على هذه البلاد والتصرف في مالها وغنائمها ، مما رأينا أثره في تعطيل الفتح ومنع الفاتحين من إهدؤ راحتهم وإدراك الغايت التي سعيوا إليها بعد أن بدلوا الجهد العظيم لإدراكها ، كما رأينا في عدوان مسلمة بن مخلد على عقبة وعمره إياه وحرمانه من ثمرة جهوده ومنعه من تعيد رباحه ، وعداء عبد العزيز بن مروان لزهير بن قيس

وحسان بن النعمان مما انتهى بعرل الثاني وحرمان البلاد من خبرته واقتداره ،
وتحويل الفتح نحو وجهة مادية لا تنفى ضم البلاد إلى العرب وإدخالهم في الإسلام
تقدر ما تعنى بالمعنى الخافل والمال الوفير .

ولا نسى كذلك فتح إسبانيا الذى احتشد اهتم العرب وأطراهم ، فانصرف
الكثيرون منهم عن إتمام فتح إفريقيا وإسلام أهلها وقد كاد الأمران يتنا
على خير وجه من أواخر أيام حسان بن النعمان ، والعصبيت العربية التى شعلت
جانباً عظيماً من اهتمام حكام العرب وصرفتهم عن الاهتمام الواجب بفتح البلاد
وإسلام أهلها ، مما يلاحظ أثره بشكل واضح جداً في حصومة مصر بين والقيسيين
التي سادت إفريقيا طوال العصر الأموي ، وحملت البلاد مسرحاً لحوادث شتى
من الاصطهاد والنظم والمصادرة مما يستتبع أثره السيئ بعد قليل ولا يسهى أن نسى
الأخطاء الشديدة في الحرب والسياسة التي وقع فيها حشد العرب وقادتهم ،
والتي كانت ناشئة عن ضعف كفاءات بعضهم وعن جهلهم بنظمية البلاد .

ويلاحظ كذلك أن فتح لمعرب لم يأخذ هيئة الفتح لمسلم الذى تصدر الدولة
في إتمامه عن خطة مرسومة أو سياسة ثابتة ، وإنما كان الساعون في إتمامه معزاً
من حشد العرب في مصر في أغلب الأحيان ، وربما كان سبب انصراف الانتماء
عن الاهتمام الواجب بفتح هذه البلاد هو تنيهم صموده فتحها وعظم الجهد الذى
يستلزمه إتمام ذلك الفتح ، فقد كان عنهم قد اهتم بأمر إفريقيا وأولى فتحها جانباً
ملحوظاً من عيائنه ، ولا راع في أنه كان يؤمل كثيراً من وراء إتمام هذا الفتح ،
مكاثرت عودة عبد الله بن مسعود بدور نتيجة تذكر قاصية على كثير من آمال
العرب فيها ، ثم كانت فتى المشرق وأحداثه قاصية على ما بقى من الأمل في سرعة
فتح هذه البلاد ؛ فانصرفت الخلافة عنه انصرافاً يكاد يكون تاماً فترة طويلة
من الزمان .

انصراف
الخلافة عن
فتح المغرب

جند العرب
في مصر
يصررون على
فتح لأفريقية

طبيعي إذن أن لا تكون عند نولى الأمر من العرب فكرة واضحة عن أحوال بلاد المغرب وعن الخططة التي ينبغي اتباعها لإتمام فتحها ؛ وأن تظل جهودهم مبهمة الأشياء بالعارات السريعة التي لا تنتهي إلى شيء ؛ هذا فيما كان جند العرب في مصر لا يفتشون بين الحين والحين بحرحون إلى إفريقية في عارات بسيطة ؛ ولم يمنهم عن الخروج لروها في حملات كبيرة إلا اشتغال الدولة عنهم وانصرافها عن إمدادهم عما تحتاج إليه هذه العروات ، فتكوت لديهم فكرة عن طبيعة البلاد وأسلوب فتحها ، وجعلوا ينتظرون الفرصة المواتية للقيام بهذا الفتح ، إما جهاداً في سبيل الله أو رعة في مصر أو طلباً لخطوة عند الخلفاء .

ع ٩ ص ٨٨

وكان غفلة من بامع أكثر جند مصر اتصالاً بإفريقية وأشدّهم تعلقاً بفتحها وطولهم مقفلاً في روعهم ، فكان أفرسهم إلى فهم طبيعتها وطبيعة أهلها ؛ ومن ثم تعطلن إلى أهمية إنشاء دولة للمسلمين فيها تكون محط رحالهم ومبرلاً لمن أراد المقام منهم فيها ومستودعاً لسلاحهم ومركزاً تصدر منه العروات في كل وجه .

لناج
سياسة
لأشياء
القيروان

استنمع بث الثقبون شئخ على درجة عصيمة من الأهمية سواء في موقف المسلمين من المغرب أو موقف المغرب من المسلمين ، إذ لم يكذب يتم تخطيطها حتى ظهرت « ولاية المغرب » وانصحت حاصيتها بعض الشيء وبذت أنظار العرب تتجه إليها ، إذ أصبح لهم فيها عاصمة ينسحب إليها لإقليم المحيط بها ، وقام بها مسجد جماعة يخطط فيه باسم أمير المؤمنين ، ورتبها طوائف من المسلمين فاصبح الخليفة مكلفاً رسمياً بالدفاع عنها وحماية أهلها من أي اعتداء خارجي أو داخلي ، وبذت وجهة القواد الذين تولوا الفتح فيها تعبير ، فاصبحوا يحرصون على اكتساب حقوق سياسية لا على أخذ أموال ومغرم ، وقد سبقت الإشارة إلى ما كان من تفصيل معاوية أن حديج أخذ جزيرة شريط وبقامته والياء عليها لكي يراقب منها قرطاجنة ويؤمن القيروان وما حولها .

طمع عمال
مصر في ولاية
المغرب

هذا أخذت أنصار عمال مصر تتجه نحو هذا الميدان الحديد ، فبقي اتساع
لسلطتهم وبحال العزوة والفتح وميدان للعم العظيم ، وتنبه الخلفاء لذلك فحرصوا
ما أمكنهم على أن يحولوا بين ولاية مصر وما يريدون ، وعلى أن يشرعوا بأنفسهم
على أمور المغرب ، ومن هنا بدأ تراخ طويل استمر بين الخلفاء وعمال مصر على
حكومة إفريقية .

السرع بين
عمال مصر
والخلفاء على
ولاية إفريقية

استمر هذا التراخ زماناً طويلاً وكان سبباً في تأخر ظهور شخصية المغرب
الكاملة وأحد صفات الولاية المستقلة قتل تاماً لمركز الخلافة رأساً رسمياً خاصاً
لسلطان عمال مصر فعلاً ، ومن هنا أحبط الكثيرون من مؤرخي إفريقية قدهموا
إلى أن ولاية المغرب كانت جزءاً تابعاً لمصر حتى نهاية ولاية حسان بن النعمان ،
وسهام نصيح ولاية مستقلة الشخصية إلا من بدء ولاية موسى بن نصير ، والحقيقة
أن الخلفاء اعتدوها ولاية قائمة بنفسها من أول الأمر ، وحاولوا أن يلبوا أمورها
أنفسهم فبازعهم في ذلك ولاية مصر ، وسمح الخلفاء لهم بذلك كارهين ، إما لقرب
عامل مصر منهم ومكانته وعدم كسامة بن محمد ، أو لفرارته من الحقيقة كما حدث بين
عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز .

ومصادق ذلك أن معاوية حرص على أن يخرج المغرب عن يد عامل مصر
وتولاه هو نفسه ، فلم يقر القائد الذي كان عمرو بن العاص أرسله في فتوحه وهو
عقبة بن نافع ، بل تخطاه وذهب لهذا الأمر رجلاً من رجاله وهو معاوية بن حديج ،
وحرص كذلك على أن يكون إليه مرجع شئون الخلة وأمورها ، فإذا احتضم معاوية
اس حديج مع عبد الملك بن مروان على قسم في جلولاء ، رفع الأمر إلى معاوية
إن أبي سفيان لا إلى أخيه عقبة عامل مصر إذ ذاك .

ومن الواضح أن معاوية لم يكن راضياً عن تعدي مسلمة على شئون المغرب ،
ولم يرضه من إيقافه عند حده إلا عرفانه ليد مسلمة عنده ومكانه من عثمان ،

ومن الواضح كذلك أن عبد الملك بن مروان كان صاحباً أشد السخط على أخيه عبد العزيز تدخله في أمور المغرب وعزله وإليه وتوليتة موسى بن نصير عليه ، وهذا شاهدان على أن الخلفاء كانوا يرون أن المغرب ولاية قائمة بذاتها لهم وحدهم إدارة شؤونها ، وورثتها كان دافع الحفدة إلى استخلاص المغرب من يد عمال مصر هو عرفانهم أن عامل مصر لا يريد له ليقم فتحه أو يبشر الإسلام بين أهله ، وإنما لمصلحة وأسلابه وخيراته .

وقد كان الخلفاء على الحق في تخوفهم من بيات عمال مصر ، فقد أصاب المغرب من تدخل عامل مصر ضرر كبير ، وبكى أن يذكر أن تدخل عبد العزيز ابن مروان في شؤون المغرب ومحاصرتهم رهير وحسن أوقف السياسة التي كان حسان قد بدأ ينفذها ، والتي كانت ترمي إلى سيطر البلاد وإصلاح ما بين أهلها والمغرب وتحيب الإسلام إليهم ، وكان سبباً في هذه سياسة جديدة لا ترمي إلى شيء من حير البلاد أو حير الدولة الإسلامية ، وإنما إلى عصف الأهلين وإرهاقهم بانهياره والخصائات من نهرهم من الإسلام ونفس العرب إليهم ، وأوحد بين أخيب من ندى الأمر - شعوراً من الخوف والرغبة والحدرد ، ودفع أهل المغرب إلى أحضان الدعاة والمخارجين .

لم يكن المغرب دون ولاية تابعة لمصر رسمياً ، لا فترة قصيرة جداً من الزمان ، انتهت ثولية معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حذيف قيادة الفتاح فيه ، ومن ذلك الحين كان المغرب معتبراً في نظر الخلفاء ولاية تابعة لهم ، تولون أمورها بأنفسهم واعتبروا تدخل عامل مصر عدواناً لا حق لهم فيه .

وتعتبر ولاية موسى بن نصير آخر مظهر من مظاهر تدخل عمال مصر في شؤون المغرب ، إذ حرص الخلفاء أشد الحرص على أن لا يدعوا عمال مصر يعتصبون هذا الحق بعد ذلك .

لأمرارني
للفت المغرب
من تدخل
عمال مصر
في شؤنه

ولما كانت غروات موسى بن نصير قد أتمت إحصاء المغرب كله من رقعة إلى المحيط ومن ساحل البحر إلى واحات الصحراء ، فإن محمد بن يزيد — حلف موسى — يعتبر أول ولاية المغرب الإسلامي بمعه المعروف لدينا ، بل أصبحت إليه الأحرار التي فتحها المسلمون في إسبانيا .

— ٢ —

وكان حسان قد أعد المغرب المدة ليصبح ولاية فاعية بنفسها مستقلة بإدارتها لا تعتمد على مصر في شأن من شئونها ، « ودور الدواوين وصالح على إخراج وكتبه على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين الصراية »^(١) ، واهتم اهتماماً ملحوظاً بعاصمة الولاية الجديدة ، فرأى أن يحدد بناء مسجدتها مهدمة « — حاشى المحراب — وسماه وحمل إليه الساربتين الجراوين لموشين بصرة ، اللتين لم ير الرامون مثلهما من كيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم بالقنصارية سوق المغرب »^(٢) ، ولا راع في أن القيروان كانت في حاجة إلى الإصلاح وإعادة التنظيم لكي تليق بالولاية الكبيرة التي أصبحت عاصمتها ، ولكن حسان لم يهتم بإعادة تخطيطها وإصلاحها ، وربما كان سبب ذلك أنها لم تكن أصبحت سوقاً تجارياً أو مركزاً كبيراً حتى ذلك الحين ، وإنما لم تكن أكثر من مركز للجد ومأمن لسائهم ومستودع لسلاحهم .

ولاحظ حسان أن بقاء قرطاجنة خطر على الولاية الجديدة مهدمة ، وأراد أن يأخذ الساحل على الروم فاشأ شمل القيروان بحرس تونس ، واجتهد في أن يجعل منها ميناء بحرياً تشرف منه ولاية المغرب على البحر الأبيض كما سبق بياناه^(٣) .

(١) ابن عدي ، ليان المغرب ، ١٠٠ ، ص ٢٣ (٢) لكري ، وصف إفريقية ، ص ٢٢

(٣) البكري ، وصف إفريقية ، ص ٢٧ وما بعدها .

ليس لدينا نص ثابت يستطيع التعويل عليه في معرفة النظام الإداري الذي وُضع للمغرب إذ ذلك ، وكل ما لدينا إشارات طفيفة أوردها بعض مؤرخي المغرب في سير صحي إفريقية وعمائها وقضاتها وملاحظات يمكن استنتاجها من أحداث البلاد إن العصر الأموي ، ولو قد كان المغرب شبهاً بغيره من الولايات الإسلامية لخار القول بأن العرب طلقوا فيه أنظمتهم المعروفة في الإدارة والمال ، أما المغرب فريد في نظامه فليس من المأثور قول فرض كهذا ، لأن أرض المغرب ليست أرض رروع يقدر على محصول حراج مقدر ، بل أغلب أرضها مراعي وقدر لا تمل شيئاً مذكوراً ولا يقدر عليها شيء ثابت ، فكيف نظم العرب أمور المغرب ؟

يقول ياكوبي : « ثم إن الروم والبربر تخوفوا بعد ذلك ، واحتشعوا على قتال حسن وفانويه فمرهم الله تعالى ، فلم يقلل أمانهم حتى أعطوه من جميع مآثلهم اثني عشر ألف درسم يكون مع العرب مجاهدين ، فأجابوه وأسلموا ، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر والياً عليهم ، وأخرجهم مع العرب مفتوحين إفريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر ، فن ذلك صارت الخطط للبربر بإفريقية ، فكان يقسم إلى بينهم والأرض ، وحسنت طاعتهم فذاث له إفريقية ودون الدواوين ، ثم قدم القيروان فأمر بتحديد بناء المسجد الجامع فساء بناء حسناً ، وحدده في شهر رمضان سنة ٨٤ هـ ^(١) . ومن هذه العبارة نستنتج بضعة أمور

١ — أن حسان حرص على أن يشرك معه نقرأ من أهل القبائل في حروبه وحمل اشتراكهم معه في الحرب شرطاً لتأميمهم ، ومن هذا نعلم أن جند المغرب من ذلك الحين لم يكونوا من العرب وحدهم ، بل اشترك فيه من أهل البلاد . وكانت تلك حطة موفقة استطاع بها حسان أن يصمن ولاء البربر ، وأن يحجب

(١) المالكي ، رياض النفوس ، ص ١١

إليهم الإسلام ، فالبربر شعب محارب ميل إلى العرو والصلب ، فأرضاهم
اشترأهم مع المسلمين في الحرب جيشاً إلى حنب ، ولم يلبثوا أن أسلموا بدليل قول
المالكي إسم . « أحابوه وأسلموا » .

ولم يكتف حسان بأن يشارك هؤلاء البربر في حروبه ويحصل لهم نصيباً
من الغنائم ، وإنما رتب لهم أعطيات تصرف لهم من بيت المال ، وصار على ذلك
موسى بن نصير بعده ، بعد عثر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب على قطع من العملة
النحاسية والبربرية ، صر بها موسى بن نصير في إفريقية يرجع تاريخها إلى سنة ٩٢ هـ^(١) ،
لكي يعطى من انضم إلى جيشه من البربر أعطياتهم ، وذهب إلى أن استعمال
العرب للنقود في إفريقية لا يرجع إلى تاريخ صرب هذه العملة فقط ، وإنما كان عمال
إفريقية قبل ذلك يستعملون نقوداً رومية مما وحدوه في إفريقية ، أو أخذوه في الجزى
والجبايات والضرائب ، ولا راعى أن هذه النقود رومية كانت واسطة التماس
بين العرب في إفريقية ، وطلت كذلك حتى صرب موسى عملته فاستعملها الناس .

٢ — أن حسان قسم المغرب حططاً للبربر ، أي اختص كل قبيلة بحصة
تتصرف فيها وتؤدى مالها وتكون مسئولة عنها ، وهذا نظام معقول يتفق مع طبيعة
البلاد ونظام أهلها لاحتياجهم ، فهو يكن في المغرب إذ ذاك صراع واسعة تتركها
الحكومة في يد أممها يررعونها ويؤدون مالها للدولة ، وإنما سواح احتضمت
كل قبيلة ساحية منها تكون مسئولة عنها أمام عامل المغرب .

٣ — أن حسان كل يسوى بين العرب والبربر في قسم في الحروب ومعادتها ،
أي أنه لم يعتبر العربي حاكماً والبربري محكوماً ، بل تساوى الإنسان في الحقوق

(١) راجع مقال الأستاذ عبد الوهاب الذي عنوانه « Un témoin de la conquête de l'Espagne » ، La Revue Tunisienne, 1932 No. 10 ، ويلاحظ أن موسى لم يصرب غير
عملة بربرية ، لأن النقود النحاسية (البربر) والنقبة (القرص) كانت من حق الخلافة
المركزية وحدها .

والواحد ، وفي الاشتراك في الحرب واقتسام العبيدة ، ويدعون أن حسن راعي في اشتراع هذا المبدأ طبيعة البربر وأخلاقهم . فهم ليسوا دراعاً أنفوا الخسوع والسكون وتذية المال لسيد الأرض وصاحبها ، وإنما هم شعب محارب قوى أبوف لا يقل عن العرب غراماً بالحرية ، فكان أمثال السبل قيادته هي معاملته معاملة الند للند .

وسيلاحظ أن البربر حرصوا دائماً على أن لا يعصمهم العرب معاملة شعب حاصص محكوم ، وأنهم لم يترددوا في الثورة على العرب حين حاول هؤلاء لترفع عليهم أو اعتبارهم رعياً يجور نهجاً كم عصبهم والتعريف في شئوهم كما يهوى .

٤ = أندرجس اعتبر أرض المغرب مفتوحة صلحاً لا عبوة ، فأمر البربر على ما يبدون من لأرض ، وهذا ما أرادته الماسكي من قوته : « فمن ذلك صارت الحطط للبربر بإفريقية ، فكانت ينقسم التي بينهم والأرض » . أي أنه جعل لكل قبيلة حطة تسأل عنها وتؤدي العشر منها ، والغلب أنه لم يعين ذلك إلا مع الدين أسهموا منهم ، لأن الشرع يبيح ترك الأرض لمن أسلموا يتوارثونها ويتبايعونها^(١) .

٥ - أن حسن دَوَّ الدواوين ، أي نظم شئون الحكومة ، وأقدم العمل على نواحي الإدارة من حراج وزكاة وحد وما إلى ذلك ، مما كان موحوداً في غير إفريقية من بلاد الدولة إذ ذاك .

ويدعون أن لمسلمين اتبعوا في بعض نواحي حكومة إفريقية النظام الذي جهروا عليه في حكم غيرها من ولاياتهم ، فكان الخليفة لا يعين العمل فقط بل القاضي أيضاً ، وهذا طاهر من قول السماع : « بن عمر بن عبد العزيز احتار لقضاء إفريقية

(١) راجع كتاب الحراج لأبي يوسف ، الفصل الذي عنوانه : « في إسلام يوم من أهل الحرب وأمن سادية على أرضهم وأموالهم » .

عبد الله بن الغيرة بن ردة الكندي^(١) . ولكن الخلفاء لم يعيخوا فائداً لجند العرب وإنما تركوا ذلك للعامل ، فإما قاد الجند نفسه أو دبت لقيادته من أراد . وكان عامل العرب مطلق اليد في اختيار العمال لشتى نواحي الإدارة ، ودليل ذلك أن موسى بن نصير ولى أساءه قيادة الفتوح في مختلف النواحي ، و« حسن ابن نيمان (كذا) ولى على صدقات الدس والسعي عليهم حش من عبد الله الصفي التامعي رضي الله عنه^(٢) » .

والبيات كثيرة على أن حسان حرص على أن يتربى أهل البلاد ويكرمهم وأن لا يمتهم بأذى ، وأن النظام الذي وضعه كان يحمي حقوقهم ويحفظ أموالهم في مأمن من عدوان الحكام ، فمن ذلك ما ذكره السكري من أن عامل هشام ابن عبد الملك على إفريقية كتب إليه يعلمه : « أن الخدم يصيق نهنه ، وأن بحويبه جنة كبيرة لقوم من فخر ، فكتب إليه هشام يأمر شربها وأن يدخلها المسجد^(٣) » ، ثم يدل على أن الخلفاء حرصوا على إقامة العدل في البلاد . ومن دلائل ذلك أيضاً أن يزيد بن حاتم عامل إفريقية سنة ١٥٥ هـ : « اشترى العمود الأخضر عدل عريض حرل ووضعه فيه^(٤) » فلم يصبه أذى ولم يمتهم حقهم .

ويدون المسلمين اعتدوا من بقي في البلاد من الروم والأفارقة موالى لهم ، ولم يستروهم كالبربر مساوين لهم في الحقوق والواجبات ، وربما كان دافعهم إلى ذلك تخوفهم من الروم والأفارقة ، واعتبارهم بياهم شعباً مفتوحاً لهم حق التصرف فيه ، والغالب أن الروم والأفارقة قبلوا هذا الوضع على مصص ، وأنهم كانوا يترقبون الفرصة للوثوب بالحكم الإسلامي وإثارة البلاد ، ودليل ذلك كله ما ذكره أبو المحاسن في حوادث سنة ١٢٢ هـ إذ قال : « فيها خرج بالعرب ميسرة الخفير

(١) الأدب ، معجم الإتيان ، ج ١ ، ص ١٥٤ (٢) في المصدر ، ج ١ ، ص ٣ — وإثراءها بصحاح

(٣) السكري ، وصف طريقه ، ص ٢٣ (٤) في المصدر والصيغة .

وعبد الأعلى مولى موسى بن نصير متعاضدين ومعهما حلائق من الصفرية^(١) ،
 أى أن عبد الأعلى هذا كان مولى لموسى بن نصير ، وأنه كان من أول الواثنيين
 على المسلمين ، وأنه كان معه عر كبير من جنسه ، فإذا عرفنا أن عبد الأعلى هذا
 هو « عبد الأعلى بن حرج الأيربى روى الأصل ومولى للعرب »^(٢) ، لا تصح
 أن الروم والأفارقة كانوا يعتنقون موالى المسلمين ، إذ لم يكن عبد الأعلى وحده
 وبذلك كان : « إمام الصفرية في انتحال مذهبهم فقام بأمرهم مدة »^(٣) .

ومن هذا نستطيع أن نستنتج أن العرب اعتنقوا الأراضى التى كانت للروم
 مفتوحة عمود ، واستحلوها واعتنقوا أهلها ومن وجدوه عليها موالى لهم ، يتصرفون
 فى شئونهم كما يريدون ، فى حين اعتنقوا الأراضى التى كانت لهم مفتوحة صلحاً ،
 وتركوها فى يد أصحابها يؤدون عنها المال للدولة ، واعتنقوا البربر أنفسهم أحراراً ،
 فلم ما للعرب من الحقوق وعليهم ما عليهم من الواجبات ، فكانت النتيجة الملموسة
 هذه السياسة هى احتواء العصر الرومى واللاتينى من البلاد شيئاً فشيئاً حتى انعدمت
 آثارهم من البلاد قريباً ، ولم تنق إلا آثار قبيلة منهم فى الجريد وواحي ساحلية
 أخرى ، واحتضنت تبعاً لذلك اللغات اليونانية واللاتينية والفيديفية التى كان يستعملها
 هؤلاء الروم والأفارقة ، وأدت هذه السياسة كذلك إلى سهو الشعب الذى يرى
 وأحده بأسبب المحصرة الإسلامية وتعنته بلغة العرب ودينهم ، مما انتهى به
 إلى درجة من الرقى مكنته من أن يقيم حصارات راهرة فى البلاد بعد ذلك لسنوات
 طويلة ، وينشئ دولاً ذات قوة وإدارات منتظمة ، وهذا كانت السياسة
 الإسلامية فى إفريقية أساساً لهذا التطور العظيم فى تاريخ هذه البلاد ، فلم تعد
 شريطاً ساحلياً يسكنه جمعة من المستعمرين المتحضرين ، وفي يلى ذلك « أهال »

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٨

(٢) اسلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٤٩ (٣) نفس المصدر والصيغة .

متوحشون على درحة بسيرة حداء من الرقي ، وإلى أصحت بلاداً واحدة يسكنها
شعب مسلم قوى متحضر ، نشأ الدول ويسمى العلم والحصرة الإسلامية
بتصويب مشكور .

وكان الوالي مكلفاً بأن يعطى من معه من الجند والعمال بما يحويه من الأموال
وما يعيشه الله عليه من العائم ، والدواب أن الجند كانت لهم رزاق و أعطيات غير
ما يحسبونه في الحروب ، ودليل ذلك ما ذكره البيهقي من أن يزيد بن أبي مسلم حين
قدم إفريقية وجد عبد الله بن موسى مسجياً بها : « فقد به أعطى الجند من مالك
أوراقهم خمس سنين ، فقال : لا أقصر على ذلك »^(١) ، ثم يد على أن أوراق الجند
كانت تصرف من أموال المغرب .

يبدن تاريخ المغرب بأن العصر الأموي لا يدل على أن العدل كانوا يحرمون
في حكم هذه البلاد على سياسة موضوعة ثابتة ، أو أن الخلفاء كان لديهم نظام ثابت
يأخذون به حكمها ، إنما كان الحكم يسير في سياستها على غير هدى ، وكان
البراع الدائم بين أهل البلد والحكام دليلاً على أنه لم تكن هناك طء موضوع .
ولم يكن جهد الحكام متجهاً إلى وضع نظام للبلاد أو البحث عما يلائمها
من أساليب الحكم والإدارة ، وإنما اقتصر على إقامة العدل على قدر ما استطاعوا ، ولم
يكن الخلفاء يطلعون إلى الحاكم أكثر من ذلك ، لأنهم كانوا يعرفون صعوبة حكم
هذه البلاد وسياسة أمورها ، ومصدق ذلك ما ذكره التويري من أن سليمان
ابن عبد الملك استعمل : « محمد بن يزيد مولى قريش ، وقال له عند ولايته : يا محمد
اتق الله وحده لا شريك له ، وقم بما وليتك بالحق والعدل ، اللهم اشهد »^(٢) شرح محمد
وهو يقول : مالي عذر إن لم أعلل^(٣) وهذه الصارة وحدها تدل على صعوبة

(١) تاريخ البيهقي ٢ ، ص ٣٧٦ — وبلاحظ أن عبارة البيهقي يفهم منها أن الرجل
تأخر في دفع الأعطيات خمس سنوات . (٢) التويري ، نهاية الأرب ، ص ٨٢

حكم هذه البلاد وحيرة الحكاء في الطريق الذي يسلكونه في حكمومتها وعلى شعور
الخلقاء بذلك .

— ٣ —

كانت ميسرة روم في إفريقية — — في القضاء على ما كان قد انتشر
من المسيحية بين أهلها ، وقد وقف الأهليون موقف العدوم من روم وكل ما يتصل
بهم من دين وحضارة ، بل أخذ بعضهم يهاجم الأديرة والكنائس : « وحينما
صعد أمر الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس أحدثت قتائل شتى من هذا
الشعب العظيم — الذي سماه الرومان المور أو الوميديين والليسين — تُفجير
من الجيوب لتتحرط المدائن العاصرة العنية التي على الساحل ، وكان هؤلاء الفراءة
وتبين من غير شك ، فأخذ الليبيون الذين يصف لنا سينيوس القيرواني أعمال
تحر بهم — يهزون الكنائس ويحرقونها ويأخذون منها الآنية المقدسة إلى معادهم
الوثنية ، وكان من أثر هذا التحريب أن الرعاة لم يعد أسأ إلى ولاية رققة ، بل كادت
المسيحية أن تكون حبالاً لا إيمان الفتح الإسلامي للبلاد » ، كما قال الأستاذ
أرنولد . وبمكس تصور اصمحلل المسيحية في إفريقية إذ ذاك إذا ذكرنا أن عدد
الأسقفية في البلاد كان قليل العزو انوبدالي حمسائة بينا لم يزد عددها على مائة
أسقفية في سنة ٥٣٤ م ، أي قبل الفتح العربي ، ولا بد أن يكون عدد المسيحيين قد
تضاءل جداً بعد الاصطهاد الشديد الطويل المستمر الذي نزل بهم خلال
الفترة الأخيرة من الحكم البيزنطي ، وفي خلال القرن الذي انقضى قبل
فقال العرب : « اجتمعت عرات البربر — الذين حصروا الروم في المدائن
وسراكر العمران الأخرى واحتفظوا لأنفسهم بالجلال والصحارى والسهول —
إلى الفوضى الشاملة وسوء الإدارة ، إلى الطوائع الخربة التي ومدت على البلاد

اصمحلل
أمر مسجيه
و بلاد

في المصنف الثاني من القرن السادس ، احتضنت هذه كلها على حرات البلاد ^(١) .
 يضاف إلى ذلك أن الكنيسة الإمبريقية لم تكن — خلال العصر البيزنطي —
 على حال تمتع على الأمل في مستقبل المسيحية في البلاد ، فكانت إدارتها محتلة :
 « إذ تلاشى النظام الكنسي واقترب القس دوماً كثيرة تدل على المصين
 أو التدهور الأخلاقي والفساد ، وكان قساوسة الولاية الداخلية يعارضون أسقفهم
 الأكر في تصدر لهم من أوامر ، وكان آخرون يندرون الشقاق في الأديرة بآثارة
 الرهبان على رؤسائهم ، وكانت الكنيسة كلها في اضطراب دائم وتدهور مستمر ،
 إذ كانت وظائفها تناع جهراً ، ولم يكن كبار القساوسة يتحرون عن معاقبة صغار
 الرهبان بعتوبات بديية ، واشتهر من المنسدين أسقف تبجس لدى كان يبيع
 وظائف الكنيسة » ^(٢) .

وكانت الدوامنة وحصومتها المشهورة مع الكنيسة البيزنطية عاملاً آخر
 من عوامل إصماف المسيحية في البلاد ، إذ كان دعايتها يعرون إلى داخل البلاد
 نجاة من العقاب ، وندسون بين القسائل والأهيين ويثيرونهم على الكنيسة فمع
 منها الناس ، بل أخذ البعض يعدد معه من حديد وفق طقوس الدونتيين .
 لهذا لم يحط به بكنية حين قال : « وبدوا أن البر لم تكن لهم أدلة ثبتة قبل
 الإسلام ، كانوا وثنيين أو يهوداً ، وكانوا قد اعتنقوا المسيحية في القرون
 الأولى ثم نسوها حين استمادوا استقلالهم ^(٣) » وإذ كان قد أخطأ في تعميل تلك
 الظاهرة بقوله : « إسمهم شعب غير متدين » وكان ينبغي أن يرد ذلك إلى مساات
 الحكم البيزنطي ، وفساد كنيسة إمبريقية .

(١) Th. Arnold, Preaching of Islam, pp. 122-123.

(٢) Greg. Epist. p. 24.

(٣) Diehl. op. cit. pp. 506 Sq.

(٤) V. Piquet, op. cit. p. 60.

وإذا كان قد بقي في البلاد من المسلمين فقد أخذوا يحدرونها أثناء
الفتح العربي ، بحيث يمكن القول بأن البلاد لم يكن فيها إلا أقل آثار من المسيحية
بقيت تمام الفتح العربي لها .

يروى ابن خلدون رواية يهم منها أن أهل البلاد أقبلوا على الإسلام من زمن
مسكر حذاً ، فمروا : « واسع لمسلمون في السطط بالعارات ، ووقع بينهم وبين
البربر أهل السواحى رحوف وقتل وسبي ، حتى لقد حصل في أسرم يومئذ
من ملوكهم وزمار بن صفلاب جد بني حذر وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر ربانة
ورفعوه إلى غناب من عمال مسلم على يده ومن عليه وأطلقه وعقد له على قومه » (١)
أى أن وزمار هذا يادر إلى الإسلام منذ الساعة الأولى التي دخل العرب البلاد
فيها ، ويندبى أن ابن خلدون أراد أن يقول إن قوم صفلاب تبعوه فيما فعل .

هل أقبل
البربر على
الإسلام من
زمن مبكر؟

وللبلادى رواية تؤيد رأى ابن خلدون هذا يهم منها أن إسلام أهل
البلاد إذا كان لم يكن بسيطاً أو محدوداً ، وإنما أقبل عليه من غير استدعى التنظيم
والصاية ، فيقول : « إن عمرو بن العاص أرسل إلى عمر بن الخطاب كتاباً : يمامه
أنه قد ولي غفنة من دفع القهرى للمغرب ، صنع رويلة ، وأن من بين رويلة و رقعة سلم
كلهم ، حصة طاعتهم ، قد أدى مسلمهم الصدقة وقر معاهدم بالجزية ، وأنه قد وضع
على أهل رويلة ومن بسنه وبيها ما رأى أنهم يطبقونه ، وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا
الصدقة من الأعياء ويردوها في الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الزمة فتحمل إليه
عنصر » (٢) فكيف استطاع العرب أن يوفقوا هذا التوفيق كله في ذلك الزمن
المسكر ؟ وإذا كان هذا مبلغ إقبال أهل البلاد على الإسلام من أول الأمر ، فكيف

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٨

(٢) البلادى ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤

تأخر تمام إسلامهم قرناً آخر من الزمان فلم يظهر بشكل واضح ، لا في حكومة
عمر بن عبد العزيز ؟ .

الواقع أن رواية ابن خلدون مشكوك في صحتها ، لأن أحداً من مؤرخي المشرق
لم يشر إلى حصون وزمار هذا إلى عثمان ، وأمر كهذا له أهميته ، ولم يكن يفتهم
وهم الدين كانوا يحصون كل شاردة وواردة مما كان يحدث بالمدينة في هذه الأيام .
أما رواية اللاذري فقد سبق ترجيح أن عمر أ كتب كتابه هذا في ولايته الثانية
على مصر لا في ولايته الأولى ، وأنه كتبها لمعاوية بن أبي سفيان لا إلى عمر بن الخطاب
وأنه — إن كان قد كتبها حقاً — لم يرد لها تقرير الواقع ، وإنما ذهب إلى استحث
معاوية على موافاته بالحد والمال لفتح إفريقية التي كان قد أرسل عقبة بن نافع
ليهدى عروها ، إذ دأب ، هذا إلى أنه لا يسامحاً لثب في مهمة هذا الكتاب وولايته ،
فإن من ذلك من الأحداث لا يدل على أن الإسلام أتى من أهل قرآن وودان
وطرابلس هذا القول لعظيم الذي يفهم منها .

يبين أن المراجع يؤكد أن عمر أ من أهل البلاد دخل الإسلام بعد ذلك
نسوات قلائل ، أي خلال السنوات الخمس التي قضاها عقبة في تحطيط القيروان ،
فابق ابن الأثير واليورى في القول بأن عمر أ لم حين رأى عقبة يخرج
الحضيات من موضع القيروان^(١) . ثم عدا ابن الأثير في كدس الإقبال على الإسلام
زاد بعد سنها ، إذ أن عقبة : « كان في أثناء عمارة المدينة يمر و يرسل المصراة
فتغير ونهب ، ودخل كثير من البربر في الإسلام ، وانسمت حطط مسمين وقوى
جبان من هناك من الحدود بمدنة القيروان ، واطمان على نقباء ، فثبت الإسلام
فيها^(٢) » فهل أسلم كثيرون من أهل هذه الواحي حقاً بين سنتي ٥٠ و ٥٥ هـ ؟

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٨٤ — يورى ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٦٨ أ

(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٨٤

إننا نعرف أن القبائل التي كانت تسكن الدحية التي أقيمت فيها القيروان أو تحيط بها إنما هي لواتة وعراوة وموسسة، وأن هذه القبائل معدودة من قبائل البدو الذين لشوا على عداة الروم زمان طويلاً، ونعرف أن تأثير المسيحية في هذا الفريق من البركان طفيفاً جداً، فهل يكون ذلك مؤيداً برواية إسلامهم السريع؟ أي هل كان عداؤهم للروم وكرهيتهم لهم سبباً من أسباب دخولهم الإسلام؟

يبدو أن ما ذكر قبل ذلك أن البربر الذين أكد البلاذري إسلامهم في روايته التي سبق بيدها هم لواتة وموسسة وهوارة، أي أنهم من البدو، وأن المراجع تذكر لنا في ذلك من الأحداث أن هذا الفريق من البربر كان مؤازراً للعرب منذ صراهم من أول الأمر، واستمر على ذلك زمان طويلاً. وأن رحاله كانوا يدلون العرب على مسالك البلاد وطرقها، فيذكر بن عبد الحكم أن حسان بن النعمان: «وجه على مقدمته محمد بن أبي بكر وهلال بن شروان الماواني»^(١) وأنه: «كان معه جماعة من البربر من امتزجوا»^(٢) وقد سمعت لإشارة إلى: «شيوخ جماعات إسلامية لم تكن قليلة، وإنما كانت كثيرة نوعاً: فيها بعض زمامة وبعض موسسة وبعض مصمودة»، وإذا لوحظ أن هذه القبائل التي بدأت تدخل الإسلام أو تميل إليه من ذلك الحين كانت تسكن الخيول فتدخل فيها برعواطة ودرنة وموسسة، كان من السهل تكون فكرة عن بدء إسلام فرقة القبلي وانحسارها: بدأ عند القبائل الخويوية الكثيرة الشبه بالعرب التي تميل للرحل ونمط حياة مشطورية بين الغطس والإقامة، ثم أخذت تميل إلى الشمال شيئاً فشيئاً» أي أن حركة الإسلام في فرقة القبلي أو حركة لانضمام العرب بدأت أول الأمر عند القبائل بشدية الخويوية، أما القبائل المشحضرة نوعاً فيبدو - من هذه الروايات - أن إسلامها وانضمامها للعرب تأخر بعض الشيء.

وربما أعاننا على تفسير هذا الأمر أن يذكر ما علم من عداة هذا الفريق

(١) ابن عبد الحكم، فوج، ص ٢٠ (٢) نفس المصدر، ص ٢٠١

من البربر للروم من قديم الزمان ، وحرهم الطويلة ورياحهم ، ووقوفهم من الروم دائماً موقف العدو الذي يأتي الخصوع ويرقص الطاعة ، وبمسهم الأسباب للحلاص منهم وطردهم من البلاد ، وبطرة واحدة إلى تاريخ العلاقات بين هؤلاء البربر والروم تؤكد أن الذي حدث هو الطبيعي المحتمل الوقوع .

وليس معنى هذا أن أهل البلاد انقسموا إلى قسمين عظيمين . أحدهما يصم قنائل الحضرة والآخر ينظم قنائل العدو ، وأن الأولين ظفروا على عداء العرب في حين سارع الآخرون إلى عومهم واعتماد ديبهم ، لأن هؤلاء البربر الحضرة كانوا أقبية ضمنية جداً . دأبت إلى العدو ، ونفذهم على عداء العرب فترة من الزمان لا يعني أن نصف البربر طعن بعيداً عن الإسلام . فلم يكن هؤلاء البربر الذين تأثروا بالخصرة البربرية إلا يصنع قنائل قبيحة تكن بواحي الرب وتحيط بالرمات ، وكانت بعد هذه الجهود الطويلة التي أنفقها العرب في فتح البلاد قد ضعف أمرها بحيث لم يعد يحسب لها حساب ، ومن هذا ما يكن حوبيه موقفهم عنق على هذا الطريق من البربر أهمية عطشى . وبى على هذا الأساس نتائج خطيرة تتصل بإسلام أهل البلاد ، وظاهر أن سبب خطئه هو أنه ذهب إلى أن كل انقسام التي سماها سادة البربر مراسس حضرة ، وكل التي سموها مترادو ، ولست الحقيقة كذلك كما هو ظاهر من أس حليدين معه ومن اعترض الأستاذ وليم مارسية على هذا الرأي^(١) . والعاب أن حركة إسلام البربر كانت قد بدأت من زمن مبكر جداً ، إذ لا خلاف في أن برراً منهم أسلم والعرب يختلطون القيروان ، وأن الإقبال على الإسلام استمر من ذلك الحين ، ومصدق ذلك ما سنشأ به المراجع من إسلام الزعيم البربري كسيلة بعد ذلك نحو ثمان سنوات ، وقد سمقت الإشارة إلى أهمية حادث كهذا ودلالته ، فقد به : لا راع في أن كسيلة لم يسر بغيره وإنما تبعه

(١) A. Julien. pp 323-325. رجع الفصل التمهيدى الأول .

عز كبير من قومه من القدة ولأقرب والأصغر وستصح أهمية هذا الحادث بعد ذلك ثلاثين سنة فقط حين يحدد رجالا من البربر وأهل البلاد مسلمين على ثقة وتمسك من دينهم ، يسيرون مع العرب حفاً لجلب لفتح البلاد وشرعية الإسلام ، وكيف يفسر ظهور رجل كطارق بن زياد عري الاسم عري لأب في سنة ٥٩١ هـ ، إلا أن أنباء زياداً قد تزوج من أهل البلاد في مثل هذا الوقت الذي يتحدث فيه ؟ ، وإنما صرنا المثل لطارق لكي يؤكد أن حركة الاحتلاط بين العرب والبربر — بالرواج والإسلام — كانت تسير جنفاً إلى جنب مع الفتوح التي شعل الرواة بأخبارها (١) هـ .

هذا بدأت حركة الإسلام بين البربر من رمن منكر ، ثم كانت حملة عفنة الثانية ومعاصراته فيها واستشهاده في حربه ذات أثر بعيد في نفوس الأهلين ، يؤيد ذلك الروايات التي بين أيدينا عن هذه العروة ، فهي تصور هدا كما انطعمت في أدهم الأهلين : قصة طارئة حافلة بأعمال الشجاعة والإيمان والمجرات والكرامات والاستهانة بالموت ، وهذا التصور دليل باطلق على أن لأهلين كانوا يسطرون عمقة بالإعجاب ، وأهم طلوا على ذلك رماةً طويلا ، وإذا كان قد لاحظنا أن بعض القدامى لمصر عفة وأصبحه حين كانوا الأعداء ، فديهي أن يقال إن البلاد وحدث بها — من ذلك الحين — جمعات إسلامية ، أو تميل إلى المسلمين على الأعمال ، وأن يقال إن حركة الإسلام كانت سائرة سيراً حثيثاً بين الأهلين . هذا لا يكون إجمال أهل البلاد على الإسلام أيام حسان أسراً غير طبيعي أو ظاهرة يسعى انك في حقيقتها ، لأن المقدمات كلها تنتهي إليها ، فهؤلاء البربر اندرس أقتوا على الإسلام إقبالاً ضعيفاً من نحو ثلاثين سنة ، واستمروا على ذلك طوال السوات القصية ، فكان طبيعياً أن يشتد إقبالهم عليه حين يتم نصر العرب

(١) راجع من ١٧٥ — ١٧٦ من هذه الرسالة .

وحين يوقعون إلى القضاء على كل لون من المقاومة في البلاد وإذا كان العرب قد اعتبروا أهل المغرب أئدداً لهم وأشركوهم في حيوشهم وأعطوهم الأعطيات وسمحوا لهم بالاشتراك في المفاسم، فمن الطبيعي أن يقل على الإسلام من لم يكن قد أقبل عليه منهم بعد، فلم يعد الإسلام كسائر دِينٍ فقط وإنما مادياً يعود على من يعتقه بالخير الوفير . يقول ابن عذارى في حاتم أعمال موسى بن نصير في إفريقية ، أى بعد عودته إلى القيروان : « وفي هذا التاريخ ^(١) تم إسلام المغرب الأقصى ، وحولوا المساجد التي كانت بنتها المشركون إلى القبلة ، وحملوا المدرى في مساجد الجماعات ، وفيها صنع مسجداً أعانت هيلانة ^(٢) فإدا يريد ابن عذارى من قوله : « المغرب الأقصى ؟ » ولماذا لم يقل المغرب فقط ؟ أيريد أن أهل إفريقية والمغرب الأوسط كان قد تم إسلامهم قبل ذلك ولم يكن قد بقي إلا أهل المغرب الأقصى ؟ أم يريد أن يررر المغرب الأقصى فقط هم الذين تم إسلامهم وبقيت في بقية مواحي المغرب أحياء من الررر لم تسلم بعد ؟ فإما العرض الأول فلا يؤيده ما سقت الإشارة إليه من أن رعواطة — إحدى قناتل السوس — كانت من أول القناتل إسلاماً ، وأن أهل هذه المواحي أميلوا على الإسلام من زمن بعيد ، وأما العرض الثاني فلا يستقيم مع ما سبق ذكره من إسلام ربانة وصهاجة وهوارة ، وهي ثلاثة القناتل الكبرى التي تعمر المغرب الأوسط ، فلم يبق إذن إلا القول بأن ابن عذارى أراد المغرب كله بهذا القول . وربما جاز أن يفهم من قوله : إن هؤلاء الذين أسلموا في ذلك الحين : « حولوا المساجد التي كانت بنتها المشركون إلى القبلة ، وحملوا المدرى في مساجد الجماعات » ، أن معظمهم كان من الحضرة الذين يسكنون المدن التي فيها كنائس ، يمكن تحويلها إلى مساجد تتحول بها إلى القبلة وإقامة المنابر فيها ، فإدا صنع هذا

(١) يذكر ابن عذارى سنة ٨٥ هـ وهو خطأ وقد سبق بيان ذلك .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٢٨

التأويل ، كانت عبارة ابن عذارى على جانب عظيم من الأهمية ، لأنها تدل على أن طائفة البربر المحصرين — الذين كانوا متآثرين بالحصارة اللابسية واعتنق النصرانية منهم — بدأت تقبل على الإسلام ، وأن إسلامها كان صحيحاً بحيث اقتضى إقامة المساجد عندهم ، وقد يؤيد ذلك قول ابن عذارى قبل ذلك ، إن موسى ترك عند بربر طنجة . « مسعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم لقرآن » ويمرر ذلك الرأي أيضاً قول ابن عذارى : « وقد كان عقبة بن نافع الفهري ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن ولإسلامهم منهم شاكر وغيره ، ولم يدخل العرب الأقبس أحد من ولاية خنداء بنى أمية بالشرق إلا عقبة بن نافع الفهري ، ولم يعرف المصاعدة غيره ، وقيل إن أكثرهم أسلموا طوعاً على يديه ، ووصل موسى بن نصير بعده » (١)

فما يدل على أن شخصية عقبة كانت شديدة الأثر في أهل هذه المواضع ، وأن ذكره طلت علاقة بأذهانهم حتى أيام موسى بن نصير . وإذا كانت الوقائع لا تؤيد ابن عذارى فيما ذكره من إسلام أهل هذه المواضع من ذلك الحين ، فلا أمل من محارباته في القول بأن المصاعدة لم يعرفوها غير عقبة ، أي أنه كان الدافع الأول للإسلامهم .

بيد أنه ليس من الصواب أن يقال ، إن جميع هؤلاء البربر الذين أسلموا إنما فعلوا ذلك عن إيمان وثيق واقتناع بالدين الجديد ، لأنه إذا كان نصرهم قد أقبل على الدين مدفوعاً بهذا الشعور ، فلا نزاع في أن كثيرين أقبلوا عليه طمعاً في غنيمة أو فراراً من حيازة أو بدافع العداوة للروم أو خوفاً من العرب ، فقد قال المقرئ بعد أن سرد حروب موسى بن نصير « فقد رأى نية البربر نزل بهم استأمنوا » (٢)

أي أنهم حاولوا أن ينزل بهم موسى ما أنزل بعيرهم من القنابل من الحرب الشديدة والسبي وما إلى ذلك ، فتسارعوا إليه يعلنون إسلامهم حتى يأمنوا على أنفسهم

(١) نفس المصدر ، ١٠٤ ص ٢٨ (٢) المقرئ ، فتح القليب ، ١٠٤ ص ١١١

وعنى أموالهم ، وحتى يصح لهم الحق في ملكية ما سدهم من الأرض وحتى يتاح
هم لاشتراك في بعض من فتوح العرب وعنايتهم

والبيوت كثيرة على أن الخلفاء كانوا على نية الخير لإفريقية وأهلها ، فقد سقت
الإشارة إلى وصية سليمان بن عبد الملك لحمد بن يزيد وقوله له : « اتق الله وحده
لا شريك له ، وفيه وليتك بالحق والعدل ، وقد وليتك إفريقية والمغرب كله ^(١) » ،
مما يفهم منه أن سليمان كان يحرص الحرص كله على أن تحسن معاملة أهل إفريقية
ويتمدح بهم ، وقد لوحظت كذلك رغبة الخلفاء في إيراد إفريقية ولاية خاصة ،
وتجلبصها من سائر عمر مصر خوفاً من أن يستند هؤلاء بأهل البلاد ويستولمهم ، وقد
استمر الخلفاء على حرصهم هذا حوالى العصر الأموي ، ومن دلائل ذلك ما وقع بين موسى
بن صير وسليمان بن عبد الملك ، مما يؤول دائماً بأنه كان سخطاً من سليمان على موسى
لإسراعه بمعاملة من الأمويين حتى أدرك الوليد ، وسببه في الواقع أن سليمان لم يكن يرضى
عن سياسة موسى ، وسببه منه تعاطفه وتصرفه تصرف الملك المستند بأمره لا التعامل
ولي من قبل الخلافة ، وأحفظه إمرافه في عصفه من وطعهم وسبهم وتقسيمه
مواشي العرب والأندلس بين أسائه وذويه ، ومن دلائل ذلك أيضاً أن يزيد بن عبد الملك
! يسخط على أهل إفريقية لفتنهم عامه عليهم يزيد بن أبي مسلم ، وإنما أجبرهم بالرضا
وأمر محمد بن يزيد على عماله ^(٢) ، مما يفهم منه أنه هو الآخر كان سخطاً على يزيد لمساكته
في لئله لئله : « عزم أن يسير فيهم سيرة حجاج في أهل العراق الذين سكوا الأمصار
من كان أصله من لسواد من أهل الأندلس فأسب ما عراق ، فيه ردهم إلى قراهم ، ووضع
أحرية على رقابهم على نحو ما كانت تؤحد منهم وهم كفار ^(٣) » ، ومصدق ذلك أن
يزيد بن عبد الملك كتب إليهم يقول : « بني لم أرض عما صنع يزيد بن أبي مسلم ^(٤) » .

(١) ابن عسار ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٢ - ٣٣

(٢) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٨ (٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٣٨

(٤) نفس المصدر والصحة .

لهذا لا يسمى القول بأن مسعين أسدوا السيرة في إفريقية ، أو أن عرص
الحكم الإسلامي إنما كان عسفانبر روا الاستعداد بهم والقور منهم بالعثم والأسلاب .
وإنما الأصح أن يقال إن العيان أنفسهم هم الذين أسدوا السيرة ومدلوا إلى الاستعداد
بالناس إسرافاً منهم في إرضاء الخلد . بل أكثر من الهدايا والمعالجة فيما يرسل
إلى لدولة من المال كل عام ، وقد سقت الإشارة إلى ما كان من إسراف موسى
ومع لآله في ذلك حتى قال الناس : « إن نصير والله أحق » من أين له عشرين
آلة » ولأن عداري رواية تدل على ذلك صراحة ، وذلك حيث يقول في هذه
السيرة عدد الله من الخصباء في إفريقية . « وكان الخلد بالمشرق يستحبون طرائف
المعرب ويعشون فيها إلى عامل إفريقية ، فيعشون لهم البرقيات السيات ، وما
أفضى لأمر إلى أن الخصباء منهم بالكثير ، وتكلف لهم أو كلوه أكثر مما كان .
وصطر إلى اتعسف وسوء السيرة^(١) » ، في هذا القول إشارة صريحة إلى تكلف
عامل المعرب في هديه للخلد ، وإسرافه في ذلك ، ودليل على أنه كان قد عقد
الكرم يوم تولى على أن يبعث للخلد الهدايا الوفيرة بكثيرة في كل عام ، وبالإضافة
كذلك أن إشارة ابن عداري إلى رعة خبده في لطائف المعرب لا تدل على أنهم
لم يكونوا يريدون الكثير منها ، « وإنما كانوا يستحبون ما يقط^(٢) » ولذا الدليل على
أن الخلد لم يكونوا البرصوا من عماهم هذا الإسراف في إرسال الأموال والهدايا
وما بها ، وأنهم كانوا يتعففون في كثير من الأحيان عن أحد مفضل إهم من
إدانتهم أن العامل لم يعدل في قسمة أو أسرف في جمعه من أهل السداد ، فقد روى
ابن عبد الحكم أن سليمان بن عبد الملك حين وصلته هدايا موسى بن نصير أبعث
رجل من أصحاب موسى يقول له عيسى بن عبد الله لصوي من أهل المدينة ، وكان

(١) ابن عداري ، لسان المعرب ج ١ ، ص ٣٩

(٢) ابن عداري ، لسان المعرب ج ١ ، ص ٣٩

على العنتم فعل . « يا أمير المؤمنين إن الله قد أعانك باحلال عن الحرام ، وإني صاحب هذه العنتم ، وإن مومي لا يخرج حساً من جميع ما أدبته ، ومعضب سبيح وطم عن سريره فدخل مبرله ثم خرج إلى الناس فقال : نعم قد أعانني الله باحلال عن الحرام ، وأمر بدخول ذلك بيت المال ^(١) » .

وكان البربر أنفسهم يعرفون أن الخلافة تموت بهم الخير ، وأن ما قد يرسل بهم من العسف والخور إنما سبه العزل ، ولهذا لم يسخطوا على خلفاء وإنما على العمال ، ومن دلائل ذلك قول ابن الأثير : « وكانوا — أي أهل إفريقية — يقولون : لا تصف لأمة أي أحماء — أي نحى العمال ، فقالوا — أي الدعاة الذين كانوا يحرضون البربر على الفتنة — لم يمد يدهم هؤلاء بأسر أوشك ، فكانوا حتى يحرقهم » خرج مبصرة في خمسة وعشرين رجلاً ، قدموا على هشام فلم يؤذن لهم ، فدعوا على لأشرف فقالوا : أمير أمير المؤمنين أمير ما يفرونا ونحده ، وهذا عهدنا عليهم ولا يفسدوا قلوبهم . هذا شخص خذكم . فقضوا لم يحدهم في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فاحسب أن علم أعز رأي أمير المؤمنين هذا أم لا ؟ فدخل عليهم بقاء وعدت بقائهم ، فكتبوا أئمتهم ودفعوهم إلى ودرانه ، وقالوا : إن سنل عن أمير المؤمنين فاحرقوه ، ثم جمعوا إلى إفريقية ، وبيع آخر هشام سأل عن العفر يعرف أسمائهم يردد هم الذين صنعوا ذلك » مما يدل على أن أهل البلاد كانوا يشعرون أن ما يصيبهم من لأذى إنما كان عن رأي الأمراء لا الخلفاء ، وربما لاحظوا من هذه الرواية أنه حيل بينهم وبين الخليفة حتى لا تصل شكواهم إلى مسامعه ، وهو مرض محتمل الحدوث في هذه الأيام ، فلا بعد أن تكون نظافة الخليفة من نفس الحرب أو القسبة التي ينتمى إليها العمل الذي قبل البربر بشكونه ، فعملوا على أن لا يصل صوتهم إلى الخليفة . وربما يندم قول ابن الأثير : « إن الخليفة سأل عن وفد

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١١

أثر فتح
الأندلس في
إسلام أهل
العرب

البربر بعد انصرافه مما يدل على أنه كان يريد مقاومته والتعرف على شكواه
بيد أن حركة فتح الأندلس كانت عطية الأثر في إفريقية ، فقد كان النصر
السرع الذي حازه الفاتحون الأول حافزاً لم تحف من البربر المسلمين إلى عبور البحر
والاشتراك في الحرب والمساهمة في العمران ، ثم دافعاً لمن كان قد بقي على دينه
إلى لدخول في الإسلام حتى يتاح له الالتحاق بمجد المسلمين ، ومن ثم كان فتح
الأندلس معجلاً بإسلام البربر عن رغب سوء سياسة أمراء إفريقية وعدم حفاطهم
بشر الإسلام بينهم ، وسواء أكان إسلام هؤلاء الدين اشتراكاً في الفتح عن عقيدة
أو لمطامع أخرى ، فإن عبية الروح الذي على الفتح ، واحتلاط جند البربر بالعرب
المسلمين قد أدى إلى سبب إسلام البربر وظهرهم على أمة العربية ، وقد كان
العرب قد أخذوا يغدون بكثرة إلى الأندلس للحرب والإقامة ، فكثر ضرورهم
في إفريقية واحتلاطهم بالبربر ومصاحبتهم لهم ، ومن ثم أتاحت للبربر الفرصة
يتمتعوا أصول الإسلام عن العرب ، وهذا أصعب إلى ذلك أن كثيراً من مهاجري
العرب إلى الأندلس كانوا من أعرق القبائل العربية وأعرفها بالدين واللغة ،
وأن حصومة نصرية والقبسية كانت تحمل إلى الأندلس كل يوم نراً من أهل
المدينة وعرب الشام ، ممن يعرفون الإسلام والعربية حق المعرفة ، لأمكن تصور
الأثر الكبير الذي أحدثه فتح أسبانيا في إفريقية ، ذلك أن المغرب كان الطريق
الذي يسلكه هؤلاء كلهم في سبيلهم إلى الأندلس ، فكثر ضرورهم بين القبائل
البربرية ، وورثا تحف فيها ففرسهم وأقام بين البربر رجاء أن يعتز بفرسهم
أو يكسبهم إلى حاسه ، فأخذت القبائل عهدهم الدين واللغة مما كان له أبعاد الأثر
في الإسراع هذه البلاد نحو الإسلام والعربية .

وكانت مصارعات الأحرار على أشدها طوال العصر الأموي ، وعصفت
رجال الدولة ثارات العصبية ، فكثر الاصطهاد وتعددت الحصومات ، وكان

الأمويين طائفة عظيمة من الأعداء السيئين لا يكفون عن الشعب ولا تكف
 الأمويون عن تعذيبهم بالأذى ، مكثروا رهؤلاء من الدلاد وانتماسهم الأمن في ناحية
 حينه عن مركز الدولة ، وكان العرب من المواحي التي كثر لتمس هؤلاء المارين
 للأمن فيها لا ساعه ، ونشعب مسالكها وكثرة قننه ، وكان الكثير من هذه
 القنائل سطوى على السخط على المل لم يعصبها من الأذى على أيديهم ، فكانت
 ترحب هؤلاء الملاحين لأنهم وإياها على هوى واحد ، ولهذا كثر ومودهم
 على المغرب والنحوهم إلى قنائه ، وهذا صغر مدوم من رواية ابن الأثير التي مسق
 ذكرها ، فيها تحريض من هؤلاء المارين من العرب للبرر على الثورة والعصيان ،
 هذا قال البربر بن سبب الشرهم الأمراء لا الخلفاء قالوا لهم : « إنا بعمل هؤلاء
 بأمر أولئك » .

وسدوم وقع بعد ذلك من الأحداث أن هؤلاء المحرضين لم يكونوا قبائيل ،
 وإنما جعلت الدلاد من غيرهم ، بل بلغ من كثرتهم أنهم استطعوا أن يؤثرو
 في كثير من هذه القنائل ويدفعوها إلى الثورة على الأمويين ، وبدوا هؤلاء
 المحرضين كانوا لا يدحرون وسعاً لإدراك هذه العاية ، وأنهم كانوا
 يسلكون كل سبيل يمكن أن يؤدي إلى ثورة البربر على الخلافة ، ومن ذلك
 أنهم أخذوا يتحصبون إلى البربر بامتداحهم ، واحتلاق الأحداث النبوية التي تعظم
 بريرة وقد المجاهدين من أهلها أحزل الثواب ، ومن هذا الأعرية في أن يجد
 في كتب التاريخ المغربي طائفة عظيمة من الأحاديث النبوية عن الدلاد وبعض واحي
 كاستير ورادس^(١) وغيرها ، وربما كان هذا هو السبب في انتساب بعض قبائل
 البربر الكبرى كصنهاجة وكثامة إلى العرب ، إذ لا بعد أن يكون الدعاة قد احتلقوا

(١) بعد استير لاسي الأصل ولا زال داقاً إلى يوم في لفظة Monastère مرسية ، وقد
 من كان أصله من مطرس ، وهناك حاتم أخرى من الأحاديث قدم إيرانية وأهلها ، يرجع
 إليها في الأخرى مظهر من مظهر الطلاق الحربي .

الأسباب العربية لتلك القتل ، حتى يوحّدوا بين أنفسهم وبين ترويض
يتكلم من الرعاة عليهم ويمكن لهم في عمومهم ، وأن على ذلك الشبه الشديد بين
الشعير في الطبيعة والصروف الاخيرة .

من هذا ما يسمى في تاريخ العرب بحركات الشيعة والحرجية ، إذ أن
المعروف أن كثيراً من أعداء الأمويين كانوا من هذين الفريقين ، وإن كثيراً
منهم عرفوا العرب حيث صادت دعائهم سرعى حصصاً بين القتل البرية ،
وطداً كان ظهور حركات الحرجية والصدرية سريعاً في العرب ، إذ بدلت
بيران الثورة الحرجية في ولاية عبيد الله بن الحجاج في سنة ١٢٢ هـ . فاداه :
« مسرة السوء » ثم ندعى وكان حارحياً صريحاً^(١) ، وهي ثورة لا تخرج إلى دليل
للإسبات بد هؤلاء الدعاة من الشيعة والخوارج فيه

أصل حركات
الحارجية في
العرب

سند من هذه العوامل كلها كانت عصية الأثر في نشر الإسلام بين أهل
اسلام ، فهؤلاء الدعاة الذين اشتركوا بين القتل كانوا يعملون على نشر الإسلام بينهم ،
وإن كان وجودهم بين هذه القتل حافواً على عملهم البرية ومحاولة معرفتها حتى
تستطيع التعرف على ما يدعون به ، وأن على ذلك سحق الحسين — القتل
والدعاة على عمل الأمويين ، فقبل البرية على هؤلاء الدعاة ونفقوا حولهم
وأودهم العرب العريير . وصح إسلام الكثيرين منهم ولكن هذا السبيل

هذا سار إسلام البرية سيراً حثيثاً من غير أن يكون للحدث أو الأمراء أثر
صريح في ذلك ، بل لو كان إسلام البرية قد توقف على سياسة هؤلاء ، وانهم أولئك ،
ما تقدم على المحاولات سرية به ، لأن كثرة المشغل وتعدد الثورات والعنات حالت
بين الحفاء وبين الاهتمام بحجة دقيقه كهذه ، وحملت يد الأمراء مطقة ، فساقوا

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٢٠

أهل العرب سوقاً عبيداً ، وانصرفوا كل الانصراف عن الاهتمام بسلامتهم ، بل مهم من كان يرى أن هذا الإسلام لا يتفق وصالح الدولة ، فأخذ يعرض الجزية على من أسلم من الأهلين ، وهو أعلم الناس بأن سياسة كهذه من شأنها أن تفرم من الإسلام والعرب جملة .

فإذا كانت هذه هي سبيل التمرير إلى الإسلام ، فطبيعى أن يكون إسلام الكثيرين منهم حتى ذلك الوقت - خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩ هـ - سطحيّاً لا يقوم على أساس صحيح من العلم بالدين وقواعد الإسلام .

وبالتولى عمر بن عبد العزيز برسمه لذلك وأحسن خطره . وكانت لعمري سياسة إسلامية تمحو إلى نشر الإسلام وإدخال رعيته كلهم في رحاه ، ويدو أن سياسة سبعة سنين في إمرة بقية لم تنق عمده القول ، فعزل وليه محمد بن يزيد القرشي وولى على إمرة بقية والياً من لدنه ، يثق به ويعلم أن إلى اهتمامه بسلام أهل البلاد وهو اسمعيل بن عبيد الله مولاة : « في المحرم سنة ١٠٠ هـ على حربها وحراجها وصدقاتها »^(١)

تنفق امرأته على أن اسمعيل بن عبيد الله : « دعاء من بقي من البربر إلى دين الإسلام »^(٢) وأنه : « كان خير أمير وخير وال ، ومارال حربص على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإمرة بقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي علم أهل إمرة بقية الحلال والحرام »^(٣) وأنه : « لم يرل حربصاً على دعاء البربر للإسلام حتى تم ديبهم على يده »^(٤) .

(١) ابن عبد الحكم ، دوح ، ص ٢١٣ (٢) التويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٨٣ أ

(٣) ابن عسار ، البيان لمعرب ، ج ١ ، ص ٣٤ (٤) السلاوى ، الاستقصا ، ص ١٦

أوصى عمر واليه على إفريقية بأن يبذل كل ما يملك من جهد في سبيل إسلام
البربر، ويدعون إسماعيل معه كان على إسلام وثيق وإيمان ثابت، إذ يصعب
الدماغ بأنه. «كان فيها صلحاً فاصلاً راجداً»^(١)، وقال ابن الناحي:
«قال ممن التوحى ما رأيت في هذه الأمة غير اثنين: محمد بن عبد العزيز وإسماعيل
ابن عبد الله المحرومي، ومع من ردهم أنه كان إذا أقبل من الغزو في الصبغة افتش
درعه فنام عليها، وكان هو وأهله وفرسه في بيت واحد ردها معه في الدنيا
وتوحد»^(٢)، فكان خير من يهد إليه مثل هذه المهمة، وكان عمر قد بعث معه
«عشرة من التابعين أهل علم وفصل، ومعه عبد الرحمن بن نافع وسعيد بن مسعود
التجيني وغيرهما»^(٣).

وكتب أن هؤلاء الناس من أشد بين البربر وحدثوا بعلومهم أصول الدين
ومعروهم بقواعده وأشرافه، ويدعون أهل إفريقية كانوا على جهل تام بتلك
القواعد والأصول، لأن ابن عديري يقول: «وكانت الحر بفرقية حلالاً حتى
وصل هؤلاء أتاهم مسوا تحريمهم صلى الله عليه»^(٤)، ولم يفصل لنا مؤرخو
الغرب أعمالهم على الرغم من عنايتهم بتتبع أحوالهم، ولا السبل التي سلكوها في
تحويل الأهليين إلى الإسلام، وإنما العال الذي تمكن استتجابه من توارثهم
أن معصية أدم باقبروا حيث اتفقوا مساحد يعمون فيها الإسلام، ويدعون
أن الأهليين كانوا يعدون على هدد المساجد فيستمعون إلى هذه الدروس التي
كانت تلقى بها. ومن لمساجد التي بنيت على يد هؤلاء التابعين: مسجد «لرباطي»
بناه أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الماعري الأبرقي، و«جامع الزيتونة»
بناه إسماعيل بن عبيد الله المعروف بـ حر الله^(٥)، وقد أخذ عن هؤلاء التابعين

(١) المدح، مقام الأديب، ج ١، ص ١٥١ (٢) من المصدر وصدقة.

(٣) ابن عديري، بيان العرب، ج ١، ص ٣٤ (٤) نفس المرجع والصدقة.

(٥) الديباغ، معالم الأيمان، ج ١، ص ١٢٨ و ١٢٩

عز طيب من أهل إفريقية . ذكر المالكي منهم : سودة احراني وعبد الرحمن سياد
(أحد عن اسماعيل بن عبيد الأنصاري^(١)) ، بل يدو أن هؤلاء التابعين كانوا
على درجة واهية من العلم ، بحيث انتشر صيتهم ووقد الناس من سقى الوحي للأحد
عهم ، فقد روى المالكي أن : « عمران بن عوف الدفقي من أهل مصر أحد
العلم عن اسماعيل بن عبيد^(٢) » .

وكان هؤلاء المتعلمون من أهل المغرب يقصرون بعض اوقت في دراسة
في القيروان ، ثم يعودون إلى منازلهم وحيثهم فيولون وطائف الدين والقضاء ، ويهتدون
الناس أصول الإسلام ، فقد جاء في سيرة أسد بن امرات بن صباب أن أباه : « قدم
إفريقية وأمه حامل به ، فولد أسد بن سنة ١٤٥ هـ ، وقرأ على علي بن زياد ولزمه
وانتفع به وتعلم منه وتفق عليه ، ثم تصدى أحد ذلك صناعة النماذج فأقرأ القرآن
في بعض قرى بجزيرة^(٣) » .

ويدو أن العرب الذين رملوا إفريقية يد ذلك حرصوا على أن يتحدوا لأئمتهم
المعاهد الصغيرة الملحقة بالمساجد ، يدرسون فيها القرآن والحديث والدين والفتنة ،
فوقد عليها من أهل إفريقية يتعلمون العلم ، فقد قال الأستاذ حسن حسني
عند الوهاب : « إسمع عندما أبا حوا بمسكركم وحطوا » فيروا بهم « أول ما أشوا للدور
والمساجد ، ثم التفتوا إلى تعليم صبيهم ، فاجتهدواهم محلا — كت — سبيل الداء .
يجمعون فيه لقراءة كتاب الله المرر^(٤) » ، ويدو أن هذه الكتب قد انتجت
مدد من مسكر حذا ، أي من أول إنشاء القيروان ، لأن الداع يقول : « حكى عيث
ابن أبي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعر علينا ونحن علمة بالقيروان ، فيسلم عيث في الكتابات وعليه عمدة قد أرحاه من

(١) المالكي ، رياض النور ، ص ١٩ (٢) من لمع والصفحة . (٣) الأستاذ
حسن حسني عند الوهاب في دليل : « أدب النصارى » ، صفحة ٤ (٤) من صدر ، ص ١٨

حلله^(١) . وهذا عهد من سفيان بن وهب هذا دخل إفريقية سنة ٧٨ هـ^(٢) ، حرماً
أن الكتائب كانت قائمة قبل ذلك التاريخ بالقيروان .

بهذا كله اشتر الإسلام في المغرب وعم قائله ، وليس من المعقول طعناً
أن يكون البربر كلهم قد أسلموا على يد إسماعيل بن عبيد الله — كما تقول المراجع —
وبما لاحظنا في القول أن معظم البربر كان قد أسلم حتى ذلك الحين ، بل لامتداحة
في القول أن المغرب الإسلامي يسدأ إذ ذاك ، وإذا كانت قد بقيت في البلاد
فنية لم تدخل في الإسلام بعد ، فستدخله على مرة الأعوام

وإذا كان انتشار العربية قد تاجر في قطر كصر لأن أهله كانت لهم لغتهم
الواحدة التي يتكلمون بها جميعاً ويكتبها بعضهم ، فإن أهل المغرب كانوا
في حاجة إلى لغة يتدعمون بها كلهم ، وطريقة يكتبون بها ما يريدون كتابته ،
وما كانت العربية هي لغة الإسلام والقرآن فقد بدأوا يقبضون عليها ويتعمقونها ،
ويبدو أن إسماعيل هذا كان عطياً واسع المدى ، لأن كثيرين منهم لم يلبثوا
أن انهموا إلى المشرق للاستزادة من العلم والتثقف من اللغة ، فلم تلبث العربية
أن انتشرت بينهم ، ولم يلبث أن ظهر فيهم — خلال القرن الثاني — فئات
تكتب العربية وتؤلف بها ، وقد أعان على ذلك دعاة العرب الذين سردهم
والكتائب التي أنشأها المسلمون ، وساعد على ذلك أيضاً أن البربر كانوا في حاجة
إلى لغة يتدعمون بها جميعهم ويكتبون بها ، فكان إقبالهم على التعلم عظيماً ، بل
لم تلبث القيروان أن أصبحت مركزاً من مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي
وسع من بين أهل البلاد أعلام لهم مقامهم في العلم والدين واللغة مثل
سبحون بن سعيد صاحب المدونة المعروفة

(١) الذباج ، معالم الأيمان ، ج ١ ، ص ١٣٠

(٢) الأستاذ حسن حتى عبد الوهاب ، أدب الصقلي ، ص ١٩

بهذا اكتسبت للمغرب الأسباب بصلاح بلاداً إسلامية صرفة يحكمها « مل
 تخليفه المسلمين ، ويدرس أمهم بالإسلام ، ويتحدثون العربية لغة » من لآل فصاعداً
 دخل في الإسلام كل من كان ذا علم من أهل مغرب ، وكل من أحس بالحاجة الماسة
 إلى لغة مكتوبة أو إلى أدب ، كل هؤلاء دخلوا الإسلام حملة دون تحفظ ، وذلك
 حدث عظيم ، فعنه تطور المغرب جميعه ^(١) ، كما يقول حوسبي ، وسواء أكان
 السبب الأكر في ذلك هو سيطرة العقيدة الإسلامية ^(٢) أو لم يكن ، فإن المغرب
 القديم احتق بأذيته ومذاهبه المختلفة ، وحصراته الواهمة ، وحل محله المغرب
 الإسلامي : أمة واحدة ذات دين واحد وسمعة واحدة وحضارة واحدة ووجهة
 واحدة ، وبدأ هذا القطر المسعد بأحد صرحه ليلعب دوره العجيد في تاريخ الإسلام
 والحصارة العلمية ، وكان فتحوه من المغرب قد مهدوا له الطريق لذلك ، فهدوا له
 الساحل ، وأشأوا عليه توسع الميسر الإسلامي الجديد ، الذي نال منه أهل
 المغرب على البحر الأبيض ، ينموا دورهم الخطير فيه ، وفتحوا له أبواب إسبانيا
 « بسط أمامهم ميدان جديد للفتح والعمل والحياة ، إذ كان الأندلس ميدياً
 فسيحاً أظهر الدرر ، يسلمون فيه كمدية وقدرة ما كانت تظهرها لولا الفتح العربي وكان
 المغرب القرطاجي أو الرومي لا يمدو الساحل ، فشمس للمغرب الإسلامي شمس هريقية كاه
 وامتدحت أدرك ذرعة ، وصوبح واحات الصحراء القاصية عند درودات وغيرها ،
 عدأت الحياة تنفس في هذه الواحي التي ظلت حتى الساعة شيئاً مهملاً في حب
 الحصار والتاريخ ، وبدأت في ظل الإسلام تأخذ سبيها إلى الحياة لسياسية والعقنية ،
 وأخذ أهل هذه الواحي ينتظمون دولاً قوية ذات حضارة تقوم بأدوار ذات
 حطر في التاريخ ، وتسام نصيب مشكور في ساء صرح الحضارة البشرية .

Gautier, op. cit. p. 257. (١)

P quet, op. cit. p. 60. (٢)

ذيل عن

مصادر هذا البحث

(١) مصادر عربية .

(ب) مصادر إفريقية

(ح) شعوث ومقالات

١ - المصادر العربية

مشرقية :

١ ١ ابن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧ هـ) « موج مصر ولعرب والألسن » كتب عبد الرحمن بن عبد الحكم كتابه هذا في الصف الأول من القرن الثالث الهجري ، فهو بذلك أقدم من وصلت إليه كتاباته عن فتح العرب ، وتقسيم كتابه إلى على أنه على فتح العرب أسكالا لتاريخ فتح مصر . ولهذا لم يختص إلا بصفحات لا تكاد تعدل نصف ما كتبه عن أحوار مصر قبل امتنع العرب ، أو ربع ما أورده عن قصاتها .

يبدأ أن أحواره رغم إيجازها — دبقه على جانب عظيم من الأهمية ، وسبق روايته وإساده بآل على أنه استقى أحواره من رواة شرقيين ومصريين . وربما كان هؤلاء الأجداد من طلبة العلم الذين كانوا يقدون من إفريقية إلى مصر ليدرسوا على عملائها في ذلك الحين ، ولهذا نجد في روايته إشارات شديدة الدلالة على أنه استعاضا من أهل البلاد أنفسهم ، كبشارته إلى إبراهيم بن شروان الأووي الذي شارك في حملة حسان ، وقوله « وكان مع حسان جماعة يقال لهم التر » ثم قوله .

« إن حرص يزيد بن أبي مسلم كانوا من أئمة — من سيرة خاصة بس فيه ربي »
 وغير ذلك من الإشارات التي لا تصدر إلا عن عبد دقيق بلاد المغرب ونظام أهله .
 ورواية ابن عبد الحكم لفتح إفريقية كاملة ، بدأها من محاولات لأولى
 في سطرلس وطرابلس واسهي في سنة ثمان مائة لمصر الأموي تقريباً ، ولم تكسب
 في كثير من الأحيان روايه واحدة سحر الواحد ، بل ورد رويت في مختصر
 ولا راع في أن كسبه كان مرجعاً حصاً استنبى منه معظم الناس . ولو شريح فتح
 المغرب بعده ، وبالأخص هذا بوضوح في قوله للمكرى وابن الأثير والشيخ ،
 رعا نقل بعضهم عنه رأيا كما في مكرى في مسامت عدة .

وأخبار ابن عبد الحكم حايه من لماعات الى بعض في كسبه عنه ، وورد
 مصارت على جانب نسيم من الأئمة لأنها شايه لا تفاق مع منطق الخواص ،
 ولأنها — في كثير من الأحيان — تفسر الأحداث بغير حكمة معقولة ، و
 ذلك بشرته في سبع كسبه (أن الكاهن) عفة وورد عنه في صريفة ما
 الرئي لعاش أن كسبه در مصر عفة . وحدث الخواص من سطرلس الى سق
 لطيف مفهوم ، وبعد لا مملكة في القول أن كسبه فهم ما بين أئمة عن هذا
 الفتح ، خصوصاً وقد كان لرحل سحرى مدقة في حل من لأحر ، ومن دلائل
 ذلك شكة في عفة عنه في الزير ودوره في الفتح ، وقد كسبه على ذلك أنه كان على
 علم دقيق ، أخبار مصر ، وكاتب مصر في سنة خين مرجع إفريقية ، وبعد ورد
 في كسبه عبارات لها أهميتها كذكره ما قبله مسله عن ديار أبي الماهر حين ولاه
 إفريقية مكان عفة مك أنق شعاع من العوا على جباهه الأخير . وروايته الحديث
 ابن حسن بن العيون وعدد لغير من مروى ، وهي رواية عفة مد الخواص دقيق
 منهم ، وكذلك ذكره رئي لئاس في أحمد موسى وغير ذلك كثير لا يحسنه
 لإثباته بالشواهد والبيات .

وأخطأ ابن عبد الحكم قبله إذا عيسى رعيه ، وكثيره في تحفة لتورخ ،
 وهذا خطأ شائع بشرطه مع غيره من المؤرخين ، كقوله إن « معاوية بن حديج
 عرا إفريقية ثلاث مرات في سنوات ٣٤ و ٤٠ و ٥٥ » وغير ذلك ، وقد عمل روايته

من بعض النسخ كتحصيل ثلث غنم في الصحراء وقصة ماء العرس واحتطاط
القيروان وغير ذلك .

وقد نشر شارل بوي Torrey النص الكامل لروايته سنة ١٩٣٠ م في مطبعة
جامعة بيل ، وترجم دي سيدن الحمر الحماص مفتاح إفريقيا حتى عروة عقبة الكبرى
وشبه كذيل لدرجته تاريخ البربر لاس خلدون .

٢ - السيلادري . (بوقية ٣٦٠ هـ) « فتوح البلدان » : كتب السيلادري
أخباره عن فتوح إفريقيا حول تاريخ مدى دور فيه من عند الحكم أحباره ،
وجده كاتب لأخباره فيمنها لأنها من قدم موصل إليه .

وأخبار السيلادري مقتضاه اقتضاه يجعل القادة منها فقيهه ، وربما كان هذا الإخبار
شديد هو الذي رأى أخباره عن الخطأ ، إذ لاحظ أن الفقرات التي أورد فيها
بعض التفاصيل حافلة بالأحماض ، وقد روى معظم أخباره عن الواقدي وهذا سبب
من أسباب أهميتها . إنها تكاد تكون القصة السابقة لموتوق فيها من معاري إفريقيا
التي كتبه الواقدي . بدأ السيلادري روايته مفصلاً بعض التفاصيل وسكن تفاصيله
ليس في أخباره مفتوح وإنما في بعض في الشرق كما أورد لما رأى الذين من
التابعين في ربه ، وكما أورد أخطاب الذي عنه عمرو بن عمرو الخفاف سنة ٨٣٢ هـ
وعبر ذلك ، وليس في أخباره من حداثته ولكنها موبوق فيها ، وربما
ورثت منها المحدث داب ثمه كجديد عقوبة مكان موقعة سدطه وتما كيدته أن عبد الله
ابن سعد عده . « ولم يول على إفريقيا أحد » ولكن بها يومئذ وان ولا مصر
ولا جامع » وهي رواية ألفت بعض النسخ على معنى من فروع . وقد ذكر السيلادري
بعض صحابة والتابعين ممن صاحبوا عبد الله بن سعد في عرواته ، فورد بينهم ذكر
أبي سوار بن محرم بن وائل بن هذيل بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . فكان ذكره
لمجد الرحمن بنه الكامل مما على تعرفي شخصية الزهري الذي نسب إليه الوري
طائفة كبيرة من أخباره ، وبولا هذه الإشارة العارضة ظلت شخصية هذا المحدث —
الذي عثر مصدره الكثير كما تدين من أخبار إفريقية — حافلة بما أن حول ذي سليمان
كشها من غير توفيق .

وقد أورد السيلادري قصة عبد الله بن زبير ودوره في الفتح منقصة اقتضاه

شديداً ، وأسدها إلى عدد قس الرزير عه ، فأعطاه بذلك مفتاح هذه الأسطورة
التي شملت حاساً عظيماً من اهتمام مؤرخي العرب ، وأثبت بالبرهان القاطع أنها مكتوبة
لا أساس لها من الصحة .

وما يلي ذلك من أحبار الفتح التي رواها سلاوى كثيرة الخطأ بحيث لا يؤمن
التحويل عنها ، كقوله : « إن معاوية بن حديج ولي عقبة بن باع إفريقية » وقوله
في أحبار حملة عقبة الكبرى إنه : « حو في هاشك لا يعرض له أحد ولا يقاتله فاصرف »
تبادل على أن أحبار إفريقية انقضت عنه وإلا فلم تكن لتعيب عنه أحبار مقل عقبة
في هودة ، وهي أحبار متواردة معروفة بعد من لهم أهل العلم بشؤون العرب ،
وربما كان سبب ذلك أن السلاوى كان يعتمد على مراجع شرقية فسله العلم بإفريقية ،
إذ أنه علاوة على ذلك ، غلط خطأ شديداً في أحبار ما في حملة عقبة ، فيذكر : « لا
أحبار ولاية كنثوم بن عباس وولاية محمد بن الأنثيث قبل أخمار موسى بن نصير .

٣ — المقبول (المتوفى سنة ٢٨٢ هـ) محمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب :
« ربح المعوى » و « كتاب المدن »

٤ — الطبرى (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ) « ربح الأمم و » « ربح العرب »
وأحبار من عدة أطرى إلا حاساً بـ آحبار ، فلم ترد فيه إلا شذرت بسيرة لاحتو
« منها من خطأ » ومثل ذلك قوله « إن معاوية بن حديج كان من عمال حمر
« مؤنة بن أنى سمان » و « عسار » عقبة بن دفع عملاء مؤنة بن حديج على إفريقية ،
وما كان الطبرى هو المراجع لأور معظم مؤرخى الشرق فقد نقل كثير من
هذه الأخطاء ، ومجدها متواردة عند الكثيرين منهم حيث علم من الوقوع فيها
إلا من راجع أحبار على مؤرخين معربين كابن الأثير ، وقد اشتهر الطبرى في الحكم
على عبدالله بن سعد فكان ذلك سبباً في تحمل الكثيرين من مؤرخين عقبه وندبهم
من شأنه

وعلى أى الأحوال وأحبار العرب الواردة في الطبرى تصور ب موقع أهل
الشرق من الغرب وخطه من عنايتهم .

٥ — الكندى (توفى سنة ٣٥٠ هـ) « كتاب دولة » : أورد الكندى
في أحبار قصة مصر وولاتها أحباراً طريقة عن محاولات سببى لأولى في إفريقية ،

خصوصاً ما يصل منه فتح رفقة وطرابلس ، إذ الغالب أن سكنى كان رى
 أن هاتين ولايتين كانتا مائتين مصر في أول الأمر فذكر أحبارهما مدحه بأحبارهما ،
 إذ لا تتم أعمال ولى مصر إلا إذا ذكرت جهوده في إفرقة ، ولهذا أحصى أعمال
 عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد ومعاوية بن حديج ، وأورد تفصيلات على حسب
 عظيم من الأهمية كمحاولات عمرو في إفرقة في ولايته الثانية ، وقد ورد في سابق
 ذلك أطراف من المفاوضات بين سكان البلاد وأما تخلي العرب ، كشفت ناعن موقف
 العرب من هذه البلاد ، وحسن أهلها من الدخلة الشرعة في سواها فتح الأولى

وقد أخذ الكندي عن مصر من أقوال روائية لأولى كفى من قديم وعيد له
 ابن سعد بن عمر بن الخطاب ، وهذا كانت لأحبارهم ، ولا سبل إلى استكمال
 أحبار فوج إفرقية بلا اطلاع على ما ورد هذا مكتب من أحبارهم .

وقد طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٨ م ضمن مجموعة

Gibb - Memorial Series

٦ - الكرى - (موى سنة ١٤٩٠ هـ) م يقرب من كتب « لم يدون له »
 مسكرى غير هذا الجزء السمر عن إفرقية ، وجزء آخر أصغر منه - وأول جملة -
 عن مصر . وقد كتب المسكرى كنه في السواك العشر لأولى من ليعب نأى
 من القرن الخامس لبحرى ، أى بعد وفاة إبراهيم بن أبي لريقق بسواك الثلاث .
 فلم تكن يرجع إلى اعتماد عليها هذا الأخير قد بدرت وحسب معده ، فمحتاج
 أن يرجع المسكرى نفسه إلى إراجع الأولى وبأحد عه ، ولهذا يحده بسند حسن
 أحبارهم إلى الألب بن سعد ومهمة بن عبد الملك وابن لهيعة . وم مكتب المسكرى
 كتابه هذ وصفاً راجعاً قام بها أو مشاهدات صاحب عيه ، وإعنا جمع هذه معلومات
 الواقعة على وقع حث تصرفه من وثائق والمؤلفات والبيانات الرسمية التي
 عثر عليها في لأندس ، ولهذا جاء وصفه لإفرقية وفقاً دقيقاً عظم بمأدته على إرجع
 من أنه لم يزرها قط .

حرص المسكرى على أن يذكر بين الحين والحين ما يتعلق به من معلومات
 التاريخية التي تتصل بالمكان الذي وضعه ، ويصعب أن يسد معلوماته هذه تارة إلى محمد بن
 يوسف الوراق المؤرخ العربى أو إلى الألب بن سعد المحدث لمصرى ، فاما الأحبار

التي أسندها إلى الذي تنكاد تتفق حرفاً بحرف مع ما روي عن عبد الحكم مسنداً
إلى هذا المحدث ، مما يدل على أن الرجل اطلع على المراجع الأولى التي اصنع عليها
ابن عبد الحكم نفسه ، وأما الأحبار التي ينسب إلى الوراق (٢٩٢ - ٣٦٣ هـ) التي
يعتبر تاريخي فمن صاحب عظيم من الأهمية لأن كتب الوراق - الذي لا يوجد
الآن - كان مرجعاً من أوثق وأخصب ما كتب عن العرب .

وأشارت السكري التاريخية التي تتصل بفتح الأور قبلة لأن هتيمه كان مصدرها
إلى ذكر أخبار السلطان الذي يصعد في أمه أوقها عييل ، ولهذا عند أخبار الفتح
شذرات متفرقة لا أثر عليها القريه إلا عهد جهد ، وربما أخطأ السكري في رواية
بعضها كقوله : « شربان بن سحيم المرادي » وصحته شريك بن سمي ، وقوله
« ابن عتبة بن نافع » إلى تيروان بعد أن ثم ابنه الصحرأوى « مع أنه قد
إلى رقة لا إلى القيروان التي يمكن قد احطت به .

وقد ورد السكري تحت عنوان : « ذكر إفريقية والأندلس وه سبب إفريقية »
معلومات طريفة ، تخص فيها رأي الإسلاميين في أصل اسم إفريقية وحدودها التي
كان متعارف عليها في زمانه وأورد عرقاً من الأحاديث السنية وحديثاً من أخبار القيروان
ومسجده ، ويبدو أن جزءاً من هذا الوصف سقط لأن مؤلفه يشير بعد ذلك
إلى أشياء ذكرها في الكلام على القيروان بعد أن أعياها في الوصف أعدها .

وقد نشر هذا الجزء دي سلين بين سنتي ١٨٥٧ و ١٨٥٨ م بعنوان
Description de l'Afrique Septentrionale
ثم عدت في نسخة سنة ١٩١١ م في الجزائر وقد به مقدمه عن السكري
ومؤلفاته .

٧ - ديوب شهاب الدين أبو عبد الله الخوي (توفي سنة ٦٢٦ هـ)
« معجم البلدان » طبع في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

اعتمد ديوب في بعض ما أورده من وصف نواحي إفريقية وأعلامها
على السكري وروي بعضه الآخر عن رواة آخرين كأنه عبد الله القضاة ، ويبدو
أن أمثال هؤلاء الرواة كانوا ممن استوطنوا إفريقية ولهذا جاءت أخبارهم طريفة
تصم أخباراً لا تخلو من أهمية وقد اعتمد على الطبري في بعض ما كتب .

وقد صحت بقوت أكثر ما ورد من الأعلام الجفرية فأما ذلك على صحة
مراعاتها ، ومن هاهنا الاعتماد على الصورة التي وردت فيه ، وقد حاول أن يعرف
أصل لغت إفريقيا فأورد في ذلك رأياً جديداً يختلف عن كل ما أورد سكري ،
وروى لتدعيم رأيه شعراً لا يراع في أنه مصنوع وقد حقق ، فثبت معتمداً لما كان
العربية الهامة ولم يفته إلا القليل منها .

✓ ٨ - ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) « الكامل في التاريخ » كتب
عن الدين بن الأثير تاريخ مصر وإفريقية في أوائل القرن سابع الهجري مرسوماً في
أحد أن كتب ابن عبد الحكيم والملاذري خمسة قرون ، وبعد أن أصبحت إفريقيا
بلاداً إسلامية صرفة تحدث أهلها عربية ويؤمنون في تاريخ بلادهم . فإذا كان
ابن عبد الحكيم والملاذري قد اعتمدا على رواية العرب وحدهم فقد كان ابن الأثير
في عني عن ذلك - دغ في أمته من المعلومات إفريقية وما يور على سمعه من
أخبارها وما ذكره له من أصله من أهلها وما وقع به من مؤلفاتهم ، فله
كتاباه أو فروعاً وفصلاً وأكثر دقة مما جتمع به من وسائل التثبت تعدد روايات ،
ولا يراع في أن ابن الأثير قد وقف على بعض مؤلفات من تاريخ إفريقية ، فقد ذكر
صراحة أنه يعتمد على ما كتب العربيون عن بلادهم ، وقد به بعض أخبار هؤلاء
على ما أصله من أخبار العرب عن طريق مؤلفين سريين .

وتاريخ ابن الأثير أو الكتب التي قصت في أخبار إفريقية ونعت صواباً مبنياً
على أحدها ، ولا يراع في أن كتبه كان مرجعاً اعتماد عليه كثير من تعرضوا
للكتابة عن فوج إفريقيا . وقد اعتمد بعض كتبه ما أهميها كإخباره بوجهة
إلى عروت عمته في إفريقية إتماماً من سنة ٤٤١ هـ كما جعل حديثاً فاصلاً بين ما فعله
عقبه بين سنتي ٢٢ و ٢٣ هـ وما فعله بعد ذلك ، وقد جند معمر المؤرخين في ذلك
خطأ شديداً ، ولم يشترط معه في إيراد هذه الأخبار ، لا الكسبي في كتاب الولاء .
وله كذلك ملاحظات صبة تكشف لكثير من أسرار التبع وحقائقه عند زعمائها
وندرها كقولها : « وكان قد بلغ الروم القسطنطينية مسير رهبر من رقة إلى
إفريقية . . . وخرجوا إليها في مهاكب كثيرة » مما يدل على أن الروم كانوا يترقبون
لرهبر وأن مصرعه في رقة لم يكن مصادفة كما ذهب من روايات غيره .

٩ ابن عذارى - (حوالى نهاية القرن السابع الهجرى) من العرب
فى أخبار العرب» ج ١ و ٢

تكاد رويته ابن عذارى تلى رواية بن الأثير فى كثرة التفاصيل ووفرة المادة ،
ولاراع فى أنه اعتمد اعتماداً تاماً على ابراهيم بن أبى الرقيق وأحد عنه معظم أخباره .
عز أن لا يرى أن أهمية كتاب البيان العرب تنحصر فى ذلك فقط كما ذكره
الأستاذ دبريديه بأسبه فى دائرة المعارف الإسلامية ، وإنما يعد ابن عذارى أحجار لها
أهميتها . ساعد من مراجع أخرى يطلب على الطن أنها معربة ، كتبها بمر من أهل
البلاد ، وهذا ذلك التفاصيل الواوية التى أوردتها عن موقعة سببيلة ، وهى تفاصيل
لا تشوبها إلا القليل من القصص ، وتصور لنا الواقعة بصورة دقيقة لا يصعب به عند
غيره من المؤرخين . ولولم تكن نسخة ابن عذارى - التى بين أيدينا - التى نشره
دورى ، ففصه فى مواضع كثيرة ، خاصة فى مواضع أخرى ، سككت روايته
عن أخبار هذا الفتح أو فى ما من أمد . من الروايات

وقد روى ابن عذارى قصة الفتح كاملة من مقدمات عمرو إلى نهاية العصر
الأموى ، وكما احرب من نهاية هذا العصر كاست أخباره أو فى ذلك وأكثر تفصيلاً
وأهمه . والجزء الثانى من الكتاب يتناول أخبار الأندلس واعتمدت عليه فى مسن
أحدثه إليه من أخبار فتح الأندلس وعلاقته بأفريقية .

وقد نشره دورى بين سنتى ١٨٤١ و ١٨٥١ م ، ورجع فابان الجزء الخامس
بإفريقية إلى الفرنسية ، وسره صواب *Histoire de l'Afrique et de l'Espagne* ،
فى الجزائر سنة ١٨٩١ م .

ونشر سبى روثمال آخره الثالث الخامس بالأندلس سنة ١٩٢٩ م

١٠ - أبى - (توفى سنة ٧٣٢ هـ) « نهاية الأرب فى فنون الأدب »

كتب المؤلف فى هذا الجزء الخامس بإفريقية فى أوائل القرن الثامن الهجرى ،
ولا يعرف بأحد موقعه من تاريخه لأنه لم يصل إلينا متصلاً عما قبله وما بعده ، وإنما
وجدته جزءاً متصلاً فى كتاب مخطوط قائم بدانه ، والظاهر أن المؤلف أورد هذه
الأخبار عقب أخبار مصر . ولم يورد المؤلف للمراجع التى أخذ عنها فى كثير من
الأخبار ، والظاهر أنه نقل عن مؤلفات كانت موجودة فى أيامه .

أسد النوري طائفة كبيرة من أحباره إلى شخص يسمى الزهرى ، وهذا بدوره يروى عن ربيعة بن عباد الديلى . وقد حاول دى سلبس أن يعرف شخصية الزهرى هذا ، وانتهى إلى أن النورى اصطفا اصطفاً ليعطى لتاريخه هيئة التاريخ الصحيح لمسد ، وكان ذلك من أقوى المتأخذ التى أخذها على النورى فى كثرة الطويل الذى وحده إلى السيو هز فى شأن النورى فى الخلة الأسوية سنة ١٨٤٨ م .

وسكه لم يكن موثقاً فى ذلك لأن مرجعيتين من أوثق مراجعها يكشفان عن حقيقة شخصية الزهرى هذا ، ويؤكدان أنه كان راوية معروفاً أحد الكثيرون عنه كثيراً من أحبار فتح إفريقية . فقد ذكر اللادري بين الصحابة الذين صاحبوا عبد الله بن سعد رجلاً يسمى المسور بن محرمة بن بون بن حبيب بن عبد مناف ابن رهرة بن كلاب ، أى أن المسور هذا زهرى من رهرة ولا عار على تسميته بالزهرى اختصاراً ، ثم إن المالكي روى طائفة كبيرة من أحبار عن المسور بن محرمة هذا ، أى أن هذا شخص كان من المحدثين الذين أخذ عنهم أهل المغرب أحبار الأندلس ، لأن المالكي استوعب فى تاريخه كثيراً من الأحبار التى وردت فى الكتب القديمة التى كتبت فى المغرب . وعلى هذا فالزهرى الذى أخذ عنه النورى شخصية معروفة به فمما الطائفة وسنة أحباره إليها يربطها ثقة ولا يصفها .

كتب النورى تاريخه فى عصر كثرت فيه الأحبار والمعروف عن إفريقية وأهلها ، من بعد أن ظهر فى ميدان العلم مؤلفات وصفا يعرف من ثقافت أهل البلاد كان أنزق وواس رشيق وواس شجاع ويوسف الوراق وغيرهم ممن تناولوا الكتابة فى تاريخ المغرب ، ثم مكى النورى من أن يكتب كتاباً فيه مساهمة . بيد أن ما بين لنورى وأيام الفتح من طول الأمد جعل الأحداث تختلط بكثير من القمص .

لخصت روايات النورى بطائفة عظيمة من الأقاصيص والأساطير .

توارد معظم أحبار النورى فى كتب المؤلفين العربيين الذين سبوا ذكرهم ، من هو أشد شهرة روايات المالكي ، فإذا علم أن الإثنين يعتمدان على المسور بن محرمة الزهرى ، وإذا لاحظنا أن النورى لم يفعل فى أحيان كثيرة أكثر من أنه اختصر رواية المالكي ، لكان فى استطاعتنا القول بأن النورى كان يكتب فى وهرة من التراجع والأسناد ، وكما لا يستطيع القول بأن سوري أخذ عن المالكي ، لأن

رواية الأخير نورد ، معومات وتفصيل عنه في الأهمية ما كانت تحبب لسوري
بأنه كان ينقل عن الماضي ، ولكن احببنا كلهما كان يعين عن كتب منصر
في تاريخ إفريقية وفتوحها ، كتب في زمن مسكر وفي حتى نام سوري
ثم ضاع بعد ذلك .

وقد كدى الأستاذ حسن حتى عند بوهب أن لأدلة كثيرة على أن كتاب
اسمه « ممرى إفريقية » كتبه مؤلف مجهول مات في حدود القرن الهجري الثاني .
وأن مصراة كثيرة من هذا الكتاب لا تراه في كتاب الكرى وغيره من أوائل
المؤرخين ، فإذا ذكرنا أن اللادري روى صائمه كيرة من أخباره عن الواقدي ،
فعلت على الظن أن هذا الكتاب لثدي كتب عن فوج إفريقية واسمه عليه معظم
لمؤرخين بن هو لا معاري الواقدي يدي صاع . والأدلة قبله على أن كتاب الواقدي
هذا عمر كثيرا ، فلو أنه بقي حتى القرن الثامن الهجري لأحد عنه لسوري والتجدي
وكتب بعد لمؤرخين ابتداء من القرن التاسع بمسور أخبارهم ، يراهم بن الرقيق :
عند مص ابن عداري والووري وابن حيدون ولسعاى والحسن بن راب (سور
إفريقية) ومن هذا محور لقول أن كتاب الواقدي قبل مسعملاحي صهر كتاب
الرقيق فاحمله ، وقد كان ابن الرقيق قد توفي خلال النصف الأول من القرن الخامس
الهجري ، فيه نمكنا القول أن كتاب الواقدي عن « معاري إفريقية » كان راجعا
حتى أواخر القرن رابع الهجري ، وأن ذكره لا يحقت وأهميته . نقل إلا بعد ظهور
كتاب الرقيق ، ومك يؤيد ذلك أن أنا العرب عم ، لثدي يعد من سور مصادر
التاريخ العربي الإسلامي ، يعتمد على الواقدي بدليل تشابه روايته مع رويته للداري
ذلك أن أنا العرب عم قد توفي خلال النصف الأول من القرن رابع الهجري ، في
أنه كتب كتابه في فترة وحد فيها كتاب الواقدي .

من هذا كانت أهمية رواية الووري ، فقد اجتمع له أسلان من أهم الأمور في
حفظت أخبار هذا الفتح ، فروى عن زهرى هذا ، وأحد عن إبراهيم بن رقيق ،
ولمجد أحد روايته عية بالتفاصيل مما لم يجمع لغربها من المؤرخين ، كما ذكره أسماء
الحكام الروم الذين تواروا أمور إفريقية بعد انصراف عبد الله بن سعد ، وتفصيه
أمر المدينة التي انتقل إليها أبو المهاجر ، وأهملهم بذكر عدية عنهم نسخ إفريقية

وعبر ذلك ولا يحتاج الإنسان إلى كبير جهد ليتتبع قصة الفتح الحقيقية خلال ما أورد التورى من أساطير وتفاصيل .

٨ ١١ - النوى (توفى سنة ٦٧٦ هـ) « تهذيب الأسماء والمعارف » طبعة انطبعة أسيرة بالقاهرة

١٢ ابن خلدون - (توفى سنة ٨٠٨ هجرية)

(١) كتاب العبر ج ٢ و ٦

(ب) *Histoire des Berbères* لدى سيني

(ح) *Hist de l'Afrique et de la Sicile* لدى فرجبر

رأى كاتب من العرب أن يقال إن كتاب ابن خلدون لم يكن ذا أهمية خاصة في درسه هذا المنع (يد معروف أن العبر هو المرحع الأولي الذي لا يستغنى عن التصديقه من بحث شيت من أبحار المغرب) . وربما كان صعب ذلك أن ابن خلدون أورد أخبار فتح إفريقية متفرقة فيما أورد من أخبار الحفصاء ، فلم يذكر أكثر من قصة سقوط موحدة شند الإبحار عن كل حلقة من حلقات هذا الفتح مما لا يعين على تتبع سيرته كاملة .

ونكس ابن خلدون عاد فكتب فصولاً ثلاثة ، مهد بها لتاريخ البربر الذي يكون الجزء الثالث من تاريخه ، أولها في « ذكر مواطن هؤلاء البربر بقرينة و « عرب » ، وثانيها في « ذكر ما كان لهذا الحل قدماً وحديثاً من الفصائل الإنسانية والخصائص الشريفة » ، وثالثها في « ذكر أخبارهم على جملة من قبل الفتح الإسلامي ومن بعده إلى ولاية بني الأعلب » ، فوصف في الفصل الأول بلاد المغرب وصفاً فريداً لم يوفق إلى مثله غيره من جغرافيين المغرب ، فعبه تصور دقيق لأقاليمه وتعارسه وتقسيمه الطبيعي ، لا يقل استحكاماً ودقة عن أي وصف جغرافي حديث لهذه البلاد ، ويكفي أنه أحسن تصويراً لبيته المغربية التي كان لها أثراً في تكوين الشعب المغربي وأوحد في الفصل الثاني أخبار البربر منذ الفتح الإسلامي وإخباراً سريراً ، وردت فيه تصح ملاحظات على جانب عظيم من الأهمية كما شارته إلى أسرار العرب وورمار بن سولات وأحمد بن إياه لعين وإسلامه ، وكذلك حديثه عن كسيلة والكاهة وقومه بن صاحب

فقصه حليص المسلمين وإن موسى « أحد رهنين لمصادمة وأمرهم بصحة » وغير ذلك من الملاحظات ، بقى مفرداً ، وبني أحدها عن عمر من أهل البلاد مثل هانيء بن نكفور الضريس وغيره .

وقد أحفظ ابن خلدون فيما أورده من سورج أحفاد كثيرة ، رغب كان بعضها خطأ من لاسحيين ، وسكن الراجح أن ابن خلدون مستوف عن كثير منها ، ورت كان سبب ذلك أنه لم يمس كثير من أحجار الفتح الأول .

(ب) وقد نشر البارون دي سلبس الجزء الخاص بالبربر في مجلدين سنة ١٨٤٧ م ، ثم رجمه إلى اللغة الفرنسية ترجمة وإبيرة ، ظهرت في الجزء من سنة ١٨٥٢ م . و ١٨٥٤ . في أربعة مجلدات Histoire des Berbères وبولي الأندلس كان يوف طبع هذه الترجمة طعة جديدة مصححة ومعللة عليها تعليقات دت أمة ظهرت سنة ١٩٢٧ م في باريس .

والترجمة مدبلة عما ورد في ابن عبد الحكم وسوري عن فتح العرب في إفريقية ، وعميق مترجم على ترجمة ابن عبد الحكم يذكر كل ما أورده يوفاس عن هذا الفتح ، ويستبعد أن يحصل بذلك على نص كامل لأحجار الفتح كما أورده يوفاس .

(ج) وشردى فرحير سميرت الحداثة بالفتح حتى يديه الدولة الأعلم في كتب حاص بعنوان Histoire de l'Afrique et de la Sicile سنة ١٨٤١ م ، ورجم هذه المقرات ترجمة فيها بعض الأخطاء خصوصاً في رسم الأعلام ، وقد علق على الترجمة تعليقات وإبيرة أي استقى معظمها عن لترجمة القصص لى كان وترجمه قام بها لسوري . ١٣ ابن حجر عسقلاني (نوى ٨٨٥٣) « الإصانة في معرفة لصحة » .

١٤ — أبو المحاسن — (نوى سنة ٨٧٠ هـ) « سحوم الزهرة »
أورد أبو المحاسن تفاصيل قسبة جداً عن فتح إفريقية ولم يذكر ما أسأله في اعتماد عليها . والغالب أنه لم يورد أحجار إفريقية إلا لاصالها بمصر ، واعتباره أنها كانت جزءاً منها . وقد كان أبو المحاسن قد أورد ما أورد من أحجار فتح إفريقية ضمن أحجار مصر أو أحجار العالم الإسلامي حتى كان يحرم على ذكرها في نهاية كل عام ، فإنه كان ذا فائدة عظيمة في تاريخ الحوادث وتزنيب وروايتها بحوادث مصر ، ورت كان هذا أكر ما دعى إلى ذكره والتعويل عليه .

بدان أنا المحسن المردأ بخارلف أهمها كذكره التفاصيل الخاصة بعمله دسار
أى المهاجر على فرغاحة ، وهى أخبار أعمالها كافة مؤرخى المشرق ، ولو لم يكن أبو المحاسن
قد عني بإنشائها لظنت أعمال أى المهاجر سر مغلطاً لا يعرف عنها إلا الشذرة اليسيرة التى
أوردها ابن خلدون عن حملة تلسان .

١٥ - الإدريسي (المتوفى سنة ٥٥٨ هـ) « صفة العرب وأرض السودان
ومصر والأندلس لأخوذة من كتاب برهة المشتاق فى احتراق الآفاق » طبعة دورى
ودى غوبه سنة ١٨٦٦ م بليدن .

١٦ - ابن حوقل - (النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) « المسالك
والممالك » طبعة دى غوبه (المكتبة الجغرافية) سنة ١٨٧٠ - ١٨٧٩ م
١٧ - ساوبرس بن المقفع - كتاب (سبر الآباء اسطدركه) نشر المطبعة
الكاثوليكية بيروت (زيولند) .

مغربية :

١٨ - أبو العرب عم (توفى سنة ٣٣٣ هـ) « صفات العرب ، إفريقية »
طبعة محمد بن شمس سنة ١٩١٥ م - ١٩٢٠ م بالخرائط
من الواضع أن الطبعة التى بين يدينا من هذا الكتاب ليست كتاباً كاملاً ،
وإنما هى شذو رقت من كتاب الأصل الكبر الذى وضعه أبو العرب عم ، ولهذا
لا يسحق الحكم على صحة هذا الكتاب بسنة المعلومات والأخبار الواردة فى الصفحة
المطبوعة . والكتاب عبارة عن راحم لطائفة بسيرة من علماء البلاد ومهمائهم
ومصلحها تقدمها طائفة من أخبار فتح إفريقية وصير بعض من اشتركوا فيه .
ويروى أبو العرب أخباره عن سجون أى سعيد عبد السلام بن سعيد التوحى
لقية بمرى » كما يقول ابن خلكان وربما روى عن اسم محمد بن سجون أو
بن أحد معارفه وربما كان مطابقه مثلاً ، على أن الأخبار بسند بعد ذلك إلى
حد من أقطاب الرواية الأولى كانيث بن سعد مثلاً ، والقيمة بعدية لما فى الكتاب
من الأخبار قليلة جداً إذا قيست إلى ما فى غيره من امر جمع الأخبارى ثم إن أخباره
مؤرخة إخباراً شديداً ومتفرقة لا تتصل ولا ترتبط ، وفى نوارحه أخطاء شتى .

القرن الرابع الهجري)

لم يمتد العوس إلى رأى ثبت في حقيقة مؤلف هذا الكتاب أو تاريخ كتابته
وكل ما سمعته عن المؤلف أنه كان قصباً ، وذكر الأستاذ هـ سان أنه عاش في مصر
لرابع الهجري وبقي حياته ، وذكر الأستاذ حسن حسي عبد الوهاب أنه عاش في
القرن الخامس أو السادس الهجري لأن أستاذه أبا العرب الذي نقل عنه توفي في
منتصف القرن الرابع الهجري ، ولأنه - أي السكي - لم يكتب في القرن الذي يلا
وإنما فصلت بينهما فترة عاصر فيها سحبي القرواني صاحب كتاب «الافتحار» الذي
يعتمد السكي عليه أيضاً ، وعلى أي الحدين فكتاب رياض العوس يعد من أقدم ما بين
يدينا من المؤلفات عن المغرب وتاريخه .

كتب رياض العوس في المغرب وقد جمعه مؤلفه من أهل البلاد وهـ رجع إلى
أحد من أهل مشرق غير الواقدي - وأصله أنه اطبع على كتابه - ومسور
محرمه ، وقد نقل هذه الأخبار عنه غيره ممن كتب بعده كالصنع .

وقد حقت لنا رياض العوس نظراً من مؤلفات وروايات قدسة صرع بعضها ،
ولو لم يمتد في كتابه بعرفت وهـ نظر عليها ، والبيات على ذلك كثيرة ، فقصه ، وحسن
الذي عقده عن المشاورة في فتح إفريقيا أشهرت أهم عن يد المنج ، وذكره
لقط في حمده عند الله من سعد دل على أن مصر أشرك في فتح إفريقيا ،
وتفصيله الدقيق التي أورده عن موقعة سبظلة كانت على تصورهما وتفتح دوارها
ولا نسي تعاليه لعودة عند الله من سعد له فاحشة لأنه بقي بذلك شعباً من الحوء
على ناحية طفت حافة . وكذلك رأته عن موضع قبور الأوب ، وغير ذلك كثير
من شغل لهذا كتاب أهمية عظيمة في دراسة هذا المتح .

ولا غلو كتاب من روایات كثيرة وما لعت شق ، وفي بعض آخر أنه صطراب
يعلم على الص أن سمه تدين في صحائف الكتاب مما أدى إلى اضطراب سياق ،
وأحار الفتح لا تشعل فيه إلا بقاء وعشر صفحات من القطع الكبير ، وفيه الحزم
الأول من كتاب تراجم لعلاء العرب ومناجيه وعمائه ، ولا تحو هذه الترجمة
من إشارات لها أهميتها عن إداره البلاد والحركة العلمية فيها .

٢٠ - التبحر - (نصف الأول من القرن الخامس الهجري) « الرحلة

التجانية »

ذهب فوريل إلى أن التبحر عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري واستند ذلك من صريح عبارات وردت في سياق حديثه ، في حين ذهب الأستاذ عبد ذهب إلى أن هذا الكتاب كتب في النصف الأول من القرن الخامس الهجري . والتبحر من بيت علم وفصل من سواد نواب السكة ، اشتغل أهله برتبة ادريس بن خورن من زمن ، وسع من تائه عبر اشتغل بالعلم ، فوفيت به كتب كثيرة في تاريخ إريقية وجزائرها ، فله كتابه عينا بالأحبار الدقيقة وملاحظات امنية . وكذا وصف رحلة نصف في كل قرية يزلها ، ثم عقب الوصف في يتصل بعمه من تاريخها ، ويظهر أن حل اعتمده في ذلك كان على ابراهيم بن ابريق ، وهو أي من أحد خمسة حظوا - أحرار - من هذا المؤلف المزمع ، وهم : ابن عداوي وكنوري وابن خورن والحسن الوران والتبحر هذا وملاحظات ابراهيم على ح - عظم من الأمانة ، فهو الذي أعان على معرفة هوية وحدد لنا موقعها وتذكر عن السكري أنه رأى الأصل كل التي تحدث عنها ، ولهذا ما وجدته هينة بذكرات في رعا صحت بعض ما وقع في اليد . ونعني ما اتفق به من الحديث مع أهله حين ربه . ثم لسانه لتاريخه فلا يفت في هذا الكذب عن السكري مثلا ، بولا أنها قدله حديثا . وفي روايته أكثر من الأخطاء التي ينواردها منها عند غيره . ورعى وردت فيه ملاحظات يفرد بها كقوله : إن أهل بقة « كانوا يستعدوا بميل من البريق لم يقوسه رحلوا معهم في دس انصرايه » كما قسم بنا بسبب الذي جدا بمعروى من إلى يرصد بحث إلى قران في نفس الوقت الذي صار هو فيه إلى طرابلس .

٢١ - الدياع - (٩٠٥ - ٩٩٦ هـ) « معجم الإبدان في معرفة أهل القبور » .

ألف هذا الكتاب نور الدين عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي ، ومحمد بن إ - سجنه الأصلية . وربما وصلت لغرات منه مع تعليق عليها علم قاص من أهل القرن التاسع ، يعرف من الدحي قاسم بن عيسى بن الفصل (سنوي سنة ٨٣٧ هـ) وقد اعتمد الدياع اعتمادا عظيما على المالكي ، ونقل عنه فقرات

كثيرة ، بحيث لا تخطئ ، إذا قلنا إن معجم الإغمان صورة أخرى من ريس نفوس (فيما يتصل بقصة الفتح على الأقل) . ولم يعرد الدباغ إلا لأحد بسيرة كعصره صنع آراء في تفسير معنى لفظ فيروان . وأحد كذلك عن أبي العرب سقط لنا فقرات من هذا الكتاب لم ترد في النسخة المطبوعة منه ، لهذا كانت رواية الدباغ مكتملة لروايتي أبي العرب والمالكي ، خصوصاً ما عسى أن يكون قد فاتهما من الأخبار . ثم تعليقات ابن الناجي فعيلة لأهمية ومعظمها استندراكات لا معنى لها ، إذ يطلب أن يكون الاعتراض أشد حطاً وقل أهمية من الخبر الأصلي . وقد اعتمد عليه كودل عمداً عظماً واستعمله لتصحيح روايته المالكي . ولكنه أخطأ فحسب لكتاب كله إلى ابن الناجي لا إلى الدباغ .

٢٢ - ١ - أبي ديسار المعروف - (توفي سنة ١٠٩٢ هـ) « مؤسس في تاريخ إفريقية وتونس »

ينسب ابن أبي ديسار إلى تلمذ الشيخ المعروف بديسار أبي المهاجر ، فبئس كان من سموت الطريقة التي تناول أفرادها مناصب الدولة وشئون العلم ، وكتابه حديث كسب في العرب الحادى عشر .

ولا عيب من أبي ديسار إلى الضوئيل وطول العصر ، بل يوحى في عبارته ويتقصر على المهم . ويبدو أن لطروف ليدته التي أخطأت ليدته كاتب مؤخره أنه قد شهد له بالأسب ، لأنه لا يثبت رأياً وطه مناصباً لمصره مادحاً إياه مدحاً مانعاً فيه . وفي عباراته حين يظلم بوجهه وبشدة بدرة الماء يذكره وفصلته وحيرته .

وقد قسم مؤلف التاريخ بعندمه جغرافية عن إفريقية وتونس لم يخفى فيها تحديد ، بل أعدد ما نورد في غيره من الكتب عن أصل إفريقية وأصل لفظ تونس . وكتبه يسد فراءاً ونحن على شكوك قصة الصحاح ، وعلى الرغم من أنه لم يعرد إلا ما قبل الذي لا أهمية له ، إلا أنه قدم لنا مادة يستطيع من خلالها يعرفها أن تصحح بعض الروايات والأخبار .

وقد نشر للمرة الأولى في تونس سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦١ - ١٨٦٢ ميلاده) وأهم الفرنسيون به اهتماماً خاصاً فقام Pelissier et Reynard ترجمته .

٢٣ - محمد الناجي - (توفي سنة ١٢٥٣ هـ) « الخلاصة بقصة » كتاب مشهور ولهذا لم يكن الأعداد عنه عظيماً ، وتمازجت إليه في تحقيق بعض الأعلام والأماكن

التي تم تفسير قراءتها في نكث المخطوطه الأخرى . ولم يتعد الـحي إلا القليل من الأحجار لأن كتبه خلاصة من معظم الكتب التي تقدم ذكرها . ومما انفرد به قوله « إن ديارى أنى المذبح تمت حش السعوى ليحتل حرره شريكى فى حين عاد هو إلى القيروان » .

٢٤ - سعيد بن معديش (توفى سنة ١٢٢٨ هـ) - « زهرة الأنظار » : كتب شديداً المشتهر بكتبة « الخلاصة العية » ، فقد ألف فى القرن الثالث عشر لأن مؤلفه مات سنة ١٢٢٨ هـ فأخذ عن كل الكتب المهمة التى تقدمته ، وكل أهميته تنحصر فى أنه كمل المجموعة العربية حتى سبق الكلام عليها .

٢٥ - سلاوى - (توفى سنة ١٣١٩ هـ) « إستقصا لأخبار العرب الأتقى » طبع بالقاهرة سنة ١٨٩٥ م

هذا الكتاب من أحدث الكتب العربية التى وصفت فى تاريخ العرب ، وهو موسوعة شاملة للتاريخ العربى ، استقصى فيه مؤلفه كل ما اتصل به من الأخبار عن العرب فأوردها كاملة بدون تلخيص مسدة إلى أصولها . كالسكوى والفنرى وابن رقيق وابن الأثير وابن حزم وابن خلدون ، فرعا وردت فيه فقرات من كتب عدده صاغت ولم يبق لها أثر . ومن الأمور التى انفرد بها مؤلفه - أنه وضع العرب من الناحية الشرعية ، وهل فتح صلحاً أم غوة ؟ وروى فى ذلك رواية لها عن كتاب « شرح موطأ للشيوخ أى الحسن القاسى » وقد ذهب حول إلى أن السلاوى ربما اعتمد على مؤرخين روسيين .

وترجم مهمة هذا الكتاب إلى أنه كان فى حين قريب بكتبة العربى الوحيد المطبوع فى تاريخ العرب . ولهذا كثر الاعتماد عليه والاستشهاد به . وضع من أهمته أن يصدى لترجمته Graue المرسى فترجم الجزء الأول منه وشره سنة ١٩٢٣ م

المصادر الأفرنجية :

Ch Diehl . l'Alrique Byzantine (٢٦)

يعد الأستاذ ديل من أكبر الأساتذة الذين توهموا على دراسته انتشار فى البيزنطى ، إذ أنه ظل زماناً طويلاً يشغل كرسى الأسادية لهذه الأداة فى جامعة باريس . ولكنه

هذا عن إفريقية العربية في سنة . درس فيه تاريخ إفريقية من الفتح العربي إلى احتلال العرب . واستقصى فيه كل ما كتب حتى زمانه عن هذا الموضوع ، خاصة حجة لا يستغنى عن التفرع فيها من تدوين تاريخ العرب القديم .

بعد أن صول البحث واستمراد المؤلف في بعض النواحي ووسع في الكثرة من نظم الكتب وأصاع وحده فأصبح غير متصل الحدث ، وربما طلب إليه أن يجمع استقصاء حدث بعينه . فلا يزال المؤلف مستصرد به في تفصيل الحوادث حتى يصرفه عما يلب . وتلك المعركة بين الكاتب وبين مؤلف محدث مثل جوليان فيما فصل حصانه إفريقية سرية وشراسة في العرب حتى يتضح ذلك .

وبعد حين تألف حاشية تلخص حوادث فتح إفريقية ، تعتمد في أكثره على ما كتب روفس ويتهور وفورل وروث وفيل ووري وهورى ومترجمات بعض المؤلفات العربية . وهي خلاصة واقية دقيقة وهي المؤلفات التي استعملها ما كتبه مؤرخو الروم ، وأضاف إليه ما وجدته في مؤلفات العرب . فاستصاع بذلك أن يحرر الموضوع بعمق ، وبكفا من الوصف ، في آراء الروم والتصور على بعض ما كتبوا عن هذا الفتح .

Roth O. Baron Nal. Göttingen 1854 (27)

وصف المؤلف كتابه بأنه دراسة في علم تاريخ عدد العرب ، وقد أصاب به الوصف ، لأنه أتفق أكثر من ثلثي كتابه في الحدث عن المصادر والمراجع ، وحسن عقبة بن نافع وأخباره بالثلث الباقي .

وسدود أن يرحل اصططريحي ذلك ، فقد كتب رسالة هذه في زمن منكر حدث قبل أن يعرف أحدثه عن المراجع العربية الأولى أو يعرفه في نسخة الخليفة ، فلم يجد من أن سبق وقتاً ضويلاً في نقد هذه المراجع ومعرفة مؤلفها ورواية أخبارها مناقشة أجيال مما أدى إلى إنتاج هذه دابة حظير تتعلق بكتابات ابن عبد الحكم والبلادري وبنو المحاسن والويري وغيرهم عن اعتماد عليهم في استقصاء أخبار عقبة ما حديثه عن عقبة ففكك غير متمسك بمعرات لأن هذا الانصراف شعبه بين الحين والحين عن أن يسير في بحثه . وبدون أنه ظن أن عقبة هو الذي فتح إفريقية كلها ، فهذا ذكر دوره في فتح قرطبة وفصل ذلك تفصيلاً طويلاً ، ثم حدث

عن الفيرون حديثاً موحراً ، ثم حم البحث ترجمة ما حدث لقصة في حتمته الكبرى ،
بقلا عن ابن عبد الحكم دون أن يوضح النقد أو يهتم بالتعليق .

والكتاب بذلك يتناول حلقة صغيرة جداً من حلقات الفتح ، وربما صح أن نقد
فكرة الكتاب كله في اعتبار قصة فتح إفريقية كلها . ولما كان كل أحبار مترجماً
ترجمة حرفية ، فلم يكن الاعتماد عليه مدى عاء في تعرف أحداث الفتح ، وتكون للتدليل
على ذلك أنه قرأ الكتاب الذي أورده بلادري ، وذهب إلى أن عمرراً أرسله إلى
عمر في حمله الأولى بدون تعليق .

H Fournel Les Berbères, Etude sur la Conquête de l'Afrique (٢٨)
par les Arabes, d'après les textes arabes imprimés 1815-1861

كتب فورنيل كتابه هذا منذ قرن تقريباً ، أي بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر .
وكان بذلك من أوائل المستشرقين الفرنسيين . وقد قصى نحو العنبرين سنة في
تصنيف كتابه هذا طاء بيحة قصة لأبحاث متصلة وعمل عاهد في «مراجع
العربية الأولى» .

وكان فورنيل لا يكتب لمجرد استقصاء أخبار إفريقية وتعرف أحوالها ، وإنما كان
قد وضع نفسه نظرية معينة أراد أن يثبتها بتأليف هذا الكتاب . وهي أن الفتح
الإسلامي لم يكن أكثر من فتح حربين قذيين الأثر ، وأنه كان سكة من مها العرب
يد أدات الأهلين وأفسدت الأراضي ، وأن البربر حلوا رغم ما بذل العرب
من جهود — مسلمين في بلادهم يديرون شئونهم ويسودونها ، لأن أمر العرب لم
يلبث أن صار إلى الصنف والانحلال .

لكي يثبت فورنيل هذا الرأي ، اضطر من حين إلى حين إلى تحويل افتراضه
وتفسيره تفسير لا تنقي والواقع ، واضطر إلى التوفيق من العرب موقفاً لا يباع
بدا فتنا إليه عدائاً ، فاستد انما عيين جميعاً استناداً آمراً ولم يرس عن شيء . فناه أحداهم ،
واعتر العرواات العربية كلها عراب لا تنمي غير الملب والنهب ، وذلك هو عيب هذا
الكتاب الذي يشيع فيه من أوله إلى آخره ، والذي يقلل من قيمته ككتاب على رصيح
الاعتماد عليه . ولما قل من المؤرخين المحدثين من يقدر هذا الكتاب أو
يرجع إليه على أنه مصدر علمي له قيمته . فكودون مثلاً بنقد فكرة سكان عامة ويؤكد
أنها أفسدت البحث جميعه .

وقد كتب رجل كتابه قد أن يظهر شيء من المؤلفات العربية التي سبق ذكرها، فكان حل اعتمده على تراجم الشرقية . كان الأثر وابن عذارى واندويرى ، وكان هذا سداً من الأسباب التي جعلت غثه فدهاً من الناحية العلمية ، بل إن الأستاذ ليق روجس يثبت فيما ورد فيه من المعلومات لهذا السبب من ناحية ، ولأن فوريل اعتمد على تراجم كثيرة الخطأ من ناحية أخرى .

بدأن الكتاب موسوعة وافية غنية بالمعلومات عن أحوال البلاد وجرافيتها وتاريخها وسكانها ، فبما من مدينة مر ذكرها إلا علق عليها بهامش طويل ذكر فيه امراءات المندسة لاسمها وما قبل مؤرخو العرب عنها ، ولا بد أن يذكر ما قاله الرحالة الإنجليزي شو Shaw والسبع الإنجليزي السير جرميل . تشيل عنها ، وما من مسألة تسبح له لانهت عن أحداث اشرق . لا أسهب وأفص في ذلك إقوة رء خرجت بالقارىء عن موضوع البحث .

E. Mercier

I - Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbères) ٢٩
depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française
Constantine 1888 - 1891

كتب شامل في مجلدات ثلاثة ، استقصى المؤلف فيه أخبار العرب من العصر بدم حتى الفتح العربي ، وهو كتاب قديم كتب في نصف الثاني من القرن الماضي .

صف المؤلف كتابه وهو مقسم بمخططيته ، معتمداً على ما اتصل به من سكتب العربية وخاصة ابن خلدون ، فاستدع أن يستخرج من النصوص لأولى موحراً طبعاً كهذا . وقد قست أخطاءه إلى العصر الذي عاش فيه وطر إلى الوسائل القليلة في أسحت له تبين مقدار العهد العظيم الذي بدله .

والجزء الخاص بفتح العرب قصير جداً ، ولكن مرميه استطاع مع ذلك أن يوجز الحوادث وأن يستخرجها وبروها في أسلوب بسيط جاف ، فم يقع له من الخطأ إلا قليل لا يكاد يذكر .

ومرميه من أصراب فوريل يتحمس للبر في غير دواع ويتقص العرب ويهاجمهم في غير مرمعقول ، ومن ذلك مقارنة الكاهنة عجان دارك واعتباره إياها

تصيرة الحق والإنسانية ، أمم العرب لتوحش كما وصفهم ، وما من مدسة أتيت له لبري العرب ، إلا اشهرها ماذراً ، كما حصل لكه يوم من الحصب قد من قيمته لعليه كبراً . وقد كان ارجوع له للاستعانة عو حره على منع سبر الحوادث ، فقد كان مؤمناً جداً في إخبار حوادث العصر البيروني ، ولكن كنهه بس الأسردياً للحوادث ، دون محاولة تقديرها واستناداً لحكامها .

2 Histoire de l'Établissement des Arabes dans l'Afrique Septentrionale, Constantine, 1895

بحث هذا الكتاب في تاريخ الفتح العربي التي هاجرت إلى إفريقية حوالي القرن ثمان مائة الهجرى ، وهذا أواخر في الفصل الرابع كل حوادث الفتح الأول كجهاد للكلام على عرود العرب أملايين . وقد رفق المؤلف بكتاب خريطة للمغرب ، بين فيها مدينتي الفتح الزمره بعد هذه العرود ، وقد رسمهما تحسب ما ورد في ابن خلدون ، فليس هم يعرف مواقع هذه الفتح .

Le Baron de Siane

— ٣٠ —

Histoire des Berbères et des dynasties Musulmanes de l'Afrique Septentrionale Nouvelle édition publiée sous la direction de Paul Casanova

عن ظهور هذا الكتاب ، عصر جديد في تاريخ الدراسات العلمية وتاريخه بوجه خاص في المغرب ، فقد ربح المؤلف فيه اجراءات من تاريخ ابن خلدون اخص بالمر ، ففتح بذلك أمام الباحثين لأوروبا ميداناً فسيحاً للدرس والبحث فقدم إليهم من معلومات ومقدمات عن هذه البلاد وكان دى من قد نشر الكتاب بعده قبل ذلك بسنوات ، وعنى على كثير من عباراته وتعليلاته بطلاقة عانة في الفائدة . وهذه الرحمة من المؤلف قد جعل أسطره من الأمور التي للباحثين في شؤون المغرب .

وعقب لدرون ترجمته لابن خلدون ، ترجمة كاملة ورد في الأوربي واس عبد الحكيم عن الفتح العربي للمغرب ، وعنى على ترجمة ابن عبد الحكيم بإيراد النصوص التي كتبها يوفاسس عن هذا الفتح . فقدم له بذلك نصاً من أهم النصوص التي كتب عن هذا الفتح .

2 - Les premières invasions arabes de l'Afrique du Nord
 Paris, 1900

نكاد هذا الكتاب صغير أن يكون المؤلف الوحيد الذي وضع عن الفتح العربي
 للعرب قصة ، وكتاب جرح . لأن مقدمة طويلة بعض الطول عن بلاد
 المغرب وخرصين وخرز والعرب . وفي مؤلفها إلى تصور العصر البيزنطي
 تصويراً موحراً دافعاً ، اعتمد في كتابته على دين ، فقدم خلاصة واقعه أدى فيها
 كثيراً من الآراء بطريقة التي رتب حالفها دليل محص . من اعتباره بأسلوب
 فيه دعاه حده . أما حديثه عن حرب والعرب فكلما يشاء لا ع . فيه وفي الجزء
 الثاني بعض كودل قصة الفتح العربي لبلاد ، اعتمد في كتابته على ثلاثة الكتب المعروفة
 التي سفت بالإشارة إليها وهي « ريس لموس » و « معاد الإيمان » و « مؤمن » ،
 ورعا اسعد « من لأثر واس عدري والنوري من حين وحين . أحد كودل إذن
 قصة الفتح عن عهد مغربي فكان « كثير بعيد من قورس . إذ أمده مراحته
 تفاصيل واقعة غريبة البدة . مكنته من أن يسب في الحديث و تفصيل ، فافتد
 على تنوع أحداث الفتح تنوعاً معقولاً مفهوماً ، ورعا أحد عليه اعتماداً عاماً
 على هؤلاء العربيين .

والمآخذ عليه كثيرة ، منها عهده على مراحع نابوية ومبلة جعله بأفطاب الرواية
 الأولى ، ومنها عطفه في لقول « أن كتب معاد الإيمان كله من تأليف ابن الدحي ،
 وليس الأمر كذلك ، ومن ناقصه في الحكم على أن المهاجر وإمهاله بحث مسألة إسلام
 البر واهتمامه بتفاصيل القديس لأهمية ، وفيما خلا ذلك لا راع في أن كودل مصعب
 لم يتبع مدرسة قورس ، وإنما كان مثلاً طياً لدورخ احد ، أنصف العرب كثيراً
 وأحدهم عاراً من مآخذ في رفق ، ورعا حاول الدفع عنهم ، وله في ذلك اسدراكات
 وحيمة وأحكام صادقة .

Gautier, E. F. Le Passe de l'Afrique du Nord (Siccles — ٣٢
 Obscures, Paris, 1937.

ليس هذا الكتاب بارعاً للعرب في عامة عصوره ، ولا دراسة لتصورها قائماً

مداته ، وإبى هو درسه شاملة للمجتمع المعري والحضارة المعرية من العصر الحجري إلى نهاية العصر الإسلامي .

والكتاب كله يقوم على نظرية واحدة ، هي أن التاريخ المعري كله ليس إلا صراعاً بين طائفتي البربر وهما البر والراس ، وقد ذهب المؤلف إلى أن البر ليسوا قريباً من أهل البلاد ، وإنما هم عصابة دخلوها في أول العصر القرضاحي ، وقد أتوا العرب من الشرق فصعب فسحق ، ولهذا يرى المؤلف أن البر ساميون ، فالخلاص بين الطائفتين لا يقتصر في رأيه على تصاب كل من البر والراس إلى حد أسطوري قديم ، وإنما يرجع إلى أن كلاهما شعب أو جنس مستقل مداته

على هذا الأساس درس حبيب التاريخ المعري ، وعلى هذا الضوء فسّر أحداثه ، ولا راع في نه بالغ كثيراً في الاعتماد بهذا الرأي ، ومن بين مفسري التاريخ المعري تفاسير غير مفهومة لكي يعبر رأيه ، كمؤلفه : لا بين الأفرقة كلهم كانوا يتحدثون القبيصة ساعة فتح العرب البلاد ، وإن صلبهم هذه بصفة المدقة أي السامية من دحولهم في الإسلام ويسر لهم تعبر لمعربة « وهذا رأي صعب جداً من المؤلف على أساسه قليلة الأهمية .

وله مؤلف حديث شائق عن الكاهنة وكهنة ، فاعتبر لأوى مثله فيحصونه السامية اليهودية ، وذهب إلى أن كاهنة مؤثث كوهين ، واعتبر كسنة مثلاً للعصاة البربرية المسيحية التي أثرت بالحضارة البربرية ، وحدث كل هذا ، لا يستطيع لإنسان عبورها . وله كذلك رأي مثير في حركات الخارجية والشمالية التي عمت إفريقية طوال العصر الإسلامي ، فقارن بين وبين السومانية ، وذهب إلى أن كلاهما مظهر لمقاومة العصر السامي (المعري) في البلاد

وملاحظ المؤلف على افتتاح معري هذه ولكنها دويعة شاملة ، تنفي صواباً ميباً على هذا الفتح ، وقد كانت طرأه ورائه موضع جدل عسير بين المستشرقين

- 33 A BERTINI, E. *L'Afrique Chrétienne*
- . 34 AMARI, MICHEL *Storia dei Musulmani di Sicilia*, Firenze 1854-1867
- . 35-36 BASSET RENÉ. *Histoire de l'Algérie par Les Monuments* 1900
Mélanges Africains et Orientaux 1915.
- . 37 BÉREHL GER *L'Algérie Historique*
- 38 BOSSER, (G.) *L'Afrique Romaine* 1895.
- 39 BILLET, CAL FAURE *Histoire de l'Afrique Septentrionale sous la domination des Musulmans*, 1905.
- 40 CARDONNE *Histoire de l'Afrique et de l'Espagne sous la domination des Arabes*
- 41 CAONAT *L'Armée Romaine de l'Afrique et l'occupation militaire sous les Empereurs* 1912 (2ème éd.).
- + 42 CARPITE, E. *Recherches sur les origines et les migrations des principales tribus de l'Afrique Septentrionale et particulièrement de l'Algérie*, 1853.
- 43-44 CALDEL, M. (1) *L'Afrique du Nord, les Byzantins et les Berberes avant les invasions* 1900
(2) *Les premières invasions de l'Afrique du Nord*, 1900
- 45 DEPRÉMÉRY *Mémoires d'Histoire Orientale* Paris, 1854
- 46 DESPOIS, J.: *La Tunisie*.
- 47-48 DOZY A. *Histoire des Musulmans d'Espagne*
B — *Recherches*. (2ème. éd.)
- 49 DOUTTÉ, L. (1) *Notes sur l'islam Maghrébin Les Marnabouts*, 1900. ✓
(2) *Magie et religion dans l'Afrique du Nord, Alger*, 1909.
- 50 DURAT *Les Races anciennes et Modernes de l'Afrique*
- 51 FAIGNAN *Extraits modernes relatifs au Maghreb* Alger, 1924.
- ✓ 52 FOURNET *Les Berberes et de sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, d'après les textes arabes imprimés* 1875-1881
- 53 GIBSON *Decline & fall*, Grant ed 1937
- 54 GSELL, STEPHANE *L'Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 Vols. 1913.
- ✓ 55 GRELL, G. MARJAIS ET GUYER *L'Algérie*

- 56 HARDY, G. et P. ALRES: *Les grandes étapes de l'Histoire du Maroc*, 1921.
- 57-58 MARÇAIS, G. : *Manuel d'Art Musulman* 1926-1927.
- 59 MEAKIN B. DOET: *The Moorish Empire A Historical epitome*, London, 1899.
- + 60-61 MERRIER, E. : (1) *Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbéries) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française* 3 vols. Cons. 1888-1891
(2) *Histoire de l'établissement des Arabes en Berbérie Constantine*
- 62 MESNAGE, P. : *L'Afrique Chrétienne*, 1912
- 63 RINN : *Etude sur l'Islam en Algérie*.
- 64 WESTERLUND : *Ritual and belief in Morocco*, 2 vols, London, 1926.
- 65 VAILLÉ, A. A. : *History of the Byzantine Empire*, Vol. 1, *from Constantine the great to the epoch of the Crusades*, Madison, 1928.

٣ مقالات ونحوه : ورد في المصحف العربي الآتية وأشر إليها
في مواضعها من البحث :

Reperis Archives berbères Bulletin de l'institut des hautes
études marocaines.

Journ. Asiatique

Revue Africaine publiée par la Société historique Algérienne

Revue des études asiatiques.

Revue du Monde Musulman

Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du
département de Constantine.

Revue d'Histoire Africaine Moyen Age et Temps modernes

ذيل ٢

التواريخ الهامة

(١) الأباطرة والخلفاء

١ - أباطرة الدولة البيزنطية

٥٢٧ - ٥٦٦ م	جستنان
٥٦٦ - ٥٧٨	حسبن الثاني
٥٧٨ - ٥٨٢	تييريوس الثاني
٥٨٢ - ٦٠٢	موريس
٦٠٢ - ٦١٠	هوكاس
٦١٠ - ٦٤١	هرقل الأول
٦٤١	هرقل الثاني
٦٤١	هرقل الصغير (هرقلوناس)
٦٤١ - ٦٦٨	قسطنطس
٦٦٨ - ٦٨٥	قسطنطس رابع (يوحنا)
٦٨٥ - ٦٩٥	هسبانس الثاني (ريومبيوس)
٦٩٥ - ٦٩٨	ليونيوس
٦٩٨ - ٧٠٥	ييريوس الثاني (اسم روس)
٧٠٥ - ٧١٢	جستنس الثاني
٧١٢ - ٧١٣	فليميكوس ارثوذكس
٧١٣ - ٧١٦	انسيسوس الثاني (ارميس)
٧١٦ - ٧١٧	نيودوسوس الثالث (ادرامبيوس)
٧١٧ - ٧٤١	ليون الإسوري
٧٤١ - ٧٧٥	قسطنطين الخامس (كرومفوس)

٢ الخُصاء

٢٠٢	٢٠١	
٦٣٤ — ٦٣٢	١٣ — ١١	أبو بكر
٦٤٤ — ٦٣٤	٢٣ — ١٣	عمر
٦٥٦ — ٦٤٤	٣٥ — ٢٣	عثمان
٦٦١ — ٦٥٦	٤٠ — ٣٥	علي
٦٨٠ — ٦٦١	٤٠ — ٦٠	معاوية بن أبي سفيان
٦٨٣ — ٦٨٠	٦٣ — ٦٠	يزيد بن معاوية
٦٨٣	٦٣	معاوية الثاني
٦٨٥ — ٦٨٣	٦٤ — ٦٥	مروان بن الحكم
٧٠٥ — ٦٨٥	٦٥ — ٨٦	عبد الملك بن مروان
٧١٥ — ٧٠٥	٨٦ — ٩٦	نوسد بن عبد الملك
٧١٧ — ٧١٥	٩٦ — ٩٩	سليمان بن عبد الملك
٧٢٠ — ٧١٧	٩٩ — ١٠١	عمر بن عبد العزيز
٧٢٤ — ٧٢٠	١٠١ — ١٠٥	يزيد بن عبد الملك
٧٤٣ — ٧٢٤	١٠٥ — ١٢٥	هشام بن عبد الملك
٧٤٣	١٢٥	أولاد بن يزيد بن عبد الملك
٧٤٤	١٢٦	يزيد بن الوليد
٧٤٥	١٢٧	إبراهيم بن الوليد
٧٤٩ — ٧٤٥	١٢٧ — ١٣٢	مروان بن محمد

(ب) الحوادث

١ — العصر البيزنطي

٢٢ يونيو سنة ٥٣٣	بول دراريوس، حريقه وبدا الحكم البيزنطي فيها.
٥٣٤ — ٥٤٦	ولاية سليمان .
٥٤٥ — ٥٤٦	ثورة عامة في إفريقية وطرانس ومثل سلهون .

١٤ نوفمبر سنة ٥٦٥	وفاة حسان
٥٢٧ — ٥٧١	ثورة عامة في إفريقية — سقوط قرطاجنة في يد البربر — إسطان يحمّد الثورة .
٥٨٨	ثورة في إفريقية يحمدها جنادوبوس .
٦٠٨	ولا يهرض لكبر وده حكم أسرة حريغوروس .
٦٢٢	وصول القنول العربية في برقة .

٢ — الغزوات العربية

٥٢	٥	٦٤٢ سنة	سمر سنة ٦٤٢
٢١	٢١	٢١	٢١
٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٢٣	٢٣	٢٣	٢٣
٢٤	٢٤	٢٤	٢٤
٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
٢٦	٢٦	٢٦	٢٦
٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
٢٩	٢٩	٢٩	٢٩
٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
٣١	٣١	٣١	٣١
٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
٤١	٤١	٤١	٤١
٤٢	٤٢	٤٢	٤٢
٤٣	٤٣	٤٣	٤٣
٤٤	٤٤	٤٤	٤٤
٤٥	٤٥	٤٥	٤٥
٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
٤٧	٤٧	٤٧	٤٧
٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
٤٩	٤٩	٤٩	٤٩
٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
٥١	٥١	٥١	٥١
٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
٥٣	٥٣	٥٣	٥٣
٥٤	٥٤	٥٤	٥٤
٥٥	٥٥	٥٥	٥٥
٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
٥٨	٥٨	٥٨	٥٨
٥٩	٥٩	٥٩	٥٩
٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
٦١	٦١	٦١	٦١
٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
٦٣	٦٣	٦٣	٦٣
٦٤	٦٤	٦٤	٦٤
٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
٦٦	٦٦	٦٦	٦٦
٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
٦٨	٦٨	٦٨	٦٨
٦٩	٦٩	٦٩	٦٩
٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
٧١	٧١	٧١	٧١
٧٢	٧٢	٧٢	٧٢
٧٣	٧٣	٧٣	٧٣
٧٤	٧٤	٧٤	٧٤
٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
٧٦	٧٦	٧٦	٧٦
٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
٧٨	٧٨	٧٨	٧٨
٧٩	٧٩	٧٩	٧٩
٨٠	٨٠	٨٠	٨٠
٨١	٨١	٨١	٨١
٨٢	٨٢	٨٢	٨٢
٨٣	٨٣	٨٣	٨٣
٨٤	٨٤	٨٤	٨٤
٨٥	٨٥	٨٥	٨٥
٨٦	٨٦	٨٦	٨٦
٨٧	٨٧	٨٧	٨٧
٨٨	٨٨	٨٨	٨٨
٨٩	٨٩	٨٩	٨٩
٩٠	٩٠	٩٠	٩٠
٩١	٩١	٩١	٩١
٩٢	٩٢	٩٢	٩٢
٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٩٤	٩٤	٩٤	٩٤
٩٥	٩٥	٩٥	٩٥
٩٦	٩٦	٩٦	٩٦
٩٧	٩٧	٩٧	٩٧
٩٨	٩٨	٩٨	٩٨
٩٩	٩٩	٩٩	٩٩
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

بدء ولاية عقبة بن نافع الثانية .	منعطف ٦٣	
حملة عقبة الكبرى .	٦٢ - ٦٤	
موقعة تهودة ومقتل عقبة .	٦٤	٦٨٤ - ٦٨٣
إسحاب زهير بن قيس إلى برقة وإحلال إفريقية .	٦٥	
سير زهير إلى إفريقية .	٦٩	٦٨٩ - ٦٨٨
واقعة خميس .	٧٠	
مقتل زهير في برقة .	٧١	
سير حسان بن النعمان إلى إفريقية وحملته الأولى على قرطاجنة .	٧٦	٦٩٥
واقعة بين وارتداد حسان عن إفريقية .	٧٧	
الطريق جان ينزل إفريقية ويستولى على قرطاجنة	٧٩	
الكاهنة تحارب إفريقية	٨٠	
سير حسان الثانى إلى إفريقية	٨١	
عزل حسان .	٨٥	
بدء ولاية موسى بن نصير .	أواخر ٨٥	٧٠٥
فتح رغوان .	٨٦	
حملة على المغرب الأوسط .	٨٩	
حملة على المغرب الأقصى .	٩٠	
إرسال الطلائع إلى إسبانيا .	٩١	٧١٠ - ٧٠٥
عبور موسى إلى الأندلس .	٩٢	
عوده إلى الشرق .	٩٤	
موته بالشرق .	٩٨	

٣ - العصر الأموي

٠ م	٠ هـ	
(٧٢٠ - ٧٢١) - (٧٢٣ - ٧٢٤)	١٠٢ - ١٠٥	يزيد بن أبي مسلم .
(٧٢٧ - ٧٢٨)	١٠٥ - ١٠٩	نسر بن صموان .
٧٢٨	١١٠ - ١١٤	عسمة بن عبد الرحمن .
٧٣٥	١١٤ - ١١٦	عبيد الله بن الحجاب . (حملته على صفية) (ثورة ميسرة)
٧٤٠	١٢٣ - ١٢٤	كلثوم بن عباس واقعة الأشراف .
٧٤٢	١٢٤ - ١٢٦	حصه بن صموان .
٧٤٣	١٢٦	واقعة القرن والأصنام . عبد الرحمن بن حبيب .

فهارس الكتاب

١ - فهرس الأعلام

ابن عبد الحكم (المؤرخ) : ٢	ال الحكم : ١٠٥
ابن مصاد : ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١١	آل مبروان : ١٠٥
ابن حريرة : ٦٨	إبراهيم بن أبي الرقيق : ٩٢ ، ١٨٧ ، ٢٥٥
ابن وهب : ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٥٦	إبراهيم بن الصراني : ٢٢٧
أبناء عمر بن الخطاب : ٨١	أعابيا : ٣٥
بنية حرمجور يوس : ٨٣ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢	ابن أبي حبيب : ١١٦
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ وانظر ابنة جرجير	ابن أبي دينار : ٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٠
أبو الأسود بن الصرخي عبد الجبار : ٦٨ ، ١٠٤	١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨
أبو أعمو : ٨	١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧
أبو أويس : ١٤	١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
أبو عيم الحيش : ٦٨	١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨
أبو حنر الطبري : ١٤٨	١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢
أبو ذر النظار : ٨١	١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٥
أبو ذؤيب خويط بن خالد الحنلي : ٨١ ، ١٠٢	١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢
أبو زمة اللوى : ٨١	٢١٣ ، ٢١٤ وانظر أبو المهاجر
أبو شداد : ٧١٨	ابن أبي هبة : ٤٠ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ٨٣
أبو صالح : ٧٤٩ ، ٢٥٤	٨٩ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١١٥
أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الصافري	١١٦ ، ١٢٦ ، ١٥٦
الإمرئى : ٢٩٦	ابن السكائنة : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٥٧ وانظر
أبو عبد الله بن عبد الحكم : ٩١	ابنا السكائنة
أبو قيل : ٦٨	ابن برزيات : أنظر باورث
أبو قرعة بن شريك : ١٧٤	ابن ثومان : ٢٣٨
أبو عبيد الثقف : ١٩٩	ابن حوئل : ٢٤١
أبو ميسرة عيسى الصميلي (لشح الصالح	ابن حيان المصري : ٢٠٦
القبه) : ١٤٣	ابن خلدون : ٥
أحمد بن أبي سليمان : ١٤٩	ابن دحية النضرى : ١٠٣
أحمد بن عمرو : ١٥٦	ابن زبد : ١٤٩

إدوار وستر مارك : ٢٤٥	سابق عاصم هشام : ٨٩ ، ١١٩ ، واحد
أرماس : ٢٤	سابق عاصم
أربولد : ٨	شبح لأبي : ٢٣٦
أساقفة إرماس : ٤٤	لحس : ٨٠
أسماء بن زيد بن ميم : ٩١	الكلمة البريرة : ٤١ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ،
دسحق بن عبد الله - أبو فروه : ٥٥	١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٣٠ ،
أسد بن القرات بن سنان : ٢٩٧	٢٣٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
أسلاف تيجس : ٢٨١	٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
أسلاف قرطايحة : ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٦	٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
إسماعيل بن عبد الأنصاري : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،	٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،
٢٩٧ ، ٢٩٨	٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
إفرقس بن أبرهة بن الرايش : ١	٢٦٣ ، ٢٧٤
إفرقس بن إلهيم : ١	أقيث بن سعد : ٦٣ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ١٣٥ ،
إفرقس بن قيس : ٧ ، ٨ ، وانظر إفرقس	١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢١٦
إمام الصغرة : ٢٧٨	الدعوى : ٢٩٤
إمريه القيس : ١٥٣	المسور بن حمزة الزهري : ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٢
أمير المؤمنين : ٦٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ،	وانظر المسور بن حمزة بن نوفل
٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٩١	المعاري : ٦٨
الأمرش : ٢٩١	القنصل بن ضالة : ١٤٤
الإدريسي : ٤	الواقدي : ٥٥ ، ٩١
الأطيلون : ١١٤	الوليد : ٢٦٥ ، ٢٨٩
الأعور بن سعيد بن زيد : ٨	أنطاس الكني : ١٣٩
الأقرع بن حابس - سمي : ١٩٥	أنطالاس : ٢٢ ، ٢٤
البرلسي : ١٦٣ ، انظر كسة بن بحر	أوتر : ٢٤٢
البلادوي : ٢	أورتاباس : ٢٢
التيصاني : ٥	أولية : ١١٤
الحارث بن الحكم : ٨١ ، ٨٢	إزير : ٢٤٥ ، ٢٤٧
الحجاج : ٢٩٨ ، ٢٨٩	باباروما : ٢٢ ، ٤٤
الحسن الوران : ٥ ، ٩٢	عجونات : ١٣٩
إريز بن الموام : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ،	بر بن قيس : ٨ ، ٥٥
٨٠ ، ٩٥	بريس بن بر : ٨
الزهري : ٨٠ ، ٨٤	برسكوس : ٣٥ ، ٣٦

١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٦٠ ،

١٦١ ، ١٩٣ ، ٢٣ ، ٢١٠ ،

٢٤٨

وانظر جرمجوريوس فلافيوس الأرمي :

وانظر الطريق

جرميس (ملك الروم الأطارفة) : ٩٧ ، ٧ ،

جرميجوري الأكبر : ٣٦ ، ٣١ ،

جرميجوريا (أخت جرميجوريوس) : ٣٩ ،

٥٠ ، ٤٤

جس : ١١ ، ١٦ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٦ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ١٦٦ ،

وانظر جوستال

جسنيان الثاني : ٢٣٤ ، ٢٥٣ ،

جساح : ٩٣ ، ١١٤ ،

جسديوس : ٣١ ، ٣٧ ،

جسريوس : ٢ ،

جسل بن صخر الصديق : ٢١٥ ، ٢١٦ ،

جساروت : ٢٤ ،

جودراتوس : ٢٧ ،

جورج (حاكم قرطاجنة) : ٤٥ ،

جيب : ١٤٩ ،

جسان بن النعمان الضاني : ٧ ، ٨ ،

٤١ ، ٤٢ ، ١٤٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٥ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ،

٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،

٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،

٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،

بروكويوس : ٣٠ ، ٤٦ ،

برعاسيوس هادرميتوس : ٢٨ ،

بسر بن أبي أرطاة : ٣٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ،

٨١ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

وانظر بشار بن أبي أرطاة

بكير رعد بن : ١٢٦ ،

بزارديوس : ١١ ، ٢٢ ،

بوشار : ١ ،

بوتراو : ٢٥٨ ،

باهر الله : ٢٩٦ ،

تيم (أبوالمرب) : ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٥٩ ،

توكسيه : ٨٤ ، ٩٣ ،

تيودور : (البا) : ٤٧ ، ٧٠ ،

تيودوسوس : ٢٥ ،

تيوفانيس : ٩٣ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ٢٣٦ ،

٢٥٩ ، ٢٥٤ ،

ثابت الأنصاري : ١١٩ ،

ثابت القهسي : ١٤٩ ،

جاسمولى : ٣٤ ،

جان تروجيلينا : ٢٧ ،

حلة بن عمرو الأنصاري : ١٢٧ ،

حسون : ٩٥ ،

حراشيل تيميل (السير) : ٩٧ ،

جرچير : ٢٠ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ،

٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ،

٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،

زهير بن ميس اللوى : ١٣٦ ، ١٦٦ ، ١٨١
 ١٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
 ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣
 ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٨
 ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
 ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨
 ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤

٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢

رياد أبو طارق : ١٧٦

سوس : ٦

سفردي بن روى : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥
 ١٦٦ وظر سفردي بن روى بن بارز
 ابن رويات

سحمون بن سعيد : ١٤٩ ، ٢٩٨

سرحيوس : ٢٤

سعيد حاكم مصر : ٢٠٥

سعيد بن عفير : ٩١

سعيد بن مسعود التيجي : ٢٩٦

سعيد بن يربد : ١٤٩ ، ١٧٩

سفيان بن وهب : ٢٩٧ ، ٢٩٨

سفيروس : ٢٧

سلامون (سليمان) : ٢٤

سليمان بن عبد الملك : ٢٧ ، ٣٠ ، ٥٠

٥١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠

٢٩١ ، ٢٩٥

سليمان بن يسار : ١٢٦

سنت أوعطين : ٢٧ ، ٢٨

سواده امرى : ٢٩٧

سويد بن قنس : ٢١٨

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
 ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦

حش بن عبد الله الصناني : ١٧٤ ، ١٧٦

١٦٩ ، ١٧ ، ١٨٢ ، ٢٠٥

٢٧٧

سارحة بن حذافة : ٦٦

سالم بن الوليد : ٩٠

سالم بن ثابت الفهرى : ١٤٩

وانظر سالم بن ثابت الفهمى

سالم بن يزيد نفيس : ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧

سالم بن مانه بن ممان : ٢٤٥ و ص ٤٠

دوبرا : ٩

دومتيك كبير قباوسة فرطاحنة : ٣١

دى سليم : ١

دينار أبو المهاجر : ٨٨ ، ١١٨ ، ١٥١

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧

١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٥

١٨١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٣

دوماتوس (الأسلف) : ٢٩

ديودور الصقل : ٢٦١

ذو القرنين : ١٩٥

ريسة بن عباد الديلى : ٨٤ ، ٩٢

روى (مؤرخ) : ١٩٤

رونجع بن ثابت الأنصارى : ١١٩ ، ١٢٦

واتا بن يحيى بن صرى بن رحمت بن مدعش

الأبطل : ٩

سعد ١٢
سعد كس ١٦٦
سندسوس ميري : ٢٨٠
شكر ٢٨٨
سريث مدني : ١٧٤
شريك بن سمي النطلي : ١٣٢ ، ١٣١
شريك بن سمي الرامي : ١٣٥
شيب : ١٠٢
شمه غنا : ١١٧ ، ١١
صروويوس : ٤٦ ، ٤٥
طارق بن زياد : ١٧٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٨٦
طلحة : ٨٠ ، ١٠٣
عاصم بن عمر : ٨١
عبد الأعلى بن جريج الإفريقي : ٢٧٨
عبد الرحمن بن الأسود بن عبد طلوت : ٨١
عبد الرحمن بن زياد بن أنس : ٢٥٢
عبد الرحمن بن سباد : ٢٩٧
عبد الرحمن بن نافع : ٢٩٦
عبد سرير بن صوان : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧
٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٢
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
عبد القيس بن لقيط : ١٣٠
عبد الله بن أبي بكر : ٨١
عبد الله بن الحباب : ٢٩٠ ، ٢٩٤
عبد الله بن الزبير بن العوام : ٦٤ ، ٧٨ ، ٨١
٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٠
١٢١ ، ١٤٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٥
٢٣٦ ، ٢٦٨
عبد الله بن الفيرة بن بردة الكافي : ٢٧٧

عبد الله بن أنس : ٨١
عبد الله بن حمير : ٨
عبد الله بن زيد بن الخطاب : ٨١
عبد الله بن محمد بن أبي سرح : ١٩ ، ٤٠ ، ٦٧
٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧
٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢
٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣
٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠
١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠
١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٩
١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ١٤٩
١٥٧ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٦
٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
عبد الله بن سعيد : ٩٥
عبد الله بن طلحة : ٨١
عبد الله بن عباس : ٨١ ، ١٠٤
عبد الله بن حمير بن الخطاب : ٨١ ، ١٢٠
عبد الله بن عمرو بن العاص : ٨١ ، ١١١
١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩
عبد الله بن قيس : ١٢٦
عبد الله بن موسى : ٢٧٩
عبد الله بن الحباب : ٢٦٣
عبد الله بن عباس : ٨١
عبد المطلب بن أبي السائب بن وعاة : ٨١
عبد الملك بن صوان : ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٠
٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٨
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤
٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٠

٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩

٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩

٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤ : رتبة النوى : ٢٤٤

٢٤٤ : علي بن أبي طالب : ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩

٢٤٩

٢٤٩ : علي بن زياد : ٢٤٩

٢٤٩ : عمر بن الخطاب : ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤

٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩

٢٥٩، ٢٦٠

٢٦٠ : عمر بن عبد العزيز : ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥

٢٦٥

٢٦٥ : عمر بن علي القرني : ٢٦٥

٢٦٥ : عمر بن علي القرني : ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩

٢٦٩ : عمران بن عوف النخعي : ٢٦٩

٢٦٩ : عمرو بن العاص : ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤

٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩

٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤

٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩

٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤

٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩

٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤

٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩

٣٠٩ : عمر بن وهب الجني : ٣٠٩

٣٠٩ : عيسى بن عبد الله الطويل : ٣٠٩

٣٠٩ : عيسى بن عيسى بن محمد : ٣٠٩

٣٠٩ : عيسى بن حسن : ٣٠٩

٣٠٩ : عاتق بن شيبة : ٣٠٩

٣٠٩ : عبد الملك بن ملحة : ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤

٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩

٣١٩ : عتبة بن أبي سفيان : ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣

٣٢٣ : عثمان بن عفان (الإمام المظلوم) : ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥

٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠

٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥

٣٣٥ : ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠

٣٤٠ : ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥

٣٤٥ : ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠

٣٥٠

٣٥٠ : عثمان بن

٣٥٠ : عثمان بن حاصر الجهمي : ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤

٣٥٤

٣٥٤ : عتبة بن نافع بن عبد الله بن المهدي : ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦

٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠

٣٦٠ : ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥

٣٦٥ : ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠

٣٧٠ : ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥

٣٧٥ : ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠

٣٨٠ : ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥

٣٨٥ : ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠

٣٩٠ : ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥

٣٩٥ : ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠

٤٠٠ : ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥

٤٠٥ : ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠

٤١٠ : ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥

٤١٥ : ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠

٤٢٠ : ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥

٤٢٥ : ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠

٤٣٠ : ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥

٤٣٥ : ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨

٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨٥

يكتب أيضاً كسيلة بن أغز الأوربي ،

كسيلة بن لزم ، كسيلة بن لزم ،

كسيلة النصراني

كعب بن عمرو : ٨١

كوتينا : ٢٢

كورديوس : ٢٧ ، ٢٨

كورديوس : ٥٧

كولوس : ٣١

كوهب : ٢٤٥

لالافصة : ٢٤٥

لديق : ١٩٢

لوا الأمغر بن لوا الأكبر - رحيك : ٥٣

ليو : ١٤٢

ليسرح : ٦٨

يون الإفرقي : ٩٢

ليونتيوس : ٢٥٣

ليونس : ٢٣٤ ، ٢٥٣

مادعيس بن ير الأطر : ٨ ، ٩

مارتن (البابا) : ١١٣ ، ١٢٦

مارتية (الإمبراطورة) : ٤٥

ماسديو : ١٩٤

ماسكري : ١٦٦

ماسوناس : ٣٠

ماسونا ماستيحاس : ٢٢

ماكس : ٦ ، ١٦٦

مالك بن صوان : ٢٣٨

محمد بن أبي بكر : ١٣٥ ، ١٧٨ ، ٢٨٤

محمد بن أبي بكر : ٢٣٨

قارق بن مصرم : ١

فالاسيوس : ٤٦

فلوري : ١

فوكاس : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٠

فولنتيوس فرانكوس : ٢٨

فيوكتيوس : ٢٥

فطاط : ٨

فديوسوس : ١٣٩

فططلي : ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ١١٣ ، ١١٤

١٦٠ ، ١٦١

فططلي الثاني (الامبراطور) : ٤٠ ، ١١٢

١١٣ ، ١٢٦ ، واطر فطط

فططلي الثالث : ٤٤ ، ٤٦ ، ١١٣ ، ١١٥

١٦٢

فططلي الرابع : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٦٠

١٨٩ ، ٢١٣

فيس : ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٢٠٤

فيس : ٨

فيصريوس : ٣٨

كاهنة لوانة : ٢٦٣

كسيلة بن لزم الأوربي البرنسي : ٣٠ ، ١٦١

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١

١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١

١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠

١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥

٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢

٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧

هرقل الصغير : ٤٥	يحيى بن عبد الله بن بكير : ١٣٥
هرقل الكبير : ٣٨	يزيد بن أبي حبيب : ١١٥ ، ١٤٤ ، ١٥٦
هرقل قسطنطين : ٣٩	يزيد بن أبي مسلم : ٢٧٩ ، ٢٨٩
هرقلوناس : ٤٥ ، ٤٧	يزيد بن حاتم : ٢٧٧
هشام بن عبد الملك : ٢٩١	زيد بن عبد الملك : ٢٨٩
هلال بن شروان القواقي : ٢٣٨ ، ٢٨٤	يزيد بن معاوية : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٨
هوميروس : ١	١٢٩ ، ١٨٤
هيرودوت : ٢	بنيات : ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤
ورمار بن صقلاب : ٢٨٢ ، ٢٨٣	يوباء (أمير نوميدي) : ٦ ، ٢٨
يابداس : ٢٢	يوحورثا : ٦ ، ١٦٦
ياقوف بن يونس : ١	يوحنا (الطريق) : ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠
يالقوت : ٣	يوديسيا : ٣٥
يحيى بن الحكم بن أبي العاص : ١٧٠	يوسف بن عدي : ١٢٧
يحيى بن بكير : ١٥ ، ٢١٦	يوليان : أطر بليان

فهرس الأحناس والشعوب والقطن والألماط الاصطلاحية

بربر الحرب الأقصى : ٢٨٧

بربر إفريقية : ١٦٨ ، ٥١

بربر أطلالاس : ٢٠

بربر طرابلس : ٥٩

بربر طنجة : ٢٨٨ ، ١٨٠

بربر الزاغة : ٢٤٣

الحفس البربري : ٢٤٦

الشعب البربري : ٢٧٨

بربري : ٢٧٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥١ ، ٢٤٣ ، ١٥٤

فائل بربرية : ٢٩٤ ، ٢٩٢ ، ٢٤٨ ، ١٣٨

سلو البربر : ٢٢١

ساية البربر : ٢٨٥

لصاري البربر : ١٨٢ ، ١٦٩

البرانس : ٢١١ ، ٢٠١ ، ١٦٦ ، ١٦١ ، ٤٨

٢٤٨ ، ٢٤٤ ، ٢٣٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٠

٢٥٨ ، ٢٥٢

برانس حصر : ٢٨٥ ، ٢٤٤

التر : ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٠ ، ١٦١ ، ٨ ، ١

٢٤٥

التر الحصر : ٢٨٧ ، ٢٨٥ ، ٢٤٣ ، ٢٣٤

تر بدو : ٢٨٥

البرنطليون : ١٣٣ ، ٣٩ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣

٤٦ ، ١١٤ ، ٩٧ ، ٧٥ ، ٥٠ ، ٤

٢٤٨ ، ٢٣٣ ، ٢١٤ ، ٢٠٩

اعصار البرنطلية : ٢٠١ ، ٢٢

التابون : ٢٩٦

التوابون : ٢١٧

الطاحلية : ٢٥٣

الجند الإسلامي : ٢٦٢

الحبش الإفريقي : ١١٥

الحبش العربي : ٢٣٤ ، ٢٦٣

الحبش الإسلامي : ٢٣٣ ، ١

الحاكم المدني القديم : ٣٢

الحارحون : ٢٧٢

الحارحية : ٢٩٤

الحلف البربري الرومي : ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٠

٢٣٤ ، ٢٢٢

حصر (حرب برطلي) : ١٢

الخلافة : ٢١٨

الخوارج : ٢٩٤

الدور : ٨٤

الدوائية : ٢٨٦ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩

الدواتيون : ٢٨١

الدولة الإسلامية : ١٥٦ ، ١١٢ ، ١١١

٢٧٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢١٧ ، ٢١٢

الدولة البرنطلية : ١٣٣ ، ١٦٠ ، ٢٢٦

٢٣٩ ، ٢٣٢

الروم : ٣٩ ، ٢٦ ، ٢١ ، ١٧ ، ٥ ، ٢

٤٠ ، ٢١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢١ ، ٢١

٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦

٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨

٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

فهرس الأجاس والشعوب والقبائل والأعط الاصطلاحية

حصارة البصرة : ٢٩٩	٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧١
الحصارة الرومانية : ١٦٦	٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠ ، ٢٧٨ ، ٢٧٦
الحصارة القديمة : ٢٥٥	٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥
الحصارة العلية : ٢٩٩	٢٩٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢
الحصارة الإسلامية : ٢٧٨	منع امرى : ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٢ ، ١٥٢ ، ١٥٠
الحصارة البيزنطية : ١٦٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤	٢٩٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠ ، ٢٦٨ ، ١٦٣
الحاكم الإفرقي : ١١٣	الفتح الإسلامي : ١٦١ ، ١٢٧ ، ١١٠
الحكام البيزنطيون : ٢٤٤	٢٨٥ ، ٢٦٨ ، ٢٥٢ ، ١٦٦
الحكم الإسلامي : ٢٧٧ ، ٢٩٠	عرب الشام : ٢٩٣
الحكم البيزنطي : ٢٨١ ، ٢٨٠	مهاجرو العرب : ٢٩٢
الاهبات البربرية : ١٥٤	المرى الوندالي : ٢٨٠
الومارد : ١٦٣	الفرسيون : ٢٤٦ ، ٢٤٥
القيون : ٢٨٠ ، ٢٧٧	الفيقيون : ٢٤٥ ، ٢٤١
المجوسية : ١٩٤	القرآن : ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٨٨
المدلس : ٧١ ، ٦٢ ، ٦١	القبط : ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٨٤ ، ٥٣ ، ٤٤
المدبر : ٣٣	قط مصر : ٢٢٧ ، ٢١١ ، ٥٣ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٢٢٧
المنجية : ٢١٢ ، ٩٦ ، ٦٣	٢٦٢
المنجيون : ١٣٩ ، ١٤٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢	القاضي الروماني الأكبر : ٣٣
منجيو إفريقية : ١٤٦	القائل الجنوبية في المغرب : ٢٨٤
المنديون : ٢٢٩	القرطاجيون : ٩
المنديون : ٢٠٥	القائدات اليهودية (كتاب) : ٢٨ ، ٢٧
المصاندة : ٢٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨	قاسم السافور : ٣٣
مصاندة حل دون : ٢٠	القبيسية : ٢٩٧
المصرية : ٢٩٢	القبيسون : ٢٦٩
المصريون : ٢٦٩	لقوط : ١٩٢
لمريون : ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٨٧	لقوط إسيانية : ١٩٢
١٩٠	السكرار والسكركون : ١٣١ ، ٢١٩ ، ٢٥٤
السكرابون : ٤٣	٢٨٩ ، ٢٨٧
أم المغرب : ٢٥٠ ، ٢٦٨	اللاتينيون : ٢٧٨ ، ٢٦٢ ، ٣٠١ ، ٦٤ ، ٥
الهاريون : ١٢٦	الحصارة لانيية : ٢٨٨ ، ٢١٢ ، ١٩٠
الور (Les Maures) : ٢٨٠	

فهرس الأحاس والشعوب والقائل والألفاظ الاصطلاحية

الموتويون : ٤٥	بنو حنن (قوم ورمار بن سولات) : ٢٨٢
الموتوية : ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٤ ، ١٦٠	بنو ربيعة : ٨١
الموتوسي المعوي : ٤٤	بنو سليم : ٨١
الموتوسيون : ٤٠	بنو سبهم : ٨١
النصارى : ١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٦١ ، ١٨٢	بنو عامر بن لؤي : ٨١
١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٥٣	بنو عدي : ٨١
النصرانية : ٢٧٣ ، ٢٨٨	بنو مدحج : ٦٦
النوميدون : ٢٨٠ ، ٢٨١	بنو هاشم : ٨١
النصرانية : ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢	بنو هرمل : ٨١
الخنوز : ١	بنو يبرق : ٢٤٣
الوثنية : ٢٨٠	بنو زبد : ١٦٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٣
الويلال : ١١ ، ٢٢ ، ٢٩	٢٤٥ ، ٢٤٦
٢٤ : ٢٤	حرمة : ٥٧
ابنمقوسه : ٤٤	جند العرب : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
اليونان : ١ ، ٢٦٢	جند المغرب : ٢٧٤ ، ٢٧٧
إمبراطور الروم : ٣٤ ، ١٦١	حبهة : ٨١
أمير مصر : ٢٦٥	حيش العادلة : ٨١
أمير مفراوة : ٢٨٢	حصارات البحر الأبيض المتوسط : ١٠
أنية : ١٨٤ ، واظر أنية وأنية	حكام المغرب : ٢٦٩
أهل لندة : ٢٢٧ ، ٢٨٩	حكام مصر : ١٥٦ ، ١٥٧
أهل الشام : ١٩٤	حكماء القديس بولس (كات) : ٢٨
أورنة : ٣٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤	دسره : ٨١
١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧١	رمانة : ٩١٦ ، ١٦٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٦
١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٠	٢٦١ ، ٢٤٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧
برغواطة : ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧	رواعة : ١٦٢
طريق : ١٠٥ ، ١٩١	مقلات : ٢٨٢
بنو أسد بن عبد المرى : ٨١	صحابة : ٩ ، ١٦١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣
بنو الذيل : ٨١	عامل إمرية : ٢٦٣ ، ٢٩٠
بنو أمية : (واظر : الأمويون) ٨١ ، ١٣٥	عامل المغرب : ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠
٢٢٦ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨	عامل مصر : ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩
بنو تميم : ٨١	

١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٧، ١٢٦
 ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣
 ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٣٩، ١٣٨
 ١٥٣، ١٥٢، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧
 ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤
 ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦٠، ١٥٩
 ١٧٣، ١٧٠، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦
 ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٧٩، ١٧٤
 ١٩٠، ١٩٩، ١٩٧، ١٩٣، ١٨٦
 ٢٠٩، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤
 ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٠
 ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧
 ٢٣١، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥
 ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢
 ٢٤٢، ٢٤١، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧
 ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤
 ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩
 ٢٦٠، ٢٥٨، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤
 ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢
 ٢٧٤، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨
 ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥
 ٢٨٧، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨١، ٢٨٠
 ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠
 ٢٩٨، ٢٩٧
 ٣٠٦، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣، ٣٠٢
 ٣١٦، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٣، ٣١٢
 ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢
 ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢
 ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٢
 ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥٣، ٣٥٢
 ٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٤، ٣٦٣، ٣٦٢
 ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٢
 ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٢
 ٣٩٦، ٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢
 ٤٠٦، ٤٠٥، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٠٢
 ٤١٦، ٤١٥، ٤١٤، ٤١٣، ٤١٢
 ٤٢٦، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤٢٣، ٤٢٢
 ٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٣٣، ٤٣٢
 ٤٤٦، ٤٤٥، ٤٤٤، ٤٤٣، ٤٤٢
 ٤٥٦، ٤٥٥، ٤٥٤، ٤٥٣، ٤٥٢
 ٤٦٦، ٤٦٥، ٤٦٤، ٤٦٣، ٤٦٢
 ٤٧٦، ٤٧٥، ٤٧٤، ٤٧٣، ٤٧٢
 ٤٨٦، ٤٨٥، ٤٨٤، ٤٨٣، ٤٨٢
 ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩٢
 ٥٠٦، ٥٠٥، ٥٠٤، ٥٠٣، ٥٠٢
 ٥١٦، ٥١٥، ٥١٤، ٥١٣، ٥١٢
 ٥٢٦، ٥٢٥، ٥٢٤، ٥٢٣، ٥٢٢
 ٥٣٦، ٥٣٥، ٥٣٤، ٥٣٣، ٥٣٢
 ٥٤٦، ٥٤٥، ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٤٢
 ٥٥٦، ٥٥٥، ٥٥٤، ٥٥٣، ٥٥٢
 ٥٦٦، ٥٦٥، ٥٦٤، ٥٦٣، ٥٦٢
 ٥٧٦، ٥٧٥، ٥٧٤، ٥٧٣، ٥٧٢
 ٥٨٦، ٥٨٥، ٥٨٤، ٥٨٣، ٥٨٢
 ٥٩٦، ٥٩٥، ٥٩٤، ٥٩٣، ٥٩٢
 ٦٠٦، ٦٠٥، ٦٠٤، ٦٠٣، ٦٠٢
 ٦١٦، ٦١٥، ٦١٤، ٦١٣، ٦١٢
 ٦٢٦، ٦٢٥، ٦٢٤، ٦٢٣، ٦٢٢
 ٦٣٦، ٦٣٥، ٦٣٤، ٦٣٣، ٦٣٢
 ٦٤٦، ٦٤٥، ٦٤٤، ٦٤٣، ٦٤٢
 ٦٥٦، ٦٥٥، ٦٥٤، ٦٥٣، ٦٥٢
 ٦٦٦، ٦٦٥، ٦٦٤، ٦٦٣، ٦٦٢
 ٦٧٦، ٦٧٥، ٦٧٤، ٦٧٣، ٦٧٢
 ٦٨٦، ٦٨٥، ٦٨٤، ٦٨٣، ٦٨٢
 ٦٩٦، ٦٩٥، ٦٩٤، ٦٩٣، ٦٩٢
 ٧٠٦، ٧٠٥، ٧٠٤، ٧٠٣، ٧٠٢
 ٧١٦، ٧١٥، ٧١٤، ٧١٣، ٧١٢
 ٧٢٦، ٧٢٥، ٧٢٤، ٧٢٣، ٧٢٢
 ٧٣٦، ٧٣٥، ٧٣٤، ٧٣٣، ٧٣٢
 ٧٤٦، ٧٤٥، ٧٤٤، ٧٤٣، ٧٤٢
 ٧٥٦، ٧٥٥، ٧٥٤، ٧٥٣، ٧٥٢
 ٧٦٦، ٧٦٥، ٧٦٤، ٧٦٣، ٧٦٢
 ٧٧٦، ٧٧٥، ٧٧٤، ٧٧٣، ٧٧٢
 ٧٨٦، ٧٨٥، ٧٨٤، ٧٨٣، ٧٨٢
 ٧٩٦، ٧٩٥، ٧٩٤، ٧٩٣، ٧٩٢
 ٨٠٦، ٨٠٥، ٨٠٤، ٨٠٣، ٨٠٢
 ٨١٦، ٨١٥، ٨١٤، ٨١٣، ٨١٢
 ٨٢٦، ٨٢٥، ٨٢٤، ٨٢٣، ٨٢٢
 ٨٣٦، ٨٣٥، ٨٣٤، ٨٣٣، ٨٣٢
 ٨٤٦، ٨٤٥، ٨٤٤، ٨٤٣، ٨٤٢
 ٨٥٦، ٨٥٥، ٨٥٤، ٨٥٣، ٨٥٢
 ٨٦٦، ٨٦٥، ٨٦٤، ٨٦٣، ٨٦٢
 ٨٧٦، ٨٧٥، ٨٧٤، ٨٧٣، ٨٧٢
 ٨٨٦، ٨٨٥، ٨٨٤، ٨٨٣، ٨٨٢
 ٨٩٦، ٨٩٥، ٨٩٤، ٨٩٣، ٨٩٢
 ٩٠٦، ٩٠٥، ٩٠٤، ٩٠٣، ٩٠٢
 ٩١٦، ٩١٥، ٩١٤، ٩١٣، ٩١٢
 ٩٢٦، ٩٢٥، ٩٢٤، ٩٢٣، ٩٢٢
 ٩٣٦، ٩٣٥، ٩٣٤، ٩٣٣، ٩٣٢
 ٩٤٦، ٩٤٥، ٩٤٤، ٩٤٣، ٩٤٢
 ٩٥٦، ٩٥٥، ٩٥٤، ٩٥٣، ٩٥٢
 ٩٦٦، ٩٦٥، ٩٦٤، ٩٦٣، ٩٦٢
 ٩٧٦، ٩٧٥، ٩٧٤، ٩٧٣، ٩٧٢
 ٩٨٦، ٩٨٥، ٩٨٤، ٩٨٣، ٩٨٢
 ٩٩٦، ٩٩٥، ٩٩٤، ٩٩٣، ٩٩٢
 ١٠٠٦، ١٠٠٥، ١٠٠٤، ١٠٠٣، ١٠٠٢
 ١٠١٦، ١٠١٥،

كبة حربية: ٣٦، ٣٦، ٣٧

كوفه: ٢١٧

المحيط الاطلسي: ١٩٥، ١٩٤، ١٩٥

المدينة: ٢٤، ٦٥، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٧

٩٥، ١٠٧، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٥

١٠٦، ١٢٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧

١٥٣، ١٥٤، ١٥٩، ١٧٠، ١٧١

١٧٤، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١

١٧٧، ١٧٩، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨

٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٨٣

٢٩٠، ٢٩٢

السجد الأعظم: ١٤٤

السجد الجامع: ٢٧٤

السيلة: ١٨٩، ١٩٥

المعرق: ٨١، ١١٨، ١٢٦، ٢٣٢، ٢٣٣

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨

٢٩٨

١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١

١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠

٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩

٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨

٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧

٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦

٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥

٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤

٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣

٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢

٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩

للقرب الإسلامي: ٢٩٨، ٢٩٩

لقرن: ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦

القرطاجنة: ٩٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥

القسطانية: ١٩، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩

٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧

٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦

٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨

القبور: ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١

١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠

٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩

٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨

٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧

٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦

٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥

٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤

٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣

٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢

٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١

١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠

١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩

١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨

١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧

١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦

١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥

١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤

١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣

القيصرية: ٢٧٣

الكف الحالية: ٩٦، ٢٢٥

الكنج: ١

الكنية الإفريقية: ٣، ٢٨١

الكنية البيزنطية: ٣١، ٢٨١

الكنة الصربية: ٣٨، ٤٦، ٤٧

مهرس الأماكن الحفرافية

[illegible]

سيرة : ٧	دار الإمارة : ١٤٤
سيرة : ٥٣	دار الصاعه : ٢٦٢
سيرة : ١٥ ، ٣٢ ، ٢٦٣	حجلة : ١٤٠
سيرة : ١١٣ ، ١١٦	درعه : ٢٩٩
سيرة : ١١٣ ، ١٢٦	دون (جبل) : ٢٠٠
سيرة : ٢٤١	دمشق : ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٥٧
سيرة : ٢٦	١٧٩ ، ٢٥٧
سكانة (وادي) : ٢١٧	دمياط : ٦٦
سلايك : ٣٥	دقة : ١٢٥
سقطه : ٢٦٣	دير الجليلي : ٢١٧
سهر (وادي) : ١٩٠	رادس : ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٩٣
سوسة : ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠	رودس : ١٢٥
١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧	روما : ٢٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٥٥	روان : ٢٥٨
سوق العرب : ٢٧٣	زرهون (جبل) : ١٩٤ ، ٢٢٤
شريك (جزيرة) : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠	ررود (وادي) : ١٤٣
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥	روحنايا : ٤ ، ٧
٢٧٠	زولة : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠
شط حدة : ١٨٨ ، ١٩٧	١٣١ ، ١٣٤ ، ٢٨٠
شقبارة : ٢٢٥ ، ٢٢٥	سبته : ١٤ ، ٢٢
شلف (نهر وادي) : ٢٩ ، ٢٩٠	سبقة : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٦١
صبرة : ١٦ ، ٢٩ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦	سبر : ٦١
٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤	سور (وادي) : ١٩٧
صده : ٣٢	سيه : ١٩ ، ٩٦
صرت : ١٦ ، ٥٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧	سيطة : ١٥ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٦٧
١٢٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٥	٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥
سطنورة : ٠ وانظر سطنورة	٨٦ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩
سعين : ١٧٨	١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ، ١٨٥
سقلية (جزيرة) : ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٢	٢١٣ ، ٢٢٢
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥	سطناسة : ٩ ، ٤
١٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩	

[illegible]

فهرس الأماکی

کلبیة : ١١٥ ، ١١٣

کوار : ١٣٦

کبة : ١٣٢

ک : ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

١٩١ ، ٢٢٢

وانظر لمیس ولس

لعه : ١٨

لویة : ٢١٩

لبدية : ٤٤ ، ٤١

لایان : ١٩٤

لالبانة : ٣

ماء القرس : ١٨٣ ، ١٣٦

مجرد : ٤٤ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

صباح القواقل : ١٥٣

صراية : ٢٥٠

مهاکس : ٢٥٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢١٥ ، ٢١٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٠ ، ١٩٥ ، ١٩٠ ، ١٨٥ ، ١٨٠ ، ١٧٥ ، ١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٦٠ ، ١٥٥ ، ١٥٠ ، ١٤٥ ، ١٤٠ ، ١٣٥ ، ١٣٠ ، ١٢٥ ، ١٢٠ ، ١١٥ ، ١١٠ ، ١٠٥ ، ١٠٠ ، ٩٥ ، ٩٠ ، ٨٥ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٧٠ ، ٦٥ ، ٦٠ ، ٥٥ ، ٥٠ ، ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٥ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ٢٠ ، ١٥ ، ١٠ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

مدرسومة : ١٩

مدکور : ١٤١

مدخل (وادی) : ١٣

مرطانية : ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

٢١١ ، ٣٢٢

صراة : ١٣١

مسجد رطلی : ٢٩٦

مسجد عقة : ١٤١ ، ٢٦

مسکولا : ١٥

مصر : ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

تاریخ م -- ٢٣

فهرس الأماكن

ودان ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٥ ،	هادر وميتوم الرومانية ١٤١
٦٠ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،	هليوبوليس : ٩٣
١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٨٣	واد حاطوب : ٢٤٧
ولي ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١١ ، ٢٢٠ ،	واد فكا : ٢٤٧
وهزان : ١٥ ، ٣٠ ، ١٦٦	واد ملي : ٢٤٧
يوسكا : ١٩	وادي الصداري : ٢٤٨

د - فهرس الألفاظ الأفرنجية الواردة في المبحث

Ades	٢٦٦	واطر وادس	Cyrene	١٦	قيرين
Africa proconsularis	٢		D'Herbelot	٤	
Africa Propria	١		Dux	١٨	
Antalas	٢٢		Eparci	٢٣	
Aphri	١		Epi	١	
Appobonias	١٦		Ep phania	٣٥	
Aprica	١		Et dica	٣٥	
Archelaos	١٤		Exarcus	٢٢١ ٢٠	
Arsinoe	١٦		Exercitus africae	١١٥	
Asbystes	٧		Fulgentius Ferrandis	٢٨	
Augila	٣٠		Garamantes	١٣٦ ١٥٧	
Aurelius Verus	٩٧		Gasmul	٢٤	
ΑΨΥΚΟΝ ΤΥΝΕΙΑ	٢٦١		Gennadius	١١٤ ٣٤	
Barbari	٧		Georgii Chypru	٩٦	
Barca	١٦		Ghenaha	٩٣	
Barcytes	٧		Ghibigammes	٧	
Berenice	١٦		Gibbon, E.	٩٥	
Bezacena	٧		Girgis	٦٦	
Bibliographie Orientale	٤		Gregorius	٢٤	محرر
Byzacium	١٥		Gsell, S.	٧	
Caesaria	١٦١ ١٥	قيسرية	Hadrumetum	٢٥٥ ٢١٤	
Caesarius	٢٨		Heraclius Constantin	٣٩	
Captio	١٧		Hespérus	٢٥٨	
Caput-Vada	١٤١ ٨٦	قودة	Hippone Diarryte	٢١٤	بونه
Caput Verda	١٢٠		Journal Asiatique	١١	
Chronographia	٩٣	كتاب تيموثايس	Kocella	١٧١	كسلا
Colon	٥				
Consul	٣٣ ١٥				
Couloulis	١٢٣ ١٩	جلولاء			
Cydamus	٣٠	غدامس			
Cyrus	٢٤	قيرس			

د . مهريس الألفاظ الأفرنجية الواردة في المبحث

Lilla Fatma	٢٤٥	Ousse et	١٢٦
Lambeisis	١٥	Patricius J hannes	٢٥٤
Leo Africanus	٨	Poeymirau	٢٥٨
Leptis Magna	١٨ غلطة	Pogonal	١٣٨
Libatal	٧ فلبون	Praelectus	٢٣ . ٢٢ . ١٢
Libo-Phenicians	٧ فلبون الفينيقيون	Praesides	١٥
Macomades	١٩ مكمادي	Practor	٢٣
Madarsuma	١٩	Priscus	٣٨
Makés	٧	Proconsul	٢٣ . ١٤
Mamma	١٩ مام	Proconsularium	١٥
Mascula	١٥	Psylles	٧
Masunas	٣٠	Sabrita	٢٩ . ٢٤ صورة
Maudes	٧ . ٥	Sanctus Fulgentus Episcopi	
Maurice	٢٤	Ruspensis	٢٨
Mauretania	٢ مصرقة	Scott, C. A.	٢٩
Mauretania Atriensis	٢٢	Septim	٢٢
Mauretania Cesariensis	٢٢	Sergius	٢٤
Maurnania Siliensis	٢٢ . ١٥	Sicca Vaneria	٢٢٥ مقبرة
Mauretania Siliensis	٢٢	Sufes	١٩
Mauretania Tingitana	١٥	Suffetala	١٩ سيطلة
Meninx	٦٦ حرق	Syrta	١٦ صرت
Mastère	٢١٢ ليرة	Tabessa	١٥ تبسة
Msiia	١٥ المسية	Tacapes	٦٦ تابيس
Nasamons	٧	Talent	١٠١ تالان
Neeny	٢٤٧	Tartessus	٢٦٢
Nictas	٢٥	Tauxier	٩٣
Numidia	١٥	Tenchera	١٦
Opara	١	Tenes	١٥
Oran	١٥ وهران	Thamugadi	١٥ تمجاد
Oter	٢٤٢	Tharsis	٢٦٢

فهرس الألفاظ الأفرنجيه لواردة في البحث

Thelepæ	١٩	Tynes	٢٥٤
Theveste	٧٥	Usilla	١٢٣
Thysdrus	٨٣، ١٩	Utica	١
Tipasa	١٥	Yunca	١٩
Tobna	١٥	Zeugitania	٤
Tribitum	١٧	Zonakes	٧
Tropaktana	١٥		



الحمد لأبصر المتوسط

الاشدلسر

الغوار الغنيمة آية الغنيمة

[illegible]

34. — — —

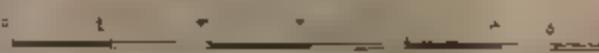
عالمی "یہ ہے" کے لئے

۹۰۰ ۹۰۱ ۹۰۲ ۹۰۳

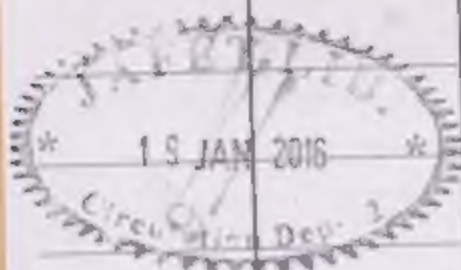
عليه و. فوسق. جملہ

$\frac{1}{\sqrt{2}} \begin{pmatrix} 1 & i \\ 0 & 1 \end{pmatrix}$

تہذیب و تمدن



DATE DUE

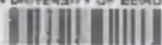


961-M961A:c.1

مؤتمن - حسين

فتح العرب المغرب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY



01-05-1998

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



